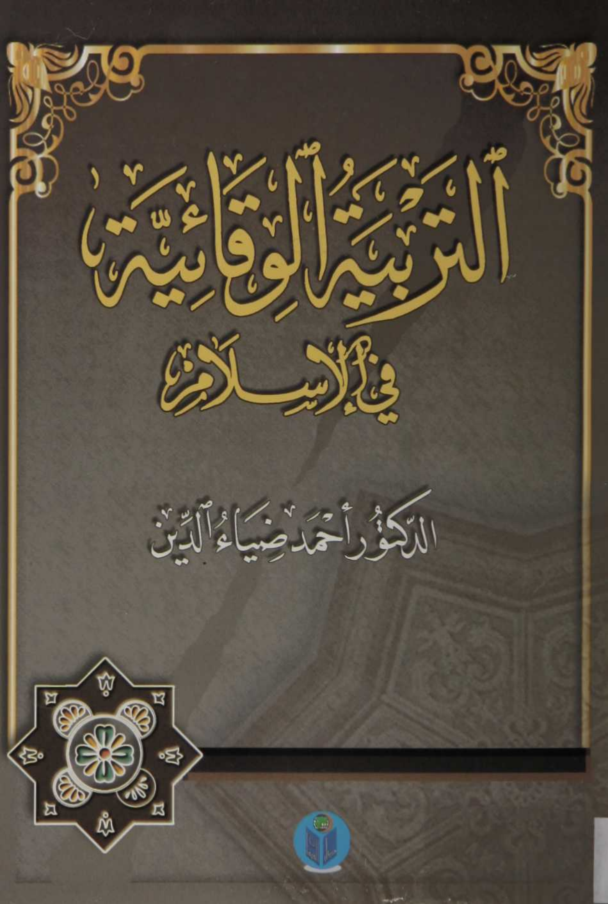


التربية الوقائية
في الإسلام
الدكتور أحمد ضياء الدين

أثر التربية الوقائية في صيانة المجتمع

حقوق الطبع محفوظة

الطبعة الأولى ٢٠٠٥

المملكة الاردنية الهاشمية
رقم الايداع لدى دائرة المكتبة الوطنية
(٢٠٠٤/٥/١٢٥١)

٢٦٩,٣٤
محمد، أحمد ضياء الدين حسين
أثر التربية الوقائية في صيانة المجتمع الإسلامي /
أحمد ضياء الدين محمد. - عمان: دار الفرقان للنشر والتوزيع،
٢٠٠٤.
(   )ص.

ر.إ. : ٢٠٠٤/٥/١٢٥١.
المواصفات : / المجتمع الإسلامي // الآداب الاسلامية
/ الاسلام /

❖ تم اعداد بيانات الفهرسة والتصنيف الأولية من قبل دائرة المكتبة

دار الفرقان للنشر والتوزيع

العبدلي – عمارة جوهرة القدس
هاتف : ٤٦٤٠٩٣٧ فاكس: ٤٦٢٨٣٦٢
ص ب: ٩٢١٥٢٦ عمان ١١١٩٢
المملكة الأردنية الهاشمية
E-mail: dar_forqan@yahoo.com

إهــداء

إلى والديّ اللذين قرن الله عز وجل شكره وعبادته بشكرهما، والإحسان إليهما، وكانا شغوفين لرؤية ثمار جهود ولدهما، وكانا الدافع الحقيقي وراء إنجاز ما تطلعت إليه.

إلى زوجتي العزيزة التي عاشت معي وتحملت مثل ما تحملت من المعاناة والسهر والتعب.

إلى أبنائي الأعزاء بنان، أفنان، زهراء، حمزة، حنان، شيماء.

إلى من له عليّ حق ومعروف.

إلى كل من علمني حرفا، وأسدى إليّ نصيحة.

إلى كل العاملين في حقل التربية والتعليم، الذين يريدون سعادة المجتمع وتقدمه.

إليهم جميعاً أُهدي هذا الجهد المتواضع، وجزاهم الله عني كل الخير والجزاء.

الباحث

أحمد ضياء الدين حسين بني ياسين

مقدمة

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على أشرف المرسلين سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

فالقليلون من النابهين، هم أولئك الذين يضيفون إلى دراساتهم العلمية الأولى دراسة منهجية مؤازرة أو مقارنة تتميز بالجدة والأصالة في الطب أو الطبيعة أو الفلك، أو النفس، أو الاجتماع، أو التربية أو الاقتصاد، حيث تقوى الأخيرة بين الدراستين السابقة والملاحقة، وحيث تكون الإفادة بهم في العقل العلمي، والمجال العملي أندى أثراً، وأنضر ثمراً.

كذلك كانت هذه الدراسة العلمية التي اضطلع بها في حقلي الدراسات الإسلامية والتربوية: الباحث النابه الدكتور أحمد ضياء الدين.

وهو أمر نرجو أن يتنامى رواده، ويتتابع المقتفون لأثره، والسائرون على دربه، حيث يمشي الباحث على نور من ربه، وهدى من سنة نبيه بصيراً بما جد من معرفة، مفيداً بما استكشف من حقيقة، وما استحدث من آلية ليقيس من هذا أو ذاك ما يتسق مع قيمة وتراثه، وما يتفق مع هوية أمته وطموحاتها، وما يسهم في تزكية الفرد، وتنمية المجتمع.

والعلم الديني حين تكون هو الأساس لما يتخصص فيه المرء بعدئذ من العلوم الحياتية كالتخطيط والهندسة والإدارة المالية والتنمية الزراعية والمناهج التربوية وسائر ما أومأنا إليه آنفاً هو الأمر الذي يجمع المرء به بين الحسنيين: الإيمان وما يقتضيه من خلق ومن سلوك، والعلم الذي يسهم به المؤمن في عمارة الأرض والافادة مما سخر الله له في الكون مصداقاً لقوله سبحانه: ﴿هُوَ أَنشَأَكُم مِّنَ ٱلْأَرْضِ وَٱسْتَعْمَرَكُمْ فِيهَا﴾ [هود: ٦١] وقوله تعالى: ﴿وَسَخَّرَ لَكُم مَّا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ جَمِيعًا مِّنْهُ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ﴾ [الجاثية: ١٣].

وفضلاً عن أن في ذلك إثراءً لحضارة الإنسان، وإرساءً لدعائم الأمن والخير والعدل والحرية والسلام بين أفراد المجتمع ففيه إحياء لإحدى السنن المذخورة والمأثورة عن الأنبياء والمرسلين صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين: أن يجمعوا إلى النبوة والحكمة والحكم

(الملك) لدى بعضهم وبين ما يُحتاج إليهم فيه، أو ما يحتاجونه هم من علوم الحياة وصناعاتها، فعن داود وسليمان يقول الله عز وجل: ﴿ فَفَهَّمْنَٰهَا سُلَيْمَٰنَ وَكُلًّا ءَاتَيْنَا حُكْمًا وَعِلْمًا وَسَخَّرْنَا مَعَ دَاوُۥدَ ٱلْجِبَالَ يُسَبِّحْنَ وَٱلطَّيْرَ وَكُنَّا فَٰعِلِينَ ﴿٧٩﴾ وَعَلَّمْنَٰهُ صَنْعَةَ لَبُوسٍ لَّكُمْ لِتُحْصِنَكُم مِّنۢ بَأْسِكُمْ فَهَلْ أَنتُمْ شَٰكِرُونَ﴾ [الأنبيا: ٧٩-٨٠].

هذا مع أن داود عليه السلام كان نبياً وكان ملكاً بيداً في عليه السلام كان يأكل من عمل يده، كما أخبرنا الصادق المصدوق ﷺ.

وهذا يوسف الصديق عليه السلام آتاه الله الملك والحكمة والنبوة وآتاه مع ذلك علم تعبير الرؤيا الذي حدث عنه صاحبيه في السجن حين عبر لهما الرؤيا: ﴿ ذَٰلِكُمَا مِمَّا عَلَّمَنِي رَبِّيٓ ﴾ [يوسف: ٣٧] وآتاه سبحانه مع هذا وذاك علم التخطيط الذي عبر به رؤيا الملك وعلم التنمية الزراعية، والإدارة المالية الذي كشف عنه للملك أثر شهادته ليوسف أنك اليوم لدينا مكين مين أي فاختر لنفسك الموقع الإداري الذي تحقق به رغبتنا في الاستعانة بك فقال يوسف: ﴿ ٱجْعَلْنِي عَلَىٰ خَزَآئِنِ ٱلْأَرْضِ إِنِّي حَفِيظٌ عَلِيمٌ ﴾ [يوسف: ٥٥].

ولقد ختم الباحث بهذه المزاوجة المنهجية إجادة شهية الباحثين لارتياد الآفاق الرحبة فيالاستقراء والاستنباط، والتحليل والتوصيف، والموازنة والمفاضلة التي أبرز البحث بها سبق الإسلام وتفرده في مجال التربية الوقائية من عوامل الضعف والتخلف، ومن بوائق الجنوح والتطرف، ومن دواعي الاحكام والضغائن، ومن بواعث التعدي على الأنفس والأعراض والأموال ومن دوافع الخوف والقلق والاضطراب والفوضى.

ولقد ركزت الدراسة على الجانب الوقائي في هذه المجالات سواء في ذلك ما يتعلق بتنشئة الفرد أو تنمية المجتمع.

وقد نجحت الدراسة في بيان ماهية التربية الوقائية وتوصيف مظاهرها لدى الفرد والمجتمع في مجالات العقيدة والتشريع والإخلاص والسلوك في حماية الدين والنفس والنسل والعقل والمال وفي بيان أهداف التربية الوقائية وخصائصها وأنواعها، وفي إماطة اللثام عن أصولها في القرآن والسنة، وتنوع أساليبها في مجالات الحياة الإنسانية.

وأربت مصادره على خمسين ومائتي مصدر جمعت بين الأصالة والجدة كما تميزت بأمانة التوثيق عند كل إفادة، وتنوعت بين تفاسير القرآن الكريم إلى مصنفات الحديث النبوي

لدى من يعني بتفصيل القول في إجماله بحثاً متكاملاً، أو أطروحة قائمة بذاتها لتصب هذه الأنهر المعرفية -بعدئذ- في محيط العلم النافع، والثقافة التربوية الرائدة التي تسهم في خير الفرد، وأمن المجتمع.

ولعل الهجوم الإعلامي الشرس على كيان الأمة وقيمها وميدانها وتراثها مع ما هي فيه الآن من ضعف وتخلف وهوان هو ما دعا باحثنا الغيُور إلى أن يستحث أجهزة الاعلام والدعوة والتربية والتعليم والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، والقائمين على شأن المجتمع سياسياً واجتماعياً واقتصادياً وأمنياً إلى أن يدلوا التربية الإسلامية في جانبيها: الوقائي والعلاجي عنايتهم القصوى ليتم الوعي بها، والاستثمار لها في محيط الأسرة والمجتمع، في المدرسة والجامعة، في المسجد والمكتب في المدن والقرى عسى الله أن يأتي بالفتح أو أمر من عنده فقد أزفت الآزفة، وليس لها من دون الله كاشفة!!

وحسب الباحث بهذا الكتاب أن قد أفرغ غاية الوسع، وبذل قصاية الجهد في القيام بواجب النصيحة لله ولكتابه ولرسوله ولأئمة المسلمين وعامتهم.

والله نسأل أن يجزيه عن دينه وأمته خير الجزاء وأنداه، في دنياه وأخراه، ولينصرن الله من ينصره إن الله لقوي عزيز.

اربد - الاثنين ١٧/ محرم/ ١٤٢٥هـ

٨/ ٣/ ٢٠٠٤م

أ.د محمد الأحمدي أبو النور

وزير الأوقاف المصري سابقاً

أستاذ الحديث الشريف

في جامعتي الأزهر سابقاً واليرموك حالياً

المحتويات

الموضوع	رقم الصفحة

الفصل الأول

خلفية الدراسة وأهميتها

ويشتمل هذا الفصل على ما يلي:

١- المقدمة.

٢- مشكلة الدراسة.

٣- أسئلة الدراسة.

٤- أهمية الدراسة.

٥- أهداف الدراسة.

٦- حدود الدراسة.

٧- منهجية الدراسة.

٨- مصطلحات الدراسة.

٩- الرموز المستخدمة في الدراسة.

١٠- خطة الدراسة.

خلفية الدراسة وأهميتها

المقدمة:

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين، وبعد:

فإن الإسلام هو دين الهدى والنور؛ الذي لا سعادة للبشرية ولا أمن لها في الدنيا والآخرة إلا عندما تهتدي بهداه، وتستضيء بنوره مخلصة عبوديتها لله الخالق تأتمر بأمره وتنتهي بنهيه، وتتبع منهجه نابذة كل منهجٍ من المناهج الأرضية المخالفة له. وإنّ أيّ أمة من الأمم تتمسك بذلك لا بدّ أن تكون أسعد الناس، وأكثرهم أمناً واستقراراً، تعيش عيشة رغدة وتحيا حياة عزٍ وسؤدد، تقود ولا تُقاد. تأمر ولا تُؤمر، تحب الخير للناس كلهم، وتهديه إليهم بجد ونشاط.

والحياة الطيبة ليست هي الحياة التي توافرت فيها أنواع المتع المادية، من مأكل ومشرب ومركب وصناعة وزراعة واختراع وغيرها فقط، وإنما هي الحياة الآمنة التي تطمئن فيها القلوب، ويأمن الناس على أنفسهم وأموالهم وأعراضهم، وينتشر فيها العدل، ويقود الأكْفَاءُ الصالحون البشريةَ فيها إلى ما يرضى الله، ومتع الحياة الدنيا المباحة.

وقد وضع الإسلام ضوابط لذلك، وقصد بهذه الضوابط التأثير التربوي الوجداني، أو ما يسمى بـ (التربية الوقائية)، والقصد من هذه الضوابط هو تربية الفرد المسلم تربية إيمانية، ووجدانية، وروحية، وكذلك المجتمع، وذلك من منطلق الوقاية قبل وقوع الفعل، أو الجريمة سواء أكانت على المستوى الفردي أم الجماعي.

وقد تضمن القرآن الكريم في كثير من آياته مثل هذا النوع من التربية، وكذلك السنة النبوية الشريفة، وهذه الآيات والأحاديث النبوية تضمنت الأسلوب التربوي القائم على الوقاية من الجريمة، أو الذنب أو المعصية قبل وقوعها، وقبل اقترافها، وذلك أنه يربي في النفس سياجاً من الكراهية والحذر من جميع الذنوب والمعاصي والأمور الأخرى والبعد عنها، واتقاء الوقوع فيها خوفاً من غضب الله عز وجل أو عذابه، أو الحرمان من الجنة، أو الوقوع في

اللعنة، أو الخروج من ربقة الإسلام، أو من الدين والإيمان. وقد وضع الإسلام أسساً للتربية الوقائية منها:

١ . الأساس الإيماني.

٢ . الأساس الوجداني.

٣. الأساس الاجتماعي.

وجعل الإسلام التربية الوقائية في عدة مجالات من أجل الحفاظ على الإنسان وعقله والارتقاء به ليكون واعياً مفكراً مبدعاً. ومن هذه المجالات:

- التربية الوقائية في مجال العقيدة.
- التربية الوقائية في مجال التشريع.
- التربية الوقائيه في مجال الصحة الإنسانية.

مشكلة الدراسة:

يرى الباحث، كثرة الانحراف السلوكي في المجتمع، وكثرة الجرائم في معظم المجتمعات الإسلامية، مثل الانحراف العقيدي، والانحراف في مجالات العبادات، والانحراف في مجال تطبيق الحدود الشرعية، والانحراف في مجال السلوك، والأخلاق. كشرب الخمر، والاتجار بالمخدرات، وانتشار جرائم الزنا والربا، والسرقة، وقطع الطريق، وكذلك انتشار الأمراض النفسية والعقلية، وأن هناك ابتعاداً عن تطبيق شرع الله. وأخذاً بالقوانين الوضعية، ونتج عن ذلك كله ما نحس ونسمع به، من عدم الأمن والاستقرار، وكثرة الفوضى، والخوف، وانحراف في السلوك لدى الأفراد والمجتمعات.

وقد أثبتت التجارب أن جميع ما يتخذه الغرب، من وسائل لردع الجريمة، ومنع وقوعها، ما هي إلا وسائل مادية لم تنجح ولم يظهر أثرها في المجتمع الغربي، ومعظم هذه الوسائل لن تنجح في علاج الجريمة وردع المجرمين.

وقد أصبحت المجتمعات الإسلامية، تعاني من مثل هذه الجرائم والانحراف في السلوك، بسبب بعدها عن الأخذ بمبدأ الوقاية الذي قررهُ الله عز وجل في القرآن الكريم، وقرره رسوله ﷺ في أحاديثه، وعدم التقيد بالطرق والوسائل الوقائية لمنع حدوث مثل هذه الجرائم

والانحراف السلوكي أو التقليل منها إلى حد كبير.

ومن هنا تأتي الحاجة ملحة- وتشتد وتبرز الأهمية للحديث عن الطرق والوسائل التربوية الوقائية، إعادة النظر في واقع المسلمين ورسم الخطوط السليمة والصحيحة لهم للخروج من كل ذلك وابعادهم عن عوامل الضعف والانحلال الخلقي، لمنع حدوث هذه الجرائم والانحراف السلوكي في المجتمع الإسلامي، للنهوض في المجتمع حتى يكون مجتمعا طاهراً، قوياً نظيفاً متماسكاً، إذا ما أخذ وطبق كافة الوسائل والطرق الوقائية التي وضعها الإسلام من أجل المحافظة على هذا المجتمع.

أسئلة الدراسة:

تضمّنت هذه الدراسة السؤال الرئيس التالي:

ما أثر الوقاية التربوية في حفظ المجتمع المسلم؟

وتفرع عنه الأسئلة التالية:

س١. ما طبيعة التربية الوقائية؟

س٢. ما مظاهر الوقاية التربوية في مجال الصحة الإنسانية؟

س٣. ما مظاهر الوقاية التربوية في مجال العقيدة والتشريع؟

س٤. ما مظاهر الوقاية التربوية في مجال الحياة الاجتماعية؟

أهمية الدراسة:

جاءت هذه الدراسة مركزة على التربية الوقائية وأساليبها وأنواعها وأهدافها وخصائصها، لما لها من أهمية بارزة في حياة الفرد المسلم والمجتمع المسلم.

- وتأتي أهمية هذه الدراسة من خلال أنها جاءت مبينة للأسباب الكامنة وراء الانحلال الخلقي، وضعف المجتمع وإصابته بالأمراض والانحراف في السلوك، ثم وضع الحلول المناسبة له من خلال والأخذ بالتربية الوقائية.

- وجاءت أهمية هذه الدراسة من خلال أنها وضعت الأساليب الوقائية الذي تحفظ

المجتمع وتصونه وتقيه من كل الأمراض والانحرافات الخلقية والسلوكية.

- وتأتي أهمية هذه الدراسة من خلال أنها بيّنت ووضحت أن التربية الإسلامية لها قدم السبق على كل أنواع التربية الأخرى من خلال أنها جاءت بوضع كافة الاحتياطات الواجبة والإجراءات الكفيلة للمحافظة على الفرد والمجتمع في آن واحد.

- جاءت مركزة على التربية الواقية للإنسان في شؤون حياته كلها.

لهذه الأسباب وغيرها، جاءت أهمية هذه الدراسة من أجل الوقوف على أهمية التربية الوقائية وأثرها في حفظ المجتمع الإسلامي ليصبح مجتمعاً قوياً طاهراً متماسكاً.

أهداف الدراسة:

تبرز أهداف الدراسة من خلال ما يلي:

١ . تهدف هذه الدراسة إلى إبراز دور التربية الوقائية في تربية الفرد المسلم، تربية إيمانية وجدانية(١) وروحية(٢).

٢ . إبراز سبق الإسلام، والتربية الإسلامية في مجال العلم، والتربية الشاملة في تربية الفرد المسلم ووقايته عن طريق تربيته على معاني العقيدة والدين.

٣ . إيضاح الطرق والوسائل التي وضعها الإسلام لتربية الفرد المسلم والعناية به، في كل ما يتعلق به، ومدى حاجة المجتمع المسلم إلى تلك الوسائل والطرق والأساليب.

٤ . إبراز دور التربية الوقائية في صياغة الحياة وأهدافها.

٥ . إبراز دور التربية الوقائية في إعطاء شخصية المجتمع الإسلامي والفرد المسلم ملامحها المتميزة.

---

(١) التربية الوجدانية: تربية العواطف والمشاعر والأحاسيس والانفعالات النفسية التي يبني عليها سلوك الفرد وتطبع مزاجه الشخصي بطابع خاص، وتؤثر في مواقفه واتجاهاته في الحياة وتتأثر بها صحته النفسية والعقلية والجسدية أبلغ تأثير في مراحل نموه وعمره. (عبد الحميد الزنتاني، أسس التربية الإسلامية في السنة النبوية، (د. ط)، ليبيا، الدار العربية للكتاب، ١٩٨٤، ص ٥٤٢.

(٢) التربية الروحية: التربية التي تستهدف تزكية النفس وترقية الخلق وتطهير البدن وتسخير قواه وقدراته لكونها تستهدف الخير والصلاح، وإشباع حاجاته ونوازعه بطرق الحلال المشروع. (المرجع السابق، ص٣١٣).

٦. إبراز دور القرآن الكريم والسنة النبوية الشريفة ومنهجهما التربوي في أنهما يركزان على البناء الوقائي للفرد والمجتمع، وعلى تقوية المناعة المكتسبة لدى الناس، والحد من المشكلات.

حدود الدراسة:

جاءت هذه الدراسة، مركزة على التربية الواقية للإنسان المسلم في شؤون حياته كلها، سواء فيما يتعلق بالعقيدة والعبادة أم الجسم والصحة. وفي المعاملات وشؤون الأسرة وغيرها، مبينة كيف سلك الإسلام ذلك الطريق الواقي ليجعل الإنسان المسلم إنساناً ربانياً، كما أراد الله سبحانه وتعالى.

وسوف يقتصر الباحث في هذه الدراسة على القرآن الكريم والسنة النبوية، وأقوال المفسرين: التي تركز على جانب التربية الوقائية للإنسان المسلم في شؤون حياته كلها.

منهجية الدراسة:

سيتبع الباحث في دراسته المنهج الاستنباطي والمنهج الوصفي التحليلي، ويعتمد هذان المنهجان على قراءة النصوص من الآيات والأحاديث، وأقوال العلماء، ثم التعرف على عناصرها ومكوناتها ثم استنباط قاعدة منها. ولذلك يود الباحث أن يتبع هذا الأسلوب في بحثه ضمن الخطوات التالية:

١- البحث المتأني في الكتاب والسنة، والوقوف على الآيات والأحاديث التي تتعلق بالتربية الوقائية في جميع مجالات حياة الإنسان، ثم استنباط القاعدة الوقائية منها.

٢- تحليل النصوص بطريقة علمية، ضمن حدود مقتضى مرادها دون اللجوء إلى التكلف والمبالغة، واستخلاص المفاهيم والأفكار التربوية من تلك النصوص وتوظيفها في خدمة موضوعات البحث.

٣- عزو النصّوص إلى مصادرها الأصلية، ونسبة الأقوال إلى أصحابها، وتحري الأمانة العلمية في الإحالات والعزو.

٤- سوف يعتمد الباحث ففي دراسته على الأحاديث الصحيحة ما أمكن، واستبعاد الأحاديث الضعيفة.

٥- سوف يعتمد الباحث في دراسته على عدد من المراجع التربوية والتاريخية والطبية، ويفيد منها في موضوعات البحث.

مصطلحات الدراسة:

التربية: (عملية تشكيل الشخصية السوية المتكاملة في جميع جوانبها، روحياً وعقلياً، ووجدانياً وخلقياً واجتماعياً وجسمياً، بحيث تكون قادرة على التكيف مع البيئة الاجتماعية والطبيعة التي تعيش فيها)[١].

التربية الإسلامية: (هي تلك الجهود التي يقدمها المربون لتنمية المربّي وتنشئته ورعايته، حتى ينمو ويترعرع ويبلغ كماله اللائق به في جميع الجوانب الروحية والفكرية والاجتماعية والإرادية والبدنية والجنسية ليعيش سعيداً في دنياه وآخرته، ويكون إيجابياً في مجتمعه الذي يعيش في)[٢].

الوقاية: (وقاه، وقياً، ووقاية واوقية، بمعنى الصون والستر)[٣].

التربية الوقائية: هي تلك الإجراءات والوسائل التربوية التي وضعها الإسلام من أجل صيانة وحفظ المجتمع الإسلامي من كل الأمراض الحسية والمعنوية، ليكون مجتمعاً طاهراً بعيداً عن كل مواطن الفساد والانحلال الخلقي.

الرموز المستخدمة في الدراسة:

١- (د. ت) دون تاريخ.
٢- (د. ن) دون ناشر.
٣- (د. م) دون مكان.
٤- (د. ط) دون طبعة.

---

(١) عبد الحميد الزنتاني، أسس التربية الإسلامية في السنة النبوية، (د. ط)، ليبيا: الدار العربية للكتاب، ١٩٨٤، ص ٢٥، مقداد يالجن، التربية الأخلاقية الإسلامية، ط١، مصر، مكتبة الخانجي، ١٩٧٧، ص ٥٣.

(٢) حسن بن علي بن حسن، الفكر التربوي عند ابن القيم، ط١، جدة: دار حافظ للنشر، ١٩٨٨، ص ٣٣

(٣) أبو الفضل جمال الدين بن منظور، لسان العرب، (د. ط)، بيروت، دار صادر، (د. ت)، جـ ١٥، ص ٤٠١- ٤٠٢.

خطة الدراسة:

اشتملت هذه الدراسة على ثمانية فصول:

الفصل الأول:

جاء مشتملاً على:

١. المقدمة.

٢. مشكلة الدراسة.

٣. أسئلة الدراسة.

٤. أهمية الدراسة.

٥. أهداف الدراسة.

٦. حدود الدراسة.

٧. منهجية الدراسة.

٨. المصطلحات الخاصة بالدراسة.

٩. الرموز المستخدمة في الدراسة.

١٠. خطة الدراسة.

الفصل الثاني:

جاء مشتملاً على الدراسات السابقة المتعلقة بموضوع الدراسة.

الفصل الثالث: طبيعة التربية الوقائية:

جاء مشتملاً على ثلاثة مباحث:

١ المبحث الأول: أهداف التربية الوقائية.

٢- المبحث الثاني: خصائص التربية الوقائية.

٣- المبحث الثالث: أنواع التربية الوقائية.

الفصل الرابع: أصول التربية الوقائية وأساليبها:

اشتمل على المباحث التالية:

المبحث الأول: أصول التربية الوقائية في القرآن الكريم والسنة النبوية.

المبحث الثاني: أساليب التربية الوقائية في السنة النبوية.

الفصل الخامس: التربية الوقائية في مجال الصحة الإنسانية:

اشتمل على المباحث التالية:

المبحث الأول: الصحة الجسمية.

المبحث الثاني: الصحة العقلية.

المبحث الثالث: الصحة النفسية.

الفصل السادس: التربية الوقائية في مجال العقيدة والتشريع:

اشتمل على المباحث التالية:

المبحث الأول: دائرة العقيدة.

المبحث الثاني: دائرة العبادات.

المبحث الثالث: دائرة المعاملات.

المبحث الرابع: دائرة الحدود.

الفصل السابع: التربية الوقائية في مجال الحياة الاجتماعية:

اشتمل على المباحث التالية:

المبحث الأول: دائرة الفرد.

المبحث الثاني: دائرة الأسرة.

المبحث الثالث: دائرة المجتمع.

الفصل الثامن:

١. الخاتمة.

٢- النتائج.

٣. التوصيات.

الفصل الثاني

الدراسات السابقة

من خلال اطلاع الباحث على دليل الرسائل الجامعية، الجامعة الإسلامية ودليل جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، ودليل جامعة أم القرى، ودليل أعده د. عبد الرحمن النقيب، ودليل أعده د. عبد الرحمن الصالح، لم يجد الباحث فيها رسالة واحدة لها صلة مباشرة برسالته، وإنما عثر على بعض الرسائل الجامعية القريبة في بعض الأحيان من موضوع رسالته وهي:

١- الوقاية الصحية في ضوء الكتاب والسنة[١]:

قدمت هذه الدراسة لكلية التربية/ قسم الدراسات الإسلامية، جامعة أم القرى، وقد اشتملت هذه الدراسة على أربعة أبواب. تحدثت فيها الباحثة عن كل ما يتعلق بالوقاية الصحية، أو ما يسمى بالصحة الجسمية.

وخلصت هذه الدراسة إلى أن الإسلام دين الوقاية، والنظافة والطهارة، ودين الشمول، ويلاحظ من خلال الإطلاع على هذه الدراسة أنها قد ركّزت على جانب الوقاية في مجال الصحة الجسمية فقط، وقد أفاد الباحث من هذه الدراسة فيما يتعلق بالطرق الوقائية في مجال الصحة الجسمية. وهذا يشكل في رسالتي مبحثاً واحداً، وتختلف دراستي مع هذه الدراسة، حيث إن رسالتي جاءت شاملة لكافة التدابير الوقائية في معظم جوانب الحياة الإنسانية.

٢- الدراسة الثانية: **التربية الجسمية عند ابن قيم الجوزية في كتابه الطب النبوي[٢] (١٤٠٨هـ) قدمت هذه الدراسة إلى كلية التربية جامعة أم القرى:**

---

(١) لؤلؤة صالح العلي، الوقاية الصحية في ضوء الكتاب والسنة، ط١، الرياض: دار القلم، ١٩٨٩.

(٢) سمية عوض علي، التربية الجسمية عند ابن قيم الجوزية في كتاب الطب النبوي، رسالة ماجستير غير منشورة، جامعة أم القرى، ١٤٠٨هـ.

وقد اشتملت هذه الدراسة على خمسة فصول، بينت فيها الباحثة الطرق والوسائل التي وضعها الإسلام لتربية الجسم والعناية به، واشتملت على مفهوم الطب الوقائي، والعديد من السبل التي يمكن بها وقاية الجسم وتربيته.

ثم تناولت الباحثة الطرق العلاجية، ومفهوم الطب العلاجي، وتحدثت عن التداوي وأثره:

وخلصت هذه الدراسة إلى أن الحضارة الإسلامية، في مجال العلم والتربية الشاملة قد سبقت غيرها من الحضارات، وأن الرسول ﷺ هو الذي وضع الأساس المتين لهذا العلم، وقد ساهم العلماء المسلمون من بعده في هذا البناء.

وبعد النظر والاطلاع في هذه الدراسة تبين للباحث أن هذه الدراسة لا تختلف عن سابقتها، إلا أن الدراسة السابقة كانت أشمل، وقد أفاد الباحث من هذه الدراسة، كما أفاد من الدراسة التي سبقتها.

٣- الدراسة الثالثة:

التدابير الوقائية من الزنا في الفقه الإسلامي[(١)]:

أصل هذه الدراسة رسالة ماجستير قدمت إلى المعهد العالي للدعوة/ جامعة الإمام محمد ابن سعود الإسلامية، وقد تضمنت هذه الدراسة مجموعة من التدابير الوقائية لمنع جريمة الزنا، التي تؤدي إلى الفساد والانحلال الخلقي بين أفراد المجتمع.

وأكد الباحث من خلال الحديث عن هذه التدابير، أن هناك عواقب وخيمة سوف تقع في المجتمع إذا لم تؤخذ ثمرة هذه الوسائل والطرق الوقائية.

وقد توصل الباحث إلى أن تاريخ البشرية، قد شهد بنجاح تلك التدابير الوقائية حينما طبقت بحق تطبيقها في صدر الإسلام في مكافحة ظاهرة جريمة الزنا وتلاشيها لدرجة انخفض معها عدد من أقدموا على الزنا، بحيث أصبح لا يتجاوز عدد أصابع اليد.

وهذا ما أكده ابن القيم حيث يقول: (الذين رجمهم رسول الله ﷺ في الزنا مضبوطون

---

(١) فضل الهي، التدابير الوقائية من الزنا في الفقه الإسلامي، ط٣، باكستان: إدارة ترجمان الإسلام، ١٩٨٨.

معدودون. . . وهم الغامدية، وماعز، وصاحبة العسيف واليهوديان)[١].

وقد أفاد الباحث من هذه الدراسة، أنها تحدثت عن بعض الطرق الوقائية لمنع حدوث جريمة الزنا في المجتمع الإسلامي.

وتختلف دراستي مع هذه الدراسة، حيث إن دراستي جاءت شاملة لكافة التدابير والآثار التربوية في معظم الحدود، الزنا والسرقة، وقطع الطريق، وشرب الخمر وغيرها.

٤- الدراسة الرابعة:

(التدابير الوقائية من الربا في الإسلام)[٢]:

وأصل هذه الدراسة رسالة دكتوراه تقدم بها الباحث لنيل درجة الدكتوراه، من كلية الدعوة والإعلام/ جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية.

وقد تضمنت هذه الدراسة التدابير الوقائية الكفيلة لمنع الناس من الإقدام على التعامل بالربا.

وأكد الباحث من خلال العرض لهذه التدابير الوقائية التي تقي البشرية من الربا وويلاته، وأن هذه التدابير لا تؤتي ثمارها إلا إذا قام كل واحد بما هو مطلوب منه في هذا المجال.

وخلصت الدراسة إلى أن ترسيخ الإيمان وتقوى الله عز وجل من أهم التدابير الواقية من الربا، وكذلك الابتعاد عن مواطن الشبهات، والتحذير من الحيل وعدم الإقدام عليها، وترغيب الناس في العمل والكسب المشروع.

وقد أفاد الباحث من هذه الدراسة أنها استقصت بعض التدابير الواقية من الربا، وبينت أضرار الربا الوخيمة التي تعود على الفرد والمجتمع بالأضرار الكثيرة.

وتختلف هذه الدراسة عن دراستي في أن دراستي جاءت شاملة لمعظم التدابير الواقية، في مجال المعاملات المالية، وليس الربا فقط.

---

(١) ابن قيم الجوزية، الطرق الحكمية في السياسة الشرعية، تحقيق محمد حامد الفقي، (د. ط)، القاهرة: مطبعة السنة المحمدية، ١٣٧٢هـ، ص ٩٥.

(٢) فضل الهي، التدابير الوقائية من الربا في الإسلام، ط١، باكستان: إدارة ترجمان الإسلام، ١٩٨٦.

٥- الدراسة الخامسة:

(دور الأسرة في الوقاية من تعاطي الأحداث المخدرات من منظور التربية الإسلامية في المملكة العربية السعودية)[١].

وقد هدفت هذه الدراسة إلى إبراز دور الأسرة في الوقاية من تعاطي الأحداث للمخدرات من منظور التربية الإسلامية، ومعرفة أسباب التعاطي من منظور المعلمين والمتعلمين والمسؤولين عن مكافحة المخدرات.

وقد خلصت الدراسة إلى أن أهم أسباب تعاطي المخدرات يتمثل في وجود الفراغ الروحي، وتعاطي الأبوين أو أحدهما للمخدرات، واللجوء إلى طرد الحدث من المنزل عند ارتكابه بعض الأخطاء، وغياب جماعة الرفاق الصالحين، ومشاهدة الحدث لأفلام الفيديو المحرّفة، وعدم ترغيب وترهيب الحدث في المواظبة على الصلاة، وبخاصة صلاة الجماعة في المسجد، وكثرة الخلافات العائلية، وغياب القيم الإسلامية الرادعة في المجتمع، ووجود فراغ كبير عند الحدث.

وتلتقي هذه الدراسة مع دراسة الباحث، عندما تحدث الباحث عن الإجراءات الواقية في مجال الفرد، والأسرة، والمجتمع، فقد أكد الباحث على حسن التربية الإسلامية الصحية والقدوة الحسنة والرفقة الحسنة. والابتعاد عن رفقة السوء وما إلى ذلك من الوسائل والتدابير الوقائية.

٦- الدراسة السادسة:

(التربية الوقائية في الإسلام)[٢]:

وقد تضمن هذا الكتاب الخطوط العريضة للتربية الوقائية في الإسلام. في معظم مجالات الحياة، ولكن الكاتب لم يفصل هذه الأساليب الوقائية واكتفى بإيراد بعض النصوص من القرآن والسنة في مجالات الحياة المختلفة في العقيدة والتشريع، والحياة الاجتماعية، والحياة

---

(١) ناصر علي عبد الله البراك، دور الأسرة في الوقاية من تعاطي الأحداث المخدرات من منظور التربية الإسلامية، رسالة ماجستير غير منشورة، كلية التربية، جامعة المنصورة، ١٩٩١.

(٢) فتحي يكن، التربية الوقائية في الإسلام، ط١، بيروت، مؤسسة الرسالة، ١٩٨٩.

الاقتصادية، وغيرها.

وركز الكاتب على القضايا الخلافية التي تبرز بين أبناء المجتمع، ووضع الحلول المناسبة لها.

وقد خلص الكاتب إلى أن التربية الإسلامية، وقائية وعلاجية في آن واحد، وأوصى بضرورة إعادة النظر في المناهج التربوية والسياسات التربوية، على ضوء التربية الوقائية الإسلامية.

وقد أفاد الباحث من هذا الكتاب، في أنه رسم الخطوط العريضة للتربية الوقائية في الإسلام، من خلال إيراد النصوص من الكتاب والسنة وضرب الأمثلة، لكن دون تحليل عميق لهذه النصوص.

وبعد أن استعرض الباحث مجموعة هذه الدراسات المتعلقة بالوقاية، لم تكن لتعطي التصور الصحيح عن موضوع التربية الوقائية في الإسلام بشكل عام وبشمولية أكثر.

ولذلك ارتأى الباحث أن يكون موضوع دراسته، التربية الوقائية في الإسلام وأثرها في صيانة المجتمع المسلم بطريقة أشمل وأعم، وذلك لإتمام وإكمال الموضوعات التي لم يتطرق إليها أحد.

الفصل الثالث

طبيعة التربية الوقائية

ويشتمل المباحث التالية:

المبحث الأول: أهداف التربية الوقائية

المبحث الثاني: خصائص التربية الوقائية

المبحث الثالث: أنواع التربية الوقائية

المبحث الأول

أهداف التربية الوقائية

التربية الوقائية في الإسلام، تستمد أهدافها من أهداف التربية الإسلامية، كونها جزءاً منها، والفرع دائماً يأخذ ويكتسب أهداف الأصل، ولقد جاءت أهداف التربية الوقائية في الإسلام منسجمة تمام الانسجام مع أهداف التربية الإسلامية بشكل عام.

وقد ركّزت التربية الوقائية على الأهداف التالية:

١- تهدف التربية الوقائية إلى تربية الإنسان المسلم تربية تربط بين الإيمان والأخلاق الفاضلة، وذلك نظراً لأهمية الإيمان في حياة الإنسان، الذي من خلاله يعكس الصورة الحسنة في حياة المسلم، فينشأ الفرد المسلم متمسكاً بالأخلاق الفاضلة التي دعا إليها الإسلام.

وقد ظهر هذا جليّاً واضحاً في تعليم الرسول ﷺ لأصحابه، إذ علّمهم ورباهم تربية مقترنة بتربية الإيمان القوي، وتربية النفوس وتطهيرها من الرذائل والنيات السيئة، ومربياً الإرادة والعزيمة، وبناء الشخصية الإسلامية القوية. قال تعالى: ﴿ كَمَآ أَرۡسَلۡنَا فِيكُمۡ رَسُولٗا مِّنكُمۡ يَتۡلُواْ عَلَيۡكُمۡ ءَايَٰتِنَا وَيُزَكِّيكُمۡ وَيُعَلِّمُكُمُ ٱلۡكِتَٰبَ وَٱلۡحِكۡمَةَ وَيُعَلِّمُكُم مَّا لَمۡ تَكُونُواْ تَعۡلَمُونَ ﴾ [البقرة: ١٥١].

والتربية الإيمانية بهذا المضمون، هي إعداد المسلم إعداداً كاملاً من جميع النواحي، في جميع مراحل نموه للحياة الدنيا والآخرة، في ضوء المبادى والقيم، وأساليب التربية وطرقها في الإسلام.

٢- تهدف التربية الوقائية في الإسلام إلى تحقيق الصحة الجسمية، والنفسية والعقلية معاً، وذلك من منطلق أن الإنسان لا يستطيع أن يقوم بأي شيء دون توفر الصحة، فكيف يستطيع أن يقوم بالمسؤوليات والواجبات التي كلفه بها الإسلام، إذا لم تكتمل صحته، ومن هذا القبيل وضع الإسلام الأساليب الوقائية من حيث وقاية الإنسان من الأمراض الجسمية والنفسية والعقلية[1].

---

(١) مقداد يالجن، التربية الإسلامية ودورها في مكافحة الجريمة، (د. ط)، الرياض، (د. ن)، ١٩٨٧، ص٣٢- ٣٤.

وتأتي أهمية الجسم من أنه يكتسب فاعليته ودوره باتصاله وتلاحمه مع أجزاء الشخصية الإنسانية الأخرى، والعبادات تعتمد على الجسد، الذي هو الأداة التي عن طريقها تترجم الذات الإنسانية الأعمال.

وقد أوصى القرآن الكريم بالاهتمام بالجسد والعناية به، من إطعام وتنظيف وتقويم، وهذا الاهتمام نابع من إحاطته بالناحية الجسمية بالعناية والوقاية، وذلك بإلزامه بطهارة حسيّة مثل الغسل والوضوء وغيرها.

والاهتمام هذا، في كتاب الله عز وجل بالجسد والعناية به وذلك ليساعد الإنسان على أداء رسالته في الحياة.

وقد اهتمت التربية الإسلامية في مجال الوقاية بالجانب الصحي، سواء من حيث النظافة العامة، أو الوقاية من الأمراض المختلفة، وهذا يعتبر بحد ذاته جزءاً من أحكام الإسلام، فالوضوء يعتبر نظافة بدنية، والسواك مطهرة للفم والأسنان، مما علق بها من بقايا الطعام، وغسل الجسد أيضا، كل هذا من أجل تكوين وتنشئة الجسم صحياً، وتجعله لائقاً للعمل لمواجهة متطلبات الحياة المتغيرة[1].

ولذا فقد حرم الإسلام على الإنسان أي عادة، أو تناول مأكولات أو مشروبات مضرة، لأن هذا الأمر ربما يؤثر على جميع أجزاء جسم الإنسان، وبالتالي يكون عاجزاً عن تأدية الوظيفة المنوطة إليه من قبل الله عز وجل.

٣- تهدف التربية الوقائية في الإسلام إلى المحافظة على عقل الإنسان، لذلك حذّره الشارع الحكيم من إتيان الخبائث التي تقلل من قيمة العقل، ومن تعاطي الخمر والمخدرات، وكل ما من شأنه أن يَخل بالعقل، من أجل المحافظة عليه، وجعله عقلاً مفكراً واعياً مبدعاً.

وقد وضع الإسلام منهجاً لتكوين عقلية مؤمنة، وتكوين بصيرة. ومن هذه المبادى التي وضعها الإسلام للتربية العقلية ابتعاد الآباء عن المشروبات المسكرة والمخدرات، وإبعاد الأطفال عن ذلك.

وجاء اهتمام التربية الوقائية بالعقل، وذلك لأن العقل قوة مدركة في الإنسان، خلقها الله

(١) سعيد مرسي أحمد، التربية والتقدم (د. ط)، القاهرة، عالم الكتب، ١٩٨٩، ص ١٨٦.

عز وجل فيه، ليكون مسؤولاً عن أعماله، ولقد أشار القرآن الكريم إلى أن سبب الانحراف والضلال، هو عدم العمل بمقتضى العقل، قال تعالى: ﴿وَقَالُوا لَوْ كُنَّا نَسْمَعُ أَوْ نَعْقِلُ مَا كُنَّا فِي أَصْحَابِ السَّعِيرِ﴾ [الملك: ١٠].

وتأتي أهمية العقل من خلال ما أُنيط به من وظائف، ومن هذه الوظائف[1]:

أ- التفكير في أحوال العالم، وسنن الله في الكون، قال تعالى: ﴿قُلْ سِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَانْظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُجْرِمِينَ﴾ [النمل: ٦٩]، وقال تعالى: ﴿قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِكُمْ سُنَنٌ فَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ﴾ [آل عمران: ١٣٧].

وتلك الوظيفة التي أُنيطت بالعقل، توصله إلى الإيمان بالله تعالى، ولن يصل العقل بصاحبه إلى الإيمان بالله تعالى إلا إذا وقيَ من كل ما يؤثر على سير فكره، من خمر ومخدرات وغيرها.

ب- التفكير العلمي:

قال تعالى: ﴿وَاللَّهُ أَخْرَجَكُمْ مِنْ بُطُونِ أُمَّهَاتِكُمْ لَا تَعْلَمُونَ شَيْئًا وَجَعَلَ لَكُمُ السَّمْعَ وَالْأَبْصَارَ وَالْأَفْئِدَةَ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾ [النحل: ٧٨].

والتفكير العلمي والتأمل والتدبر لا يمكن للإنسان أن يصل إليهما إلا من خلال عقل سليم صافٍ لا يؤثر عليه شيء حتى يتسنى له النظر في مخلوقات الله عز وجل.

والهدف من ذلك ليس المعرفة والتفكير من أجل التفكير فحسب، وإنما من أجل أن يصل الإنسان إلى معرفة الله عز وجل، ولا شك أن العقل وسيلة لذلك.

جـ- تأتي أهمية العقل، من أجل تكوين عقلية مؤمنة، بها ينظر إلى دنيا العلوم، وبها ترى الأدلة التي تقود الإنسان إلى الإيمان بالله عز وجل، وكذلك تكوين عقلية حكيمة بها يبحث الناشيء في مخلوقات الله عز وجل، وبالتالي يؤدي إلى تكوين عقلية إيمانية تكون بمثابة المنظار الإيماني الذي يرى الفرد به أدلة وجود الله في مخلوقاته[2].

---

(١) علي خليل أبو العينين، فلسفة التربية في القرآن، ط١، القاهرة، دار الفكر العربي، (د. ت)، ص ١٦٩-١٧٠.

(٢) مقداد يالجن، أهداف التربية الإسلامية وغايتها، ط١، (د. م)، (د. ن)، ١٩٨٦، ص ٧٤.

د- ومن أهداف التربية الوقائية، أنها تأخذ بيد الفرد المسلم للسمو به عن كل ما يشوب عقيدته من شرك بالله عز وجل، وقد وجهته وحذرته من الوقوع في ذلك، وحثته على الابتعاد عن مواطن الشرك والرياء والنفاق وغيرها، من أجل أن يكون الفرد طاهر المظهر والجوهر.

وقد جاءت عناية التربية الوقائية بالتربية العقيدية من أجل تكوين إيمان راسخ قوي، يدفع صاحبه إلى العمل بموجبه، وإيجاد الاستعداد عنده ليدافع عن عقيدته، إزاء العقائد الأخرى.

وجاء الاهتمام القرآني والسنة النبوية كبيراً، لأن العقيدة الإسلامية لها وظيفة أساسية في حياة الإنسان، وقد هدف القرآن منها إلى:

أ- راحة الإنسان المسلم.

ب- صيانة القيم الإنسانية وتهذيب الفرد، حيث يؤديان إلى تقوية فطرته الطبيعية[1]. لأنهما يوفران للإنسان الاستقرار النفسي، والسعادة الدنيوية، قال تعالى: ﴿وَمَن يَتَّقِ ٱللَّهَ يَجْعَل لَّهُۥ مَخْرَجًا ۝ وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ﴾ [الطلاق: ٢-٣].

جـ- حماية الإنسان من الضياع، وخوفاً عليه من أن يقع في مز الق الشرك والوثنية والعبودية لغير الله، لذا ورد التحذير القرآني الصريح الذي يحذّر الإنسان من الوقوع في الشرك، لأن الشرك يؤدي إلى إبطال أعمال الإنسان ونسفها كلها، وبالتالي لا يقبل مع الشرك عملاً مهما كان. قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِۦ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُ﴾ [النساء: ٤٨].

وفي مجال الوقاية من الشرك أيضا، حذر القرآن الإنسان من ذلك، قال تعالى: ﴿فَٱجْتَنِبُوا۟ ٱلرِّجْسَ مِنَ ٱلْأَوْثَٰنِ﴾ [الحج: ٣٠].

وقد وردت الآيات والأحاديث الكثيرة التي تحذر الإنسان المسلم من الوقوع في مزالق الشرك، من أجل المحافظة على عقيدته لتبقى صافية، طاهرة، نقية، لا يشوبها أي شائب حتى تقبل أعماله عند الله.

وللعقيدة دلالات تربوية كثيرة ومهمة، ومن هذه الدلالات:

١- توحيد العقيدة هو الهدف الأسمى للتربية، وبتوحيد العقيدة تتوحد أهداف التربية ونظمها، وطرقها، لأنها تعتني بتنمية الإنسان العابد الصالح عن طريق التعرف على الله

---

(١) عمر عودة الخطيب، لمحات في الثقافة الإسلامية، ط٢، بيروت، مؤسسة الرسالة، ١٩٧٧، ص ٢٤٧.

سبحانه وتعالى، لتحقيق هدف الإنسان في الأرض. ألا وهو العبادة عن طريق الاستعانة بالله عز وجل[1].

٢- وعلى أساس هذه العقيدة، تكون قيم الحياة، لأنها نابعة أساساً من صفات الله عز وجل، وهي بدورها تسعى إلى تحقيق العبودية الخالصة لله عز وجل.

٣- وتبدو أهمية العقيدة من خلال كون صحة الاعتقاد فيه مصلحة كبيرة للبشر، لأن فيه راحتهم وطمأنينتهم النفسية على المستوى الفردي والجماعي، قال تعالى: ﴿وَمَن يُؤْمِنۢ بِٱللَّهِ يَهْدِ قَلْبَهُۥ وَٱللَّهُ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌ﴾ [التغابن: ١١]. وقال تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَتَطْمَئِنُّ قُلُوبُهُم بِذِكْرِ ٱللَّهِ أَلَا بِذِكْرِ ٱللَّهِ تَطْمَئِنُّ ٱلْقُلُوبُ﴾ [الرعد: ٢٨].

وتعمل التربية الإسلامية على تكوين العقيدة الإسلامية السليمة الخالية من العقد النفسية والفكرية وغيرها، ومن أجل تكوين الاتجاه نحو التطبيق العملي للعقيدة، وذلك بغية تحقيق الأهداف التالية:

أ- ربط الإنسان بخالقه ربطاً وثيقاً عن طريق حب الله عز وجل.

ب- تحرير الإنسان من العبودية لغير الله عز وجل.

جـ- تمثل الإنسان بصفات الله عز وجل، وذلك بالعمل بمقتضاها.

د- حب عباد الله، وبالتالي العمل من أجلهم عملاً متواصلاً متفانياً، من أجل توحيد فكر المجتمع.

هـ- إبراز أهمية العمل والتطبيق في حياة الإنسان المسلم كون الإسلام دين العمل لا دين القول النظري فقط دون تطبيق، ولذلك جاءت آيات القرآن الكريم معظمها تقرن الإيمان بالعمل. لتؤكد أن الإيمان بدون عمل إيمان أجوف لا فائدة منه[2].

٥ - تهدف التربية الوقائية في الإسلام إلى رفع المستوى الأخلاقي عند الفرد المسلم، من خلال الدعوة إلى مكارم الأخلاق، والسمو به عن كل خلق سيىء للوصول به إلى درجات عالية من الكمال الإنساني.

---

(١) علي أبو العينين، فلسفة التربية في القرآن، ص ٦٨- ٦٩.

(٢) علي أبو العينين، فلسفة التربية في القرآن، ص ١٨٥.

وتأكيداً لهذا فقد حثت التربية الإسلامية على مكارم الأخلاق بين الأفراد ودعتهم إلى التخلق بها، ونهت عن مساوى ورذائل الأخلاق، وحذّرت من التعامل بها، من أجل أن يبقى المجتمع طاهراً نظيفاً متعاوناً ومتكاسكاً.

ويعتبر الهدف الأخلاقي من أهم الأهداف التي تسعى التربية الإسلامية إلى تحقيقها، وتنمية هذا السلوك الأخلاقي على أساس شمولي، لـيُنظم من خلاله علاقة الإنسان بخالقه عز وجل، وعلاقته بنفسه وبأفراد المجتمع وكذلك بالكون، وكل هذا من أجل تحقيق السعادة للإنسان عن طريق إرضاء الله عز وجل.

ونظراً لأهمية الأخلاق في الإسلام، فقد أولاها القرآن الكريم والسنة النبوية الأهمية الكبيرة، حينما حث المسلم على الالتزام بالأخلاق الحسنة، وحذّره من سلوك طريق الأخلاق السيئة، ولما للأخلاق من دور مهم في تكوين الشخصية الإسلامية.

قال تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَكُونُواْ مَعَ ٱلصَّٰدِقِينَ ﴾ [التوبة: ١١٩].

قال تعالى: ﴿ ۞إِنَّ ٱللَّهَ يَأۡمُرُكُمۡ أَن تُؤَدُّواْ ٱلۡأَمَٰنَٰتِ إِلَىٰٓ أَهۡلِهَا ﴾ [النساء: ٥٨].

وقال تعالى: ﴿ وَتَعَاوَنُواْ عَلَى ٱلۡبِرِّ وَٱلتَّقۡوَىٰۖ وَلَا تَعَاوَنُواْ عَلَى ٱلۡإِثۡمِ وَٱلۡعُدۡوَٰنِۚ ﴾ [المائدة: ٢].

قال ﷺ: «عليكم بالصدق، فإن الصدق يهدي إلى البر، وإن البر يهدي إلى الجنة، وما يزال الرجل يصدق ويتحرى الصدق حتى يكتب عند الله صديقا، وإياكم والكذب، فإن الكذب يهدي إلى الفجور، وإن الفجور يهدي إلى النار، وما يزال الرجل يكذب ويتحرى الكذب حتى يكتب عند الله كذاباً»[1].

وفي المقابل حذّر القرآن الكريم والسنة النبوية من الأخلاق السيئة، نظراً لما يترتب عليها من دمار للأفراد والمجتمع على حد سواء.

قال تعالى: ﴿ وَلَا تَعَاوَنُواْ عَلَى ٱلۡإِثۡمِ وَٱلۡعُدۡوَٰنِۚ ﴾ [المائدة: ٢]. وقال ﷺ: «وإياكم والكذب...»[2].

---

(١) صحيح مسلم، كتاب البر والصلة، باب قبح الكذب وحسن الصدق، ط١، القاهرة، دار الحديث، ١٩٩١، جـ٢، ص ٢٠١٣.

(٢) سبق تخريجه، رواه مسلم، جـ ٢، ص ٢٠١٣.

ونظراً لما يترتب على هذا الخُلق السيىء من آثار سيئة فيها دمار للأفراد، ودمار للمجتمعات.

ومن هذا المنطلق بين الرسول ﷺ أن المؤمن ممكن أن يفعل كل شيء ما عدا الكذب، وذلك في قوله ﷺ حينما سُئِل هل يسرق المؤمن، وهل يزني المؤمن، قال: (يسرق ويزني، ولكن المؤمن لا يكذب) وذلك لتنافي الإيمان مع الكذب لأنهما ضدان لا يجتمعان. ولما للكذب من آثار سيئة على الأفراد والمجتمعات.

لذلك فقد اهتم الإسلام بالناحية الأخلاقية، لتنشئة المسلم على المبادئ الأخلاقية وزرعها به، وتدريبه عليها تدريباً كاملاً من أجل أن يتكون عنده استعداد أخلاقي حتى يكون في نهايته مفتاحاً للخير ومغلاقاً للشر.

ونظراً لأهمية التربية الأخلاقية، فقد عملت التربية الإسلامية على تنشئة الأفراد اجتماعياً وتكوينهم تكويناً صالحاً عن طريق تنمية صفاته الفردية، بحيث يعرف حقوقه وواجباته حتى لا يطغى بفرديته على المجتمع، ولا يطغى المجتمع عليه، وذلك طبقاً لمعايير المجتمع المسلم.

ولم تتوقف التربية الإسلامية عند تربية الأفراد من ناحية الفردية والاجتماعية، وإنما تجاوز ذلك إلى ما يسمى بالتربية الاستهلاكية، أي ما يسمى بالإنفاق[1]، قال تعالى: ﴿ وَالَّذِينَ إِذَا أَنفَقُوا لَمْ يُسْرِفُوا وَلَمْ يَقْتُرُوا وَكَانَ بَيْنَ ذَٰلِكَ قَوَامًا ﴾ [الفرقان: ٦٧].

وتربط التربية القرآنية الأخلاق بالاقتصاد، لأهمية الأخلاق في كل منشط من مناشط الحياة، حتى تنشئ أفراداً اقتصاديين على أساس أخلاقي وليس على أساس الغش والاستغلال[2]. قال تعالى: ﴿ وَأَوْفُوا الْكَيْلَ وَالْمِيزَانَ بِالْقِسْطِ ﴾ [الأنعام: ١٢٥].

ولهذا نوه الرسول ﷺ إلى أن التاجر الذي يتصف بالأمانة يحشر يوم القيامة مع النبيين والصديقيين والشهداء، حيث قال: (التاجر الصدوق الأمين مع النبيين والصديقين والشهداء)[3].

---

(١) علي أبو العينين، فلسفة التربية في القرآن، ص ٢١٣.

(٢) علي أبو العينين، فلسفة التربية في القرآن، ص ٢١٤- ٢١٥.

(٣) محمد بن عيسى بن سورة الترمذي، سنن الترمذي، تحقيق محمد عبد الرحمن عثمان، ط٣، القاهرة، دار الفكر، ١٩٧٨، جـ٢، ص ٣٤١.

وقد اتسعت دائرة التربية الأخلاقية في الإسلام لتشمل إعداد الأفراد على المستوى العالمي ليساهموا في حضارة العالم ليتعاون الجميع على خيرها، قال تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَٰكُم مِّن ذَكَرٍ وَأُنثَىٰ وَجَعَلْنَٰكُمْ شُعُوبًا وَقَبَآئِلَ لِتَعَارَفُوٓا۟ ۚ إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ ٱللَّهِ أَتْقَىٰكُمْ ﴾ [الحجرات: ١٣].

ويعني هذا التعارف في كل أوجه الحياة المختلفة ليستفيد كل مجتمع من خبرات المجتمعات الأخرى، لأنها نتاج عقل وفكر لا يمكن لأحد أن يجعل ذلك حكراً على أحد، وهذا من التعاون والتعارف[١].

٦- وتهدف التربية الوقائية أيضا، إلى المحافظة على الأسرة وكيانها والعناية بها، ليكون المجتمع طاهراً قوياً متماسكاً، نظيفاً ومتعاوناً، لذلك وضعت أسس اختيار الزوجين كل منهما الآخر، واعتنت بالفرد من ولادته حتى وفاته، ومن قبل ولادته، من أجل أن تكون الأسرة قوية متماسكة بعيدة عن الانحلال والتشتت والتمزق.

وجاء هذا الاهتمام بالأسرة كونها الوعاء التربوي الذي يُعد فيه الآباء والأمهات ليكونوا آباء وأمهات صالحين.

ونظراً لأهمية الأسرة، ومن أجل المحافظة عليها ووقايتها جعل الإسلام حفظ النسل من مقاصد التشريع الأساسية، التي يجب أن يحافظ عليها، وتوفير ما يناسبها عن أسباب الصون والحفظ.

والغرض من هذا تأكيد واجب الحفاظ على صحة الأنساب وتمايزها، وجعل الإسلام السبيل للمحافظة على حفظ الأنساب الزواج، إذ أن بقاء النوع الإنساني لا يكون إلا عن طريق الزواج الصحيح المباح الذي أقره الإسلام.

ولهذا حرّم الإسلام كل السبل غير المشروعة التي تؤدي إلى اختلاط الأنساب، وضياع النوع الإنساني لأن ذلك يعرض البنية الأساسية في بقاء النسل إلى هزات عنيفة تجتثها من جذورها، وتزهق معها حقائق ذات شأن لأن بقاء المجتمع الإنساني يرتكز عليها وترتكز عليها سعادته كعلاقة الأبوة والأمومة، وقواعد النفقة والميراث وأصول التكافل الأسري وغير ذلك.

لهذا شرع الإسلام القواعد والأحكام التي من شأنها وقاية الأسرة وحمايتها من التفتت

---

(١) علي أبو العينين، فلسفة التربية في القرآن، ص ٢١٥- ٢١٦.

والانحلال والإبقاء عليها قوية متينة العلاقات والصلات، تؤدي واجبها في جو إيجابي طاهر كريم.

وقد أولى الإسلام هذه الأهمية للأسرة، لأن نظام الأسرة ضروري لحياة الإنسان وبقائه، وأن النظام الاجتماعي في الإسلام تنمو جذوره في حياة الأسرة وقد شرع من القواعد ما يكفل ويحفظ ويحمي هذا النظام، وذلك بالتركيز على حفظ الأسرة ووقايتها بالتربية السليمة، وقد حمّل الأبوين المسؤولية الكاملة في ذلك، قال تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ قُوٓاْ أَنفُسَكُمۡ وَأَهۡلِيكُمۡ نَارٗا وَقُودُهَا ٱلنَّاسُ وَٱلۡحِجَارَةُ ﴾ [التحريم: ٦].

٧- ومن أهداف التربية الوقائية في الإسلام حفظ النفس الإنسانية من أمراض القلوب التي يؤثر على حياة الإنسان مثل الاضطراب والقلق.

والطريقة الوقائية التي أخذت بها التربية الإسلامية هي بث روح الطمأنينة والرضا، بقضاء الله وقدره، وهذه الأمور هي زاد المؤمن، قال تعالى: ﴿ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَتَطۡمَئِنُّ قُلُوبُهُم بِذِكۡرِ ٱللَّهِۗ أَلَا بِذِكۡرِ ٱللَّهِ تَطۡمَئِنُّ ٱلۡقُلُوبُ ﴾ [الرعد: ٢٨].

ومن الأمور التي اهتم الإسلام بها، كأسلوب وقائي من الأمراض النفسية، صحة الاعتقاد بتوحيد الله عز وجل، لأن التوحيد الخالص يفتح للعبد باب الخير والسرور والفرح بالابتهاج. ومعظم هذه الصفات زاد للنفس ومناعة للروح من أن تعمل فيها الاستقامة[1].

وتعتبر العبادات أسلوباً وقائياً معززاً للعقيدة، عن طريقها توثق صلة العبد بربه، وتجعل له الغلبة على هواه.

ونظراً لأهمية الحالة النفسية للفرد المسلم فقد أولتها التربية الإسلامية جُل اهتمامها، وأحاطتها بالسياج الوقائي عن طريق تكوين الوعي الكامل بأهمية الحياة الروحية، من خلال طريق الإيمان الصحيح، الذي ينقذ الإنسان من مرض العزلة والقلق إلى هذا العصر الممتلئ والمختنق بالماديات[2].

---

(١) عبد الستار أبو غدة، بحوث في الفقه الإسلامي والصحة النفسية من منظور إسلامي، ط١، القاهرة، دار الأقصى، ١٩٩١، ص ١٥٤.

(٢) مقداد يالجن، أهداف التربية الإسلامية وغاياتها، ص ٧٧، محمد فاضل الجمالي، نحو تربية مؤمنة، ط١، تونس، الشركة التونسية للتوزيع، ١٩٧٧، ص ٦٢.

وعلى الرغم من اهتمام القرآن الكريم بالناحية النفسية للإنسان المسلم، نجد هذا الاهتمام أيضاً في سنة الرسول ﷺ من خلال العلاقة الوثيقة بين النفس والجسم. مثال المصاب بعلة مرضية تتحسن حالته بعد رفع روحه المعنوية وإحلال التفاؤل والأمل في نفسه[1].

والدليل على ذلك قول رسول الله ﷺ: «إذا دخلتم على المريض فنفسوا له في الأجل، فإن ذلك لا يرد شيئاً، وهو يطيب أو تطيب نفس المريض»[2].

وهكذا نجد أن الطب النبوي قد اهتم بالحالة النفسية، لئلا تتنازع النفس الإنسانية الأهواء ويصيبها القلق والاضطراب، وقد وقاها من ذلك بالإيمان لأنه يزيد من طمأنينة النفس، ويهبها قوة تواجه بها ما يواجهها من الاضطرابات، ويجعلها نفساً سوية تستعصي على الانهيار وتأبى على الدمار[3].

٨- تهدف التربية الوقائية في الإسلام، إلى وقاية الإنسان من الضلال والباطل.

تعني التربية الإسلامية بتربية الناشئة على التمييز بين الحق والباطل. وبين الرشاد والضلال، من خلال الدراسة العلمية المنطقية التي توصل الإنسان إلى الحقيقة الناصعة، قال تعالى: ﴿ فَذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمُ ٱلْحَقُّ فَمَاذَا بَعْدَ ٱلْحَقِّ إِلَّا ٱلضَّلَٰلُ فَأَنَّىٰ تُصْرَفُونَ ﴾ [يونس: ٣٢]. وهذا بدوره يؤدي إلى إنقاذ الناس من الخرافات والأباطيل، وعدم التأثر بالإشاعات قبل التحقق وعدم السير وراء الشعارات الكاذبة والدعايات المضللة[4].

وفي هذا الجانب حذّر الله سبحانه وتعالى الإنسان المسلم من أن يقول في أمر أو قضية من قضايا العلم قولاً دون دليل شرعي أو حجة أو برهان، قال تعالى: ﴿ وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِۦ عِلْمٌ ۚ إِنَّ ٱلسَّمْعَ وَٱلْبَصَرَ وَٱلْفُؤَادَ كُلُّ أُو۟لَٰٓئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْـُٔولًا ﴾ [الإسراء: ٣٦].

٩- وتهدف التربية الوقائية أيضاً إلى الوقاية من الأخطار الخارجية التي تهدد أمن البلاد أفراداً أو جماعاتٍ عن طريق[5]:

---

(١) نجيب الكيلاني، في رحاب الطب النبوي، ط٣، بيروت، مؤسسة الرسالة، ١٩٨٤، ص ٣٢- ٣٣.

(٢) الترمذي، السنن، كتاب الطب، جـ ٣، ص ٢٧٨.

(٣) نجيب الكيلاني، في رحاب الطب النبوي، ص ٣٦.

(٤) محمد فاضل الجمالي، نحو تربية مؤمنة، ص ٤٥- ٤٧.

(٥) محمد فاضل الجمالي، نحو تربية مؤمنة، ص ٤٧.

١- الإعداد والاستعداد عسكرياً، واقتصادياً وسياسياً، قال تعالى: ﴿وَأَعِدُّواْ لَهُم مَّا ٱسْتَطَعْتُم مِّن قُوَّةٍ﴾ [الأنفال: ٦٠].

٢- الوقاية، من خلال التدريب العسكري، والاستعداد والتضحية بالنفس والمال، لإعلاء كلمة الله عز وجل، وسلامة الوطن.

١٠- وتهدف التربية الوقائية، والتدابير الاحترازية في الشرعية الإسلامية إلى القضاء على الخطورة الإجرامية من خلال إصلاح المجرم وتأهيله عن طريق إبعاده أحياناً عن المجتمع خوفاً من الإضرار به كاعتقاله أو تجريده من الوسائل المادية التي يستعملها، مما يؤدي ذلك إلى جعله مواطناً صالحاً في المجتمع[١].

١١- وتهدف التربية الوقائية أيضاً إلى علاج وإصلاح الجاني وتهذيبه وتقويمه حتى يعود إلى المجتمع مواطناً صالحاً وذلك باتخاذ التدابير الوقائية التي تعود عليه بالمنفعة وتقيه من عوامل الانحراف.

---

(١) مجدي محمد سيف عقلان، التدابير الاحترازية في الشريعة الإسلامية، بحث منشور في المجلة العربية للدراسات الأمنية، المجلد الأول، العدد (١)، الرياض، المركز العربي للدراسات الأمنية، ١٤٠٥هـ، ص ٩٢- ٩٣.

المبحث الثاني

خصائص التربية الوقائية

تعتبر التربية الوقائية في الإسلام جزء لا يتجزأ من التربية الإسلامية، والتربية الإسلامية تستمد أهدافها وخصائصها ومقوماتها من الإسلام، والفرع دائماً يأخذ حكم الأصل ويتصف بصفاته، وبناء على هذا فخصائص التربية مستمدة من خصائص الإسلام.

وخصائص التربية الوقائية لا تدرك إلا على ضوء الوعي الشامل، والإحاطة بخصائص الإسلام وعلى ضوء ذلك فخصائص التربية الوقائية هي:

الخاصية الأولى: الربانية

وتعني الربانية، الانتساب إلى الرب، أي أن كل شيء من عند الله عز وجل، والتربية الوقائية جاءت مفصلة في كتاب الله عز وجل في معظم شؤون الحياة، وكذلك في السنة النبوية الشريفة، لذا تعتبر التربية الوقائية تربية ربانية. قال تعالى: ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا قُوا أَنفُسَكُمْ وَأَهْلِيكُمْ نَارًا وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ﴾ [التحريم: ٦].

والربانية وجهتها الوصول بالإنسان إلى مرضاة الله عز وجل، وذلك فتقيه وتعتني به وتزيل عنه كل ما يمنعه من ذلك.

وبما أن مقتضى الربانية، هو إيجاد المسلم الرباني وهذا لا يتأتى إلا من خلال توحيد غايته وصرفها للتوجه نحو الله عز وجل، وذلك بالتوجيه والإرشاد نحو الخير، والقصد من ذلك هو إعداد الإنسان ليكون عبداً خالصاً لله عز وجل لا لأحد سواه.

وقد كانت مهمة التربية الوقائية هو إعداد ذلك الإنسان الرباني، من خلال إفراده بوحدانية الله عز وجل. والاستعانة به وذلك من خلال صيانته والمحافظة عليه وإبعاد كل المعوقات من طريقه، ولذلك حفظته من الشرك ووقته منه، وجعلت في العبادات وقايته له من أشياء كثيرة، ربما تضر به، فجعلت الصلاة وقايته له من الوساس، والأمراض النفسية والجسمية، وذكر الله عز وجل وقايته له من القلق والاضطراب وجعلته علامة على الطمأنينة والإيمان، قال تعالى: ﴿ الَّذِينَ آمَنُوا وَتَطْمَئِنُّ قُلُوبُهُم بِذِكْرِ اللَّهِ ۗ أَلَا بِذِكْرِ اللَّهِ تَطْمَئِنُّ الْقُلُوبُ﴾ [الرعد: ٢٨].

وخاصية الربانية لها آثار وفوائد في حياة الإنسان المسلم، ومن هذه الآثار والفوائد:

١- **سلامة النفس الإنسانية من التمزق والصراع:**

لأن غاية الإنسان في هذه الحياة، هي إرضاء الله سبحانه وتعالى، والعمل على تحقيق ذلك، وهذا الأمر لا يتحقق إلا من خلال سلامة النفس الإنسانية من التمزق والصراع، حتى تبقى هذه النفس مطمئنة هادئة.

وقد عملت التربية الوقائية بأساليبها المختلفة على إبعاد النفس الإنسانية عن مثل هذا التمزق والصراع، بعد أن منحته عن طريق العقيدة، يقيناً يصل به إلى شاطئ الأمان ويحفظه من هذه الصراع، فغرست الإيمان في قلبه ووجهته نحو إله واحد، وجعلت عقيدته خالصة من الشرك الذي يجعل الإنسان بين آلهة تعددت وتضاربت وجهاتها. وصرفته نحو خالق ورب واحد، حتى تخلصه من مثل هذا الصراع والتمزق داخل هذه النفس[١].

٢- **التحرر من عبودية الشهوات:**

ومن ثمرات ربانية التربية الوقائية، أنها تقي المسلم وتحرره من العبودية لغير الله عز وجل، وذلك بصرفه عن أنانيته وحبه لنفسه، لأن هذا يؤدي إلى قتل روح المحبة والمودة بين أفراد المجتمع الإسلامي، وقد أكد الرسول ﷺ على مثل هذه المعاني: حيث يقول ﷺ: «لا يؤمن أحدكم حتى يحب لأخيه ما يحب لنفسه»[٢] وهذا يجعله إلى أن يصل إلى تحقيق ربانيته وتحرير نفسه من كل شهواتها التي تقوده إلى معصية الله عز وجل.

فالإنسان الرباني قد تميل نفسه إلى الحرام، لكنه يدعها حياء من الله عز وجل، لأنه قد حصن نفسه ووقاها من سلوك مثل هذه الطريق، وجعل منها واقياً ذاتياً على نفسه، فلن يكون عبداً لشهوات نفسه، خوفاً من الله عز وجل.

قال ﷺ: «تعس عبد الدينار والدرهم والقطيفة والخميصة إن أُعطي رضي وإن لم يعط لم يرض»[٣].

---

(١) يوسف القرضاوي، الخصائص العامة للإسلام، ط٣، بيروت، مؤسسة الرسالة، ١٩٨٥، ص ١٦-١٧.

(٢) صحيح البخاري (فتح الباري)، ابن حجر العسقلاني، كتاب الإيمان، (د. ط)، بيروت، دار الفكر، جـ١، ص ٥٧.

(٣) صحيح البخاري، (فتح الباري)، كتاب الرقاق، باب ما يقي من فتنة المال، جـ١١، ص ٢٥٣.

ونجد القرآن الكريم قد نوه بأمثال هؤلاء أصحاب الشهوات والأنانية، وذلك نظراً لما يترتب على ذلك من نتائج خطيرة، حيث إن هذا الصنف الأناني وعابد هواه، قد خرّب أجهزة المعرفة التي منحه الله إياها من الأسماع والأبصار والقلوب وعطلها، وعاش حياة أدنى مرتبة من حياة الأنعام[1].

قال تعالى: ﴿ أَرَءَيْتَ مَنِ ٱتَّخَذَ إِلَـٰهَهُۥ هَوَىٰهُ أَفَأَنتَ تَكُونُ عَلَيْهِ وَكِيلًا * أَمْ تَحْسَبُ أَنَّ أَكْثَرَهُمْ يَسْمَعُونَ أَوْ يَعْقِلُونَ ۚ إِنْ هُمْ إِلَّا كَٱلْأَنْعَـٰمِ ۖ بَلْ هُمْ أَضَلُّ سَبِيلًا ﴾ [الفرقان: ٤٣-٤٤].

أما الذين تربوا بتربية القرآن، فقد وقوا أنفسهم من هذه المزالق الخطيرة، فأصبحت الحياة عندهم وسيلة لا غاية وأداء، فهو يملكها ولا تملكه، ويسخرها ولا تسخره هذا الصنف هو الصنف الرباني الذي عاش لله وبالله.

والتربية الربانية الواقية، قد تحرم الإنسان من بعض اللذائذ العاجلة والمنافع القريبة، ولكنها بهذا الحرمان، تحميه من شرور ومخاطر ستعود عليه بالضرر المؤكد، أو على مجتمعه أو على الإنسانية، وتمنحه مقابل السكينة والطمأنينة الروحية التي لا تقدر قيمتها بالمال[2].

ونظراً لما للتربية الربانية من أهمية كبرى في حياة الإنسان المسلم، فقد عمل الإسلام على وقايتها تلك والمحافظة عليها في النفس والحياة بوسائل عدة من أهمها:

١- **طريق العبادات**: تعتبر العبادات من الوسائل التي سعى الإسلام إليها، من أجل حماية النفس الإنسانية مما قد يعتريها، ويوقعها في التخبط والحيرة وعدم الطمأنينة، وذلك من منطلق أن العبادات تجعل المؤمن دائماً على موعد مع الله عز وجل، فإذا ما حاول الإنسان أن يطرق باب الشهوات والمعصية، فإن العبادات التي تربي الإنسان المسلم وتقيه من كل هذا، سرعان ما تخلصه من ذلك.

فالصلاة توقظ في نفسه ذلك الإحساس الذي يجعله مترقياً من المادية إلى الروحية، ومن الأنانية إلى الغيرية، والصيام يقيه من الشهوات، ويربيه على الإرادة القوية والعزيمة الصادقة،

---

(١) يوسف القرضاوي، الخصائص العامة للإسلام، ص ٢٢.

(٢) يوسف القرضاوي، الخصائص العامة للإسلام، ص ٢٧.

ويدربه على التقوى[1].

ونجد هذا في جميع العبادات التي أقرها الإسلام على المسلم، حيث جعل مهمتها أن تغرس في ضمير مؤديها روح التقوى لله عز وجل فتقوي عزمه كلما ضعفت، وتنير طريقه كلما انطفأ نور الإيمان من حوله.

وهذا ما نجده في جميع العبادات كلها، حيث إنها تكون بمثابة الدرع الواقي والحصن الحصين الذي يقي الإنسان المسلم من مزالق الخطر، ليبقى موصولاً بخالقه عز وجل باستمرار.

قال تعالى: ﴿ إِنَّ ٱلصَّلَوٰةَ تَنْهَىٰ عَنِ ٱلْفَحْشَآءِ وَٱلْمُنكَرِ ﴾ [العنكبوت: ٤٥]. وقال تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ كُتِبَ عَلَيْكُمُ ٱلصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴾ [البقرة: ١٨٣].

٢- عن طريق التشريع:

فقد عمل الإسلام من خلال التشريع على حفظ وصيانة الفرد المسلم من كل أذى وعدوان، حيث حارب الإلحاد والإباحية والفسق والفجور، مبيناً أهم آثارها السلبية في حياة الناس.

وقد شرع الأحكام التي تحفظ هذه النفس وتقيها من كل سوء، حيث شرع عقوبة لتارك الصلاة، وعقوبة للمجاهر بالفطر في رمضان، وغيرها. نظراً لما يترتب على ذلك من إضرار بالمجتمع حتى يبقى المجتمع نظيفاً طاهراً، ولم يعتبر هذا تدخلاً في الحرية الشخصية لأنها تعود بالضرر على المجتمع بأسره وأسسه العقائدية، والاجتماعية.

٣- العصمة من التناقض والتطرف:

عملت التربية الإسلامية على وقاية الإنسان المسلم من التناقض والتطرف، حينما أحاطته بسياج منيع حفظت عليه حياته من أن يصيبها التناقض الذي يصيب الإنسان في الأنظمة البشرية والدينية والوضعية المحرفة، لأنه من صنع البشر، قال تعالى: ﴿ أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ ٱلْقُرْءَانَ وَلَوْ كَانَ مِنْ عِندِ غَيْرِ ٱللَّهِ لَوَجَدُوا۟ فِيهِ ٱخْتِلَٰفًا كَثِيرًا ﴾ [النساء: ٨٢].

(١) يوسف القرضاوي، الخصائص العامة للإسلام، ص ٢٧- ٢٨.

ولذلك عملت التربية الإسلامية على وقاية الإنسان مما يسمى بالروحية والمادية، حينما نظرت إليه كلاً متكاملاً، ولم تقسمه إلى جسد وروح كما فعل الماديون والروحانيون، فالماديون ينظرون إلى الدنيا من ناحية ماديتها، والروحانيون يحاربون المادية، وهذا ما أوقع الإنسان عند الماديين والإنسان عن الروحانيين في التناقض والتطرف أحياناً.

أما التربية الإسلامية فعاملته على أساس انه إنسان متكامل جسداً وروحاً، فدعته إلى المادة والدنيا وبالمقابل دعته إلى القضايا الروحية والعبادة بحيث لا يطغى جانب على جانب، حتى لا يقع هذا الإنسان في ذلك التناقض الذي وقع فيه الإنسان عند الماديين والإنسان عند الروحانيين.

قال تعالى: ﴿ وَٱبْتَغِ فِيمَآ ءَاتَىٰكَ ٱللَّهُ ٱلدَّارَ ٱلْءَاخِرَةَ وَلَا تَنسَ نَصِيبَكَ مِنَ ٱلدُّنْيَا وَأَحْسِن كَمَآ أَحْسَنَ ٱللَّهُ إِلَيْكَ وَلَا تَبْغِ ٱلْفَسَادَ فِى ٱلْأَرْضِ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلْمُفْسِدِينَ﴾ [القصص: ٧٧].

٤- وقايته من التحيز والهوى:

عملت التربية الإسلامية على وقاية الإنسان من التحيز والهوى وعدم الميل.

والتربية الإسلامية بما أنها ربانية لا تسمح لإنسان أن يميل إلى التحيز والهوى لأنها من منهج الله الذي وضعه لكل الناس، وهو المنهج الذي لا تحكمه الأهواء ولا النزاعات، لأنه منزه عن كل ذلك.

وهذا ما أكده الرسول ﷺ، محذراً الإنسان من التحيز لفئة أو عنصر وحين قال: «دعوها فإنها منتنة»[1].

وقال تعالى: ﴿ إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ ٱللَّهِ أَتْقَىٰكُمْ ﴾ [الحجرات: ١٣]. مبيناً أن الميزان والمعيار الإلهي الذي يُقاس على أساسه البشر، هو مقياس التقوى والإيمان والعمل الصالح.

وفي معرض الشهادة والحكم، فقد عملت التربية الإسلامية على وقاية الإنسان من التحيز في الإدلاء بالشهادة والميل إلى الطرق الآخر إن كان قريبا.

قال تعالى: ﴿ وَإِذَا قُلْتُمْ فَٱعْدِلُوا۟ وَلَوْ كَانَ ذَا قُرْبَىٰ ﴾ [الأنعام: ١٥٢]، وقال تعالى: ﴿ وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَـَٔانُ قَوْمٍ عَلَىٰٓ أَلَّا تَعْدِلُوا۟ ٱعْدِلُوا۟ هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَىٰ ﴾ [المائدة: ٨].

---

(١) صحيح البخاري، كتاب التفسير، تفسير المنافقون، جـ ٨، ص ٦٤٨.

وقد أراد الله سبحانه وتعالى من خلال هاتين الآيتين تربية الإنسان ووقايته مما قد يقع فيه من الميل والهوى، حتى لا يضر بالآخرين.

الخاصية الثانية: الشمول

وقد تضمن القرآن الكريم والسنة النبوية هذه الخاصية، حيث إن التربية الوقائية تشمل كل جوانب النفس الإنسانية، وتعمل في كل ميادين الحياة لتسهم في بناء الفرد والمجتمع على حد سواء.

حيث ورد عن الرسول ﷺ فيما روى: «أنه أذن في أذن الحسن حين ولدته أمه فاطمة»[1].

ويروى عن عبد الله بن الحسين قوله: (من أراد أن لا يقرب ولده تابعه أبدا، فإذا وُلد فليؤذن في أذنه اليمنى وليقم في أذنه اليسرى.)[2].

١ . **شمولية الزمان**: وجاءت هذه التربية لتشمل الزمان والمكان والإنسان من كل جوانبه، فقد وضعت التدابير الوقائية الصالحة لكل زمان ومكان، وعالجت ذلك علاجاً شاملاً حتى جاء شمولها للإنسان متكاملاً، فشملت عقله وجسمه، وروحه وصحته.

وجاءت هذه الشمولية من شمولية الإسلام نفسه قال تعالى: ﴿وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ تِبْيَٰنًا لِّكُلِّ شَىْءٍ﴾ [النحل: ٨٩].

٢ . **شمولية المكان**: وكما أنها شملت الزمان، فقد شملت المكان أيضاً فهي لكل الناس وليست لفئة معينة أو لشعب خاص فهي عالمية المكان، كما أنها عالمية الزمان، وقد جاءت الآيات القرآنية التي تؤكد عالمية التربية الوقائية، قال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُوا۟ رَبَّكُمُ ٱلَّذِى خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَٰحِدَةٍ﴾ [النساء: ١].

والمراد بالتقوى هنا، وقاية النفس الإنسانية من عذاب الله عز وجل، وذلك باتباع أوامره والابتعاد عن نواهيه، وهذا يشمل الناس في كل زمان ومكان.

---

(١) أبو العلي محمد بن عبد الرحمن المباركفوري، تحفة الأحوذي بشرح صحيح جامع الترمذي، (د. ط)، القاهرة، دار الفكر، ١٣٥٣هـ، جـ ٥، ص ١٠٧.

(٢) أبو عبد الله الحسين بن الحسن الحليمي، المنهاج في شعب الإيمان، ط١، القاهرة، دار الفكر، ١٩٧٩، جـ ٣، ص ٢٧٨.

٣. **شمولية الإنسان**: وجاءت شموليتها للإنسان، من خلال وقايتها له في جميع أطوار حياته ومراحلها المختلفة صبياً، وشاباً، وكهلاً، وشيخاً، وترسم له في كل مراحل حياته المنهج الأمثل في كل الذي يحبه الله ويرضاه.

ولا عجب أن نجد في الإسلام أحكاماً تتعلق بالمولود منذ ولادته، وذلك لوقايته من أذى الشيطان وحمايته من أذى الشيطان، أو أي أذى آخر، فالرسول ﷺ يأمر بالآذان في أذن المولود حين ولادته وإقامة الصلاة في أذنه اليسرى حيث يقول: (من ولد له مولود فأذن في أذنه اليمنى وأقام في أذنه اليسرى رفعت عنه أم الصبيان)[١]. والغرض من ذلك هو وقايته من الشيطان. وهذا ما يؤكده ابن القيم: (إن سر التأذين هو هروب الشيطان من كلمات الآذان، وهو كان يرصده حتى يولد، فيقارنه للمحنة التي قدرها الله وشاءها، فيسمع شيطانه ما يضعفه ويغيظه أول أوقات تعلقه به)[٢].

وكما اهتمت به طفلاً، اهتمت به بعد أن يبلغ سناً معينة، وأمرت والديه أن يعلماه الصلاة، حتى تكون له درعاً حصيناً وواقياً من المعاصي والذنوب وأذى الشيطان، قال ﷺ: «مروا أولادكم بالصلاة وهم أبناء سبع سنين واضربوهم عليها وهم أبناء عشر سنين وفرقوا بينهم في المضاجع»[٣]، وذلك لما للصلاة من دور مهم في حفظ الإنسان ووقايته من الفحشاء والمنكر، قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱلصَّلَوٰةَ تَنْهَىٰ عَنِ ٱلْفَحْشَآءِ وَٱلْمُنكَرِ﴾ [العنكبوت: ٤٥].

وظلت التربية الإسلامية في مجال الوقاية، مواكبة للإنسان، وذلك من أجل المحافظة عليه من الوقوع في الزلل والخطأ فـفرضت عليه الأحكام الشرعية وكلفته وأعلمته أنه محاسب على كل صغيرة وكبيرة، ليقي نفسه من عذاب الله عز وجل.

ونرى كذلك شمولية التربية الإسلامية في مجال الوقاية في مجال العقيدة والعبادة والتشريع كذلك.

---

(١) أبو العلي محمد بن عبد الرحمن، تحفة الأحوذي بشرح جامع الترمذي، (د. ط)، القاهرة، دار الفكر، ١٣٥٣هـ، جـ ٥، ص ١٠٧.

(٢) ابن قيم الجوزية، تحفة المودود بأحكام المولود، ط١، بيروت، دار الكتب العلمية، ١٩٨٣، ص ٢٢.

(٣) أبو داوود سليمان بن الأشعث السجستاني، سنن أبي داوود، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي، كتاب الصلاة، باب من يؤمر الغلام به، (د. ط)، بيروت، دار إحياء التراث العربي، (د. ت)، جـ ١، ص ١١٥.

٤ . **شمولية العقيدة**: ففي مجال العقيدة جاءت التربية الوقائية شاملة لكل الجوانب التي تقود الإنسان إلى الانحراف عن طريق الصحيح في عقيدته، مبينة للإنسان أن العقيدة لا تقبل التجزئة وحذرته من ذلك وأن يؤخذ بكل محتوياتها دون إنكار، أو شك في أي جزء منها، قال تعالى: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَكْفُرُونَ بِٱللَّهِ وَرُسُلِهِۦ وَيُرِيدُونَ أَن يُفَرِّقُواْ بَيْنَ ٱللَّهِ وَرُسُلِهِۦ وَيَقُولُونَ نُؤْمِنُ بِبَعْضٍ وَنَكْفُرُ بِبَعْضٍ وَيُرِيدُونَ أَن يَتَّخِذُواْ بَيْنَ ذَٰلِكَ سَبِيلًا * أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْكَٰفِرُونَ حَقًّاۚ وَأَعْتَدْنَا لِلْكَٰفِرِينَ عَذَابًا مُّهِينًا﴾ [النساء: ١٥٠-١٥١].

من هنا جاء هذا التحذير الإلهي، لوقاية الإنسان من الانحراف والسير في طريق الكفر.

٥ . **شمولية العبادات**: وفي مجال العبادات، حذرته التربية الإسلامية المستمدة من التشريع الإسلامي والتعاليم الإسلامية من الرياء والنفاق في عمله، لأن ذلك يقوده إلى عدم قبول العبادة ما لم تكن خالصة لوجه الله تعالى، قال تعالى: ﴿ وَمَآ أُمِرُوٓاْ إِلَّا لِيَعْبُدُواْ ٱللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ﴾ [البينة: ٥].

وحذرته كذلك من الإشراك بالله لأن الشرك بالله يؤدي إلى عدم قبول الأعمال نهائيا، وبالتالي يخسر صاحبها الخسارة الكبرى ولا يستفيد من أعماله وعبادته مهما بلغت ومهما كانت، قال تعالى: ﴿ وَقَدِمْنَآ إِلَىٰ مَا عَمِلُواْ مِنْ عَمَلٍ فَجَعَلْنَٰهُ هَبَآءً مَّنثُورًا﴾ [الفرقان: ٢٣].

٦ . **شمولية الأخلاق**: اهتمت التربية الإسلامية في مجال الوقاية بالناحية الأخلاقية اهتماماً كبيراً، حيث إنها لم تدع جانباً من جوانب الحياة الإنسانية، روحية كانت أم جسمية عقلية أم عاطفية، فردية كانت أم اجتماعية إلا رسمت له المنهج الأمثل.

ففي مجال الفرد حيث بينت له كل ما يتعلق بجوانب حياته المختلفة جسماً وعقلاً وغير ذلك، قال تعالى: ﴿ وَكُلُواْ وَٱشْرَبُواْ وَلَا تُسْرِفُوٓاْۚ ﴾ [الأعراف: ٣١]. فحذرت هنا الإنسان من الإسراف في الطعام والشراب، لما قد يترتب على ذلك من مخاطر تعرض حياة الإنسان عى الخطر.

وهناك الأخلاق الشاملة في مجال الأسرة، كالعلاقة بين الزوجين والأبوين والأولاد والأقارب.

قال تعالى: ﴿ وَعَاشِرُوهُنَّ بِٱلْمَعْرُوفِۚ ﴾ [النساء: ١٩]، حيث أمر الله سبحانه وتعالى

المعاشرة بالمعروف، محذراً من عدم ذلك لما يترتب عليه من آثار سيئة على العلاقة الزوجية قد تصل في نهاية الأمر إلى الفرقة والطلاق.

وقال تعالى: ﴿وَلَا تَقْتُلُوٓا۟ أَوْلَـٰدَكُمْ خَشْيَةَ إِمْلَـٰقٍ﴾ [الإسراء: ٣١]، نهى الله سبحانه وتعالى عن ذلك من باب الوقاية للإنسان من الوقوع في الكفر، لأن هذا الفعل يُعد كفراً إن قصد بذلك الإنسان قضية الرزق، وأن كثرة الأولاد قد يؤدي إلى الفقر أو سبب الفقر.

٧. **شمولية العلاقات الاجتماعية**: وفي مجال العلاقات الاجتماعية، نجد أن التربية الإسلامية في مجال الوقاية قد شملتها كذلك، حيث إنها حذرت من بعض الأخلاق الاجتماعية التي ترتبط بالمجتمع كاملاً.

قال تعالى: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تَدْخُلُوا۟ بُيُوتًا غَيْرَ بُيُوتِكُمْ حَتَّىٰ تَسْتَأْنِسُوا۟ وَتُسَلِّمُوا۟ عَلَىٰٓ أَهْلِهَا ۚ ذَٰلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ﴾ [النور: ٢٧].

ينهي الله سبحانه وتعالى في هذه الآية الكريمة، عن هذا الخلق، لوقاية الإنسان من أن يقع في أمر قد يؤدي به إلى حدوث إشكال بينه وبين الناس، لأن عدم الاستئذان والدخول الفوري قد يوقع الإنسان في مزالق الخطر، وهو غني عن مثل ذلك.

وفي مجال المعاملات: نجد أن التربية الإسلامية في مجال الوقاية، جاءت تحذر الإنسان من بعض الأخلاق في المعاملات سواء أكانت المعاملات مالية أم غير ذلك.

تعالى: ﴿وَيْلٌ لِّلْمُطَفِّفِينَ * ٱلَّذِينَ إِذَا ٱكْتَالُوا۟ عَلَى ٱلنَّاسِ يَسْتَوْفُونَ * وَإِذَا كَالُوهُمْ أَو وَّزَنُوهُمْ يُخْسِرُونَ﴾ [المطففين: ١-٣].

نهى الله عن مثل هذه الأخلاق السيئة، لأن مثل هذا الأعمال، إذا وقع الإنسان بها، قد يؤدي به إلى الوقوع في مزالق خطيرة مع الناس، لأنه يعمل لنفسه ما لم يفعله لغيره، وهذا الخُلق بحد ذاته خلق سيىء، حذّر الإسلام من التعامل به نظراً لما يترتب عليه من أضرار سيئة، تؤدي إلى قطع العلاقات الاجتماعية بين الناس، واحلال محلها التقاطع والتباغض والتشاحن والتشاجر مما يؤدي إلى تدمير هذه العلاقات.

٨. **شموليتها في مجال التشريع**: جاء التشريع الإسلامي تشريعاً شاملاً وكاملاً للفرد والأسرة والمجتمع، ولكل نواحي الحياة المختلفة، من منطلق أنها لم تجعل حكماً أو أمراً

من أمور الإنسان، إلا وأعطته حكمه الشرعي وبينت للإنسان هذا الحكم، حتى لا يبقى يعيش عيشة تخبط وحيرة.

والقصد من هذا هو وقاية الإنسان الذي آمن بهذا التشريع في جميع مجالات الحياة المختلفة.

ففي مجال الحلال والحرام، نجد أن التربية الوقائية في الإسلام، حذرت الإنسان من الإقدام على فعل الحرام أو حتى الأمر الذي فيه شبهة وقاية له وحفظاً من أن يقع في الحرام، قال ﷺ: «إن الحلال بيّن والحرام بيّن، وبينهما أمور مشّبهات، لا يعلمهن كثير من الناس، فمن اتقى الشبّهات، فقد استبرأ لدينه وعرضه، ومن وقع في الشبهات كالراعي يرعى حول الحمى، يوشك أن يرتع فيه ألا وإن لكل ملك حمى، ألا إن حمى الله في أرضه محارمه»[1].

حيث بيّن ﷺ للإنسان أن من يسلك طريق الحرام أو طريق الشبهات يقع في ذلك الحرام، وهذا إذا دلّ على شيء فإنما يدل على مدى حرص الإسلام والرسول ﷺ على وقاية وحفظ الإنسان المسلم لكي يبقى سالماً في دينه وعرضه.

وتأتي هذه الشمولية في مجال وقاية الإنسان من خلال الأحكام الشرعية التي بينها الله سبحانه وتعالى للناس وألزمهم بها، حيث يتضح مدى حرص الإسلام على وقاية الإنسان من الوقوع في المخاطر والمزالق الخطيرة، فعلى سبيل المثال لا الحصر قال تعالى: ﴿قُل لِّلْمُؤْمِنِينَ يَغُضُّوا مِنْ أَبْصَارِهِمْ... وَقُل لِّلْمُؤْمِنَاتِ يَغْضُضْنَ مِنْ أَبْصَارِهِنَّ...﴾ [النور: ٣٠-٣١].

وذلك من منطلق أن البصر أداة تقود الإنسان إلى الشر والوقوع في الفاحشة.

الخاصية الثالثة: التكامل

التربية الإسلامية تربية تكاملية، إذ إنها لا تقتصر على جانب واحد من جوانب الشخصية الإنسانية ولكنها تنظر إلى الشخصية الإنسانية على أنها كل متكامل.

والتربية الوقائية جزء من التربية الإسلامية جاءت نظرتها في مجال الوقائية نظرة متكاملة حيث جاءت وقايتها للإنسان في جميع جوانب حياته.

ففي مجال العقل، جاءت التربية الوقائية محذّرة الإنسان من أكل أو شرب كل ما يؤثر على

---

(١) صحيح مسلم، كتاب المساقاة، باب أخذ الحلال وترك الشبهات، جـ ٣، ص ١٢١٩.

عقله أو ينقصه إذ إن الإنسان بدون عقل لا يعتبر إنساناً كاملاً.

ونظراً لهذا فقد حرمت الخمر، كوقاية للعقل الإنساني من مخاطر الخمر، لأن من يشربها يصيبه لوث في عقله، قال تعالى محذراً الإنسان من الاقتراب من الخمر لما تحدثه من أضرار سيئة على عقل الإنسان: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِنَّمَا ٱلْخَمْرُ وَٱلْمَيْسِرُ وَٱلْأَنصَابُ وَٱلْأَزْلَٰمُ رِجْسٌ مِّنْ عَمَلِ ٱلشَّيْطَٰنِ فَٱجْتَنِبُوهُ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴾ [المائدة: ٩٠]. والاجتناب أبلغ من التحريم، وهو يعني عدم الاقتراب، وذلك وقاية للإنسان من مخاطر الخمر.

ومن تكامل التربية الوقائية، تكاملها في مجال صحة الجسم، حيث حرمت على الإنسان كل ما يضر ويفتك بجسمه، ويؤدي إلى موته، من أجل الحفاظ على حياته من منطلق أن المحافظة على النفس الإنسانية من المقاصد الضرورية والأساسية التي دعا إليها الإسلام، قال تعالى: ﴿ وَلَا تُلْقُواْ بِأَيْدِيكُمْ إِلَى ٱلتَّهْلُكَةِ ﴾ [البقرة: ١٩٥].

ووقاية للإنسان أيضاً وصحته حرّم الإسلام عليه أكل الميتة والدم ولحم الخنزير وغيرها، نظراً لما يترتب عليها من أضرار خطيرة على صحة الإنسان تؤدي إلى موته أو إلى إصابته بالأمراض الخطيرة.

قال تعالى: ﴿ حُرِّمَتْ عَلَيْكُمُ ٱلْمَيْتَةُ وَٱلدَّمُ وَلَحْمُ ٱلْخِنزِيرِ . . . ﴾ [المائدة: ٣]، كل هذا من أجل أن يكون جسم الإنسان قوياً خالياً من الأمراض التي تصيبه فتضعفه، وبالتالي لا يقوى على أداء رسالته ووظيفته التي كُلّف بها، ومن أجل هذا حرّم عليه الإسلام كل هذا لكي يقوى على أداء وظيفته في الأرض.

الخاصية الرابعة: التربية الوقائية، تربية فردية واجتماعية معاً:

تقوم التربية الوقائية في الإسلام على تربية الإنسان تربية فردية ذاتية، وتربية اجتماعية فهي تربية على الفضيلة ليكون مصدر خير لجماعته، وتقيه من كل أمر يؤثر عليه شخصيا، أو على الجماعة التي ينتمي إليها.

ومثال ذلك أن التربية الإسلامية تربي الفرد المسلم على حب الخير، لتقيه من الأنانية المفرطة البغيضة، حتى يبقى هذا المجتمع مجتمعاً مثالياً تسود فيه روح التعاون والمودة والمحبة، وكيلا تسري إليه الأمراض التي تؤدي إلى إحداث الشقاق والنزاع بين أفراده.

قال ﷺ: «لا يؤمن أحدكم حتى يحب لأخيه ما يحب لنفسه»[1].

وقال أيضا: «مثل المؤمنين في توادهم وتراحمهم وتعاطفهم مثل الجسد إذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الجسد بالسهر والحمى»[2].

---

(١) صحيح البخاري، فتح الباري، كتاب الإيمان، باب من الإيمان أن يحب لأخيه، جـ١، ص ٥٧.

(٢) صحيح مسلم، كتاب البر والصلة، باب تراحم المؤمنين، ط١، القاهرة، دار الحديث، جـ ٤، ١٩٩١، ص ١٩٩٩.

المبحث الثالث

أنواع التربية الوقائية

يعتبر مبدأ الوقاية في الإسلام، أمراً مهماً وضرورياً، لأن المقصد الأسمى من التربية الوقائية هو تحقيق المصلحة العامة للعباد، وتأمين أسباب السعادة والهناء لهم، ودفع أي ضرر أو أذى يلحق بهم في دنياهم ودينهم.

وبناء على هذا يمكن تقسيم التربية الوقائية إلى قسمين هما:

١- تربية وقائية دنيوية.

٢- تربية وقائية آخروية.

ويقصد الباحث بالتربية الوقائية الدنيوية، ما تعلق بالإنسان في دنياه، فمثلاً حرم الإسلام على الإنسان الخمر في الدنيا، للمحافظة على عقله من أن يصيبه اللوث أو النقص أو الهذيان.

وأما الوقاية الآخروية، فإن من يمتنع عن شرب الخمر في الدنيا، يقي نفسه من عذاب الله يوم القيامة، ويشرب من خمر الآخرة، فهذه وقاية له آخروية، ومن يشربها في الدنيا يعذب ويحرم شرب خمر الآخرة في الجنة.

وهذان القسمان يندرج تحتهما ما يسمى، بمقاصد الدين، وهي: حفظ الدين، وحفظ النفس، وحفظ المال، وحفظ الأعراض، وحفظ العقل.

والتربية الوقائية في الإسلام لا تخرج عن هذه المقاصد الخمسة: - وقاية في مجال الدين، وقاية في مجال النفس، وقاية في مجال المال (المعاملات)، وقاية في مجال الأعراض (النسب)، ووقاية في مجال العقل.

يقول الإمام الشاطبي: (إن مصالح الدين والدنيا مبنية على المحافظة على الأمور الخمسة المذكورة[١] فلما كان الوجود الدنيوي مبنياً عليها، فإذا انحرفت لم يبق للدنيا وجود، وكذلك الأمور الأخروية لا يقام لها إلا بذلك، فلو عُدم الجزاء المرتجى، ولو عدم المكلف

---

(١) حفظ الدين، حفظ العقل، حفظ النسل، حفظ النفس، حفظ المال.

لعُدم من يتدين، ولو عُدم العقل لارتفع التدين، ولو عدم النسل لم يبق في العادة بقاء، ولو عُدم المال لم يبق عيش)[1].

ويؤكد هذا الإمام الغزالي إذ يقول: (ومقصود الشرع من الخلق خمسة، هو أن يحفظ عليهم دينهم وأنفسهم وعقلهم، فكل ما يتضمن حفظ الأصول الخمسة فهو مصلحة، وكل ما يُفوت هذه الأصول فهو مفسدة دونها مصلحة)[2].

ونلاحظ أن هذه الأمور الخمسة، التي عليها مدار الحياة: - وهي الدين والنفس والعقل والمال إذا لم تحفظ، وتتخذ الاحتياطات اللازمة للمحافظة عليها في الدنيا، فلا يمكن أن تستقيم حياة الإنسان في هذه الحياة، ولأن أي شريعة مهمتها إصلاح الخلق، وإذا أُهملت هذه المقاصد، لا تقوم الحياة الإنسانية الرفيعة كما ينبغي، ومن هنا حث الإسلام الإنسان المحافظة عليها.

فالدين هو من أهم هذه الضرورات أو المقاصد، ولأنه غاية الحياة وهدف الوجود الإنساني.

قال تعالى: ﴿ وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ﴾ [الذاريات: ٥٦]، والنفس بها قوام الوجود، والعقل فيه قوام الحياة الإنسانية إذ إن الإنسان بغير عقل كالدابة لا يفقه شيئاً، ولذلك وصف الله الذين لا يستخدمون عقولهم ولا يحافظون عليها بأنهم كالدواب.

قال تعالى: ﴿ أَرَءَيْتَ مَنِ ٱتَّخَذَ إِلَٰهَهُۥ هَوَىٰهُ أَفَأَنتَ تَكُونُ عَلَيْهِ وَكِيلًا * أَمْ تَحْسَبُ أَنَّ أَكْثَرَهُمْ يَسْمَعُونَ أَوْ يَعْقِلُونَ إِنْ هُمْ إِلَّا كَٱلْأَنْعَٰمِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ سَبِيلًا ﴾ [الفرقان: ٤٣-٤٤](٣).

والعرض كذلك لأنه مناط الكرامة والاحترام بين الناس، وكذلك المال لأنه قوام الحياة، ومن هنا أمر الإسلام بالمحافظة عليه وبيان الطرق المشروعة للكسب، ليعيش الإنسان عيشة ترضي الله ورسوله.

---

(١) أبو إسحاق بن موسى الشاطبي، الموافقات في أصول الشريعة، (د. ط)، القاهرة، دار الفكر، (د. ت)، جـ٢، ص ٨-٩.

(٢) أبو حامد الغزالي، المستصفي في علم أصول الفقه، ط٢، بيروت، دار الكتب العلمية، ١٩٨٣، جـ١، ص ٢٨٧.

النوع الأول: الوقاية في مجال الدين:

جاءت الشريعة الإسلامية من اجل الرحمة بالناس، قال تعالى: ﴿وَمَآ أَرْسَلْنَٰكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَٰلَمِينَ﴾ [الأنبياء:٤٣-٤٤]، لأن الله سبحانه وتعالى بعث رسوله ﷺ رحمة للعالمين، وجاء بما يحقق مصالحهم، قال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ قَدْ جَآءَتْكُم مَّوْعِظَةٌ مِّن رَّبِّكُمْ وَشِفَآءٌ لِّمَا فِى ٱلصُّدُورِ وَهُدًى وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ﴾ [يونس:٥٧].

فالهدى والرحمة هي إما لجلب منفعة للناس أو دفع مضرة عنهم، والتربية الوقائية جاءت لتحقق الغاية نفسها من أجل مصلحة الناس، أو دفع مضرة عنهم، حينما تبين للإنسان ما ينفعه وما يضره وتحاول المحافظة عليه ووقايته وصيانته من كل ضرر.

وتحديد كون الشيء مصلحة أو مفسدة، إنما يكون للشرع وحده، لأنه لا يعلم حقيقة الإنسان إلا الله ولا يعلم أين تكمن مصلحته إلا هو سبحانه وتعالى، ولو ترك تحديد المصلحة وتقديرها للإنسان لوجد الاختلاف والتفاوت من عصر إلى عصر، ومن مجتمع إلى آخر، وهذا يؤدي إلى وقوع الناس في المهالك، ومن هنا جاء مبدأ الوقاية في الإسلام قبل وقوع الإنسان في تلك المهالك.

وقبل الحديث عن الوقاية في مجال الدين، لا بد أن نبين أهمية الدين بالنسبة للفرد والمجتمع، حتى ندرك مدى اهتمام الإسلام بوقايته من كل ما يضر به.

أولا: أهمية الدين بالنسبة للفرد:

تظهر أهمية الدين في حياة الفرد من خلال المعاني التالية[1]:

١- إن الدين عامل أساسي في تكميل طاقة العقل وقوة التفكير، وذلك عن طريق دعوة الإسلام إلى استخدام العقل في التفكير والتدبر والتأمل في ملكوت الله عز وجل.

٢- الدين عنصر هام في صقل ضمير الإنسان ووجدانه ودعوته إلى التعامل بخالقه ومراقبته في السر والعلن.

---

(١) محمد عقلة الإبراهيم، الإسلام خصائصه ومقاصده، ط١، عمان، مكتبة الرسالة الحديثة، ١٩٨٤، ص١٤١- ١٤٢.

أبو بكر الجزائري، عقيدة المؤمن، ط٢، القاهرة، مكتبة الكليات الأزهرية، ١٩٧٨، ص ٢٧.

٣- وتظهر أهمية الدين من خلال كونه علاجاً ناجحاً لكثير من الأمراض التي تفتك بالنفس الإنسانية، مثل القلق والقنوط والإحباط، والخوف وغير ذلك.

٤- الدين يعمل على تهذيب المشاعر والميول النفسية، وضبط الغرائز والإرادة الإنسانية، حتى لا ينطلق من هوى نفسه.

٥- الدين يمد الإنسان بالعلوم والمعارف عن ربه ولقائه وعن عبادته وعن الكون والحياة.

ثانياً: أهمية الدين بالنسبة للمجتمع:

وكما أن الدين مهم بالنسبة للفرد، فهو مهم أيضاً بالنسبة للمجتمع، وتبدو أهمية ذلك من خلال:

١- أن الدين يوفر عوامل السعادة والأمن والاستقرار للمجتمع الإنساني، من خلال ما احتواه من تشريعات وأحكام وقوانين، تهيىء له وسائل الأمن والاستقرار.

٢- حمل الناس على التحلي بالأخلاق الفاضلة، من خلال الدافع الذاتي الذي يؤصله الإيمان في نفس الإنسان، الذي يدفعه إلى الابتعاد عن المعاصي والأخلاق الرذيلة، والتحلي بالأخلاق الفاضلة.

٣- الدين ضروري لمصلحة المجتمع الإنساني، إذ إنه يقرر قاعدة المساواة ووحدة الأصل والمنشأ بين الناس(١).

فالدين هو الذي يصنع الأخوة، وهو الذي يوّحد الناس ويلغي جميع الفوارق الطبيعية والاجتماعية، ويجعل المفاضلة على أساس التقوى والإيمان، قال تعالى: ﴿إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ ٱللَّهِ أَتْقَىٰكُمْ﴾ [الحجرات: ١٣]، وهو الذي ينظم الجماعات على أساس أن الله خلق الناس وكلهم بحاجة إلى بعضهم البعض، قال تعالى: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَـٰكُم مِّن ذَكَرٍ وَأُنثَىٰ وَجَعَلْنَـٰكُمْ شُعُوبًا وَقَبَآئِلَ لِتَعَارَفُوٓا۟﴾ [الحجرات: ١٣].

والدين هو الذي ينظم مثل هذا العلاقات على أساس من العدل والمساواة، يقول دراز حول أهمية الدين للفرد والمجتمع: (إن الدين يضع للإنسانية المنهج السوي الذي يجب أن يسير عليه الفرد والمجتمع، ويضفي عليه صبغة القدسية، بحيث يصبح سلوك هذا المنهج

(١) أبو بكر الجزائري، عقيدة المؤمن، ص ٢٧، محمد عقلة، الإسلام خصائصه ومقاصده، ص ١٤٣.

ضرباً من ضروب الدين، وليست قوانين الجماعات ولا سلطان الحكومات بكافيين وحدهما لإقامة مدنية فاضلة تُحترم فيها الحقوق، وتؤدي الواجبات على وجهها الكامل، فإن الذي يؤدي واجبه خوفاً من السوط والسجن لا يلبث أن يهمله عند اطمئنانه إلى أنه سيفلت من طائلة القانون)[1].

ويقول: (ومن الخطأ البين أن نظن أن في نشر العلوم والثقافات وحدها ضماناً للسلام والرخاء، وعوضاً عن التربية والتهذيب الخلقي، ذلك أن العلم سلاح ذو حدين، يصلح للهدم والتدمير، كما يصلح للبناء والتعمير، ولا بد في حسن استعماله من رقيب أخلاقي يوجهه لخير الإنسانية وعمارة الأرض، لا إلى نشر الشر والفساد، ذلكم الرقيب هو العقيدة والإيمان)[2].

ويؤكد هذا بقوله أيضاً: (ومن أجل ذلك كان هذا الدين خير ضمان لقيام التعاون بين الناس على قواعد العدالة والإنصاف، وكان ذلك ضرورة اجتماعية كما هو نظرة إنسانية)[3].

ثالثاً: وسائل المحافظة على الدين:

أ. وسائل غرس الإيمان:

من أجل المحافظة على الدين وحمايته من كل شيء يشوبه، لأنه شريعة ومنهج حياة المسلمين، شرع الإسلام وسائل عديدة للمحافظة عليه، وتقويته في نفوس أتباعه، ومن هذه الوسائل، وسائل ترمي إلى غرس الدين ووسائل ترمي إلى حفظ الدين وحمايته.

أما الوسائل التي ترمي إلى غرس الإيمان وتوكيده فهي:

١- الدعوة إلى الاعتقاد واليقين بوجود عناصر الإيمان.

٢- أن يكون الإيمان قائماً على الحجة والبرهان العقلي والفطري. والعملي، قال تعالى: ﴿ قُلْ هَٰذِهِۦ سَبِيلِىٓ أَدْعُوٓا۟ إِلَى ٱللَّهِ ۚ عَلَىٰ بَصِيرَةٍ أَنَا۠ وَمَنِ ٱتَّبَعَنِى ۖ ﴾ [يوسف: ١٠٨].

٣- أداء العبادات المفروضة من أفضل وأنجح السبل لتوثيق علاقة الإنسان بخالقه عز وجل، وبالتالي فإنه ينقاد لأوامره طوعاً.

---

(١) محمد عبد الله دراز الدين، ط١، الكويت، دار القلم، ١٩٨٢، ص ٩٧- ٩٩.

(٢) المرجع السابق، ص ٩٧- ٩٩.

(٣) دراز، الدين، ص ٩٧ - ٩٩.

٤- نشر الإسلام علمياً لا عاطفياً، عن طريق الأبحاث الجادة، ودراسة ما أنتجه التفكير العالمي من تشريعات وما صدر من اجتهادات في الفقه والقضاء، ثم عقد المقارنات العلمية للوصول إلى نتائج حاسمة.

٥- التوعية بإقامة مراكز ثقافية، وعقد الندوات وإلقاء المحاضرات من قبل المختصين، وتدريس الدين بأسلوب علمي في المدارس[١].

ب. وسائل المحافظة على الدين:

١- كفالة حرية العقيدة والتدين، وذلك بإقرار أهل الكتاب والأديان الأخرى على عقائدهم. وترك حرية ممارستهم عبادتهم، وعدم إجبار أحد منهم على اعتناق الإسلام، أو إجباره على ترك دينه بأي وسيلة، قال تعالى: ﴿لَآ إِكۡرَاهَ فِي ٱلدِّينِۖ قَد تَّبَيَّنَ ٱلرُّشۡدُ مِنَ ٱلۡغَيِّۚ﴾ [البقرة: ٢٥٦]. وكذلك معاملتهم بالحسنى، وصيانة حقوقهم، وحفظ كرامتهم والمحافظة على أموالهم وأعراضهم، ورعاية فقيرهم، وحسن معاملتهم بالبيع والشراء، وإبقاء باب الحوار مفتوحاً معهم بشرط أن يكون القصد من ذلك ليس الجدل، وإنما وضع عقولهم وحواسهم أمام مختلف الآيات والبراهين[٢].

وهذه الأمور في مجال احترام حرية الاعتقاد والتدين، وصيانتها من أي مساس، مع الانتباه إلى ما يخالف ذلك، من أن هذا الاحترام وكفالة الحرية لا تؤدي إلى الإضرار بالمسلمين عقيدة وفكراً وسلوكاً.

٢- نهى الإسلام عن الفتنة في الدين، قال تعالى: ﴿وَقَٰتِلُوهُمۡ حَتَّىٰ لَا تَكُونَ فِتۡنَةٞ وَيَكُونَ ٱلدِّينُ لِلَّهِۖ﴾ [البقرة: ١٩٣]، وذلك لأن الفتنة في الدين قد تؤدي إلى الإضرار بالدين أكثر ما تعود عليه بالفائدة.

٣- شرع الإسلام الجهاد، لإعلاء كلمة الله عز وجل، وذلك تمكينا لدين الله في الأرض ورداً للعدوان، وإبقائه على حرية الاعتقاد من أجل المحافظة على الدين.

٤- مشروعية العقوبة لمن يرتد عن دين الله، ويجاهر بالتحلل منه، وذلك استئصالاً لشره.

---

(١) محمد عقلة، الإسلام خصائصه ومقاصده، ص ١٤٦- ١٥٤.

(٢) محمد عقلة، الإسلام خصائصه ومقاصده، ص ١٥٥- ١٥٨.

وضرره على الناس، حتى لا يكون الدين ألعوبة بين الناس.

٥- الالتزام بتعاليم الدين وتطبيقها بعد الاقتناع بها، حتى يبقى الدين حياً فاعلاً في النفوس[١].

٦- تشريع عقوبة لمن يبتدع في الدين، وذلك لخطورة البدعة وضررها على الدين، وهي أعم ضرراً وأكثر شراً من المعصية لأن الابتداع في الدين، يعتبر تغييراً للدين وأحكام الشرع واتهاماً له بالنقصان، أو أنه بحاجة إلى تكميل.

قال ﷺ: «إياكم ومحدثات الأمور، فإن كل محدثة بدعة، وكل بدعة ضلالة»[٢].

٧- الحجر على المفتي الماجن الذي يحل للناس ما حرم الله عز وجل ويحرم عليهم ما أحل الله عز وجل لهم، نظراً لما يترتب على مثل هذه الفتوى من الأضرار التي تلحق بالناس واختلاط الأحكام عليهم، وإيقاع الضرر الكبير بعقيدة الأمة ودينها، لذلك يجب منعهم حفاظاً على الدين وصيانته من العابثين أمثال هؤلاء.

ونلحظ من خلال ذلك أن الإسلام وضع أسس الوقاية لهذا الدين وأحاطه بالحفظ والصون، قبل أن يسري إليه الشكوك والظن وأنواع أخرى من المفاسد، وبذلك حُفظ هذا الدين وبقي ديناً صافياً نقياً.

النوع الثاني: حفظ النفس

النفس هي: (ذلك الوجود الحسي الواعي المتكامل الشامل للروح والجسد اللذين لا ينفصل أحدهما عن الآخر)[٣].

وقد دعا الإسلام إلى المحافظة على النفس الإنسانية وشرع من أجل الحفاظ عليها، والوقاية لها من الوقوع في الفساد وغيره، كالزواج وأحكام الأسرة، وحرّم الانتحار، وأمر بالتداوي وقاية لها من الأمراض، وشرع أكل الميتة وقاية لها من الهلاك، وشرع القصاص وقاية لها من أن تصبح ألعوبة رخيصة بأيدي الناس.

---

(١) محمد عقلة، الإسلام خصائصه ومقاصده، ص ١٥٩- ١٦١.

(٢) أحمد بن حنبل، المسند، ط٤، بيروت، المكتب الإسلامي، ١٩٨٣، جـ ٤، ص ١٢٦.

(٣) وهبة الزحيلي، الأصول العامة لوحدة الدين الحق، ط١، دمشق، المكتبة العباسية، ١٩٧٢، ص ١٣٠.

٤- نشر الإسلام علمياً لا عاطفياً، عن طريق الأبحاث الجادة، ودراسة ما أنتجه التفكير العالمي من تشريعات وما صدر من اجتهادات في الفقه والقضاء، ثم عقد المقارنات العلمية للوصول إلى نتائج حاسمة.

٥- التوعية بإقامة مراكز ثقافية، وعقد الندوات وإلقاء المحاضرات من قبل المختصين، وتدريس الدين بأسلوب علمي في المدارس[1].

ب. وسائل المحافظة على الدين:

١- كفالة حرية العقيدة والتدين، وذلك بإقرار أهل الكتاب والأديان الأخرى على عقائدهم. وترك حرية ممارستهم عبادتهم، وعدم إجبار أحد منهم على اعتناق الإسلام، أو إجباره على ترك دينه بأي وسيلة، قال تعالى: ﴿ لَآ إِكۡرَاهَ فِي ٱلدِّينِۖ قَد تَّبَيَّنَ ٱلرُّشۡدُ مِنَ ٱلۡغَيِّۚ﴾ [البقرة: ٢٥٦]. وكذلك معاملتهم بالحسنى، وصيانة حقوقهم، وحفظ كرامتهم والمحافظة على أموالهم وأعراضهم، ورعاية فقيرهم، وحسن معاملتهم بالبيع والشراء، وإبقاء باب الحوار مفتوحاً معهم بشرط أن يكون القصد من ذلك ليس الجدل، وإنما وضع عقولهم وحواسهم أمام مختلف الآيات والبراهين[2].

وهذه الأمور في مجال احترام حرية الاعتقاد والتدين، وصيانتها من أي مساس، مع الانتباه إلى ما يخالف ذلك، من أن هذا الاحترام وكفالة الحرية لا تؤدي إلى الإضرار بالمسلمين عقيدة وفكراً وسلوكاً.

٢- نهى الإسلام عن الفتنة في الدين، قال تعالى: ﴿ وَقَٰتِلُوهُمۡ حَتَّىٰ لَا تَكُونَ فِتۡنَةٞ وَيَكُونَ ٱلدِّينُ لِلَّهِۖ﴾ [البقرة: ١٩٣]، وذلك لأن الفتنة في الدين قد تؤدي إلى الإضرار بالدين أكثر ما تعود عليه بالفائدة.

٣- شرع الإسلام الجهاد، لإعلاء كلمة الله عز وجل، وذلك تمكينا لدين الله في الأرض ورداً للعدوان، وإبقائه على حرية الاعتقاد من أجل المحافظة على الدين.

٤- مشروعية العقوبة لمن يرتد عن دين الله، ويجاهر بالتحلل منه، وذلك استئصالاً لشره.

---

(١) محمد عقلة، الإسلام خصائصه ومقاصده، ص ١٤٦- ١٥٤.

(٢) محمد عقلة، الإسلام خصائصه ومقاصده، ص ١٥٥- ١٥٨.

وضرره على الناس، حتى لا يكون الدين ألعوبة بين الناس.

٥- الالتزام بتعاليم الدين وتطبيقها بعد الاقتناع بها، حتى يبقى الدين حياً فاعلاً في النفوس[١].

٦- تشريع عقوبة لمن يبتدع في الدين، وذلك لخطورة البدعة وضررها على الدين، وهي أعم ضرراً وأكثر شراً من المعصية لأن الابتداع في الدين، يعتبر تغييراً للدين وأحكام الشرع واتهاماً له بالنقصان، أو أنه بحاجة إلى تكميل.

قال ﷺ: «إياكم ومحدثات الأمور، فإن كل محدثة بدعة، وكل بدعة ضلالة»[٢].

٧- الحجر على المفتي الماجن الذي يحل للناس ما حرم الله عز وجل ويحرم عليهم ما أحل الله عز وجل لهم، نظراً لما يترتب على مثل هذه الفتوى من الأضرار التي تلحق بالناس واختلاط الأحكام عليهم، وإيقاع الضرر الكبير بعقيدة الأمة ودينها، لذلك يجب منعهم حفاظاً على الدين وصيانته من العابثين أمثال هؤلاء.

ونلحظ من خلال ذلك أن الإسلام وضع أسس الوقاية لهذا الدين وأحاطه بالحفظ والصون، قبل أن يسري إليه الشكوك والظن وأنواع أخرى من المفاسد، وبذلك حُفظ هذا الدين وبقي ديناً صافياً نقياً.

النوع الثاني: حفظ النفس

النفس هي: (ذلك الوجود الحسي الواعي المتكامل الشامل للروح والجسد اللذين لا ينفصل أحدهما عن الآخر)[٣].

وقد دعا الإسلام إلى المحافظة على النفس الإنسانية وشرع من أجل الحفاظ عليها، والوقاية لها من الوقوع في الفساد وغيره، كالزواج وأحكام الأسرة، وحرّم الانتحار، وأمر بالتداوي وقاية لها من الأمراض، وشرع أكل الميتة وقاية لها من الهلاك، وشرع القصاص وقاية لها من أن تصبح ألعوبة رخيصة بأيدي الناس.

---

(١) محمد عقلة، الإسلام خصائصه ومقاصده، ص ١٥٩- ١٦١.

(٢) أحمد بن حنبل، المسند، ط٤، بيروت، المكتب الإسلامي، ١٩٨٣، جـ ٤، ص ١٢٦.

(٣) وهبة الزحيلي، الأصول العامة لوحدة الدين الحق، ط١، دمشق، المكتبة العباسية، ١٩٧٢، ص ١٣٠.

وقد شرع الإسلام كل هذا، لأهمية النفس الإنسانية في نظر الإسلام، وتتجلى هذه الأهمية بما يلي:

١- جعل الإسلام الاعتداء على حق الحياة جريمة في حق الإنسانية، قال تعالى: ﴿مِنْ أَجْلِ ذَٰلِكَ كَتَبْنَا عَلَىٰ بَنِي إِسْرَائِيلَ أَنَّهُ مَن قَتَلَ نَفْسًا بِغَيْرِ نَفْسٍ أَوْ فَسَادٍ فِي الْأَرْضِ فَكَأَنَّمَا قَتَلَ النَّاسَ جَمِيعًا﴾ [المائدة: ٣٢].

٢- تعتبر النفس الإنسانية أكرم مخلوق عند الله سبحانه وتعالى، قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي آدَمَ وَحَمَلْنَاهُمْ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ...﴾ [الإسراء: ٧٠].

٣- إن النفس الإنسانية يُعول عليها بعمارة الكون والانتفاع بخيراتها، وذلك إلى جانب إقامة شرع الله ومنهجه، وكل هذا لا يقوم إلا بالإنسان[١].

وشرع الإسلام بعد ذلك الوسائل الكفيلة للمحافظة على النفس الإنسانية، ووقايتها من الوقوع في المعاصي والمفاسد أو الانقراض. ومن هذه الوسائل:

أ. شرع الإسلام الزواج، قال تعالى: ﴿وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ خَلَقَ لَكُم مِّنْ أَنفُسِكُمْ أَزْوَاجًا لِّتَسْكُنُوا إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُم مَّوَدَّةً وَرَحْمَةً إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ﴾ [الروم: ٢١].

ب. حرم الإسلام قتل الولد بعد إنجابه، وكذلك حرم الإجهاض، من أجل المحافظة على النفس الإنسانية، قال تعالى: ﴿وَإِذَا الْمَوْءُودَةُ سُئِلَتْ * بِأَيِّ ذَنبٍ قُتِلَتْ﴾ [التكوير: ٨-٩].

أما بحق الإجهاض الذي حرمه الإسلام لأنه جناية متعمدة مؤداها قتل نفس إنسانية دون ذنب اقترفته، يقول الإمام الغزالي: «الإجهاض جناية على موجود حاصل، فأول مراتب الوجود وضع النطفة في الرحم، فتختلط بماء الرجل فإفسادها جناية، فإن صارت علقة أو مضغة فالجناية أفحش، فإن نفخت الروح واستقرت الخلقة، زادت الجناية تفاحشاً، فيقوى التحريم كلما قرب زمن النفخ لأنه جريمة»[٢].

ج- ومن أجل المحافظة على النفس الإنسانية ووقايتها، أوجب على الإنسان التزود بالطعام والشراب، وحفظها باللباس والسكن من الحر والبرد، ولذلك أجاز له في حالة

---

(١) محمد عقلة، الإسلام وخصائصه ومقاصده، ص ١٦٥- ١٦٧.

(٢) أبو حامد الغزالي، إحياء علوم الدين، (د.ط)، بيروت، دار المعرفة، (د.ت)، ج٢، ص٩٥.

الاضطرار ومحافظة على نفسه من أن تهلك أكل الميتة وبعض المحرمات لكي يبقي على حياته، قال تعالى: ﴿ إِنَّمَا حَرَّمَ عَلَيْكُمُ ٱلْمَيْتَةَ وَٱلدَّمَ وَلَحْمَ ٱلْخِنزِيرِ وَمَآ أُهِلَّ بِهِۦ لِغَيْرِ ٱللَّهِ ۖ فَمَنِ ٱضْطُرَّ غَيْرَ بَاغٍ وَلَا عَادٍ فَلَآ إِثْمَ عَلَيْهِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴾ [البقرة: ١٧٣].

د- وجوب إقامة الحكام والقضاة والشرطة. وغيرها من الأجهزة التي من شأنها أن تحفظ الأمن، وتدفع العدوان الخارجي(١).

هـ- صان الإسلام وحفظ النفس الإنسانية والكرامة الآدمية بأن حرّم القذف والسب، وجعل عقوبة على من يفعل ذلك، وحرّم كذلك لعنه، والطعن في عرضه، قال تعالى: ﴿ وَٱلَّذِينَ يُؤْذُونَ ٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَـٰتِ بِغَيْرِ مَا ٱكْتَسَبُوا۟ فَقَدِ ٱحْتَمَلُوا۟ بُهْتَـٰنًا وَإِثْمًا مُّبِينًا ﴾ [الأحزاب: ٥٨].

و- قدم الإسلام مصلحة الأبدان على مصلحة الدين، ومن هنا كانت صحة الأبدان مقدمة على صحة الأديان، وبناء على هذا شرع الإسلام الرخص الكثيرة للإنسان حماية ووقاية لنفسه وجسمه من أن يتطرق إليه الهلاك والضعف أو عجزها عن آداء مهماتها.

ز- ومن أجل المحافظة على النفس الإنسانية، حرّم الإسلام قتل النفس الإنسانية بغير حق ظاهر، وأوجب القتل على من قتل نفساً بغير حق، قال تعالى: ﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ كُتِبَ عَلَيْكُمُ ٱلْقِصَاصُ فِى ٱلْقَتْلَى ۖ ٱلْحُرُّ بِٱلْحُرِّ وَٱلْعَبْدُ بِٱلْعَبْدِ وَٱلْأُنثَىٰ بِٱلْأُنثَىٰ ۚ ﴾ [البقرة: ١٧٨].

كل هذا الذي شرعه الإسلام من أجل المحافظة على النفس الإنسانية، لهو دليل واضح على مدى حرص الإسلام على النفوس البشرية واهتمامه ببقائها، حتى تتمكن من آداء وظيفتها المنوطة بها، ألا وهي عبادة الله وإقامة الخلافة في الأرض.

النوع الثالث: حفظ العقل

العقل: هو القوة المفكرة التي يدرك بها الإنسان حقائق الأشياء، وهو الذي استعد به الإنسان لقبول العلوم النظرية، وتدبير الصناعات الخفية الفكرية(٢).

---

(١) فتحي الدريني، خصائص التشريع الإسلامي في السياسة والحكم، ط٢، بيروت، مؤسسة الرسالة، ١٩٨٧، ص٢٥٢. أصول التشريع الإسلامي، ط١، دمشق، جامعة دمشق، ١٩٧٦، ص٢٨٩-٢٩٠.

(٢) الغزالي، إحياء علوم الدين، ج١، ص٨٥.

ونظراً لأهمية العقل، فقد أوجد الإسلام الوسائل الكثيرة المتنوعة للمحافظة على العقل ووقايته من أن تصيبه آفة تجعل من صاحبه إنساناً لا يعقل ولا يفهم معنى الحياة وبالتالي يصبح عالة على المجتمع.

أهمية العقل:

ترجع أهمية العقل إلى اعتبارات كثيرة أهمها:

١- إن العقل هو أساس الإنسان، فبغيره ينحط الإنسان إلى درجة البهائم وينحدر إلى درجة العجماوات.

وهو مناط التكليف بكل أمر ديني أو دنيوي، وعلى أساسه يتحمل الإنسان المسؤولية الفردية في الحياة وبعد الممات.

٢- يعتبر العقل إحدى مكونات الشخصية الإنسانية وذلك أن العقل علامة دالة على تكليف الإنسان، ففاقد العقل يسقط عنه التكليف الشرعي، وقد ورد عن الرسول ﷺ ما يؤكد ذلك حيث يقول: «إن القلم رفع عن ثلاثة: عن المجنون حتى يفيق، وعن الصبي حتى يدرك، وعن النائم حتى يستيقظ»[(١)].

والإنسان الذي أنعم الله عليه بالعقل يسمى عاقلاً، إذ إنه بالعقل يعرف ما يحيط به. وبه يستطيع أن ينظم المعلومات الواردة إليه، لذلك فالعقل له أهمية بالغة وكبيرة، وبخاصة في توجيه الفرد وتربيته.

٣- والعقل هو القيمة الكبرى في الإنسان، وهو الطريق إلى الإيمان بالله عز وجل من خلال التفكر والتأمل والنظر والبحث في آيات الله عز وجل[(٢)].

وسائل المحافظة على العقل:

ولأهمية العقل، فقد شرع الإسلام وسائل عديدة للمحافظة عليه، نذكرها إجمالاً، وسوف نفصلها عند الحديث عن التربية الوقائية في مجال العقل، وأهم هذه الوسائل:

أ- منع الإسلام وحرّم على الإنسان أن يتناول كل ما من شأنه أن يلحق ضرراً بالعقل،

---

(١) صحيح البخاري، كتاب النكاح، باب الطلاق في الإغلاق، ج٩، ص٣٨٨.

(٢) وهبة الزحيلي، الأصول العامة لوحدة الين الحق، ص٦٢.

ويؤثر على قدرته، قال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِنَّمَا ٱلْخَمْرُ وَٱلْمَيْسِرُ وَٱلْأَنصَابُ وَٱلْأَزْلَٰمُ رِجْسٌ مِّنْ عَمَلِ ٱلشَّيْطَٰنِ فَٱجْتَنِبُوهُ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾ [المائدة: ٩٠].

ب- منع الإسلام التضليل الفكري، وبث الأفكار الخبيثة والآراء المشككة من خلال الصحف والمجلات، ووسائل الإعلام المختلف، حفاظاً على العقل وحمايته، من أن يلوث فكرياً، أو فتح المجال أمام أصحاب الأفكار الهدّامة لبث أفكارهم التي تتنافى مع الدين وقيم الحق والخير والفضيلة حتى لا يحدث تشويش أو شك على هذا العقل[1].

ولذلك حذّر الله سبحانه وتعالى من سماع مثل هذه الأفكار المضللة، قال تعالى: ﴿۞ يَٰٓأَيُّهَا ٱلرَّسُولُ لَا يَحْزُنكَ ٱلَّذِينَ يُسَٰرِعُونَ فِى ٱلْكُفْرِ مِنَ ٱلَّذِينَ قَالُوٓاْ ءَامَنَّا بِأَفْوَٰهِهِمْ وَلَمْ تُؤْمِن قُلُوبُهُمْ ۛ وَمِنَ ٱلَّذِينَ هَادُواْ ۛ سَمَّٰعُونَ لِلْكَذِبِ سَمَّٰعُونَ لِقَوْمٍ ءَاخَرِينَ لَمْ يَأْتُوكَ ۖ يُحَرِّفُونَ ٱلْكَلِمَ مِنۢ بَعْدِ مَوَاضِعِهِۦ ۖ يَقُولُونَ إِنْ أُوتِيتُمْ هَٰذَا فَخُذُوهُ وَإِن لَّمْ تُؤْتَوْهُ فَٱحْذَرُواْ ...﴾ [المائدة: ٤١].

ج- ومن أجل المحافظة على العقل، دعا الإسلام إلى تنميته مادياً ومعنوياً، أما تنميته مادياً يتم عن طريق الغذاء الجيد الذي يقوي الجسد، وينشط الذهن، لأن قلة الطعام والأكل، قد توقع الإنسان في حيرة من أمره فلا يستطيع أن يصدر حكماً صحيحاً في مجال القضاء، أو يتأمل ويخشع في أثناء الصلاة، ومن هنا لم يجز الإسلام للقاضي أن يقضي وهو جوعان وأجاز تقديم الطعام على الصلاة، لأن الطعام يحول دون التدبر والخشوع[2].

وأما تنميته معنوياً، يكون بالاهتمام بالعلم والتعلم، والإستزادة من المعرفة ولو استغرق ذلك العمر كله، قال تعالى: ﴿وَقُل رَّبِّ زِدْنِى عِلْمًا﴾ [طه: ١١٤].

وقد حث الإسلام بصورة متواصلة على العناية بتنمية العقل الإنساني، وترقية الشخصية الإنسانية عن طري الضرب في الأرض والتعرف على أحوال الأمم السابقة وطبائعها[3].

قال تعالى: ﴿أَفَلَمْ يَسِيرُواْ فِى ٱلْأَرْضِ فَتَكُونَ لَهُمْ قُلُوبٌ يَعْقِلُونَ بِهَآ أَوْ ءَاذَانٌ يَسْمَعُونَ بِهَا ۖ فَإِنَّهَا لَا تَعْمَى ٱلْأَبْصَٰرُ وَلَٰكِن تَعْمَى ٱلْقُلُوبُ ٱلَّتِى فِى ٱلصُّدُورِ﴾ [الحج: ٤٦].

---

(١) محمد عقلة، الإسلام خصائصه ومقاصده، ص١٩١.

(٢) محمد عقلة، الإسلام خصائصه ومقاصده، ص١٩٢.

(٣) محمد عقلة، الإسلام خصائصه ومقاصده، ص١٩٤.

وقال تعالى: ﴿قُلْ سِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَانظُرُوا كَيْفَ بَدَأَ الْخَلْقَ ثُمَّ اللَّهُ يُنشِئُ النَّشْأَةَ الْآخِرَةَ إِنَّ اللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ [العنكبوت: ٢٠].

ومن أجل تنمية العقل الإنساني، فقد فتح الإسلام باب الاجتهاد، إهتماماً به، وأعطاه دوره في استنباط الأحكام الشرعية، وهذا يجعل الإسلام يتصدى لكل مشكلة أو مسألة أو قضية تستجد في كل عصر ومكان.

النوع الرابع: حفظ النسل أو العرض

العرض: ما يجب على الإنسان صيانته وحفظه، وحمايته من الأذى، والانتقاص، سواء في النفس أو القرابة القريبة[١].

أ- أهمية النسب (العرض):

وقد أولى الإسلام العرض أهمية كبيرة وجعل ذلك من أهم قيم الحياة الإنسانية، وقد تبدو أهمية النسل (العرض) من خلال ما يلي:

١- إهتمام الإسلام وعنايته بالنسب وسلامة الأصل والمنشأ الإنساني، حتى يكون المجتمع سليماً من العيوب، ولا تختلط الأنساب، سليم البنية منسجم الأجزاء[٢].

٢- إن العرض هو عنوان الشرف والكرامة، وبالمحافظة عليه تُقتلع بذور الفوضى الجنسية، التي ربما تؤدي إلى القضاء على نظام الأسرة، مما يؤدي إلى بعثرة لبنات المجتمع بحيث لا يربطها رابط[٣].

ب- وسائل حفظ النسل (العرض):

ولأهمية النسل (العرض) في نظر الإسلام فقد شرع الإسلام الزواج للمحافظة عليه، ووقايته، حتى لا تختلط الأنساب، وتضيع بين الناس مما يعيق معرفة الأصل.

وشرع كذلك وجوب التعفف على من لا يجد القدرة على الزواج، لوقايته من الوقوع في المعصية والفساد والإنحلال الخلقي.

---

(١) وهبة الزحيلي، الأصول العامة لوحدة الين الحق، ص١٤٩.
(٢) المرجع السابق، ص١٤٩.
(٣) محمد عقلة، الإسلام خصائصه ومقاصده، ص١٩٩.

وهذا ما نجده في هديه ﷺ: «يا معشر الشباب من استطاع منكم الباءة فليتزوج، فإنه أغض للبصر، وأحصن للفرج ومن لم يستطع فعليه بالصوم، فإنه له وجاء.

ومن أجل المحافظة على الأعراض، فقد حرّم الإسلام الزنا، لأن في الزنا اعتداء على الأعراض، قال تعالى: ﴿ وَلَا تَقْرَبُوا۟ ٱلزِّنَىٰٓ ۖ إِنَّهُۥ كَانَ فَٰحِشَةً وَسَآءَ سَبِيلًا ﴾ [الإسراء: ٣٢].

وحرّم كذلك القذف الذي فيه إعتداء على الأعراض أيضاً، وفيه تجريح وتلويث لسمعة الناس، قال تعالى: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَرْمُونَ ٱلْمُحْصَنَٰتِ ٱلْغَٰفِلَٰتِ ٱلْمُؤْمِنَٰتِ لُعِنُوا۟ فِى ٱلدُّنْيَا وَٱلْءَاخِرَةِ وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴾ [النور: ٢٣].

وبناء على ذلك وحفاظاً على المجتمع ووقايته، فقد قرر عقوبة الزنا والقذف على من يرتكب واحداً منهما، حفظاً للأعراض من أن تلوث، وتدنّس، ولكي يبقى المجتمع المسلم مجتمعاً طاهراً، نقياً، خالياً، من كل ما يدنسه من مثل هذه الرذائل.

النوع الخامس: حفظ المال

المال: «هو كل ما يقع عليه الملك، ويستبدّ به المالك عن غيره، ويختص به دون غيره إذا أخذ المال وجهه ويستوي في ذلك الطعام والشراب واللباس على اختلافها...»[(١)]

ويرجع كون المال إحدى الضروريات الخمس في الحياة، ومن الأمور الجوهرية منها، إلى أن المال في التصور السليم قرين الروح، فهو حصيلة الجهد الإنساني وعصب الحياة، ووسيلة تحقيق الرغائب، ودفع الحوائج»[(٢)].

ومن أجل هذا أعتبر المال في الإسلام احدى الضروريات الخمس التي دعا الإسلام إلى المحافظة عليها, وصونها ووقايتها من كل أمر قد يؤدي إلى إيقاع الضرر بها.

أ- **أهمية المال**: تبدو أهمية المال، بأن جعله الله سبحانه وتعالى متداولاً بين فئات المجتمع، ولم يجعل بأيدي فئة قليلة من الناس.

وبالمال يتحقق العيش في الحياة، ويتوصل الإنسان به إلى غاياته المنشودة، لتحقيق خلافة الله في الأرض.

---

(١) الشاطبي، الموافقات، ج٢، ص٩.

(٢) وهبة الزحيلي، الأصول العامة لوحدة الدين الحق، ص٦٢.

وتبدو أهميته أيضاً، من خلال تعلق الفطرة الإنسانية به، والإنسان بطبعه مجبول على حب التملك وحب المال، قال تعالى: ﴿وَتُحِبُّونَ ٱلْمَالَ حُبًّا جَمًّا﴾ [الفجر: ٢٠]، وقال تعالى: ﴿وَإِنَّهُۥ لِحُبِّ ٱلْخَيْرِ لَشَدِيدٌ﴾ [العاديات: ٨].

والمال مهم للفرد والدولة والمجتمع، أما الفرد فلأن المال به يقوم حياته، ويغطي حاجاته المتنوعة، وأما المجتمع فلأنه لا يتصور قيامه بدون مال، وأما الدولة فلأن المال ملاك أمرها في النهوض بوظائفها. وإقامة مرافقها، وتنفيذ مشاريعها[1].

ب- وسائل حفظ المال:

ولأهمية المال، فقد أوجد الإسلام وسائل عديدة وكثيرة للمحافظة عليه ووقايته، ومن هذه الوسائل التي شرعها الإسلام:

١- شرع الإسلام للمحافظة على المال، التجارة والكسب الحلال المشروع، وأوجب العمل على القادرين عليه، قال تعالى: ﴿هُوَ ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُمُ ٱلْأَرْضَ ذَلُولًا فَٱمْشُوا۟ فِى مَنَاكِبِهَا وَكُلُوا۟ مِن رِّزْقِهِۦ ۖ وَإِلَيْهِ ٱلنُّشُورُ﴾ [الملك: ١٥].

وقال تعالى: ﴿فَإِذَا قُضِيَتِ ٱلصَّلَوٰةُ فَٱنتَشِرُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ وَٱبْتَغُوا۟ مِن فَضْلِ ٱللَّهِ﴾ [الجمعة: ١٠].

٢- شرع الإسلام أحكام البيع، وسائر العقود والمعاملات، من إجارة ورهن ومساقاة ومزارعة، وغيرها لتنمية المال والمحافظة عليه.

٣- حثّ الإسلام على طرق الكسب المشروعة، وحرّم إكتساب المال من الطرق غير المشروعة، وعدّ ذلك حراماً ومخالفاً لأوامر الله عز وجل، قال تعالى: ﴿وَأَحَلَّ ٱللَّهُ ٱلْبَيْعَ وَحَرَّمَ ٱلرِّبَوٰا۟ ۚ﴾ [البقرة: ٢٧٥].

وقال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تَأْكُلُوٓا۟ أَمْوَٰلَكُم بَيْنَكُم بِٱلْبَٰطِلِ إِلَّآ أَن تَكُونَ تِجَٰرَةً عَن تَرَاضٍ مِّنكُمْ ۚ...﴾ [النساء: ٢٩].

وقال تعالى: ﴿وَلَا تَأْكُلُوٓا۟ أَمْوَٰلَكُم بَيْنَكُم بِٱلْبَٰطِلِ وَتُدْلُوا۟ بِهَآ إِلَى ٱلْحُكَّامِ لِتَأْكُلُوا۟ فَرِيقًا مِّنْ أَمْوَٰلِ ٱلنَّاسِ بِٱلْإِثْمِ وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ [البقرة: ١٨٨].

---

(١) فتحي الدريني، خصائص التشريع الإسلامي، ص٢٢٨-٢٢٩.

٤- وكما حرم الإسلام الربا، فقد حرم الإحتكار، قال ﷺ: «لا يحتكر إلا خاطيء»[(١)]، وحرّم القمار وغيرها.

قال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِنَّمَا ٱلۡخَمۡرُ وَٱلۡمَيۡسِرُ وَٱلۡأَنصَابُ وَٱلۡأَزۡلَٰمُ رِجۡسٞ مِّنۡ عَمَلِ ٱلشَّيۡطَٰنِ فَٱجۡتَنِبُوهُ﴾ [المائدة: ٩٠].

٥- وشرع الإسلام كذلك، وقاية للمال ومحافظة عليه حد السرقة، والعقوبات التعزيزية الأخرى، قال تعالى: ﴿وَٱلسَّارِقُ وَٱلسَّارِقَةُ فَٱقۡطَعُوٓاْ أَيۡدِيَهُمَا﴾ [المائدة: ٣٨].

٦- تحريم إتلاف مال الغير، وإيجاب الضمان على من يتلفه، فلا يحق لمسلم أن يعتدي على مال أخيه المسلم بالإتلاف، كقطع شجرة، أو أكل ماشيته لزرعه، أو قتل دابته، أو إتلاف بضاعته، وذلك بقصد الأذى دون أن يكون هناك مبرر شرعي[(٢)].

قال ﷺ: «كل المسلم على المسلم حرام، عرضه وماله ودمه»[(٣)].

٧- وأوجب الإسلام على المسلم إنفاق ماله في الوجوه المشروعة، قال تعالى: ﴿وَأَنفِقُواْ مِمَّا جَعَلَكُم مُّسۡتَخۡلَفِينَ فِيهِۖ﴾ [الحديد: ٧]، وحرّم عليه إنفاق المال في الوجوه غير المشروعة، كشرب الخمر والرشوة وغيرها، قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ يُنفِقُونَ أَمۡوَٰلَهُمۡ لِيَصُدُّواْ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِۚ فَسَيُنفِقُونَهَا ثُمَّ تَكُونُ عَلَيۡهِمۡ حَسۡرَةٗ ثُمَّ يُغۡلَبُونَۗ﴾ [الأنفال: ٣٦].

٨- شرع الإسلام الأحكام الشرعية، التي تكفل حفظ المال ووقايته وصيانته وبخاصة إذا كان المال بأيدي أناس لا يحسنون التصرف بهذا المال، مثل الصغير، والمجنون، ومن في حكمهم كالسفيه، وغيرهم.

قال تعالى: ﴿وَٱبۡتَلُواْ ٱلۡيَتَٰمَىٰ حَتَّىٰٓ إِذَا بَلَغُواْ ٱلنِّكَاحَ فَإِنۡ ءَانَسۡتُم مِّنۡهُمۡ رُشۡدٗا فَٱدۡفَعُوٓاْ إِلَيۡهِمۡ أَمۡوَٰلَهُمۡۖ وَلَا تَأۡكُلُوهَآ إِسۡرَافٗا وَبِدَارًا أَن يَكۡبَرُواْۚ وَمَن كَانَ غَنِيّٗا فَلۡيَسۡتَعۡفِفۡۖ وَمَن كَانَ فَقِيرٗا فَلۡيَأۡكُلۡ بِٱلۡمَعۡرُوفِۚ فَإِذَا دَفَعۡتُمۡ إِلَيۡهِمۡ أَمۡوَٰلَهُمۡ فَأَشۡهِدُواْ عَلَيۡهِمۡۚ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ حَسِيبٗا﴾ [النساء: ٦].

وقال تعالى: ﴿وَلَا تُؤۡتُواْ ٱلسُّفَهَآءَ أَمۡوَٰلَكُمُ ٱلَّتِي جَعَلَ ٱللَّهُ لَكُمۡ قِيَٰمٗا وَٱرۡزُقُوهُمۡ فِيهَا وَٱكۡسُوهُمۡ وَقُولُواْ لَهُمۡ قَوۡلٗا

---

(١) صحيح مسلم، كتاب المزارعة، باب النهي عن الاحتكار، ج١١، ص٤٣.

(٢) محمد عقله، الإسلام خصائصه ومقاصده، ص٢١١.

(٣) أبو عيسى محمد بن عيسى الترمذي، الجامع الصحيح، تحقيق: عبد الرحمٰن محمد عثمان، كتاب البر والصلة، باب ما جاء في شفقة المسلم، ط٢، بيروت، دار الفكر، ١٩٨٣، ج٣، ص٢١٨.

﴿مَّعْرُوفًا﴾ [النساء: ٥].

وتحقيقاً للغاية نفسها، وجدنا الشريعة تحجر على مال المريض حجراً جزئياً، في أثناء مرض موته، لأن الحالة التي هو فيها تثير احتمال أن يكون تصرفه في غير المصلحة، ومُنع ذلك عليه أن يوصي بأكثر من ثلث ماله، وذلك لحق الورثة في المال[١].

---

(١) محمد عقلة، الإسلام خصائصه ومقاصده، ص٢١٩.

الفصل الرابع

أصول التربية الوقائية وأساليبها

ويشمل المبحثين التاليين:

المبحث الأول: أصول التربية الوقائية في القرآن الكريم والسنة النبوية

المبحث الثاني: أساليب التربية الوقائية

تمهيد

لقد ركز القرآن الكريم من خلال سوره على الجانب الوقائي للإنسان الفرد والمجتمع على حد سواء، من أجل أن يبقى المجتمع متماسكاً قوياً، خالياً من الأمراض والآثام والمعاصي والانحلال الخلقي وغير ذلك.

والقرآن الكريم بهذا النهج الرباني إنما يعمد إلى تجنيب الفرد والمجتمع على حد سواء الأسباب والعوامل المؤدية إلى المرض بشتى أنواعه وأشكاله، سواء أكان المرض في العقيدة، أو النفس أو الجسد أو العقل والفكر، حتى لا يتحول المجتمع كله إلى مجتمع مريض موبؤ.

وينطبق هذا على السنة النبوية، حيث جاءت السنة النبوية مليئة بالتدابير الوقائية والاحترازية التي تدعو الفرد المسلم إلى الأخذ بها قبل وقوع الجريمة أو المشكلة أو قبل وقوعه في المعصية والذنوب.

وقد جاءت السنة النبوية زاخرة بمثل هذه الوصايا الوقائية في مختلف مجالات الحياة المختلفة:

وهذا يؤكد أن التربية الإسلامية تهدف إلى قطع الطريق على العلة قبل حدوثها، وتقي الأفراد والمجتمع منها قبل وقوعها، حتى تبقى البيئة الإسلامية معافاة سليمة من الأمراض والعلل والمشكلات والآفات التي تفتك المجتمعات الأخرى.

وكما أن القرآن الكريم والسنة النبوية أرسيا أصول التربية الوقائية وقواعدها، فقد تضمنا أيضاً الأساليب التربوية الوقائية المؤثرة والبليغة، التي ربت النفوس وسمت بها: حتى أصبح المجتمع المسلم مجتمعاً فاضلاً، بعيداً عن كل أسباب الفرقة والخلاف والفساد.

المبحث الأول

أصول التربية الوقائية في القرآن والسنة

أولاً: حفظ العقيدة:

قال تعالى: ﴿ ذَٰلِكَ وَمَن يُعَظِّمْ حُرُمَٰتِ ٱللَّهِ فَهُوَ خَيْرٌ لَّهُۥ عِندَ رَبِّهِۦ ۗ وَأُحِلَّتْ لَكُمُ ٱلْأَنْعَٰمُ إِلَّا مَا يُتْلَىٰ عَلَيْكُمْ ۖ فَٱجْتَنِبُوا۟ ٱلرِّجْسَ مِنَ ٱلْأَوْثَٰنِ وَٱجْتَنِبُوا۟ قَوْلَ ٱلزُّورِ ﴾ [الحج: ٣٠].

قال تعالى: ﴿ وَإِذْ قَالَ لُقْمَٰنُ لِٱبْنِهِۦ وَهُوَ يَعِظُهُۥ يَٰبُنَىَّ لَا تُشْرِكْ بِٱللَّهِ ۖ إِنَّ ٱلشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ ﴾ [لقمان: ١٣].

وقال تعالى: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِۦ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُ ﴾ [النساء: ٤٨].

قال ﷺ: «إن الرقى والتمائم والتّولة شرك»[(١)].

تعظيم حرمات الله عز وجل خير عند الله خير في عالم الضمير والمشاعر، وفي عالم الحياة والواقع، والضمير الذي يتحرج هو الضمير الذي يتطهر، والحياة التي ترعى فيها حرمات الله، هي الحياة التي يأمن فيها البشر من البغي والاعتداء، ويجدون فيها الأمن، والسلام، والاطمئنان.

والرجس دنس النفس، والشرك بالله دنس يصيب الضمير، ويلوث القلوب، ويشوب نقاءها، وطهارتها، كما تشوب النجاسة الثوب والمكان.

ولأن الشرك افتراء على الله وزور، فإنه يحذر منه، ويريد الله عز وجل، من الناس أن يميلوا عن الشرك كله، وأن يستقيموا على التوحيد الصادق، حماية لهم من الشرك، وحماية لهم من الوقوع فيه، لأنه محبط لجميع الأعمال، ومعرض الإنسان إلى عقاب الله عز وجل[(٢)].

---

(١) أحمد بن حنبل، المسند، (د. ط)، بيروت، المكتب الإسلامي، (د. ت)، جـ ١، ص ٣٨.

(٢) سيد قطب، في ظلال القرآن، ط٧، بيروت إدارة إحياء التراث العربي، ١٩٧١، جـ ٥، ص ٥٩٦- ٥٩٧.

وحذر منه الله عز وجل، وقاية للإنسان من أن ينزل النفس التي كرمها الله عز وجل، أو لأنه وضع العبادة في غير موضعها، وهي غير وجه الله وسبيله[١].

ونهى الله عز وجل عن الشرك وحرّمه: وجعله ظلما، لأن الشرك كفر، ومن أجل سد باب الكفر، حرصاً على وقاية الإنسان من الوقوع فيه، وبخاصة إذا علم الذي يشرك بالله عز وجل ومات على ذلك، أن الله لا يغفر له ذلك، ويخلده في نار جهنم، وتمهيداً لتشنيع حال الذين فضلوا الشرك على الإيمان[٢].

وجاء التحذير من الشرك، وقاية للإنسان من الخضوع إلى سلطة غير الله عز وجل ويرجى من صاحبها، ويخشى منه ما تعجز المخلوقات عن مثله، وهذه السلطة لا تكون إلا لله عز وجل، فلا يرجى غيره ولا يخشى سواه[٣].

وقد جاء التشديد من الله عز وجل على ذلك، حتى حكم على فاعله بعدم المغفرة، لأن الدين شرع لتزكية نفوس الناس، وتطهير أرواحهم، وترقية عقولهم والشرك هو منتهى ما تهبط إليه عقول البشر وأفكارهم ونفوسهم، ومنه تتولد جميع الرذائل التي تفسد البشر في أفرادهم ومجتمعاتهم، لأنه عبارة عن رفعهم لأفراد بينهم أو لبعض المخلوقات التي هي دونهم أو مثلهم إلى مرتبة يقدسونها، ويخضعون لها، وهذا هو سبب في استبداد رؤساء الدين والدنيا بالأقوام والأمم، واستعبادهم إياهم، وتصرفهم في أنفسهم وأموالهم ومصالحهم ومنافعهم، ناهيك عن الأخلاق والرذائل من الذل والمهانة والدناءة والتملق والكذب...[٤].

وذلك حفاظاً على الإنسان من أن يوجه عمله لغير الله عز وجل، وأن غير الله عز وجل يضر وينفع، وبيده كل شيء، وقاية الإنسان من أن يلجأ إلى غير الله عز وجل.

ومن أجل المحافظة على التوحيد، خالصاً، والإنسان من النفاق، حرم الله عز وجل الرياء.

---

(١) فخر الدين محمد الرازي، التفسير الكبير ومفاتيح الغيب، ط١، بيروت: دار الفكر، ١٩٨١، جـ ١٢، ص١٤٧.

(٢) محمد بن محمد العماد (أبو السعود)، إرشاد العقل السليم إلى مزايا القرآن العظيم، (د. ط)، بيروت، دار إحياء التراث العربي، (د. ت)، جـ ١، ص ١٨٧. محمد الطاهر بن عاشور، تفسير التحرير والتنوير، (د. ط)، تونس، الدار التونسية للنشر، ١٩٨٤، جـ٥، ص ٨١.

(٣) محمد رشيد رضا، تفسير المنار، ط٢، بيروت، دار العرفة، ١٩٧٣، جـ ٥، ص ٨٢.

(٤) محمد رشيد رضا، تفسير المنار، جـ ٥، ص ١٤٨ - ١٤٩.

قال تعالى: ﴿ فَمَن كَانَ يَرْجُواْ لِقَآءَ رَبِّهِۦ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَٰلِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِۦٓ أَحَدًا ﴾ [الكهف: ١١٠].

لأن الرياء داء خطير على الإنسان الذي يتصف به لأن عمله لا يكون خالصاً لله تعالى، وإنما يعمل من أجل الناس، ويزيد في العمل إذا أثنى عليه الناس، وهو يطلب المنزلة في قلوب الناس، وليس يطلب ذلك من الله عز وجل.

والرياء محبط للعمل الذي يرافقه، لهذا -من باب الوقاية للإنسان وحرصاً على ما يقوم به من أعمال-، حرم الإسلام الرياء ونهى عنه لأن المرائي يغش نفسه أولا، ويغش الناس ثانيا، ثم ينتقل هذا الغش إلى الأمة، وهو أمر خطير إذا اتصف به المسلم.

وحفاظاً على الدين، نهى الإسلام عن الإكراه في الدين، لأن الإكراه يجعل الإنسان يدخل في الدين من غير قناعة، وهذا ينعكس سلبياً على الإنسان المكره على ذلك في الواقع العملي والتطبيقي.

وربما يكون انتماؤه إلى غير المسلمين، وإنما إلى الدين الذي كان ينتمي إليه سابقاً، وهذا يشكل خطراً على واقع حياة المسلمين. لهذا وقاية وحفاظاً على المجتمع المسلم من كل هذا، نهى الإسلام عن الإكراه في الدين.

قال تعالى: ﴿ لَآ إِكْرَاهَ فِى ٱلدِّينِ ۖ قَد تَّبَيَّنَ ٱلرُّشْدُ مِنَ ٱلْغَىِّ ۚ ... ﴾ [البقرة: ٢٥٦].

وحفاظاً على الدين، ووقاية له، نهى الإسلام عن الغلو والتشدد والتنطع في الدين، لما في ذلك من خطر قد يعود على المسلم.

قال ﷺ: «إن الدين يسر ولن يُشاد الدين أحد إلا غلبه، فسدوا وقاربوا، وابشروا واستعينوا بالغدوة والروحة، وشيء من الدلجة»[1].

قال ابن المنبر: (رأى الناس ورأينا أن كل متنطع في الدين ينقطع، وليس المراد منه طلب الأكمل في العبادة فإنه من الأمور المحمودة، بل منع الإفراط المؤدي إلى الملال، أو المبالغة في التنطع المفضي إلى ترك الأفضل، ولكن على المسلم الصواب من غير إفراط ولا تفريط،

---

(١) صحيح البخاري، كتاب الإيمان، باب الدين يسر، جـ ١، ص ٩٣.

أي الوسيطة، أي إن لم تستطيعوا الأخذ بالأكمل فاعملوا بما يقرب منه)[1].

وهذا دعوة إلى الوسطية في الدين، وتحذير المسلم من الغلو فيه، من أجل أن ينفذ الإنسان أوامر الله عز وجل، وعدم مخالفة أمره.

قال ﷺ: «إياكم والغلو فإنما هلك من كان قبلكم بالغلو في الدين»[2].

وقال ﷺ: «هلك المتنطعون» قالها ثلاثاً[3].

لأن التنطع في الدين، والتشديد في الدين، والمغالاة فيه، قد يعود بنتيجة عكسية على المسلم، وبالتالي يترك الواجبات، والأوامر، ولهذا نهى الإسلام عنه، حماية للدين.

وبعد هذا يتبين أن التوحيد له أثار كبيرة جداً في حياة الفرد والمجتمع تعود بالخير والنفع عليهم ومنها:

١- التوحيد يساهم في تكون الشخصية المتزنة، فليس لها إلا إله واحد، يتجه إليه في الخلوة ويدعوه في السر والعلن، ويحررها من الذل والعبودية ومن الأوهام والخرافات، ومن تسلط الأرباب المتألهين على عباد الله.

٢- التوحيد مصدر الأمن للنفس، يحل في النفس أمناً وطمأنينة، فلا تستبد به المخاوف التي تسلط على أهل الشرك، فقد سد منافذ الخوف التي جلبها الناس على أنفسهم، الخوف على الرزق، الأجل، والخوف على النفس، الأهل والأولاد، المؤمن لا يخشى منها شيئاً، تراه آمناً، مطمئناً، إذا قلق الناس، هادئاً، إذا احتقر الناس.

٣- الشرك مصدر للمخاوف، والتوحيد مصدر للأمن، لأن الذي يعتقد بالمعتقدات الباطلة، كالبقر والحجارة، وغيرها لا تضر وتنفع، يصبح خائفاً من جهات شتى، من الإله والأوهام، التي ينشرها الكهان المشعوذين، وأتباعهم، ولهذا ينتشر في جو الشرك التطير والتشاؤم والرعب.

قال تعالى: ﴿ سَنُلْقِي فِي قُلُوبِ الَّذِينَ كَفَرُوا الرُّعْبَ بِمَا أَشْرَكُوا بِاللَّهِ مَا لَمْ يُنَزِّلْ بِهِ

---

(١) المرجع السابق، الفتح، جـ١، ص ٩٥.

(٢) أحمد بن حنبل، المسند، جـ ١، ص ٣٤٧.

(٣) صحيح مسلم، (النووي)، كتاب العلم، باب هلك المتنطعون، كتاب باب، جـ١٦، ص ٢٢٠.

سُلۡطَـٰنٗاۖ﴾ [آل عمران: ١٥١].

والشرك معطل لإيجابية الإنسان، واعتماده على نفسه، بغير الله، لأنه يعلم أصحابه الاتكال على الشفعاء والوسطاء، فهم يرتكبون الموبقات ويقترفون الآثام معتمدين على آلهتهم سنداً لهم[(١)] .

قال تعالى: ﴿ وَيَعۡبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَا يَضُرُّهُمۡ وَلَا يَنفَعُهُمۡ وَيَقُولُونَ هَٰٓؤُلَآءِ شُفَعَٰٓؤُنَا عِندَ ٱللَّهِۚ﴾ [يونس: ١٨].

ثانياً: العبادات:

قال تعالى: ﴿ وَأَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَۖ إِنَّ ٱلصَّلَوٰةَ تَنۡهَىٰ عَنِ ٱلۡفَحۡشَآءِ وَٱلۡمُنكَرِۗ وَلَذِكۡرُ ٱللَّهِ أَكۡبَرُۗ وَٱللَّهُ يَعۡلَمُ مَا تَصۡنَعُونَ﴾ [العنكبوت: ٤٥].

وقال تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُتِبَ عَلَيۡكُمُ ٱلصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِكُمۡ لَعَلَّكُمۡ تَتَّقُونَ﴾ [البقرة: ١٨٣].

وقال تعالى: ﴿ خُذۡ مِنۡ أَمۡوَٰلِهِمۡ صَدَقَةٗ تُطَهِّرُهُمۡ وَتُزَكِّيهِم بِهَا. . . ﴾ [التوبة: ١٠٣].

وقال تعالى: ﴿ ٱلۡحَجُّ أَشۡهُرٞ مَّعۡلُومَٰتٞۚ فَمَن فَرَضَ فِيهِنَّ ٱلۡحَجَّ فَلَا رَفَثَ وَلَا فُسُوقَ وَلَا جِدَالَ فِي ٱلۡحَجِّۗ وَمَا تَفۡعَلُواْ مِنۡ خَيۡرٖ يَعۡلَمۡهُ ٱللَّهُۗ﴾ [البقرة: ١٩٧].

لأن هذه الفرائض التي فرضها الله عز وجل، تكون بمثابة الحصن المنيع والسياج الواقي للمسلم من الوقوع في الآثام والمعاصي.

فالصلاة اتصال بالله عز وجل، حين تقام تنهى عن الفحشاء والمنكر، فتجعل صاحبها يستحي أن يصطحب معه كبائر الذنوب وصغائرها، ليلقي الله عز وجل بها، وهي تطهر وتجرد لا يتسق معها دنس الفحشاء والمنكر[(٢)].

والصلاة تكون سبباً للانتهاء عن ذلك، من يؤديها خاشعاً بالقلب والجوارح، تكون له سياجاً واقياً، ومانعاً من الوقوع في المعصية.

---

(١) يوسف القرضاوي، حقيقة التوحيد، ط٧، القاهرة، مكتبة وهبة، ١٩٨٩، ص ٨١- ٩١.

(٢) سيد قطب، في ظلال القرآن، جـ ٦، ص ٤١٣.

والصيام شرعه الله عز وجل، رحمة للعباد، وإحسان إليهم، وجُنة لهم لأن المقصود من الصيام، حبس النفس عن الشهوات وفطمها عن المألوفات، وتعديل قوتها الشهوانية، لتستعد لطلب ما فيه غاية سعادتها ونعيمها، وتضييق مجاری الشيطان من العبد، بتضييق مجاري الطعام والشراب، وحبس قوى الأعضاء عن استرسالها لحكم الطبيعة.

وللصيام تأثير عميق في حفظ الجوارح الظاهرة، والقوة الباطنة وحمايتها عن التخليط، ويحفظ على القلب والجوارح صمتها، وهو أكبر العون على التقوى[1].

والصوم هو مجال تقرير الإرداة العازمة الجازمة، ومجال اتصال الإنسان بربه عز وجل، أفضل طاعة وانقياد، كما أنه الاستعلاء على ضرورات الجسد كلها، واحتمال ضغطها وقفلها[2].

والحج، عبادة قررها الله عز وجل، ليحفظ الإنسان المسلم من المعاصي والاثام، وبخاصة أن الذي أوجب الحج على نفسه، يجب عليه أن يبتعد عن كل ما ينغص عليه حجه، من مقدمات القول الفاحش، وجدال ومخاصمة وغير ذلك.

وفي هذا حث على الخير عقيب النهي عن الشر، وأن تستعملوا مكان القبيح من الكلام الحسن، ومكان الفسوق البر والتقوى، ومكان الجدال الوفاق والأخلاق الجميلة، لأن الإقبال على الله عز وجل بهذه الهيئة، والقيام بالمناسك على الوجه المشروع يمحو من النفوس آثار الذنوب وظلمتها، ويدخلها في حياة جديدة[3].

وفي ذلك يكون الحج تربية واقية للمسلم، يحفظ عليه دينه، وعبادته، من كل المنغصات التي تنغص عليه حجه من جدال، ورفث، وفسوق، وغير ذلك من الرذائل.

والزكاة طهرة للمسلم من الآثام، حيث جعلت الصدقة طهرة لأوساخ الناس، فإذا أخذت الصدقة اندفعت تلك الأوساخ، مكان اندفاعها جارياً مجرى التطهير، وتطهرهم عن نجاسة الذنب والمعصية[4].

---

(١) محمد جمال الدين القاسمي، محاسن التأويل، ط٢، بيروت، دار الفكر، ١٩٧٨، جـ ٣، ص ٧٤- ٧٥.

(٢) سيد قطب، في ظلال القرآن، جـ ٣، ص ١٥٢.

(٣) القاسمي، محاسن التأويل، جـ ٣، ص ١٥٣.

(٤) فخر الدين الرازي، التفسير الكبير ومفاتيح الغيب، ط١، بيروت، دار الفكر، ١٩٨١، جـ ١٦، ص١٨٣-١٨٤.

والزكاة وقاية للمسلم من الشح والبخل، وتطهيرٌ له من أرجاس الذنوب لأن الإنسان مفطور على حب المال، والشح آفة خطيرة على المجتمع، قد تدفع من اتصف بها إلى الدم فيُسفكه، وإلى الشرف فيدنسه، وإلى الدين فيبيعه، وإلى الوطن فيخونه، ولهذا فإن الزكاة وقاية للمال، وتطهيرٌ للمسلم من الشح، وحفظٌ لدينه ونفسه ووطنه وعرضه[1].

والزكاة وقاية للإنسان من حب الدنيا، والتكالب عليها، لأن حب المال يذهل النفس عن حب الله عز وجل، وينسيه الآخرة، وحب المال داء تصاب به الأمم ويقعدها عن القتال، ويضعفها، وهذا ما أكده الرسول ﷺ.

والزكاة تقي المجتمع المسلم من الفقر، الذي يصيب المسلمين ويحل بهم، فيعجزهم عن أداء واجبهم في الحياة، وتقيه من سلوك الطرق غير المشروعة في الحصول على المال.

والزكاة تطهير لآخذها من داء الحسد والكراهية والبغضاء، فالإنسان الذي أصابه الفقر ويرى من حوله ينعمون ويتلذذون بصنوف العيش المختلفة ويغدقون على أنفسهم وأهليهم بالمال، ولا يعطون هؤلاء المحتاجين، فيتولد عندهم الحقد والكراهية والكره، وهذا نذير بتفكك المجتمع وضياعه، ويعد عاملا من أهم عوامل بقائه وتماسكه وهو التعاون[2].

والزكاة تكافل اجتماعي بين المسلمين، ودعوة إلى التعاون، والتكافل، فيما بينهم، وهذا يزيد من اتحادهم وتقاربهم، ويبعد عنهم التفرق والبغضاء والكراهية.

والزكاة نظام اجتماعي، يعمل على تأمين أبناء المجتمع ضد العجز الحقيقي والحكمي، وضد الكوارث والجوائح، ويحقق بينهم التضامن الإنساني، الذي يعيش فيه الواحد المعدم، ويأخذ القوى بيد الضعيف والمسكين وابن السبيل ويقرب المسافة بين الأغنياء والفقراء، ويعمل على إزالة الحسد والكراهية والضغينة بين القادرين والعاجزين[3].

وقد قال ليودروش: (لقد وجدت في الإسلام حل المشكلتين الاجتماعيتين اللتين تشغلان العالم، الأول: قول القرآن: ﴿إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ﴾ [الحجرات: ١٠] فهذا أجمل مبادىء

---

(١) يوسف القرضاوي، فقه الزكاة، ط٦، بيروت، مؤسسة الرسالة، ١٩٨١، جـ ٢، ص ٨٥٨.

(٢) عبد الله محمد الطيار، الزكاة، (د. ط)، الرياض، مركز البحوث جامعة الإمام محمد بن سعود، ١٩٨٧، ص ١٨٤.

(٣) يوسف القرضاوي، فقه الزكاة، جـ ٢، ص ١١٢٠.

التعاون، والثانية: فرض الزكاة على كل ذي مال وتخويل الفقراء حق أخذها غصباً، إن امتنع الأغنياء عن دفعها طوعاً، وهذا دواء الفوضوية)[1] .

ثالثا: حفظ النفس:

قال تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ قُوٓاْ أَنفُسَكُمۡ وَأَهۡلِيكُمۡ نَارٗا. . . ﴾ [التحريم: ٦].

وقال تعالى: ﴿ وَلَكُمۡ فِي ٱلۡقِصَاصِ حَيَوٰةٞ يَٰٓأُوْلِي ٱلۡأَلۡبَٰبِ لَعَلَّكُمۡ تَتَّقُونَ﴾ [البقرة: ١٧٩].

ففي الآية الأولى: تبين أن المؤمن مكلف هداية أهله وإصلاح بيته، وهذا يعني أن المسلم مسؤول عن أسرته، ويجب عليه أن يعلمهم ويبين لهم الطريق المستقيم، لأن البيت المسلم نواة الجماعة المسلمة.

والبيت حصن من حصون المجتمع، ولا بد لهذا الحصن أن يكون متماسكاً من الداخل وهذا يتطلب من المسلم ألاّ يغفل دوره في أهله وأسرته.

وحتى يستطيع المسلم أن يقي أهل بيته من النار، فيجب عليه أن يبحث أولا عن حارس أمين لهذه الأسرة، ألا وهي الأم صاحبة الدين والخلق، لكي يُنشى بيتاً يقوم على الحق والفضيلة، وتعينه على بناء بيت مسلم وعلى إنشاء أسرة مسلمة[2].

ومعنى هذا أن تعلمهم وتأمرهم، وتنهاهم، قال أبو بكر: وهذا يدل على أنّ علينا تعليم أولادنا، وأهلينا الدين، والخير، وما لا يستغني عنه من الآداب[3].

وبالتعلم هذا، وتربيتهم التربية السليمة الصحيحة، وتعليمهم أحكام الشرع وتعويدهم عليها، وقاية لهم، والوقوع في المعصية المؤدية إلى النار.

اجعلوا بينكم وبينها وقاية، قوا أنفسكم بفعالكم، وأهليكم بوصيتكم إياهم، فعلى الرجل أن يصلح نفسه بالطاعة، ويصلح أهله ويعلمهم الصلاة، والصيام ويؤدب أهله وولده في مصلحتهم وما يصلحهم[4].

---

(١) يوسف القرضاوي، فقه الزكاة، جـ ٢، ص ١١٢٢.

(٢) سيد قطب، في ظلال القرآن، جـ ٨، ص ١٧١- ١٧٢.

(٣) أبو بكر أحمد بن علي الجصاص، أحكام القرآن، تحقيق. محمد الصادق قمحاوي، (د. ط)، بيروت: دار إحياء التراث العربي، ١٩٨٥، جـ ٥، ص ٣٦٤.

(٤) أبو بكر محمد بن عبد الله بن العربي، أحكام القرآن، تحقيق علي محمد البجاوي، (د. ط)، بيروت، دار المعرفة، (د. ت)، جـ ٤، ص ١٨٥.

المبحث الأول
أصول التربية الوقائية

إقرار عقوبة القصاص فيها حفظ للنفس الإنسانية، التي حرم الله عز وجل قتلها وإزهاق روحها إلا بالحق، قال تعالى: ﴿وَلَا يَقْتُلُونَ ٱلنَّفْسَ ٱلَّتِي حَرَّمَ ٱللَّهُ إِلَّا بِٱلْحَقِّ﴾ [الفرقان: ٦٨].

ومعنى هذا أن القاتل إذا عرف أنه يقتل كفّ، فكان في ذلك حياة له وللمقتول، إذا كف القصاص الجاني عن إزهاق حياة واحدة، فقد كفه عن الاعتداء على الحياة كلها، وكان في هذا الكف حياة مطلقة لا حياة فرد ولا حياة أسرة، بل حياة شاملة.

والقصاص هو الرباط الذي يعقل النفوس عن الاعتداء، والاعتداء بالقتل ابتداء والاعتداء بالثأر أخيرا، وبغير هذا القانون لا تقوم شريعة ولا يفلح قانون، ويتحرج متحرج، وهذا ما يفسر لنا ندرة الجرائم التي أقيمت فيها الحدود في عهد الرسول ﷺ وعهد الخلفاء، ومعظمها كان مصحوباً باعتراف الجاني نفسه طائعاً مختاراً، لقد كانت هناك التقوى، وكانت في الحارس اليقظ، داخل الضمائر إلى جانب الشريعة البصيرة بخفايا الفطرة، ومكنونات القلوب[1].

ويعتبر قتل النفس بغير حق، من أشد واخطر الجرائم إخلالا بالأمن، ولذا جاء الإسلام بتشريعه العادل في عقوبة القتل، من أجل المحافظة على الأمن والاستقرار في المجتمع الإسلامي.

ومن أجل وقاية النفس والمحافظة عليها، حرّم الإسلام جميع الأشياء التي تؤدي إلى إيذائها أو الإضرار بها.

فقد حرم الميتة، والدم ولحم الخنزير، لأن هذه الأشياء تؤدي إلى الإضرار بالنفس، قال تعالى: ﴿حُرِّمَتْ عَلَيْكُمُ ٱلْمَيْتَةُ وَٱلدَّمُ وَلَحْمُ ٱلْخِنزِيرِ وَمَآ أُهِلَّ لِغَيْرِ ٱللَّهِ بِهِۦ وَٱلْمُنْخَنِقَةُ وَٱلْمَوْقُوذَةُ وَٱلْمُتَرَدِّيَةُ وَٱلنَّطِيحَةُ﴾ [المائدة: ٣].

---

(١) تقي الدين أحمد بن تيمية، التفسير الكبير، تحقيق عبد الرحمن عميرة، ط١، بيروت، دار الكتب العلمية، ١٩٨٨، جـ ٣، ص ٤٥.

والله عز وجل لا يحرم إلا الخبائث، سواء وصل العلم البشري إلى حكمة هذا التحريم أم لم يصل، فقد قرر العلم الإلهي، أن هذه المطاعم ليست طيبة، وهذا وحده يكفي.

والله عز وجل لا يحرم إلا ما يؤذي الحياة البشرية في جانب من جوانبها سواء علم الناس بهذا الأذى أو جهلوه[1].

ومعنى هذا أن الإسلام قد ربى أبناءه على كراهية هذه الأمور لأنها تؤدي إلى إيذاء النفس الإنسانية، فقبلوا ذلك وحفظوا أنفسهم من كل هذا، حتى غدا المجتمع الإسلامي مجتمعاً قوياً، خالياً مما يفتك بأبنائه من الأمراض وأنواع الأذى الأخرى.

رابعاً: حفظ المال

وكما وضع الإسلام التدابير الوقائية، والتزم بها أبناؤه في مجال حفظ الصحة الجسمية فقد وضع تدابير وقائية في مجال حفظ المال، للمحافظة عليه.

فقد حرم السرقة، وحرم الربا، والميسر، والرشوة، وكل أشكال أكل أموال الناس بالباطل.

قال تعالى: ﴿ وَٱلسَّارِقُ وَٱلسَّارِقَةُ فَٱقْطَعُوٓاْ أَيْدِيَهُمَا جَزَآءَۢ بِمَا كَسَبَا نَكَٰلًا مِّنَ ٱللَّهِ ۗ وَٱللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾ [المائدة: ٣٨].

وقال تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَذَرُواْ مَا بَقِيَ مِنَ ٱلرِّبَوٰٓاْ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴾ [البقرة: ٢٧٨].

وقال تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِنَّمَا ٱلْخَمْرُ وَٱلْمَيْسِرُ وَٱلْأَنصَابُ وَٱلْأَزْلَٰمُ رِجْسٌ مِّنْ عَمَلِ ٱلشَّيْطَٰنِ فَٱجْتَنِبُوهُ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾ [المائدة: ٩٠].

قال تعالى: ﴿ وَلَا تَأْكُلُوٓاْ أَمْوَٰلَكُم بَيْنَكُم بِٱلْبَٰطِلِ وَتُدْلُواْ بِهَآ إِلَى ٱلْحُكَّامِ لِتَأْكُلُواْ فَرِيقًا مِّنْ أَمْوَٰلِ ٱلنَّاسِ بِٱلْإِثْمِ وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ [البقرة: ١٨٨].

وقال ﷺ: «لعنة الله على الراشي والمرتشي»[2].

---

(١) سيد قطب، في ظلال القرآن، جـ ٢، ص ٦٤٨.

(٢) محمد ناصر الدين الألباني، صحيح ابن ماجة، بيروت، المكتب الإسلامي، ١٩٨٦، جـ ٢، ص ٣٤.

وقال ﷺ: «ولا يسرق السارق حين يسرق وهو مؤمن»[1].

فشرع حد السرقة من أجل المحافظة على المال، ليكون رادعاً وواقياً للإنسان من أن يقدم على مثل هذه الأمر، وبخاصة إذا رأى حد القطع يطبق بعينه، فإذا فكر أن يقوم بمثل هذا العمل، تذكر قطع اليد، فعاد، وبهذا يكون حفظ للمال من السرقة وتربية المسلم تربية واقية من القيام بمثل هذه الأعمال.

وأما تحريم الربا، فهو من باب مراعاة مصلحة البشرية في أخلاقها، واجتماعها واقتصادها وهو وقاية للإنسان من أن يتعود على الكسب الحرام، والقعود عن الكسب الحلال.

والربا يؤدي إلى انقطاع المعروف بين الناس، لأن الإنسان الذي يعطي أخاه درهماً ثم يستردها درهمين، يقضي هذا إلى انقطاع المواساة والمعروف والإحسان.

وفي تحريم الربا وقاية من أن يصبح في المجتمع طبقات من الناس، طبقة غنى على حساب طبقات أخرى، مما يخلق الضغائن ويورث العداوة والبغضاء[2].

وفي هذا تربية للمجتمع ووقايته من كل ما يؤدي إلى هدم التعاون والمودة بين أفراد المجتمع المسلم.

وحرم الرشوة لخطورتها على المجتمع، لأن الراشي يتقدم إلى الإمام، ويتأخر أصحاب الكفاءات في العمل، وربما يؤدي إلى قلب الحرام إلى الحلال والعكس قد يكون.

وحرم الميسر ونهى عنه، حتى جعله الله عز وجل قرين الخمر، وفي تحريمه حفظٌ للمجتمع وأفراده من أن يضيعوا أموالهم في مجال يقوم على الحظ والصدفة، والأماني الفارغة.

لأنه يورث العداوة والبغضاء بين أفراد المجتمع الذين يمارسون هذا العمل، وهو خطر على المجتمع، لأنه يؤدي إلى ضياع الوقت والجهد، ويجعل من المقامرين أناساً عاطلين، يأخذون من الحياة مالا يعطون، ويستهلكون ولا ينتجون ويؤدي إلى انشغال الإنسان المقامر

---

(١) صحيح البخاري، الفتح، كتاب الأشربة، باب قوله: إنما الخمر والميسر، جـ ١٠، ص ٣٠.

(٢) يوسف القرضاوي، الحلال والحرام في الإسلام، (د. ط)، دمشق، دار القرآن الكريم، ١٩٧٨، ص٢٤٨.

عن واجبه نحو ربه ونحو أمته[1].

ونهى الرسول ﷺ عن النجش، (حفاظاً على المال) ويعتبر حديث النبي عن النجش من التدابير الوقائية الاقتصادية التي بينها الإسلام، للمحافظة على المال ووقايته من الغش والخداع، حتى يحفظ على المسلمين أموالهم ويمنعهم من الغش والخداع، ويربي فيهم خلق الأمانة والإخلاص والنصح لبعضهم البعض، وهذا بدوره يؤدي إلى المودة والمحبة بين أفراده.

خامساً: حفظ العقل

ورد في القرآن الكريم والسنة النبوية أصول للتربية الوقائية في مجال حفظ العقل ومن ذلك:

قال تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِنَّمَا ٱلْخَمْرُ وَٱلْمَيْسِرُ وَٱلْأَنصَابُ وَٱلْأَزْلَٰمُ رِجْسٌ مِّنْ عَمَلِ ٱلشَّيْطَٰنِ فَٱجْتَنِبُوهُ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴾ [المائدة: ٩٠].

وقال تعالى: ﴿ إِنَّمَا يُرِيدُ ٱلشَّيْطَٰنُ أَن يُوقِعَ بَيْنَكُمُ ٱلْعَدَٰوَةَ وَٱلْبَغْضَآءَ فِى ٱلْخَمْرِ وَٱلْمَيْسِرِ وَيَصُدَّكُمْ عَن ذِكْرِ ٱللَّهِ وَعَنِ ٱلصَّلَوٰةِ فَهَلْ أَنتُم مُّنتَهُونَ ﴾ [المائدة: ٩١].

قال ﷺ: «لا يزني الزاني حين يزني وهو مؤمن، ولا يشرب الخمر حين يشربها وهو مؤمن، ولا يسرق السارق حين يسرق وهو مؤمن»[2].

وقال ﷺ: «كل شراب أسكر فهو حرام»[3].

وقال ﷺ: «الخمر ما خامر العقل»[4].

جاء الإسلام لكي يحفظ على الإنسان عقله لأن العقل مناط التكليف، به يفكر الإنسان، ويصل إلى حقائق الأمور، وبه يعرف الحق من الباطل، وبه يثاب الإنسان على فعله ويعاقب عليه.

---

(١) المرجع السابق، ص ٢٨٥.

(٢) صحيح البخاري، الفتح، كتاب الأشربة، باب قوله (إنما الخمر والميسر)، جـ ١٠، ص ٣٠.

(٣) المرجع السابق، كتاب الأشربة، باب الخمر من العسل، جـ ١٠، ص ٤١.

(٤) المرجع نفسه، كتاب الأشربة، باب ما جاء في الخمر ما خامر العقل، جـ ١٠، ص ٤٥.

لهذا أمر الإسلام المسلم أن يحافظ على عقله، وينأى به عن كل ما يؤدي به إلى الخلل والفساد، فمن هنا حرم الخمر وسائر المخدرات، وكل ما يؤثر على العقل، ويبعده عن وظيفته التي خلقه الله عز وجل وأناطها به.

لأن الخمر تؤدي بالإنسان إلى صده عن واجباته الدينية، وذكر الله عز وجل، وتكشف لنا الآيات أن هدف الشيطان من الخمر والميسر هو إيقاع العداوة والبغضاء بين الناس والإلهاء عن ذكر الله عز وجل.

إن غيبوبة السكر تنافي اليقظة الدائمة التي يوجهها الإسلام على قلب المسلم ليكون موصولا بالله في كل لحظة، راجياً لله في كل خطوة، ثم ليكون بهذه اليقظة عاملاً إيجابياً في نماء الحياة، وصيانتها من الضعف والفساد، وفي حماية نفسه وماله وعرضه وحماية أمن الجماعة المسلمة وشريعتها ونظامها من كل اعتداء[١].

وشرب الخمر وما ينتج عنها من غيبوبة، إن هي إلا هروب من واقع الحياة في فترة من الفترات، وجنوح إلى التصورات التي تثيرها النشوة، والإسلام ينكر على الإنسان هذه الطريق، ويريد من الناس أن يروا الحقائق وأن يواجهوها ويعيشوا بها، ويصرفوا حياتهم وفقها، وألاّ يقيموا هذه الحياة على تصورات وأوهام، لأن الهروب منها إلى تصورات وأوهام هو طريق إلى التحلل ووهن العزيمة، وذوبان الإرادة، والإسلام يجعل حسابه دائماً تربية الإرادة من قيود العادة القاهرة[٢].

ومعنى ذلك أن الخمر تغطي العقل، ولم تتركه على حاله، والعقل هو آلة التمييز، ولذلك حرّم ما غطاه وغيره، لأنه بذلك يزول الإدراك الذي طلبه الله عز وجل من عباده ليقوموا بحقوقه[٣].

والخمر مذهلة للعقل، وشاربها يصير بمنزلة المجنون، كما يصير مضحكة للصبيان ومتلفة للمال، قال عمر بن الخطاب: (اللهم أرنا بالخمر بياناً شافياً، فإنها متلفة للمال مذهلة للعقل)[٤].

---

(١) سيد قطب، في ظلال القرآن، جـ ٣، ص ٣٥.

(٢) المرجع السابق، جـ ٣، ص ٣٧.

(٣) صحيح البخاري، فتح الباري، ابن حجر العسقلاني، كتاب الأشربة، جـ ١، ص ٤٧.

(٤) طه عبد الله العفيفي، من وصايا الرسول، ط١، الدار البيضاء، دار المعرفة، ١٩٨٦، جـ ١، ص ١٢٣.

وشربها يصد عن ذكر الله وعن الصلاة، وهي مفتاح كل شر، لأنها تسهل ارتكاب المعاصي، وصاحبها يخاطر بنفسه، لأنه يخشى عليه أن يتزع منه الإيمان عند موته.

والخمر تثير العداوة والبغضاء وتقطع الصلاة بين أفراد المجتمع، وتضيع المال ولا تعود على صاحبها بالنفع.

وقياساً على الخمر، حرّم الإسلام المخدرات، حفاظاً على عقل الإنسان المسلم وجسمه لأنها تسبب فتوراً في الجسم، وتخدر الأعصاب، وهبوطاً في الصحة، وتميع الخلق، وتحلل الإرادة ويصاحب ذلك ضعف الشعور بالواجب، حتى يجعل هؤلاء المدمنين أعضاء غير صالحين في جسم المجتمع.

وحتى يكون الردع أكثر ووقعه أكبر، فقد حدد الشارع الحكيم عقوبة الجلد لشارب الخمر، وهذا ما ثبت عن الرسول ﷺ، عن أنس رضي الله عنه قال: (جلد رسول الله ﷺ في الخمر بالجريد والنعال، وجلد أبو بكر أربعين)[١].

وهذا من باب الردع والوقاية لصاحب الجريمة ولغيره، فشارب الخمر كلما أراد أن يعود للشرب تذكر الجلد، وعلى مرأى من الناس توقف، وكذلك من رأى حد الجلد يقام على الشارب، إذا أراد الشرب تذكر وعاد عن موقفه، وهكذا يكون الجلد، عقوبة رادعة للإنسان لكي يبقى محافظاً على عقله سليماً معافى.

حفظ النسل – نظام الأسرة –:

ولقد وضع الإسلام التدابير الواقية الكثيرة للمحافظة على النسل، والمحافظة على نظام الأسرة لكي يبقى نظاماً قوياً متماسكاً، لأن الأسرة هي القاعدة التي يتكون منها ويقوم عليها المجتمع.

فحفاظاً على النسل والأسرة من الأمراض واختلاط الأنساب والضياع والفساد والانحلال الخلقي، وضع القرآن، والسنة النبوية الكثير من التدابير للمحافظة على النسل ونظام الأسرة.

ومن ذلك، قال تعالى: ﴿ قُل لِّلْمُؤْمِنِينَ يَغُضُّوا مِنْ أَبْصَٰرِهِمْ وَيَحْفَظُوا فُرُوجَهُمْ ذَٰلِكَ أَزْكَىٰ لَهُمْ إِنَّ

(١) صحيح البخاري، (فتح الباري)، كتاب الحدود، باب الضرب بالجريد والنعال، جـ ١٢، ص ٦٦.

ٱللَّهَ خَبِيرُۢ بِمَا يَصْنَعُونَ﴾ [النور: ٣٠].

وقال تعالى: ﴿ وَمِنْ ءَايَٰتِهِۦٓ أَنْ خَلَقَ لَكُم مِّنْ أَنفُسِكُمْ أَزْوَٰجًا لِّتَسْكُنُوٓا۟ إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُم مَّوَدَّةً وَرَحْمَةً ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ﴾ [الروم: ٢١].

وقال تعالى: ﴿ وَلَا تَقْرَبُوا۟ ٱلزِّنَىٰٓ ۖ إِنَّهُۥ كَانَ فَٰحِشَةً وَسَآءَ سَبِيلًا﴾ [الإسراء: ٣٢].

وقال تعالى: ﴿ وَقُل لِّلْمُؤْمِنَٰتِ يَغْضُضْنَ مِنْ أَبْصَٰرِهِنَّ وَيَحْفَظْنَ فُرُوجَهُنَّ﴾ [النور: ٣١].

وقال تعالى: ﴿ وَٱلَّذِينَ يَرْمُونَ ٱلْمُحْصَنَٰتِ ثُمَّ لَمْ يَأْتُوا۟ بِأَرْبَعَةِ شُهَدَآءَ فَٱجْلِدُوهُمْ ثَمَٰنِينَ جَلْدَةً وَلَا تَقْبَلُوا۟ لَهُمْ شَهَٰدَةً أَبَدًا ۚ وَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْفَٰسِقُونَ﴾ [النور: ٤].

وقال ﷺ: «تخيروا لنطفكم وأنكحوا الأكفاء وأنكحوا إليهم»[١].

وقال ﷺ: «تنكح المرأة لأربع: لمالها، ولحسبها، ولجمالها، ولدينها، فاظفر بذات الدين تربت يداك»[٢].

وقال ﷺ: «إذا أتاكم من ترضون دينه وخلقه فزوّجوه الآ تفعلوا تكن فتنة في الأرض وفساد عريض»[٣].

نلاحظ أن الآيتين من سورة النور تضمنتا الكثير من الإجراءات الوقائية التي تدعو إلى المحافظة على الأسرة، ونظامها من أن يسري إليها الفساد، ولهذا قدم غض البصر على حفظ الفرج لأن النظر مقدمة وطريق إلى الزنا، وطريق إلى الوقوع في المخاطر، لأن البلوى منه أشد وأكثر ولا يكاد يقدر على الاحتراس منه، وهو الباب الأكبر الذي يوصل إلى القلب ويكثر السقوط من جهته، لهذا أمر الله بحفظ الفروج كما أمر بغض الأبصار التي هي بواعث إلى ذلك[٤].

---

(١) ابن ماجة، السنن، جـ ١، ص ٩٧٥.

(٢) صحيح البخاري، فتح الباري، كتاب النكاح، باب الأكفاء في الدين، جـ ٩، ص ١٣٢.

(٣) محمد ناصر الدين الألباني، صحيح سنن ابن ماجة، كتاب النكاح، باب الأكفاء، جـ ١، ص ٣٣٣.

(٤) إبراهيم الدسوقي خميس، مقومات الحياة في القرآن، ط١، القاهرة، دار الصحوة، ١٩٨٥، ص ١١٦.
تقي الدين أحمد بن تيمية، تفسير سورة النور، تحقيق عبد العلي عبد الحميد، ط ١، بومباي، الدار السلفية، ١٩٨٧، ص ٥٦.

وغض البصر من الطرفين، يساعد على العفة، والنظرة هي الأداة الأولى لإثارة كوامن الجنس في النفس الإنسانية، ولذلك نهى الإسلام عنه سمواً بالنفس الإنسانية الطبيعية البشرية، وصون لها عن الابتذال والتدني والفواحش والانحلال الخلقي.

وغاية الزواج السكن والمودة والرحمة، وهو من الطرق الوقائية التي تمنع المجتمع من الانحلال الخلقي، ووقاية للمرأة من السوء، والمعصية، وتؤدي حقوق زوجها على الأوجه الأكمل، فيقوم الزواج على أسس ثابتة لا مجال للهوى فيها.

وحث الزوجة وأهلها على اختيار الزوج صاحب الخلق والدين، وقاية للزوجة من الوقوع في حمأة زوج لا يعرف الدين ولا يخاف الله عز وجل.

لأن الفتنة على الزوجة عظيمة جداً، تضر بالدين، والتربية والأخلاق، حينما تقع فتاة مؤمنة بين يدي زوج متحلل لا يعرف للأخلاق قيمة ولا يقيم للدين وزناً، ولا يغار على الشرف والعرض، وكل هذه مدعاة إلى الفساد والانحلال الخلقي.

وقد يعود هذا بالأثر السيىء على حياة الأولاد، إذا عاشوا بمثل هذا البيت المتحلل، الذي لا يقيم للدين والأخلاق وزناً، يعيشون على الانحراف والإباحية، ويتربون على الفساد والمنكر.

فالاختيار على أساس الدين من الطرفين، من أهم ما يحقق للزوجين سعادتهما الكاملة، ويضمن تربية الأولاد تربية إسلامية سليمة على الأخلاق الفاضلة، والكريمة، ويحقق الاستقرار والأمن بين أفراد الأسرة.

وأقر الإسلام الزواج، وقاية للمجتمع من الوقوع في الحرام والزنا، الذي يؤدي إلى الأمراض الكثيرة المعدية.

وبالزواج سلامة للمجتمع من الفساد والانحلال الخلقي، ويأمن الأفراد من التفسخ الاجتماعي، ويؤدي هذا إلى أن يتحلى أفراد المجتمع بالآداب الفاضلة والأخلاق الحسنة.

وبالزواج محافظة على النوع الإنساني، بالتكاثر والتناسل، وبالزواج يحافظ من خلاله على الأنساب، فيعرف كل مولود أباه وأمه، وهذا ما يعود عليهم بالاستقرار والكرامة الإنسانية، ولو لم يكن ذلك الزواج الذي شرعه الله عز وجل، لكثر في المجتمع الأولاد غير الشرعيين

واللقطاء، الذين لا يعرفون آباءهم وأمهاتهم، وهذا طعن للأخلاق الفاضلة وانتشار للفساد والإباحية[1].

وبالزواج المشروع وقاية للمجتمع من الأمراض الكثيرة المعدية، فقضى الإسلام بتشريع الزواج على كل الأمراض عوضاً عن حفظ الأعراض، التي تفتقر المناهج الوضعية على علاجها فقط، لقد عالجها الإسلام علاجاً جذرياً، ووقى الإسلام من شرورها، قبل أن ترى النور بطريقته في علاج الغريزة الجنسية للفرد كعلاجه لسائر غرائزه، وبالتالي فإن علاجه لمشكلة الأمراض الجنسية مثلا لا تحتاج إلى عيادات ومختبرات وأدوية، ولا إلى هيئات ومنظمات وأجهزة متخصصة، بل من خلال الزواج الذي تشبع منه تلك الغريزة الجنسية، التي أودعها الله في الإنسان، وبذلك حفظ المجتمع من كل ذلك[2].

والإسلام يحرم من مجرد الاقتراب من الزنا، لأنه يدرك أن الزنا يقتل في الإنسان كل قدراته العقلية والجسدية، ويفسد الرجولة، ويدمر الأنوثة، ويفقد المجتمع ذلك الهدوء والطمأنينة وتلك السكينة اللازمة لتقوم الحياة وعمارة الأرض[3].

وحتى يغلق الإسلام كل منفذ على الشيطان نحو المسلم، وحفاظاً على الأسرة ووقايتها من كل ما يخدشها ويفسدها، فقد منع الدخول على النساء، من غير مُحرم، لما لهذا الدخول من عواقب سيئة لا يحمد عقباها، قال ﷺ: «إياكم والدخول على النساء، فقال رجل من الأنصار: أفرأيت الحمو؟ قال: الحمو الموت»[4].

لقد حذر الرسول ﷺ من الحمو، وشبهه بالموت، لأنه يستخدم صلته بالزوج في تنفيذ مآربه الدنيئة، ولا يُساء به الظن، مع أن الخوف منه أكثر من غيره، والشر ليتوقع منه.

ومن أجل ذلك حرّم الإسلام الاختلاط، كإجراء وقائي للمحافظة على الأسرة من الفساد والانحلال الخلقي، لأنه مدعاة إلى الفاحشة، والزنا والفساد. وقد يكون مدعاة إلى العزوف عن الزواج، لأن الشاب قد يهيأ له رؤية ما يريد في هذا الاختلاط السافر، الذي يصاحبه

---

(١) عبد الله ناصح علوان، تربية الأولاد في الإسلام، ط٢، بيروت، دار السلام، ١٩٨٨، جـ ١، ص ٣١.

(٢) عبد الحميد القضاه، الأمراض الجنسية عقوبة الهيئة، ط١، (د.م)، (د. ن)، ١٩٨٥، ص ١٥٥- ١٥٦.

(٣) المرجع السابق، ص ١٦١- ١٦٢.

(٤) صحيح البخاري، فتح الباري، كتاب النكاح، باب لا يخلو رجل بامرأة، جـ ٩، ص ٣٣٠.

التبرج، والانحلال الخلقي، واستباحة كل محرم وممنوع.

وقد يؤدي الاختلاط إلى حلول الزنا محل العلاقات الشرعية، بسبب تيسر أسبابه، ويؤدي إلى انتشار المنكرات، واستحواذ الشهوات، وما يصاحب ذلك من التحلل الأخلاقي والفساد، ويؤدي إلى شقاء الأسر نتيجة عدم سكن الزوج إلى الآخر لما يراه من خلال مخالطته، مما يفسد على الأسرة جو الود والثقة، وربما عرّض بيانها إلى الهدم الكامل[1].

ومن تلك القواعد الوقائية: النهي عن التبرج، قال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ قُل لِّأَزْوَٰجِكَ وَبَنَاتِكَ وَنِسَآءِ ٱلْمُؤْمِنِينَ يُدْنِينَ عَلَيْهِنَّ مِن جَلَٰبِيبِهِنَّ ذَٰلِكَ أَدْنَىٰٓ أَن يُعْرَفْنَ فَلَا يُؤْذَيْنَ﴾ [الأحزاب: ٥٩].

طلب الإسلام من المرأة أن تكون محتشمة في زيها، ساترة لعورتها، جاعلة في ثيابها شيء من السعة والطول، حتى تحفظ نفسها وكرامتها، لأن الإنفتاح وعدم احترام الآداب الإسلامية، يؤدي إلى ما حرّم الله عز وجل، وإلى زعزعة الأسرة وهدمها، لأن التبرج مدعاة للوقوع في الزنا.

وقد فرض الحجاب على المرأة المسلمة، وحرّم عليها الإختلاط ليصونها عن الابتذال والتعريض للريبة والفحش، وعن الوقوع في الجريمة؛ لأن التبرج والإختلاط والخلوة المحرمة، تؤدي إلى نتائج خطيرة، ودمار للأسرة والمجتمع.

ومن ذلك نهاها عن الخضوع بالقول، قال تعالى: ﴿يَٰنِسَآءَ ٱلنَّبِيِّ لَسْتُنَّ كَأَحَدٍ مِّنَ ٱلنِّسَآءِ إِنِ ٱتَّقَيْتُنَّ فَلَا تَخْضَعْنَ بِٱلْقَوْلِ فَيَطْمَعَ ٱلَّذِى فِى قَلْبِهِۦ مَرَضٌ﴾ [الأحزاب: ٣٢].

لأن ذلك مدعاة لإستمالة قلوب الرجال، وهذا مما يوجب الطمع فيهن.

ومن ذلك، نهى أن يخطب الرجل على خطبة أخيه، قال ﷺ: «لا يخطب الرجل على خطبة أخيه حتى ينكح أو يترك»[2].

لأن ذلك مدعاة للعداوة والبغضاء والشحناء، فصيانة للأسر وحفاظاً عليها من كل ذلك نهى الإسلام أن يخطب الرجل على خطبة أخيه.

---

(١) محمد عقلة، نظام الأسرة في الإسلام، ط٢، عمان، مكتبة الرسالة الحديثة، ١٩٨٩، جـ ١، ص١٠٤-١٠٥.

(٢) صحيح البخاري، فتح الباري، كتاب النكاح، باب ج١، ص٨٣.

ومن ذلك أقر نظام تعدد الزوجات، لما لهذه القاعدة الوقائية من الحفاظ على الأسرة المسلمة، من أن تسري إليها عوامل الفساد والإنحلال الخلقي، فبعض الأزواج قد لا يكتفي بزوجة واحدة، ويريد أن يشبع غريزته، وكذلك المرأة التي لا تجد لها زوجاً، تريد أن تشبع غريزتها الجنسية، فالزوج قد يلجأ إلى الحرام لكي يشبع هذه الغريزة، والمرأة قد تعتمد عشيقاً، أو خليلاً تقضي معه حاجته، لهذا فقد أقر الإسلام مبدأ تعدد الزوجات من أجل المحافظة على الأسرة المسلمة من هذا الفساد والإنحلال الخلقي.

قال تعالى: ﴿ وَإِنْ خِفْتُمْ أَلَّا تُقْسِطُوا فِي الْيَتَامَىٰ فَانكِحُوا مَا طَابَ لَكُم مِّنَ النِّسَاءِ مَثْنَىٰ وَثُلَاثَ وَرُبَاعَ فَإِنْ خِفْتُمْ أَلَّا تَعْدِلُوا فَوَاحِدَةً أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ ذَٰلِكَ أَدْنَىٰ أَلَّا تَعُولُوا﴾ [النساء: ٣].

ومن القواعد الوقائية العدل بين الأولاد في كل شيء وبخاصة في الأعطية، وهذا ما أكده الرسول ﷺ عندما أراد رجل أن يشهده على نخلة نخلها لولده، قال: «أكل ولدك نحلته مثل هذا؟ قال: لا . فقال رسول الله ﷺ: فارجع، وقال في رواية أخرى: اتقوا الله وأعدلوا بين أولادكم»[1].

وفي هذا عالج الرسول ﷺ أمراً خطيراً، هو المفاضلة بين الأولاد لأن هذا ظلم يؤدي إلى إيجاد البغضاء والعداوة بين الأولاد، وسبب لقطيعة الرحم وعقوق الأب، فوقاية للأسرة من التقاطع والبغضاء، والعداوة، نهى الرسول ﷺ عن ذلك، ولم يقبل أن يشهد عليه.

كل هذه الصور من الاحتياط تؤكد أن الإسلام، يقي المسلم من الوقوع في السوء والفحشاء والمنكر، من أجل أن يبقى نظام الأسرة نظاماً قائماً على الخلق الحسن والفضيلة.

وللمحافظة على نظام الأسرة أقر الإسلام حد الزنا، ليكون رادعاً لكل من تُزين له نفسه القيام بمثل هذه الجريمة، التي تؤدي إلى فساد المجتمع وإلى اختلاط الأنساب وانقراض النوع الإنساني.

قال تعالى: ﴿ الزَّانِيَةُ وَالزَّانِي فَاجْلِدُوا كُلَّ وَاحِدٍ مِّنْهُمَا مِائَةَ جَلْدَةٍ﴾ [النور: ٢].

وحفاظاً على الأسرة المسلمة، من الفساد والإنهيار أقر حد القذف، قال تعالى: ﴿ وَالَّذِينَ يَرْمُونَ الْمُحْصَنَاتِ ثُمَّ لَمْ يَأْتُوا بِأَرْبَعَةِ شُهَدَاءَ فَاجْلِدُوهُمْ ثَمَانِينَ جَلْدَةً﴾ [النور: ٤].

---

(١) صحيح مسلم، النووي، كتاب الفرائض، باب كراهة بعض الأولاد، ج١١، ص٦٥.

وهذا فيه الوقاية للأسرة والمجتمع من اتهام الباطل والكاذب دون دليل، وترك الألسنة تلقي التهم على العفيفات دون دليل قاطع، يترك المجال مفتوحاً لكل من شاء أن يقذف بريئاً بتلك التهمة النكراء، فتصبح الجماعة والأسرة المسلمة، وإذا أعراضها مطعونة، وسمعتها ملوثة، وكل زوج فيها يخامره الشك في زوجته، وكل بيت مهدد بالإنهيار من جراء كذبة يطلقها ذو غرض، مما يسبب حدوث مشكلات خطيرة في المجتمع تنتهي إلى وقوع الجنايات التي قد تصيب الأبرياء[1].

والغاية من إقامة حد القذف، لما يتركه من آثار تربوية تمثل في تربية المسلم وتهذيبه، وتقيه وتردعه وتكف لسانه عن النطق بالمنكر والفاحش من القول.

ومن ذلك تربية المسلم على احترام أعراض المسلمين، ومشاعرهم وكراماتهم، لأن القذف جريمة ومفسدة من المفاسد الأخلاقية للفرد والمجتمع.

وفيه تربية للمسلم على قول الحق والصدق، وعدم الكذب، لأن القذف يقوم على الكذب والإفتراء والكلام غير الصحيح، وهو من أخبث أنواع الكذب.

وقاية المجتمع:

وفي مجال وقاية المجتمع أشار القرآن الكريم إلى أصول التربية الوقائية التي تحفظ المجتمع من العداوة والبغضاء والمقاطعة والكراهية.

وكما أشار القرآن الكريم إلى هذه الأصول فقد أشارت السنة النبوية إلى قواعد وأصول التربية الوقائية:

قال تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا يَسْخَرْ قَوْمٌ مِّن قَوْمٍ عَسَىٰٓ أَن يَكُونُواْ خَيْرًا مِّنْهُمْ وَلَا نِسَآءٌ مِّن نِّسَآءٍ عَسَىٰٓ أَن يَكُنَّ خَيْرًا مِّنْهُنَّ وَلَا تَلْمِزُوٓاْ أَنفُسَكُمْ وَلَا تَنَابَزُواْ بِٱلْأَلْقَٰبِ بِئْسَ ٱلِٱسْمُ ٱلْفُسُوقُ بَعْدَ ٱلْإِيمَٰنِ وَمَن لَّمْ يَتُبْ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ ﴾ [الحجرات: ١١].

قال تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱجْتَنِبُواْ كَثِيرًا مِّنَ ٱلظَّنِّ إِنَّ بَعْضَ ٱلظَّنِّ إِثْمٌ وَلَا تَجَسَّسُواْ وَلَا يَغْتَب بَّعْضُكُم بَعْضًا أَيُحِبُّ أَحَدُكُمْ أَن يَأْكُلَ لَحْمَ أَخِيهِ مَيْتًا فَكَرِهْتُمُوهُ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ إِنَّ ٱللَّهَ تَوَّابٌ رَّحِيمٌ ﴾ [الحجرات: ١٢].

---

(١) عفيف عبد الرحمٰن طبارة، الخطايا في نظر الإسلام، ط٤، دار العلم للملايين، ١٩٧٩، ص٨٢.

قال ﷺ: «سباب المسلم فسوق، وقتاله كفر»[1].

وقال ﷺ: «إياكم والظن، فإن الظن أكذب الحديث، ولا تحسسوا ولا تجسسوا ولا تحاسدوا ولا تباغضوا ولا تدابروا، وكونوا عباد الله إخواناً»[2].

وقال ﷺ: «من لم يدع قول الزور والعمل به فليس لله حاجة أن يدع طعامه وشرابه»[3].

لقد جاء الإسلام لينشيء مجتمعاً متحاباً متواداً، مترابطاً تسود فيه الأخوة والمحبة، وسن التدابير والإجراءات الوقائية للمحافظة عليه، من أن تصل إليه البغضاء والكراهية والتحاسد، ليكون مجتمعاً قوياً، قادراً على مواجهة أعدائه في كل وقت وحين.

وحتى يبقى هذا المجتمع قوياً متماسكاً، ينبغي مقاومة كل محاولة للنيل منه، أو أي معوق يعوق مسيرته، لذا فقد حرم الإسلام، تحريماً واضحاً كل ما يؤثر على وحدة النفوس، ابتداء من آفات اللسان، حين حرم السخرية والهمز واللمز والغيبة والنميمة.

وهذه الأمور -مما لا شك فيه- تؤدي إلى التنافر والتدابر والتشاجر، والتخاصم وتؤدي إلى انتشار الأحقاد، وتمزق وحدة المجتمع، وأواصر المحبة والمودة والتعاون، ويؤدي إلى الفسق الذي يحطّم كيان المجتمع[4].

وبهذا ربى الإسلام أبناء المجتمع الإسلامي، على عقيدة صالحة سليمة من التناقضات، وانبثق عن هذه العقيدة تشريع نظَّم علاقات أفراد المجتمع المسلم، وقيم تبنى عليها أعرافهم وعاداتهم، وبهذا يكون هو المجتمع الذي يقوم على الوحدة والتماسك، ويسوده العدل والنظام وتتفاعل جماعته وأفراده، وتحكمه الطمأنينة والأمن والسلام.

لذلك قرر الإسلام، بعد أن وضع التدابير الواقية الصالحة لكل زمان ومكان، تحذير أفراد المجتمع المسلم من الانزلاقات بمثل هذه الأعمال الجاهلية، وبهذا التحذير أقام سياجاً قوياً حول حرمات المسلمين فلا تحل، وكراماتهم فلا ينال منها، وأعراضهم فلا تنتهك، وحرياتهم الممنوحة لهم شرعاً، فلا تقيد ولا يحجر عليها، إنه توجيه من الله عز وجل،

---

(١) صحيح البخاري، فتح الباري، كتاب الأدب، باب ما ينهى عن السباب واللعن، ج١٠، ص٤٦٤.

(٢) صحيح البخاري، الفتح، كتاب الأدب، باب ما ينهى عن التحاسد، ج١٠، ص٤٨١،

(٣) المرجع السابق، كتاب الأدب، باب قوله تعالى: ﴿واجتنبوا قول الزور﴾، ج١، ص٤٧٣.

(٤) محمد عبد القادر أبو فارس، في ظلال سورة الأخلاق، ط١، عمان، دار عمار، ١٩٩٢، ص٨٦.

الخبير في النفوس يربي جماعة المؤمنين ومجتمعهم على أسس نظيفة من التعامل بعيدة عن التهمة والشرور، نقية مهذبة بريئة من كل عوامل الشك والظن والإتهام. ولأن هذه الأمور فيها احتقار للمسلم، يؤدي إلى التنازع والعداوة وقطع الصلات بينهم..

والرسول ﷺ يقول إذا تركتم هذه المنهيات كنتم إخواناً، وإن لم تتركوها تصيروا أعداء، ولأن البغض والحسد ينشأ عن سوء الظن[1].

ومن ذلك قوله تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِن جَآءَكُمْ فَاسِقُۢ بِنَبَإٍ فَتَبَيَّنُوٓاْ أَن تُصِيبُواْ قَوْمَۢا بِجَهَٰلَةٍ فَتُصْبِحُواْ عَلَىٰ مَا فَعَلْتُمْ نَٰدِمِينَ﴾ [الحجرات: ٦].

وهذه الآية القرآنية تقرر أصلاً عظيماً له خطره وأثره في الحياة، فالتثبت في الأخبار والصدق في نقلها من قواعد هذا الدين، الذي أسس صرح الأخلاق على أمتن القواعد وأقواها، ومظهر من مظاهر السمو النفسي وهو الذي يضمن رد الحقوق، ويوطد الثقة بين الأفراد والجماعات، لا يستغني عنه أحد[2].

فالنميمة ونقل الكلام خطرهما عظيم، يؤديان إلى قطع أواصر المحبة بين أفراد المجتمع وتفريق الجماعة، وإثارة العداوة والبغضاء والحقد، وربما يصلان إلى القتل أحياناً.

وأما آية الظن والتجسس، فهي تقرر مباديء هامة وقواعد وقائية في أصول الأخلاق، وتنهى المسلم عن أخلاق ذميمة ولازمة لكثير من المجتمعات، فنهي عن الظن والتجسس، لأن الله عز وجل صان كرامة المؤمن، وشرفه وحفظ له دمه وماله وعرضه، وظن السوء، مدعاة إلى التحقير والسخرية، وإمتلاء القلوب غيظاً وحقداً وغضباً، ويؤدي إلى إيقاع الضرر بالمظنون به، وظن السوء للعرض، وهتك للحرية، ونيل من الكرامة وقطع روابط المودة بين الناس[3].

والظن ربما يقود إلى الكذب، بل قد يكون كذباً خالصاً والإسلام في منهجه التربوي، اهتم اهتماماً كبيراً بضبط الظن في المؤمن، مما لا يدع مجالاً للشك لأحد ليسترسل في الظن، ويخلط بين الحرام والمباح، وفي هذا تحرير لفكر المؤمن وتطهير لداخله، وربطه

---

(١) صحيح البخاري، (فتح الباري)، كتاب الأدب، باب اجتنبوا كثيراً من الظن، ج١٠، ص٤٨٤.

(٢) محمد محمود الصواف، نظرات في سورة الحجرات، ط٣، بيروت، مؤسسة الرسالة، ١٩٩٠، ص٦١-٦٢.

(٣) محمد محمود الصواف، في ظلال سورة الحجرات، ص١٢٨.

باليقين، وتعامله مع الآخرين بالصدق والعلم، وهذا سياج يحفظ كرامة الإنسان المسلم وحريته، وهو توجيه للمجتمع المسلم الذي يربي على أن لا يدع أفراده وجماعاته نهباً للظنون، وإثارة الشبهات، والشكوك، حتى بطل الناس أبرياء مصونة حقوقهم وحرياتهم[1].

وحفاظاً على المجتمع قوياً متماسكاً، يعضد بعضه بعضاً، فقد حرّم الإسلام موالاة الكفار دون المؤمنين.

قال تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَتَّخِذُواْ ٱلْكَٰفِرِينَ أَوْلِيَآءَ مِن دُونِ ٱلْمُؤْمِنِينَ أَتُرِيدُونَ أَن تَجْعَلُواْ لِلَّهِ عَلَيْكُمْ سُلْطَٰنًا مُّبِينًا﴾ [النساء: ١٤٤].

جعل الله عز وجل ولاية المؤمن لغير المؤمنين، واتخاذ الأعداء أصدقاء دون المؤمنين، وإقامة العلاقات معهم على المودة أكثر من المؤمنين، جعلها الله عز وجل من الذنوب الكبيرة والجرائم العظيمة، أن يبيحوا لهم بأسرارهم، ويركنون إلى آرائهم، ويعتمدون على نصائحهم، ويجعلونهم أولياء عليهم، كل هذا يعود بالضرر على المؤمنين، بسبب إفشاء الأسرار لخصومهم، والإطمئنان إليهم لأن ذلك يعود عليهم بالذل والهوان، لأنهم لا يحافظون على مودتهم، ولم يحترموا صداقاتهم، بل يكيدون لهم في الخفاء.

ومن ذلك النهي عن إفشاء الأسرار:

قال ﷺ: «استعينوا على إنجاح حوائجكم بالكتمان فإن كل ذي نعمة محسود»[2].

وكتم الأسرار من أفضل الأخلاق، وأكبر الفضائل به تصان الأعراض وتحفظ الأرواح، وتلتأم الجماعات، فرب سر أفشيته جلب شراً مستطيراً، وأحدث فتنة أهلكت خلقاً كثيراً، ولهذا وجب على الإنسان أن يخفي سره، وإلا عرّض نفسه إلى أضرار كثيرة، لا قبل له بها، وحينئذ لا يمكنه دفع ما يترتب على ذلك من الأخطار التي تحيط بالمجتمع[3].

ومن القواعد الوقائية لحفظ المجتمع، الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر.

قال تعالى: ﴿ وَٱلْمُؤْمِنُونَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَآءُ بَعْضٍ يَأْمُرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ

---

(١) محمد محمد الأنصاري، منهج الدعوة في البناء الإجتماعي، ط١، الرياض، مكتبة الأنصار، ١٩٨٤، ص٤١٧.

(٢) الطبراني، المعجم الكبير، تحقيق حمدي عبد المجيد السلطي، ط٢، د.ن.، د.م، ج٢، ص٩٤.

(٣) أحمد سعيد الدجوني، فتح الخلاق إلى مكارم الأخلاق، تحقيق عبد الرحيم مارديني، ط١، دمشق: مكتبة دار المحبة، ١٩٩١، ص٢٢٩.

﴿ٱلْمُنكَرِ﴾ [التوبة: ٧١].

إن الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر يحمي المجتمع المسلم من الإنحراف والفساد الإنحلال الخلقي والإيمان، ولا يمكن أن يستقر في المجتمع أركانه وأصوله، إلا إذا كان الأمر لمعروف والنهي عن المنكر قائماً به، وإذا فقد الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر في المجتمع ان الفسق والعصيان شعارهم، وولاؤهم لبعضهم قائماً على النفاق، قال تعالى: ﴿ٱلْمُنَٰفِقُونَ وَٱلْمُنَٰفِقَٰتُ بَعْضُهُم مِّنۢ بَعْضٍ يَأْمُرُونَ بِٱلْمُنكَرِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمَعْرُوفِ﴾ [التوبة: ٦٧].

وعدم الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر يؤدي إلى هلاك الأمة، وإستحقاقها العذاب، عدم استجابة الدعاء.

والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، يحفظ على الأمة دينها وعقيدتها، من أيدي عابثين، والمتآمرين، الذين يحاولون أن يعيثوا في الأرض الفساد.

ومما يزيد في حفظ المجتمع ووقايته من أسباب الفشل والتنازع والكراهة ويزيد في اسكه المحبة في الله عز وجل بين أفراده، لأنها تشعر المسلم بأخيه المسلم، وإذا تمكنت حبة المؤمنين بعضهم لبعض من قلوبهم، ساد بينهم الأمن والطمأنينة والتعاون على البر لتقوى، وضعفت أسباب الفرقة والتباغض والتشتت.

ومن ذلك إفشاء السلام، بين أفراد المجتمع المسلم، لأنه مدعاة إلى إزالة الوحشة بينهم، فتح باب إقبال أحدهما على الآخر، ويشعرون بالألفة والمحبة، بل يشعر كل واحد منهم لأمن مع أخيه، وهي من الأسباب العظيمة الجالبة للمحبة والألفة والأمن والاطمئنان[١].

قال ﷺ: «لا تدخلون الجنة حتى تؤمنوا، ولا تؤمنوا حتى تحابوا أولا أدلكم على شيء إذا لمتموه تحاببتم، أفشوا السلام بينكم»[٢].

أما حكمة ما أودعه الإسلام من أهمية في هذا الشعار الإسلامي الفريد، هو من أهم ما سج خيوط الألفة والمؤانسة والوداد بين جماعات المسلمين، بل هو من أهم ما يغسل عن ئدتهم ما قد علق بها من أسباب الضغائن والأحقاد[٣].

---

(١) عبد الله أحمد القادري، أثر التربية الإسلامية في أمن المجتمع، ط١، جلة، دار المجتمع، ١٩٨٨، ص٢٢٦.
(٢) صحيح مسلم، النووي، كتاب الإيمان، باب لا يدخل الجنة إلا المؤمنون، ج١، ص٧٤.
(٣) محمد سعيد رمضان البوطي، من أسرار المنهج الرباني، ط٢، بيروت، مؤسسة الرسالة، ١٩٨٤، ص٥٣.

المبحث الثاني

أساليب التربية الوقائية

يقوم منهج التربية الإسلامية على أساليب متنوعة، حسب مناسبتها لتحقيق الموقف المطلوب منها، وتتناسب هذه الأساليب وتتكامل فيما بينها، لتناسب كل المواقف.

وبما أن التربية الوقائية جزء لا يتجزأ من التربية الإسلامية فإن أساليبها هي أساليب التربية الإسلامية عنها التي تقوم عليها، منهجها في ذلك الوصول بالإنسان إلى بر الأمان، لحفظه ووقايته قبل الوقوع في الخطأ وارتكابه.

ومن أهم هذه الأساليب:

أولاً: أسلوب القدوة الحسنة:

قال تعالى: ﴿ لَّقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ ٱللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُواْ ٱللَّهَ وَٱلْيَوْمَ ٱلْآخِرَ وَذَكَرَ ٱللَّهَ كَثِيرًا﴾ [الأحزاب: ٢١].

يؤكد الله سبحانه وتعالى في هذه الآية القرآنية على أن للقدوة الحسنة الصالحة أهمية كبرى في تربية الفرد وتنشئته على أساس سليم منذ طفولته حتى سن النضوج وما بعدهما، لكي يبقى فرداً صالحاً في المجتمع.

والإنسان منذ ولادته يكتسب عادات كثيرة بعضها مرغوب فيه، وبعضها غير مرغوب فيه، ويتوقف هذا الكسب على نوع القدوة التي يراها هذا النشيء أو يتعرض لها في تربيته.

وهذا ما يؤكد على أهمية القدوة في تحديد السلوك.

وبما أن الإسلام جاء لوقاية الإنسان والمحافظة عليه منذ بداية حياته، لذلك ركز على جانب القدوة الصالحة تركيزاً كبيراً، من منطلق أن الإنسان ربما يكتسب خلقاً أو يترك خلقاً نتيجة ما يرى أمامه، أو من حوله فقد يفعل الفعل أو يتركه.

وحتى تؤتي التربية ثمارها، فيجب على كل من يأمر غيره وينهاه عن عمل ما أو تركه، أن يكون ملتزماً بذلك الأمر أو النهي، حتى يقتدي به من يأمره وينهاه، وبذلك ينشى النشى تنشئة سليمة يتحقق معها الخير لنفسه ولأمته.

وبالقدوة الحسنة والنصيحة، نستطيع أن نصلح الكثير من الأفراد، مما يؤدي إلى وقاية الإنسان نفسه من الوقوع في المعصية والخطأ، ومن هنا أكد الرسول ﷺ على الصحبة الطيبة الصالحة، والجليس الصالح، وحذّر من الجليس السوء والرفيق السوء حتى يبقى المجتمع المسلم مجتمعاً قائماً على الخلق الحسن والفضيلة، بعيداً عن الشر والفساد.

قال ﷺ: «مثل الجليس الصالح والجليس السوء، كمثل صاحب المسك وكير الحداد، لا يَعْدمُكَ من صاحب المسك، إما تشتريه أو تجد ريحه، وكير الحدّاد: يحرق بدنك أو ثوبك، أو تجد منه ريحاً خبيثة»[1].

وهذا يعني أن نختار لأولادنا وأنفسنا القدوة الصالحة التي يكون في تقليدها وإتباعها اتباعاً صحيحاً، وقاية للإنسان من الشر والفساد وتجلب له الخير والمنفعة.

وتشمل القدوة الحسنة الأبوين داخل الأسرة، والمعلم في المدرسة، وأفراد المجتمع في بيئته التي يسكن فيها، وذلك من أجل مساعدة الناشئة على تمثل العادات الحسنة الطيبة.

والقدوة الحسنة وسيلة إلى تعليم الأخلاق، وغرس الفضائل الأخلاقية في النفوس، وهذا ما يؤكده حديث عمرو بن عتبة إلى أحد المعلمين لولده إذ يقول: (ليكن أول إصلاحك لولدي إصلاحك لنفسك، فإن عيونهم معقودة بعينيك، فالحسن عندهم ما صنعت، والقبيح عندهم ما تركت، علّمهم كتاب الله وإلا فيكرهونه، ولا تتركم فيه فيهجروه...)[2].

وهذه الوصية تقرر مبدأ القدوة الحسنة في التعليم وغيره، ومن هنا كانت التربية بالقدوة الصالحة هي العماد في تقويم سلوك الناشئين، وهي الأساس في غرس الآداب الإسلامية الحميدة، والفضائل الاجتماعية الكثيرة التي تكون مجتمعاً فاضلاً متعاوناً.

ومن هنا فمن الواجب على الفرد والمجتمع أن يعطي الصورة الحسنة التي تطبع الناشئين بطابع الإسلام، وتحميهم وتقيهم من سبل الضلال والغواية.

وتأتي أهميتها أيضاً في الأسرة، وتكمن هذه الأهمية ليعيش الطفل منذ طفولته المبادى

---

(١) محمد بن إسماعيل البخاري، صحيح البخاري، كتاب البيوع، باب العطّار وبيع المسك، تحقيق مصطفى البغا، ط٣، دمشق، دار ابن الكثير، ١٩٨٧، جـ٢، ص ٧٤١.

(٢) محمد عطية الأبراشي، التربية الإسلامية وفلاسفتها، ط٥، مصر، مطبعة مصطفى البابي، ١٩٨٦، ص ٢٩٤.

الإسلامية، وينتهج منهجها الرفيع، داخل البيت وفي المدرسة أيضاً حيث ينشى الطفل على السلوك المثالي الواقعي الممكن التطبيق، إذ إنّ السعادة لا تكون إلا في تطبيقه وبذلك يكون الطفل أو التلميذ في المجتمع قد طوقا بدرع واقٍ يقيهما من الشر والآثام أو الوقوع في الخطأ.

ودليل على أهمية القدوة في تنشئة الصغار، ووقايتهم من الكذب، ما قاله الرسول ﷺ: «من قال لصبي تعال هاك، ثم لم يعطه فهي كذبة»[(1)].

وهكذا كان رسول الله ﷺ رائداً في التربية استخدم أنجع الأساليب في تربية أصحابه الذين ساروا على منهجه، واهتدوا بهديه، فوقاهم من الوقوع في كثير من المزالق الخطيرة والآثام والمعاصي.

ومن هنا نلحظ أهمية التربية بالقدوة كيف أنتجت مجتمعاً قوياً متماسكاً، لم يسر إلى داخله الخلل والزلل، فكان مجتمعاً -كما وضعه الرسول ﷺ- كالبنيان يشد بعضه بعضاً.

ثانياً: أسلوب الترغيب والترهيب:

يعتبر أسلوب الترغيب والترهيب من الأساليب التربوية الناجحة في تربية النشء، ووقايته من الوقوع في المعاصي والآثام والأخطار، ولما لهذين الأسلوبين من آثار إيجابية في نفس النشء، فقد استعمل القرآن الكريم، والسنة النبوية الشريعة هذين الأسلوبين في التربية.

قال تعالى: ﴿ ۞ وَسَارِعُوٓاْ إِلَىٰ مَغۡفِرَةٖ مِّن رَّبِّكُمۡ وَجَنَّةٍ عَرۡضُهَا ٱلسَّمَٰوَٰتُ وَٱلۡأَرۡضُ أُعِدَّتۡ لِلۡمُتَّقِينَ﴾ [آل عمران: ١٣٣].

وقبل أن نبين مدى أهمية أسلوب الترغيب والترهيب في التربية لا بد لنا أن نعرف المقصود بالترغيب والترهيب.

أ- الترغيب: (وعد يصحبه تحبب وإغراء بمصلحة أو لذة أو منفعة آجلة مؤكدة، خيرة خالصة من الشوائب، مقابل القيام بعمل صالح أو الامتناع عن لذة ضارة أو عمل سيء ابتغاء مرضاة الله عز وجل وذلك رحمة من الله لعباده)[(2)].

---

(١) أحمد بن حنبل، المسند، (د. ط)، بيروت: المكتب الإسلامي، (د. ت)، جـ ٢، ص ٤٥٢.

(٢) عبد الرحمن النحلاوي، أصول التربية الإسلامية وأساليبها، ط١، دمشق: دار الفكر، ١٩٧٩، ص ٢٥٧.

وأسلوب الترغيب والترهيب يعتمد على إثارة الانفعالات وتربية العواطف الربانية، والقصد من هذا أن يكون عند الإنسان دافع يمنعه ويقيه من معصية الله عز وجل، ويكون هذا عن طريق غرس الإيمان والعقيدة الصحيحة في النفوس، ليكون ثمرة عملية سلوكية.

والعواطف قوى دافعة للسلوك، ومشجعة على الصبر، قال تعالى: ﴿ وَلِمَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِۦ جَنَّتَانِ﴾ [الرحمن:٤٦]، قال تعالى: ﴿ وَلَا تُفْسِدُواْ فِى ٱلْأَرْضِ بَعْدَ إِصْلَـٰحِهَا وَٱدْعُوهُ خَوْفًا وَطَمَعًا ۚ إِنَّ رَحْمَتَ ٱللَّهِ قَرِيبٌ مِّنَ ٱلْمُحْسِنِينَ﴾ [الأعراف:٥٦].

والتربية بالترغيب والترهيب يجب أن تتصف بالتوازن والاعتدال، حتى لا يتمادى الإنسان بالمعاصي، فيغتر برحمة الله عز وجل، أو يسوف ويؤجل التوبة، ولا ييأس من رحمة الله عز وجل بحجة ما يراه من أن المجتمع كله يعصي الله عز وجل، وأنه لا مفر من عمل المعاصي[(١)].

فيحفظ المجتمع المسلم بهذا التوازن من الانحلال الخلقي والتردي إلى الهاوية والهلاك، ويصبح بذلك مجتمعاً ممزقاً، مشتتاً تضعف روابطه بين أفراده، مما يؤول به إلى الـهلاك والـدمـار.

ب- **الترهيب**: (وعيد وتهديد بعقوبة تترتب على اقتراف إثم أو ذنب مما نهى الله عنه، أو على تهاون في أداء فريضة، مما أمر الله، أو هو تهديد من الله يقصد به تخويف عباده ليكونوا دائماً على حذر من ارتكاب الهفوات والمعاصي)[(٢)].

وأسلوب الترغيب والترهيب يعتبر أسلوباً إصلاحياً، للفرد والمجتمع على حد سواء.

وأسلوب الترغيب، هو إغراء الإنسان لعمل الخير، وبذلك يكون له وقاية من الشر والمعصية، والترهيب وعيد وتهديد للإنسان ليحذر من ارتكاب المعاصي والآثام، وبذلك يكون أسلوب الترغيب والترهيب من الأساليب التربوية الناجعة التي تقي الإنسان. وأفراد المجتمع المسلم من الوقوع في الأخطاء والمعاصي وتوجيههم الوجهة الصحيحة، حتى تكون مجتمعاً متماسكاً قوياً نظيفاً طاهراً، ليس للمنحرف فيه مكان.

---

(١) عبد الرحمن النحلاوي، أصول التربية الإسلامية وأساليبها، ص ٢٦٣- ٢٦٤.

(٢) عبد الرحمن النحلاوي، أصول التربية وأساليبها، ص ٢٥٧.

وهذا الأسلوب يفتح أمام المخطئ الباب على مصراعيه، ليفيق ويصحح خطأه الذي ارتكبه، حتى لا يتمادى في هذا الخطأ. قال تعالى: ﴿ ۞ قُلْ يَٰعِبَادِىَ ٱلَّذِينَ أَسْرَفُوا۟ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا۟ مِن رَّحْمَةِ ٱللَّهِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يَغْفِرُ ٱلذُّنُوبَ جَمِيعًا ۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلْغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ ﴾ [الزمر: ٥٣].

ثالثا: أسلوب الموعظة والنصح: (الوعظ، (النصح)، بالتذكير بالخير والحق على الوجه الذي يرق له القلب ويبعث على العمل)[1].

والنصح و(الوعظ) يكون بياناً للحق من أجل أن يتجنب المنصوح الضرر، ودله على طريق السعادة مقابل ذلك.

وأسلوب النصح والموعظة من الأساليب التربوية، الذي يؤثر تأثيراً إيجابياً وصادقاً في النفس الإنسانية، وبخاصة إذا كان الناصح صادقاً، مخلصاً في نصحه بشخص آخر، يريد مصلحته ووقايته من الوقوع والتهور في مزالق الشيطان.

وعلى الناصح أن يستخدم في أسلوب النصح والموعظة القصص حتى يعزز موقفه تجاه الشخص الذي يريد نصحه، ويبيّن له أن النصح وقبول النصيحة والأخذ بها يقي الإنسان من الوقوع في المعصية والإثم، وتحويله نحو الخير.

ولقد بين القرآن الكريم كيف يكون أسلوب النصح، أنه وقاية وصيانة للفرد والمجتمع على حد سواء، -إذا أخذوا به-، وأن الذي لا يقبل ولا يأخذ به تصيبه الويلات والمصائب والكوارث، وربما يقودهم ذلك إلى الهلاك والدمار والانهيار.

قال تعالى: ﴿ وَمَا كَانَ رَبُّكَ مُهْلِكَ ٱلْقُرَىٰ حَتَّىٰ يَبْعَثَ فِىٓ أُمِّهَا رَسُولًا يَتْلُوا۟ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتِنَا ۚ وَمَا كُنَّا مُهْلِكِى ٱلْقُرَىٰٓ إِلَّا وَأَهْلُهَا ظَٰلِمُونَ ﴾ [القصص: ٥٩]. حيث بين سبحانه وتعالى أن حال هذه الأمة عندما أعرضت عن ذكر الله عز وجل وتعاليمه حين لم تقبل نصيحة رسولها أهلكها الله سبحانه وتعالى، لأنهم ظلموا أنفسهم حين رفضوا الهدي والنصيحة من رسولهم.

وقد يكون النصح بالتذكير فيذكره الناصح الواعظ بأمور تدفعه إلى العمل الصالح والمسارعة إلى طاعة الله عز وجل ليقي نفسه من الوقوع في المعاصي والشرور.

وقد يكون التذكير بالموت، ومصير الإنسان حتى يكون الإنسان خائفاً دائماً من الله تعالى،

---

(١) النحلاوي، أصول التربية الإسلامية وأساليبها، ص ٢٥٢.

وحريصاً من الوقوع في المعاصي.

وقد يذكره بحاله في الدنيا، وما يصيبه من أمراض وكوارث ومصائب، وهي أمور تصيب الإنسان فتنغص عليه حياته، عليه أن يحفظ نفسه ويقيها عن طريق الالتزام بشرع الله وتعاليمه وعدم اغتراره بهذه الدنيا لأنها دار غرور ومتاع زائل كما وصفها الله عز وجل.

قال تعالى: ﴿ فَلَا تَغُرَّنَّكُمُ ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَا وَلَا يَغُرَّنَّكُم بِٱللَّهِ ٱلْغَرُورُ ﴿٣٣﴾ ﴾ [لقمان: ٣٣].

ومن هذا المنطلق فإن التربية بالموعظة والنصح تترك آثاراً في النفس الإنسانية: وهي تزكية النفس الإنسانية وتطهيرها من كل ما يعلق بها من آثام ومعاصي وأمراض وهذا من أهداف التربية الإسلامية التي تسعى التربية الإسلامية لتحقيقها، حتى تنشىء مجتمعاً نظيفاً طاهراً خالياً من المنكرات والمعاصي يأمر بالمعروف وينهى عن المنكر.

رابعاً: أسلوب الممارسة والعمل

ولأهمية الشخص المقتدى به، يجب عليه أن يطبق ما يقول تطبيقاً عملياً، حتى يكون وقع كلامه في قلوب الناس أقوى، ويجد مكانة عظيمة في قلوبهم، وقد أكد الله سبحانه وتعالى على ذلك لقوله تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لِمَ تَقُولُونَ مَا لَا تَفْعَلُونَ * كَبُرَ مَقْتًا عِندَ ٱللَّهِ أَن تَقُولُواْ مَا لَا تَفْعَلُونَ ﴾ [الصف: ٢-٣].

حيث بين الله سبحانه وتعالى هول الذي يقول شيئاً ولا يفعله، واعتبر ذلك شيئاً عظيماً يستحق صاحبه العذاب يوم القيامة.

ويؤكد هذا الرسول ﷺ إذ يقول: «يُجاء بالرجل يوم القيامة فيلقى في النار فتندلق أقتابه، فيدور بها كما يدور الحمار برحاه. فيجتمع أهل النار عليه فيقولون أي فلان: ما شأنك؟ ألست كنت تأمر بالمعروف وتنهى عن المنكر؟ فيقول كنت آمركم بالمعروف ولا آتيه، وأنهاكم عن الشر وآتيه، وأني سمعته - أي الرسول ﷺ- يقول: مررت ليلة أسري بي بأقوام تقرض شفاههم بمقاريض من نار، قلت: من هؤلاء يا جبريل؟ قال: خطباء أمتك الذين يقولون ما يفعلون»[1].

---

(١) زكي الدين المنذري، الترغيب والترهيب، تحقيق مصطفى عماره، (د. ط)، بيروت، دار الفكر، ١٩٨١، جـ١٩، ص ١٢٤. البخاري، صحيح البخاري، كتاب بدء الخلق، باب صفة النار، جـ٣، ص ١١٩١.

ومن خلال النظر في الآية القرآنية الكريمة، والحديث النبوي الشريف، نلاحظ أنه يجب على الإنسان أن يعمل بما يقول ويلتزم به، ويحوّل ذلك إلى سلوك عملي، حتى يقتدي به غيره، ويتعلم الناس منه، فيكون له أثراً في حماية الإنسان ووقايته من الوقوع في الآثام والمعاصي.

ولذلك يثبت أن التعلم بالأسلوب العملي، والتطبيق أوقع وأدعى إلى إثبات العلم واستقراره في القلب والذاكرة[1].

خامساً: أسلوب العبرة بالقصة:

قال تعالى: ﴿لَقَدْ كَانَ فِي قَصَصِهِمْ عِبْرَةٌ لِّأُولِي الْأَلْبَابِ﴾ [يوسف: ١١١]، فالتربية من خلال القصة سواء وردت في القرآن الكريم أو السنة النبوية الشريفة، أو حياة السلف الصالح، أو من خلال المجتمع الذي ينشى به الإنسان لها هدف تربوي إيجابي ينعكس في نفوس الناس، فربما هذه القصة تقربه من فعل الخير، أو تبعده من فعل الشر أو تقيه وتحصنه منه.

ولمّا كانت العبرة من القصة تربي في الإنسان الأخلاق الإسلامية، وتعدّ أنفسهم للخير وتعودهم على التفكير السليم، الذي يؤول إلى خضوع وخشوع وعبودية كاملة لله سبحانه وتعالى، حتى يستطيع حفظ نفسه ووقايتها من كل ما يطرأ عليها من شرور ومعاصي.

ولقد نوع القرآن الكريم في عرض القصة، وبخاصة فيما يتعلق في سنن الله في الكون كإهلاك المفسدين، بسبب فسادهم وظلمهم وإبقاء الصالحين، حتى يبصّر الناس سبب هذا الإهلاك الرباني لأمثال أولئك الناس، فيحصنون أنفسهم ويحفظونها وينأون بها عن كل الطرق والأساليب التي قام بها أولئك الناس وكانت سبباً في هلاكهم.

وقد ذكر الله سبحانه وتعالى أمثال أولئك، لكي يعتبر بهم من جاء خلفهم من الخلق والأمم.

قال تعالى: ﴿وَكَذَٰلِكَ أَخْذُ رَبِّكَ إِذَآ أَخَذَ ٱلْقُرَىٰ وَهِىَ ظَٰلِمَةٌ إِنَّ أَخْذَهُۥٓ أَلِيمٌ شَدِيدٌ﴾ [هود: ١٠٢].

---

(١) عبد الرحمن النجلاوي، أصول التربية الإسلامية، ص ٢٣٧.

وقال تعالى: ﴿ فَلَمَّا رَأَوْا بَأْسَنَا قَالُوٓا۟ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَحْدَهُۥ وَكَفَرْنَا بِمَا كُنَّا بِهِۦ مُشْرِكِينَ ﴾ [غافر: ٨٤].

حيث يبين الله سبحانه وتعالى، أن تأجيل التوبة والندم إلى حين زمن وقوع العذاب والهلاك لا ينفع الذين كانوا منغمسين في الشرك والذنوب والمعاصي.

ويبين الله سبحانه وتعالى كذلك سننه في إهلاك المنافقين ومرضى القلوب، حين تمادوا في إفساد المجتمع وانتشار الفتن والإشاعات الكاذبة بقصد الإيقاع بين المسلمين.

فيقول تعالى: ﴿ ۞ لَّئِن لَّمْ يَنتَهِ ٱلْمُنَٰفِقُونَ وَٱلَّذِينَ فِى قُلُوبِهِم مَّرَضٌ وَٱلْمُرْجِفُونَ فِى ٱلْمَدِينَةِ لَنُغْرِيَنَّكَ بِهِمْ ثُمَّ لَا يُجَاوِرُونَكَ فِيهَآ إِلَّا قَلِيلًا ۞ مَّلْعُونِينَ ۖ أَيْنَمَا ثُقِفُوٓا۟ أُخِذُوا۟ وَقُتِّلُوا۟ تَقْتِيلًا ۞ سُنَّةَ ٱللَّهِ فِى ٱلَّذِينَ خَلَوْا۟ مِن قَبْلُ ۖ وَلَن تَجِدَ لِسُنَّةِ ٱللَّهِ تَبْدِيلًا ﴾ [الأحزاب: ٦٠-٦٢].

ويبين الله سبحانه وتعالى في القرآن الكريم كذلك، أن كثيراً من الرؤساء والمترفين والأغنياء ما يكونون سبباً في إهلاك أقوامهم، إذا فسقوا عن أمر ربهم وتعاليمه، ولم يردعهم العلماء وأهل العلم، فيبين ذلك من أجل أن يتعظ الناس، ويعتبروا، ويأخذوا على أيدي هؤلاء حتى يقوا أنفسهم ويحفظونها من عذاب الله سبحانه وتعالى وسخطه الذي يعم الجميع.

فيقول تعالى: ﴿ وَإِذَآ أَرَدْنَآ أَن نُّهْلِكَ قَرْيَةً أَمَرْنَا مُتْرَفِيهَا فَفَسَقُوا۟ فِيهَا فَحَقَّ عَلَيْهَا ٱلْقَوْلُ فَدَمَّرْنَٰهَا تَدْمِيرًا ﴾ [الإسراء: ١٦].

ويتبين من خلال عرض القرآن الكريم لتاريخ الأمم السابقة وسنن الله في الكون. أن الهدف من وراء ذلك هو[1]:

١- أخذ العبرة من كل واقعة عرضها القرآن الكريم من أجل حماية الفرد والمجتمع مما وقع فيه أهل الأمم الأخرى.

٢- البحث عن أثر إصلاح النفس البشرية وتربيتها في مجرى الحوادث التاريخية، حتى تستطيع التغيير في واقعها من خلال استقراء حال تلك الأمم، وبعد ذلك يتبين لها أن الله سبحانه وتعالى لم يظلم أمة من الأمم السابقة، ولم يتسلط عليها دون ذنب اقترفته، ولم يغير نعمة أنعمها عليهم بل هي التي كانت تبدأ بعملية التغيير، قال تعالى: ﴿ ذَٰلِكَ بِأَنَّ ٱللَّهَ لَمْ يَكُ

---

(١) النحلاوي، أصول التربية الإسلامية، ص ٢٥٠- ٢٥١.

مُغَيِّرًا نِّعْمَةً أَنْعَمَهَا عَلَىٰ قَوْمٍ حَتَّىٰ يُغَيِّرُوا مَا بِأَنفُسِهِمْ ۙ وَأَنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾ [الأنفال: ٥٣].

وهكذا نجد أن الله سبحانه وتعالى، لم يكن هو البادى بالتغيير وإنما الناس، وقد يتبين لنا ذلك حتى نقي أنفسنا ونحفظها ونصونها عمّا وقعت به الأمم السابقة، حتى لا يغير الله ما أنعمه علينا.

الفصل الخامس

التربية الوقائية في مجال الصحة الإنسانية

ويشتمل المباحث التالية:

المبحث الأول: الصحة الجسمية.

المبحث الثاني: الصحة العقلية.

المبحث الثالث: الصحة النفسية.

تمهيد:

فقد اهتم الإسلام بصحة الإنسان المسلم اهتماماً كبيراً، وعدّها من الأولويات التي يأمره الإسلام بالمحافظة عليها، لكي يبقي هذا الجسم سليماً معافى قادراً على أداء واجبه نحو خالقه عز وجل، لأن الجسم الصحيح السليم هو القادر على تأدية واجبه نحو خالقه سبحانه وتعالى، بينما الجسم المريض العليل الذي أنهكت قواه الأمراض والأوجاع والأوبئة لا يستطيع تأدية الوظيفة المنوطة به والمكلف بها.

وبناء على هذا رسم لنا الإسلام طريقاً وقائية، وأخرى علاجية من أجل المحافظة على هذا الجسم، ليبقى قوياً سليماً صحيحاً يؤدي دورة على أحسن ما يرام.

ولكي يتحقق للفرد المسلم سلامة جسده وقوته، فقد أوضح لنا الإسلام ضرورة العناية بتربية الجسم والمحافظة عليه، حتى يبقى الفرد قوي البنية بعيداً عن الأمراض، قادراً على مواجهة الصعاب التي تعترض طريقه وهو يؤدي دوره نحو خالقه عز وجل.

فالإسلام يحرص على سلامة الأبدان وعافيتها، كحرصه على سلامة عقيدة الإنسان المسلم وتصوراته، لأن هذا ينعكس إيجاباً في حياة المسلم.

ونجد في أقوال الرسول ﷺ الشيء الكثير حول العناية بالجسد لكي يبقى قوياً معافى.

فقد ركز الرسول ﷺ على أهمية الصحة وأثرها الفاعل على الإنسان، وحثه على العناية بها وحمايتها ووقايتها من الأمراض والأوجاع، التي ربما تعرقل مسيرة حياته، وتقلل من نشاطه، لكي يبقى قوياً نشيطاً قادراً على تحمل الأعباء.

قال الرسول ﷺ: «المؤمن القوي خيرٌ وأحبُ إلى الله من المؤمن الضعيف، وفي كلّ خير أحرص على ما ينفعك واستعن بالله ولا تعجز»[١].

وقال ﷺ: «نعمتان مغبون فيهما كثير من الناس الصحة والفراغ»[٢].

فالصحة نعمة من نعم الله سبحانه وتعالى على الإنسان، يجدر به المحافظة عليها،

---

(١) صحيح مسلم، كتاب القدر، باب الإيمان للقدر والإذعان، جـ ١٦، ص ٢١٥.

(٢) صحيح البخاري، كتاب الرقاق، باب ما جاء في الرقاق، جـ ١١، ص ٢٣٢.

ويحسن بالإنسان استغلال صحته قبل أن يُلِم به المرض، الذي سرعان ما يقلل من نشاطه وفاعليته.

وقد كان رسول الله ﷺ، يحث أصحابه أن يطلبوا من الله عز وجل، أن يُنعم عليهم بالصحة والعافية، لما لهما من أثر فاعل في حياة الإنسان.

قال رسول الله ﷺ مخاطباً العباس: «يا عباس، يا عم رسول الله سلوا الله العافية في الدنيا والاخرة»[1].

والإنسان سوف يُسأل عن هذه النعم، نعمة الصحة وغيرها أمام الله عز وجل يوم القيامة، قال تعالى: ﴿ ثُمَّ لَتُسْـَٔلُنَّ يَوْمَئِذٍ عَنِ ٱلنَّعِيمِ ﴾ [التكاثر:٨]. وتشمل هذه النعم نعمة الصحة الجسمية ونعم الدنيا من الأمن والصحة[2].

ومن هذا المنطلق، فقد رسم لنا الشارع الحكيم طريقاً سليمةً لنستطيع من خلالها وقاية أجسامنا من فتك الأمراض والأوجاع في مجالات عديدة وكثيرة وواسعة، أهمها:

(١) سنن الترمذي، كتاب الدعوات، جـ ٥، ص ٥٣٤.

(٢) محمد بن علي الشوكاني، فتح القدير، ط ٢، القاهرة، مطبعة مصطفى البابي، ١٩٦٤، جـ ٥، ص ٤٩٠.

المبحث الأول

الصحة الجسمية

أ. طرق الوقاية في الطعام

وفي هذا المجال، نجد القرآن الكريم والسنة النبوية، قد زخرت بالآيات والأحاديث التي من خلالها رُسمت لنا الطريق السليمة الصحيحة في كيفية المحافظة على الجسم، ومن ذلك:

حرم القرآن الكريم الميتة والدم ولحم الخنزير، والمنخنقة والموقوذة والمتردية والنطيحة وما أكل السبع، وما ذبح على النصب والأصنام والأزلام وغيرها.

قال تعالى: ﴿حُرِّمَتْ عَلَيْكُمُ ٱلْمَيْتَةُ وَٱلدَّمُ وَلَحْمُ ٱلْخِنزِيرِ وَمَآ أُهِلَّ لِغَيْرِ ٱللَّهِ بِهِۦ وَٱلْمُنْخَنِقَةُ وَٱلْمَوْقُوذَةُ وَٱلْمُتَرَدِّيَةُ وَٱلنَّطِيحَةُ وَمَآ أَكَلَ ٱلسَّبُعُ إِلَّا مَا ذَكَّيْتُمْ وَمَا ذُبِحَ عَلَى ٱلنُّصُبِ [المائدة: ٣].

وبعد أن حرّم علينا كل هذا وجهنا الوجهة الصحيحة والسليمة إلى تناول الطيب والحسن.

قال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ كُلُوا۟ مِن طَيِّبَٰتِ مَا رَزَقْنَٰكُمْ وَٱشْكُرُوا۟ لِلَّهِ إِن كُنتُمْ إِيَّاهُ تَعْبُدُونَ﴾ [البقرة: ١٧٢].

حيث يوجه الله عباده إلى تناول الطعام النافع لأجسامهم الصالح لهم، ويحفظ عليهم صحتهم لوقايتها من الأمراض والأوجاع والضعف.

وقد أكدت الآية القرآنية على الإنسان أن يتناول من مختلف الأنواع من الأطعمة، وذلك بدليل قوله تعالى: ﴿مِن طَيِّبَٰتِ مَا رَزَقْنَٰكُمْ﴾.

وقد كان رسول الله ﷺ يتبع هذا المنهج، فلم يكن يقتصر على طعام واحد في الغذاء، لأن الجسم بحاجة ماسة إلى جميع أنواع الأطعمة، حيث إن من الطعام ما يتوفر فيه البروتين، والبعض الآخر النشويات، والأملاح، والحديد وغيرها، وكلها مكملة لنمو الجسم.

يقول ابن قيم الجوزية: (لم يكن من عاداته ﷺ حبس النفس على نوع واحد من الأغذية، لا يتعداه إلى ما سواه... بل كان يأكل ما جرت عادة أهل بلده بأكله، من اللحم والفاكهة والخبز والتمر وغيرها.. وإذا عافت نفسه الطعام: لم يأكله، ولم يحمِلها إيّاه على كره. وهذا

أصل عظيم في حفظ الصحة)[1].

والذي ينعم النظر في هذا النص، الذي أورده ابن قيم الجوزية، يلاحظ أن رسول الله ﷺ كان يتبع القواعد الصحيحة والسليمة في طعامه وشرابه، ولم يكن يكره نفسه على طعام قط. وهذا ما يؤكده أنس رضي الله عنه حيث يقول: (ما عاب رسول الله ﷺ طعاماً قط، إن اشتهاه أكله، وإلا تركه ولم يأكل منه، ولما قدم إليه الضب المشوي لم يأكل منه، فقيل له: أهو حرام؟ قال: لا، ولكن لم يكن بأرض قومي، فأجدني أعافه)[2].

وإذا دل هذا على شيء فإنما يدل على أن الرسول ﷺ كان يتبع القواعد الصحية السليمة في تناول الطعام والشراب، حيث ثبت علمياً وطبياً أن إرغام النفس على ما تكره، قد يُلحق بها ضرراً، ولذا رفض الطعام الذي تأباه نفسه.

وذلك حفظاً لوقاية الجسم من إلحاق الضرر به، خوفاً من أن تصيبه العلل والأمراض والأوجاع.

وقد أكد مثل ذلك الرازي، حيث يقول: (فالطعام وإن كان موصوفاً بجودة الغذاء، ولم يكن موافقاً للمتغذي في وقته ذلك، لم يتولد عنه غذاء موافق، بل يكون ضاراً للجسم، ولذلك ينبغي أن يعرف من الأكل ما يلائمه ويوافقه، وما لا يلائمه ولا يوافقه، بل يجده يضر به دائما، فيجتنبه ويحذره، وإن كان مشهوداً بجودته)[3].

ولذلك كان رسول الله ﷺ يتحرى نوع الطعام المفيد الذي يحتاجه الجسم، ويزيد في نموه وطاقته حتى يصبح جسماً قوياً معافى عصياً على الأمراض والأوجاع.

وبعد هذا أمرنا الإسلام بأكل الحلال الطيب الذي رزقنا الله إياه، وقد وضع أصولا للطعام والشراب، فأباح أنواعاً وحرّم أخرى، لوقاية الجسم والمحافظة عليه في الوقت الذي نجد أمماً وشعوباً تأكل الكثير من الطعام دون تحفظ.

أما تحريمه عز وجل للميتة في قوله تعالى: ﴿حُرِّمَتۡ عَلَيۡكُمُ ٱلۡمَيۡتَةُ..﴾ [المائدة:٣].

---

(١) ابن قيم الجوزية، الطب النبوي، (د. ط)، بيروت، دار الكتب العلمية، (د. ت)، ص ١٦٩- ١٧٠.

(٢) صحيح البخاري، كتاب الذبائح والصيد، باب الضب، جـ ٩، ص ٦٦٣.

(٣) أبو بكر محمد بن زكريا الرازي، منافع الأغذية ودفع مضارها، ط١، بيروت، دار إحياء العلوم، ١٩٨٢، ص ٢٦٩- ٢٧٠.

فقد حرمها، لأنه يصيبها التعفن، وتصبح عُرضة للجراثيم فتصبح محل أوبئة تنقل المرض إلى جسم الإنسان، لهذا نهى الإسلام عنها، وحرّم أكلها، إلا حين الضرورة. وحسب القاعدة الشرعية: الضرورات تبيح المحظورات، فيقول تعالى: ﴿فَمَنِ ٱضْطُرَّ فِى مَخْمَصَةٍ غَيْرَ مُتَجَانِفٍ لِّإِثْمٍ فَإِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ [المائدة: ٣].

وأما قوله تعالى: ﴿وَمَآ أُهِلَّ لِغَيْرِ ٱللَّهِ بِهِۦ﴾ فهذا من باب الحفاظ على عقيدة المسلم، لأن الإنسان أول ما يطلب منه التربية على الإيمان والعقيدة، حتى يقبل أحكام الله بعد ذلك، ويبقى خائفاً من الله وحده.

وحرّم عليه أيضاً الدم، ليبقى الجسم خالياً من الأمراض، لأن الدم يحمل بقايا المواد والإفرازات وبقايا عصارات الجسم، وهو وسط لنمو الجراثيم وتكاثرها، لذا فإنه يستعمل في المختبرات لزرع الجراثيم المراد فحصها وتكاثرها.

وللتخلص من هذه الجراثيم من الدم، وبقية السموم الأخرى، اشترط الإسلام أن تتخلص الذبيحة من الدم كله، ومما يسمى بالدم المسفوح[1].

ومن أساليب الوقاية وطرقها التي ربّى الإسلام أبناءه عليها الاقتصاد والاعتدال في الطعام والشراب، نظراً لما يترتب على ذلك من فوائد كثيرة، تعود على الإنسان بالخير والنفع، وعكس ذلك يتعرض الإنسان إلى كثير من الأمراض التي تصيب الجهاز الهضمي، بشكل عام.. قال تعالى: ﴿وَكُلُوا۟ وَٱشْرَبُوا۟ وَلَا تُسْرِفُوٓا۟ إِنَّهُۥ لَا يُحِبُّ ٱلْمُسْرِفِينَ﴾ [الأعراف: ٣١].

وقال ﷺ: «ما ملأ ابن آدم وعاء شراً من بطنه، حسب ابن آدم أكلات يُقمن صلبه، فإن كان لا محالة فثلث لطعامه وثلث لشرابه، وثلث لنفسه»[2].

وهذا الحديث من معجزات الرسول ﷺ في مجال التربية الصحية، حيث كان يرى مدى الضرر الذي يلحق بالإنسان إذا لم يحسن تناول الطعام، ويعد هذا من القوانين التي وضعها الرسول ﷺ حيث يعتبر أساساً للحياة البشرية، استناداً للآية القرآنية السابقة.

ويعتبر هذا من أبواب الصحة، قال علي بن الحسين ابن واقد: (جمع الله الطب كله في

---

(١) عمر محمود عبد الله، الطب الوقائي في الإسلام، ط١، الموصل، طبعة الزهراء، ١٩٩٠، ص ١٦٤-١٦٥.

(٢) سنن الترمذي، كتاب الزهد، باب ما جاء في كراهية كثرة الأكل، جـ ٤، ص ٥٩٠.

نصف آية، ﴿وَكُلُوا۟ وَٱشْرَبُوا۟ وَلَا تُسْرِفُوٓا۟﴾ [الأعراف: ٣١].

وقال عمر رضي الله عنه: (إياكم والبطنة، فإنها مفسدة للجسم، مورثة للسقم، مَكْسَلة عن الصلاة، وعليكم بالقَصْد، فإنه أصلح للجسد، وأبعد عن السرف، وأن الله يبغض الجسد السمين)[١].

وذلك لأن الإسراف في الطعام يؤدي إلى زيادة مادة الكولسترول في الدم، التي تؤدي إلى إصابة شرايين القلب بالتضييق نتيجة ترسب المادة فيها[٢].

وفي ذلك فائدة تربوية اجتماعية، من وجهة النظر التعبدية واعتبرها إسراف لا فائدة منه، لأنك إن أكلت ما تستطيع فلا تتصدق على جائع تطعمه إذا لم تذق طعم الجوع أنت.

وقد أكد الرسول ﷺ في موضع آخر، حيث يقول: «المؤمن يأكل في معي واحد والكافر يأكل في سبعة أمعاء»[٣].

حيث يؤكد على تقليل الطعام والاقتصاد منه، نظراً لما يترتب على ذلك من فوائد جمة تعود على جسم الإنسان المسلم بالخير والفائدة.

وإملاء البطن، يحتاج بالعادة إلى شرب الماء الكثير، وهذا يؤدي إلى الثقل والنعاس والكسل، ويؤدي إلى قسوة القلب، ومن قسا قلبه يصبح كسولاً خاملاً لا يؤدي حق الله عز وجل.

سئل الحارث بن كلدة[٤] طبيب العرب ما الغذاء؟ قال: لازم. يقي الجوع، قيل فما الداء؟ قال: إدخال الطعام على الطعام[٥].

---

(١) موفق الدين عبد اللطيف البغدادي، الطب من الكتاب والسنة، تحقيق، عبد المعطي أمين، (د. ط)، بيروت، دار المعرفة، ١٩٨٦، ص ١٥٠.

(٢) أحمد الفنجري، الطب الوقائي في الإسلام، ط٢، القاهرة، الهيئة المصرية للكتاب، ١٩٨٥، ص ٢٠٨.

(٣) صحيح البخاري، كتاب الأطعمة، باب المؤمن يأكل بمعي واحد، جـ ٥، ص ٣٧.

(٤) (الحارث بن كلدة طبيب العرب في عصره وأحد الحكماء المشهورين، من أهل الطائف، اخذ الطب عن الفرس، وولد قبل الإسلام، عاش في عصر الرسول ﷺ وأبي بكر وعمر وعثمان وعلي)، خير الدين الزركلي، الأعلام، ط٦، بيروت: دار العلم للملايين، ١٩٨٤، جـ ٢، ص ١٥٧.

(٥) موفق الدين أحمد بن القاسم بن أبي أصيبعة، عيون الأنباء في طبقات الأطباء، تحقيق: د. نزار رضا، (د. ط)، بيروت، مكتبة الحياة، ١٩٦٥، جـ ١، ص ١٠٩.

ونقل عن الإمام الشافعي قوله: ما شبعت منذ ست عشرة سنة، إلا شبعة طرحتها، لأن الشبع يثقل البدن، ويقسي القلب، ويزيل الفطنة، ويجلب النوم، ويضعف صاحبه عن العبادة[1].

وأعظم المهلكات لابن آدم شهوة البطن، فيها أخرج آدم وحواء من دار القرار إلى دار الذل، إذ نهاهما عن أكل من تلك الشجرة فغلبتهما شهوتهما حتى أكلا[2].

وقد نهى الرسول ﷺ عن ذلك من باب الوقاية لأمته، إذ نهى عن التجشؤ[3]، قال ﷺ في مجلسه للمتجشيء: (كف عنا جشاءك فإن أطولكم جوعاً يوم القيامة أكثركم شبعاً في دار الدنيا)[4].

ومن خلال ما تقدم سابقاً نجد أن الإسلام حث على تنوع الأطعمة لتكون شاملة لأنواع كثيرة من العناصر الغذائية المختلفة من بروتين ودهون وفيتامينات وسكريات، وحديد، وغيرها، كل هذا من أجل وقاية الجسم من الأمراض والأوجاع.

٢- كان الرسول ﷺ يؤكد على بعض الأنواع من الأطعمة التي تكون مفيدة أكثر من غيرها. وأن الجسم بحاجة إليها أكثر من غيرها، فقد أكدّ على أكل اللحم والعسل والتمر والفاكهة وغيرها.

وورد عن الرسول ﷺ، عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: كنا مع النبي ﷺ في دعوة، فرفعت إليه الذراع. وكانت تعجبه[5].

---

(١) ابن قيم الجوزية، الطب النبوي، ص ١٣.

(٢) الغزالي، مكاشفة القلوب المقرب إلى علام الغيوب، تحقيق: أحمد السقا، ط١، بيروت، دار الجيل، ١٩٩١، ص ٣١.

(٣) التجشؤ: علامة الشبع والزيادة عن الحاجة، حيث يوجد الهواء بصورة طبيعية في المنطقة العليا من المعدة، يحمي المرء من الحوامض المعوية العالية التركيز، كما يعمل كصمام أمان لعدم ارتفاع الطعام إلى أعلى، وعندما يكثر الإنسان من الطعام يدفع الطعام إلى أعلى عبر الفتحة العليا للمعدة، ثم بدوره يدفع الهواء محدثاً التجشؤ، الفنجري، الطب الوقائي في الإسلام، ص ٢١١.

(٤) محمد بن يزيد بن ماجة، سنن ابن ماجة، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي، كتاب الأطعمة، باب الاقتصاد في الأكل، (د. ط)، بيروت، المكتبة العلمية، (د. ت)، جـ١، ص ١١١.

(٥) صحيح البخاري، كتاب الأنبياء، باب (ولقد أرسلنا نوحاً إلى قومه)، جـ٦، ص ٣٧١.

وكان ﷺ يأكل الخبز وهو غني بالمواد النشوية والسكريات، وهو مصدر للطاقة التي تمد الجسم بالحركة والنشاط، وتجعل الجسم قوياً، بعيداً عن الأمراض والأوجاع قادراً على أداء وظائفه على أحسن وجه[1].

ولذلك كان الرسول ﷺ يضع تمرة على كسرة، ويقول: (هذا إدام هذه)[2].

وكان رسول الله ﷺ: يحب الحلوى والعسل[3].

والعسل له أهمية غذائية للأصحاء لما يحويه، من عناصر مفيدة ولما يتميز به من سرعة الهضم والامتصاص والوصل إلى الدم والأنسجة في وقت قصير، وإمداد الجسم بالطاقة الكبيرة وكذلك تناوله يساعد على قتل بعض الميكروبات في جسم الإنسان[4].

وهذا تأكيد منه ﷺ على أهمية بعض الأنواع الغذائية التي ذكرنا كاللحوم واللبن، والعسل وغيرها، لما تحويه من مواد غذائية مفيدة للجسم تحفظه وتقيه من الأمراض والأوجاع، وتؤثر في حيويته وقوته وحمايته[5].

وزيادة في حرصه ﷺ في المحافظة على الإنسان، وجسمه، ووقايته من الأمراض والأخطار، فقد وضع الرسول ﷺ النهج السليم للمرضى، وكيف يتناولون طعامهم.

قال ﷺ: «لا تكرهوا مرضاكم على الطعام والشراب، فإن الله يطعمهم ويسقيهم»[6]. وهذا الحديث يعتبر من الأسس الهامة في النظام الغذائي الذي وضعه الرسول للمرض ﷺ كنوع من التربية الوقائية في المجالات الصحية لما يتضمنه من فوائد جمة هي:

١- إراحة العضو المصاب، وخاصة في أمراض المعدة والأمعاء والكبد.

٢- تعويض الجسم ما ينقصه من عناصر التغذية المختلفة مثل أمراض فقر الدم وغير ذلك.

---

(١) الفاضل عبيد، أمراض الجراثيم بين الوقاية والعلاج في الطب الإسلامي، ص ٢٨.
(٢) أبو داود، سنن أبي داود، كتاب الأيمان والنذور، باب الرجل يحلف أن لا يتأدم، جـ ٣، ص ٢٢٥.
(٣) صحيح البخاري، كتاب الطعمة، باب الحلو من العسل، جـ ٩، ص ٥٥٧.
(٤) نجيب الكيلاني، في رحاب الطب النبوي، ط٣، بيروت، مؤسسة الرسالة، ١٩٨٤، ص ٤٣.
(٥) المرجع السابق، ص ٤٢- ٤٤.
(٦) الترمذي، السنن، كتاب الطب، باب ما جاء ما يُطعم المريض، جـ ٣، ص ٢٥٨.

٣- تجنب استفحال المرض وحدوث مضاعفات مثل مرض السكر والتهاب الكلى المزمن.

وقد يكون الطعام سبباً في زيادة المرض، ولا يستفيد منه المريض وربما يضره، وقد يكون عدم شهوة المريض للغذاء لكثرة امتلاءٍ في بدنه فمتى أعطيته الطعام مكرهاً زدته شراً[١].

ب. طرق الوقاية في الشراب:

لقد وضع الرسول ﷺ طرقاً وقائية وعلمها لصحابته، حتى تكون لهم دستورا، يسيرون عليه في وقاية أنفسهم من الأمراض والأوجاع وغير ذلك من الأوبئة والمخاطر التي قد تصيبهم.

قال تعالى: ﴿وَجَعَلْنَا مِنَ الْمَاءِ كُلَّ شَيْءٍ حَيٍّ﴾ [الأنبياء: ٣٠].

يعتبر الماء عصب الحياة، وكل مخلوق في هذه الحياة بحاجة ماسة إلى الماء الذي لا يستغني عنه واحد مدى الحياة.

وقد وضع الرسول ﷺ آداباً لكيفية شرب الماء، ومن هذه الآداب:

١- التنفس في الشراب ثلاثا: روى عنه ﷺ: أنه كان يتنفس في الشراب ثلاثاً ويقول: «إنه أروى وأبرأ وأمرأ»[٢]. ويعني النفس هنا أي الشرب ثلاث مرات وليس دفعة واحدة.

وقد نبه الرسول ﷺ إلى عدة حكم في هذا الحديث منه: أن الشرب ثلاث مرات وليس دفعة واحدة، وعلة ذلك لأنه ربما خرج من الريق شيء في المشروب وربما دخل إلى مجرى النفس فيكون سبباً للاختناق أو الشرق، فإذا تنفس أمن الشارب من ذلك[٣].

ومنها أنه أبرأ وأمرأ: أي يبرى من شدة النفس لمجيئه وقدومه على المعدة دفعات ثلاث، فتسكن الدفعة الثانية ما عجزت الأولى عن تسكينه والثالثة تسكن الثانية وهكذا... وهذا أفضل للمعدة من أن يداهمها الماء البارد دفعة واحدة، فيؤثر عليها وتؤدي إلى فساد مزاج المعدة والكبد، وإلى أمراض رديئة خصوصاً في سكان البلاد الحارة، وكذلك يبرى من شدة

---

(١) البغدادي، الطب من الكتاب والسنة، ص ١٩٤- ١٩٦.

(٢) صحيح مسلم، كتاب الأشربة، باب كراهة النفس في الإناء، جـ ١٣، ص ١٩٩.

(٣) البغدادي، الطب في الكتاب والسنة، ص ٢١.

العطش ودائه)[1].

ومن هديه ﷺ ما رواه ابن عباس أن النبي ﷺ: نهى أن يُشرب من في السقا)[2].

وفي هذا الحديث تربية للفرد ووقاية له من أن يصيبه ويؤذيه ما بداخل السقا، لأنه لا يدري ما بداخله ولا يدري ما يأتي إلى فيه، قد يكون فيه حشرة مؤذية، أو علقة تعلق بحلقه فتؤذيه وتوقع الضرر بجسمه، وبهذا أراد الرسول ﷺ أن ينبه أفراد الأمة جميعاً إلى أن هذا العمل غير مرغوب فيه لما فيه من الضرر الذي يقع على الإنسان.

ومن ذلك أن الشرب بهذه الطريقة يملأ البطن من الهواء، فيضيف عن أخذ حظه من الماء أو يزاحمه أو يؤذيه[3].

ومن هديه ﷺ ما رواه الترمذي عن ابن عباس قال: (نهى ﷺ أن يتنفس في الإناء أو ينفخ فيه)[4].

وفي هذا دعوة إلى وقاية الجسم وتربية الإنسان تربية سليمة وصحيحة لأن النفخ في الشراب، ربما يكسبه رائحة كريهة من فم النافخ، فيترك الشرب من أصلها.

وربما يكون مريضاً، فمن خلال تنفسه في الإناء قد ينقل الجراثيم إلى الماء، فتنقل إلى إنسان آخر، فيصيبه المرض، وهكذا دواليك.

لكل ذلك نهى الرسول ﷺ عن التنفس بالإناء أو النفخ فيه، للمحافظة على صحة الإنسان، ووقاية المجتمع من الأمراض والأوبئة الأخرى.

٢- النهي عن الشرب قائماً:

ومن هديه ﷺ أن رسول الله ﷺ: نهى عن الشرب قائماً[5]، لأن في ذلك آفات عديدة منها:

---

(١) ابن قيم الجوزية، الطب النبوي، ص ٧٩.
(٢) صحيح البخاري، كتاب الأشربة، باب الشرب من فم السقا، جـ ١٠، ص ٩.
(٣) ابن قيم الجوزية، الطب النبوي، ص ١٨٢.
(٤) الترمذي، السنن، كتاب الأشربة، باب ما جاء في كراهية التنفس، جـ ٣، ص ٢٠٢.
(٥) صحيح مسلم، كتاب الأشربة، باب كراهية الشرب قائما، جـ ٣، ص ١٦.

(لا يحصل به الري التام ولا يستقر بالمعدة حتى يقسمه الكبد على الأعضاء وينزل بسرعة وحدّة إلى المعدة، فيُخشى منه أن يُبرد حرارتها ويشوشها، ويُسرع إلى النفوذ إلى أسافل البدن بغير تدريج، وكل هذا مضرٌ بالشارب)[1].

٣- تغطية الإناء:

ومن هديه ﷺ في الشراب: أن الرسول ﷺ أمرنا بتغطية إناء الطعام أو الشراب، حفاظاً على صحة الإنسان.

قال ﷺ: «غطّوا الإناء، وأوكوا السقاء، فإن في السّنة ليلة يتنزل فيها وباء لا يمر بإناء ليس عليه غطاء، وسقاء ليس عليه وِكاء إلا نزل فيه ذاك الداء»[2].

وقد ثبت علمياً أن للأوبئة فصولاً معينة، كما أن بعض الحشرات التي تنقل الميكروبات، وتنشط بالليل حينما يهجع الناس)[3].

ونلاحظ في هذا الهدي النبوي، وقاية للإنسان ومحافظة عليه من أن يسقط في طعامه أو شرابه حشرة أو جرثومة مؤذية تنقل إليه عدوى المرض الذي ربما يفتك به.

وهذا من الأساليب والطرق الصحية والتربوية التي كان الرسول ﷺ حريصاً على أن يعلم أمته هذه الأساليب والطرق التربوية وينبههم إلى كل شيء يضر بهم ويؤثر عليهم، حتى يبقى هذا المجتمع مجتمعاً طاهراً قوياً.

وبعد هذا العرض من خلال استعراض الهدي النبوي الشامل في الطعام والشراب والسبل الكفيلة في المحافظة عليهما، لأن في المحافظة عليهما حفظاً ووقاية للإنسان -بشكل عام والمسلم بشكل خاص-، من الأمراض والأوجاع والأوبئة، نقول إن هديه صلى الله عليه وسلم كان بمثابة وصفة طبية لكل مسلم، وإذا أخذ ما تضمنته وعمل به استطاع الإبقاء على جسمه قوياً خالياً من الأمراض، لأنها جاءت شاملة لكل ما جاء في الطب النبوي، حيث إنها:

---

(١) ابن قيم الجوزية، الطب النبوي، ص ١٧٨.

(٢) صحيح مسلم، كتاب الأشربة، باب استحباب تغطية الإناء، جـ ١٣، ص ١٨٦.

(٣) غريب جمعة، نحو وعي صحي أفضل، مجلة الوعي الإسلامي، العدد ١٨٧، السنة ١٦، ص ٥١.

أ. شملت أنواع الغذاء بكافة أنواعه. وما يشتمل عليه من عناصر ضرورية للجسم.

ب. أكدت على أنواع الطعام المختلفة والغنية بالعناصر الغذائية التي يحتاجها الجسم كثيرا.

جـ. أكدت على خصوصية طعام المريض، وعدم إجباره على الطعام والشراب إذا كان لا يريد ذلك، نظراً لما يترتب عليه من أضرار كثيرة، وفائدة قليلة.

د. تضمنت حرص الرسول ﷺ على نظافة الطعام، خوفاً عليه من أن سقوط الحشرات والميكروبات به الناقلة للمرض حيث أمر بتغطية الآنية الخاصة بالطعام والشراب.

هـ. الاقتصاد في الطعام والشراب، نظراً لما يترتب على كثرة الطعام وإدخال الطعام على الطعام من أضرار كبيرة تؤثر على صحة الإنسان.

وبهذا يكون الرسول ﷺ قد جمع بين الأهمية الكبرى للغذاء وبين أساليب الوقاية التي يجب الأخذ بها بالنسبة للمرضى والأصحاء.

٣- وقاية البدن من الأمراض:

وكما وجه الرسول ﷺ هديه لوقاية الجسم بما يخص الطعام والشراب وجه هديه أيضاً لوقاية الجسم فيما يتعلق بنظافته وطهارته، وذلك من خلال عدة أمور هي:

أ. الوضوء:

لاشك أن الوضوء شرط لصحة الصلاة، وقد بين الله سبحانه وتعالى ذلك في القرآن الكريم، قال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا قُمۡتُمۡ إِلَى ٱلصَّلَوٰةِ فَٱغۡسِلُواْ وُجُوهَكُمۡ وَأَيۡدِيَكُمۡ إِلَى ٱلۡمَرَافِقِ وَٱمۡسَحُواْ بِرُءُوسِكُمۡ وَأَرۡجُلَكُمۡ إِلَى ٱلۡكَعۡبَيۡنِۚ﴾ [المائدة: ٦].

وبين الرسول ﷺ في السنة، أسسه وكيفيته، وذكر جملة من فوائده للإنسان مادياً ومعنوياً، والوضوء يعتبر في الأصل عبادة شرعه الله عز وجل.

وقد أرشدنا الرسول ﷺ إلى طهارة مكان النجاسة، والقاذورات قبل الوضوء، وقاية للإنسان من الأمراض، وقد ورد عن الرسول ﷺ ذلك.

روى أنس رضي الله عنه: أن رسول الله ﷺ كان يدخل الخلاء فأحمل أنا وغلام نحوي إداوة من ماء، وعنده إناء من جلد فيستنجي بالماء[١] .

والماء يزيل ويطهر مكان النجاسة، ويطهر مخرج القناة البولية، وفتحة الشرج، ويعتبر وقاية من حدوث التهاب المسالك البولية.

وبهذا يكون الإسلام قد ربط العبادة بالنظافة، فلا تقبل عبادة من المسلم مالم يؤدّ ويحقق شروط الطهارة والنظافة.

وبعد طهارة النجاسة، يشرع المسلم بالوضوء، وأول ما يغسل يديه، حتى يزيل ما علق بها من أوساخ وقاذورات وجراثيم.

وقد أثبتت دراسة منظمة الصحة العالمية، قسم الصحة الوقائية أن استعمال الماء النظيف في الغسل يزيل حوالي ٩٠٪ من الميكروبات[٢] .

وقد خصص في الدراسة غسل اليدين، لأن الطهارة تزيل النجاسة وتذهبها نهائياً، وهذا يقي الإنسان من الأمراض والأوبئة.

ولعل من أهم الآثار الصحية المتعلقة بالوضوء، انه يقلل من احتمال حدوث سرطان الجلد، لأنه ثبت بالدراسات والأبحاث المتعلقة بأسباب سرطان الجلد، أنه يحدث في كثير من الحالات نتيجة تعرض الجلد للمواد الكيميائية الناتجة عن صناعة البترول، مما قد يعرض العاملين إلى مثل ذلك[٣] .

ومن أنجع طرق الوقاية لإزالة تلك التراكمات هو بالماء والوضوء خمس مرات يوميا، يزيلها أولا بأول ولا يجعلها تتراكم، وبالتالي لا تؤثر على خلايا الجلد، ولا تعرضه للإصابة بمثل هذا المرض الخبيث[٤] .

والوضوء يعتبر وقاية صحية لأن الإنسان ينظف فتحات جسمه، كل يوم عدة مرات، وهذه

---

(١) صحيح البخاري، كتاب الوضوء، باب الاستنجاء بالماء، جـ ١، ص ٢٥٠.

(٢) محمود الحاج قاسم، الطب الوقائي في الإسلام، ط١، الموصل، مكتبة بسام، ١٩٨٨، ص ١٧.

(٣) لؤلؤة صالح العلي، الوقاية الصحية على ضوء الكتاب والسنة، ص ١٠٢- ١٠٣ نقلا عن د. نبيه الغبرة، الصحة والوقاية، ص ١٨.

(٤) المرجع السابق، ص ١٠٤، نقلا عن د. نبيل الطويل، أحاديث في الصحة، ص ٢٨- ٢٩.

الفتحات هي المداخل الرئيسة للجراثيم، فتدخل عن طريقها إلى جسم الإنسان، وتسبب له الأمراض، لذا على الإنسان الاعتناء بها، عناية مستمرة حتى تقاوم الجراثيم المهاجمة قبل أن تدخل إلى الجسم وتفتك به.

وأما المضمضة، فإنها كفيلة بإذابة كل المواد السكرية الموجودة خلال الأسنان أو معظمها، وإفساد مفعول المواد الحمضية التي يتم تكوينها بالفم[1].

التي ربما تؤدي إلى تسوس الأسنان وظهور رائحة كريهة تنبعث من الفم. إذن فالوضوء الوضوء يعتبر طريقاً وقائياً لكثير من الأمراض والأوجاع التي قد تصيب الأسنان نتيجة لتراكمات الأوساخ والميكروبات التي تغزو الجسم وتفتك به.

ب. الغسل:

قال تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَقۡرَبُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَأَنتُمۡ سُكَٰرَىٰ حَتَّىٰ تَعۡلَمُواْ مَا تَقُولُونَ وَلَا جُنُبًا إِلَّا عَابِرِي سَبِيلٍ حَتَّىٰ تَغۡتَسِلُواْ . . . ﴾ [النساء: ٤٣].

وقال ﷺ لفاطمة بنت أبي حبيش عندما سألته عن الاستحاضة قالت: يا رسول الله إني امرأة أُستحاض فلا أظن أفأدع الصلاة؟ قال: (لا إنما ذلك عرق وليست بالحيضة، فإذا أقبلت الحيضة فدعي الصلاة وإذا أدبرت فاغسلي عنك الدم وصلي)[2].

ولم يكتف الإسلام بالوضوء اليومي المتكرر عدة مرات، وإنما وجه أبناءه إلى الغسل الذي يعم جميع البدن، حتى يبقى المسلم نظيفاً طيب الرائحة، بعيداً عن الأمراض التي قد تصيبه نتيجة لتراكم الأوساخ والقاذورات، لذلك قرر عليهم الغسل وأوجبه من الجنابة والحيض وحثهم على الغسل ولو مرة واحدة في الأسبوع.

قال ﷺ: «غسل يوم الجمعة واجب على كل محتلم»[3].

وقد ربط الإسلام بين ما يقوم به الإنسان في اليوم والليلة ونظافته، ولذا اوجب عليه الاغتسال بعد إتيان زوجته، وأن يغتسل بعد كل احتلام، وأوجب ذلك على المرأة الحائض

---

(١) لؤلؤة العلي، الوقاية الصحية على ضوء الكتاب والسنة، ص ١٠٥، نقلا عن د. صبري القباني، طبيك معك، ص ٢٦.

(٢) صحيح البخاري، كتاب الحيض، باب إقبال الحيض، جـ ١، ص ٤٢٠.

(٣) صحيح البخاري، كتاب الجمعة، باب فضل الغسل يوم الجمعة، جـ ٢، ص ٣٥٦.

والنفساء.

وهناك فوائد صحية ناتجة عن الغسل، تكون بمجموعها طرقاً وقائية للإنسان من إصابته بكثير من الأمراض.

وتكمن الفائدة الصحية للغسل بعد التقاء الزوج زوجته (الجماع) لإزالة آثار الإفرازات التي قد تصحب خروج المني، وتبقى على جسم الإنسان، خشية من تلويث مجرى البول.

والغسل بعد الحيض والنفاس يزيل الدم الذي هو مركز تجمع الجراثيم والميكروبات، فإزالة بقايا الدم هو وقاية للإنسان من إصابته بتلك الأمراض والميكروبات.

والغسل ينشط الغدد الصماء، مما ينتج عنه تنشيط الدورة الدموية، والضغط الشرياني[1].

ونظافة الجسم تمنع الإصابة بالأمراض الجلدية، وتفتح المسام لخروج العرق، وتنعش الإنسان، وتنشط دورته الدموية، ونظافة الرأس تمنع ظهور القشرة، والقمل، وأمراض جلد الرأس الأخرى[2].

ومن الأمور التي أمر الإسلام أبناءه وركّز عليها غسل الأيدي قبل تناول الطعام وبعده.

قال ﷺ: «بركة الطعام الوضوء قبله والوضوء بعده»[3].

وعلة ذلك أن كثيراً من الأمراض تنتقل إلى الجسم عن طريق اليدين، ولهذا حث الإسلام على غسل اليدين، من أجل حماية المسلم من الأمراض.

وحث الإسلام كذلك المسلم على غسل يديه قبل النوم.

قال ﷺ: «إذا أتيت مضجعك فتوضأ وضوءك للصلاة.»[4] وبعد أن يقوم الإنسان من نومه، أمر الرسول ﷺ بغسل يديه، لأنه لا يدري أين باتت يداه، وربما وقعتا على نجاسة، فتنتقل الميكروبات من خلالها إلى الجسم.

---

(١) عفيف عبد الفتاح طبارة، روح الصلاة في الإسلام، ط٩، بيروت، دار العلم للملايين، ١٩٧٩، ص ٨٩.

(٢) علي عويضة، حق البدن، (د. ط)، بيروت، دار العلم للملايين، (د. ت)، ص ٢٣٥.

(٣) الترمذي، الجامع الصحيح من سنن الترمذي، تحقيق إبراهيم عطوة عوض، كتاب الأطعمة، باب ما جاء في الوضوء قبل الطعام، ط١، القاهرة، دار الحديث، (د.ت).

(٤) صحيح البخاري، كتاب الوضوء، باب فضل من بات على الوضوء، جـ ١، ص ٣٥٧.

قال ﷺ: «إذا استيقظ أحدكم من نومه فليغسل يديه قبل أن يدخلها في وضوئه، فإن أحدكم لا يدري أين باتت يده»[١].

ونجد كذلك أن الرسول ﷺ أمر المسلم بغسل يديه إذا أراد أن يتوجه لزيارة المريض، قال ﷺ: «من توضأ فأحسن الوضوء، وعاد أخاه المسلم محتسباً بُوعد من جهنم مسيرة سبعين خريفا»[٢].

والعلة في ذلك، عادة تكون مناعة المريض قليلة، فيُحتمل أن يصاب بجرعات جديدة من الميكروبات من الزوار وهو لا يحتمل ذلك. ويكون أكثر قابلية للمرض الجديد من الشخص السليم، وقد يكون من زواره من هو حامل للميكروب، وبذلك يكون غسل الأيدي، واقياً للمريض من عدوى جديدة[٣].

جـ. نظافة الأسنان:

وحرصاً منه ﷺ على نظافة الإنسان المسلم ووقايته من الأمراض، وخاصة الفم، من أن يصيب الأسنان التسوس والتهاب اللثة، كان ﷺ يزيل ما يعلق بالفم من بقايا الطعام، باستعمال السواك، من منطلق أن التسوس الناجم عن بقايا الطعام ربما يؤدي حتماً إلى فقدان الأسنان.

ولذا قال ﷺ: «السواك مطهرة للفم مرضاة للرب»[٤].

حيث يظهر لنا الإعجاز النبوي من خلال أمره باستعمال السواك لأن السواك يوجد فيه مادة، فيها القابلية لقتل الجراثيم التي تعيش على بقايا الطعام. فهو مطهرة للفم من مثل هذا، وفيه اتباع لسنة الرسول ﷺ. وهذا مرضاة للرب سبحانه وتعالى.

وفي معرض هديه وحثه ﷺ أصحابه، على نظافة أسنانهم وقاية لهم من أن يصيبها المرض، ويقضي عليها. فقد رأى ﷺ بعضا منهم وقد دخل عليه وأهمل نظافة أسنانه فقال

---

(١) صحيح البخاري، كتاب الوضوء، باب الاستجمار وترا، جـ ١، ص ٣٦٣.

(٢) أبو داود، السنن، كتاب الجنائز، باب فضل العيادة، جـ ٣، ص ١٨٥.

(٣) الفنجري، الطب الوقائي في الإسلام، ص ٢٣.

(٤) أحمد عبد الرحمن البنا، الفتح الرباني لترتيب مسند الإمام أحمد، (د. ط)، القاهرة: دار الشهاب، (د.ت)، جـ ١، ص ٢٨٩.

لهم: (مالي أراكم تدخلون عليّ قُلْحا[1] ، استاكوا لولا أن أشق على أمتي لفرضت عليهم السواك كما فرضت عليهم الوضوء)[2].

وإن دلّ هذا على شيء فإنما يدل على مدى اهتمام الإسلام في تربية الفرد المسلم على النظافة وحسن المنظر، لكي يبقى نظيفاً صحيح الجسم.

د. نظافة البيئة:

وفي مجال تربية المجتمع المسلم، ووقايته لكي يبقى مجتمعاً نظيفاً، بعيداً عن الأمراض التي تؤدي إلى الفتك به، فقد اعتنى الإسلام أيضا، بنظافة مصادر المياه، كمياه الأنهار والآبار والبحار وغيرها، وأكد على عدم تلويث هذه المياه بالنجاسة أو إلقاء القاذورات فيها، وحرّم التبول فيها واعتبر ذلك مجلبة للعن، لأن هذا يؤدي إلى ما يسمى حديثا: بالتلوث البيئي، وقد وجدنا الرسول ﷺ، قد دعا إلى ما يسمى بنظافة البيئة والحث على ذلك.

وحرّم ما يسمى (بالتلوث البيئي) لأن ذلك يعود بالوبال على المجتمع واعتبر ذلك كارثة تهدد حياة الأفراد والمجتمعات.

قال ﷺ: «اتقوا الملاعن الثلاث: البراز في الموارد وقارعة الطريق والظل»[3].

يقصد بذلك إيقاع النجاسة في هذه المواطن، لأنها مواطن بيئية يحتاجها الناس في كل وقت، الماء، والظل ليستظلوا به من حر الشمس، وكذلك الطرق التي يسير فيها الناس، لأن في تلويثها ضرر للناس، ويؤدي إلى إصابتهم بالأمراض التي تفتك بهم، لذا جاء التشديد بصيغة اتقوا الملاعن الثلاث، لكي يكون هذا رادعاً للناس، من الإقدام على مثل هذا العمل، وفيه الحفاظ على البيئة أيضا.

وحفاظاً على البيئة من التلوث، وصحة الإنسان من الأمراض والميكرويات نهى الرسول ﷺ عن التبول في الماء الراكد الذي لا يجري، حفاظاً على سلامة المياه عموما من التلوث، لأنها مصدر شرب للإنسان لكي يبقى في مأمن من المرض.

---

(١) القلح: صفرة ووسخ يركبان الأسنان، الفتح الرباني، جـ ١، ص ٢٨٩.

(٢) المرجع السابق، جـ ١، ص ٢٩٢.

(٣) البيهقي، السنن الكبرى، كتاب الطهارة، ط٢، بيروت، دار الفكر، (د. ت)، جـ ١، ص ٩٧.

قال ﷺ: «لا يبولنّ أحدكم في مستحمه ثم يغتسل فيه، أو يتوضأ فإن عامة الوسواس منه»[١].

ومعلوم أن الكثير من الأوبئة والأمراض مثل الكوليرا وغيرها مصدرها الماء، وخاصة البلهارسيا، فإنها تنقل إلى الماء عند التبول، وبعدها إلى الجسم الذي يُستحم فيه أو يشرب منه.

ولهذا اعتبر الفقهاء الماء الذي يسقط فيه البول أو البراز نجسا.

وهذا يعود بالأضرار الصحية والاقتصادية على المجتمع الذي يكون عرضة لمثل هذا.

وقال ﷺ: «لا يبولن أحدكم في الماء الدائم الذي لا يجري ثم يغتسل فيه»[٢].

وقال ﷺ: «لا يغتسل أحدكم في الماء الدائم وهو جنب»[٣].

النهي هنا عن التبول أو الاغتسال في الماء الدائم الذي يبقى مستمرا، لأن الماء الذي تصيبه النجاسة يصبح مصدراً من مصادر الجراثيم التي تنقل الأمراض، والبول يجعل الماء ذا رائحة كريهة، ويغير لون الماء وبالتالي يكون الماء ناقلا لأمراض كثيرة وخطيرة أهمها مرض البلهارسيا، الذي يسبب أضراراً كبيرة لأفراد المجتمع.

وقد قدرت نسبة الإصابة بهذه الأمراض والديدان في بعض القرى في مصر، والسعودية، والعراق، وإندونيسيا بخمسة وتسعين في كل مئة ٩٥٪ من سكان هذه القرى[٤].

وأما بالنسبة للخسائر الاقتصادية، جرّاء الإنفاق على شراء الأدوية، قد قدرت في مصر سنوياً بحوالي ٥٠٠ مليون جنيه مصري، في مصر وحدها[٥] ، فما هي خسارة العالم الإسلامي كله.

ولم تقتصر التربية الوقائية في الإسلام على هذا، بل دعت إلى نظافة المسكن والشوارع والطرقات، من باب الحفاظ على البيئة من التلوث، لأن في تلويثها خطورة على الصحة العامة.

---

(١) البيهقي، السنن الكبرى، جـ١، ٩٨.

(٢) صحيح مسلم (النووي)، كتاب الطهارة، باب النهي عن البول، جـ ١، ص ٢٣٥.

(٣) صحيح مسلم (النووي)، كتاب الطهارة، باب النهي عن البول، جـ ١، ص ٢٣٥.

(٤) عمر محمود عبد الله، الطب الوقائي في الإسلام، ص ٣٨.

(٥) المرجع السابق، ص ٣٨.

وبناء على هذا فإن الرسول ﷺ أمر المسلم بأن يزيل الأذى عن الطريق إن رآه، وإن جلس على قارعة الطريق ألا يلقي الأوساخ والقاذورات في الطريق، لأن في إلقائها ضرر على المسلمين وتلويث للبيئة.

هـ. نظافة البيوت:

ورد في هديه ﷺ الحث على أن تبقى بيوت المسلمين نظيفة طاهرة، يقول ﷺ: «إن الله تعالى طيب يحب الطيب، نظيف يحب النظافة، كريم يحب الكرم، جواد يحب الجود، فنظفوا أفنيتكم ولا تشبهوا باليهود»[1].

ففي هذا الحديث يأمر الرسول ﷺ المسلمين بتنظيف ساحات بيوتهم وعدم إلقاء القاذورات والأوساخ في تلك الأفنية، حتى لا تكون عرضة للحشرات والجراثيم والميكروبات، التي تنقل الأمراض إلى الإنسان إضافة إلى ما ينتج عنها من روائح كريهة.

وفي مجال التربية الوقائية، ورد هديه ﷺ في المحافظة على الطرق العامة، وأن لها حرمة ليس من حق أحد. وإنما هي من حق كل الناس الذي يمرون في هذه الطريق، ولا يجوز التعدي على هذه الطريق بإلقاء القاذورات والأوساخ فيها وقاية للناس من الأمراض والميكروبات التي تكون هذه القاذورات هي السبب الرئيسي فيها.

قال ﷺ: «إياكم والجلوس في الطرقات، قالوا: يا رسول الله ما لنا بد، هي مجالسنا نتحدث فيها، قال فإذا أبيتم إلا المجلس. فأعطوا الطريق حقّه. قالوا: وما حقه؟ قال: (غض البصر وكف الأذى. ورد السلام والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر»[2].

ووجه الشاهد هنا قوله ﷺ، وكف الأذى، فكفّ الأذى يجمع جميع أنواع الأذى، ومنها إلقاء القاذورات وغيرها في الطريق.

و. نظافة المساجد:

وقد شمل هديه ﷺ في النظافة والوقاية والتربية، دور العبادات أيضاً (المساجد) وعدم

---

(١) أبو بكر محمد بن عبد الله المالكي، عارضة الأحوذي بشرح صحيح الترمذي، (د. ط)، بيروت، دار الكتب العلمية، (د، ت)، جـ ١٠، ص ٢٤٠.

(٢) صحيح مسلم، كتاب اللباس، باب النهي عن الجلوس في الطرقات، جـ ٣، ص ١٦٧٥.

إيذاء المسلمين، وذلك من خلال التوجيه النبوي في حث الداخل إلى المسجد أن يكون نظيفاً، في جسمه وملابسه. وألاّ يكون ذا رائحة كريهة لأن ذلك يؤذي المصلين، أو ربما تسبب لهم عدوى المرض وغيره، من خلال إلقاء القاذورات أو البصق فيها.

ولو أخذ المسلمون بهذا التحذير النبوي، (إياكم) والتزموا بذلك، لأصبحت بلاد المسلمين نظيفة خالية من الأمراض، علاوة على توفير الأموال الطائلة التي تنفق على تنظيف الشوارع، وجهات أخرى.

فنظافة هذه الأماكن، تعني حفظ الصحة، ووقاية للجسم من الأمراض والعلل وغيرها.

ويقول تعالى: ﴿ ۞ يَٰبَنِيٓ ءَادَمَ خُذُواْ زِينَتَكُمْ عِندَ كُلِّ مَسْجِدٍ﴾ [الأعراف: ٣١].

لما للمساجد من أهمية كبيرة في الإسلام لأنها مراكز تجمع أكبر عدد من المسلمين يومياً ويوم الجمعة يتضاعف هذا العدد لتشمل سكان الحي أو القرية. ولهذا ينبغي على كل من يدخل المسجد أن يكون نظيف الجسم والملابس، حتى لا يكون مصدر أذى وعدوى لغيره.

قال ﷺ: «والبُصاق في المسجد خطيئة وكفارتها دفنها»[1].

فقد اعتبر الرسول ﷺ أن البصاق في المسجد خطيئة، وربما تصل إلى درجة الحرام، وأن نظافة المساجد واجبة على كل مسلم ووجود مثل هذه الأشياء قذارة، تعتدي على نظافة المسجد، وربما يكون صاحب هذه العمل: (البصاق) حاملاً لمرض معين، وبهذا يكون قد آذى غيره من المسلمين، بنقل عدوى المرض إليهم، وهذا يكون من باب تربية المسلم على حسن الخلق، والمحافظة على إخوانه المسلمين، من أن يصل إليهم المرض.

ومن جمال هديه ﷺ: أن جعل كفارة تلك الخطيئة دفنها تحت التراب، إذا كانت أرض المسجد من التراب، أو وضعها في منديل ورقي، ثم وضعه في جيبه، حتى يغادر ومن ثم وضعها في مكانها المخصص لذلك، فيكون بهذا الفعل قد حافظ على نظافة المسجد وطهارته، وحافظ على بقاء المسلم داخل المسجد سليماً معافى.

ويتبين لنا من خلال هديه ﷺ في المحافظة على بقاء الأماكن الخاصة والعامة، ودور العبادات نظيفة، وقاية لنا جميعاً من الأمراض لأن عدم نظافة هذه الأماكن لها تأثير مباشر على

---

(١) صحيح البخاري، كتاب الصلاة، باب كفارة البزاق في المسجد، جـ ١، ص ٥١١.

صحة الإنسان، والمحافظة عليها نظيفة لها تأثير مباشر في حفظ الصحة.

ويترتب على ذلك فوائد صحية كثيرة منها:

١- أن النظافة تقضي على الحشرات، وما تنقله من أمراض تصيب الإنسان والمجتمع.

٢- الأماكن النظيفة الطاهرة تختفي فيها الروائح الكريهة وهي تؤدي إلى ظهور الأمراض والآلام، فإذا قُضي عليها، قضينا على كثير من الآفات والأمراض، والأماكن القذرة أماكن متعفنة يتصاعد منها الروائح الكريهة التي لها تأثير مباشر على الصحة، وفي منع ذلك وقاية كبيرة للصحة والإنسان[1].

وهذا ينعكس إيجابياً على نفسية الإنسان، لأن النفس ترتاح للجمال والمناظر الجميلة والروائح الطيبة، وهذا يفيض على النفس فرحاً وسروراً، ويؤثر في حفظ صحة الإنسان ووقايته.

د. نظافة اللباس:

قال تعالى: ﴿ يَٰبَنِيٓ ءَادَمَ قَدۡ أَنزَلۡنَا عَلَيۡكُمۡ لِبَاسٗا يُوَٰرِي سَوۡءَٰتِكُمۡ وَرِيشٗاۖ وَلِبَاسُ ٱلتَّقۡوَىٰ ذَٰلِكَ خَيۡرٞۚ ذَٰلِكَ مِنۡ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ لَعَلَّهُمۡ يَذَّكَّرُونَ﴾ [الأعراف: ٢٦].

فالله سبحانه وتعالى قد هدى الإنسان إلى اللباس الحسي، لأنه يضفي جمالا على الإنسان، وغايته أن يستروا العورة الظاهرة، وهذا تمام نعمة الله على عباده.

وقد أمر الله رسوله ﷺ بأن يطّهر ثيابه، قال تعالى: ﴿وَثِيَابَكَ فَطَهِّرۡ﴾ [المدثر: ٤].

فأمر الله عز وجل رسوله ﷺ بالقيام بواجب الدعوة والإنذار، وتطهير ثيابه من النجاسات حتى تكتمل صورة الإنسان، طهارة حسية وطهارة معنوية.

فالطهارة الحسية تكون بتنظيف الملابس، ومن كل ما علق بها من أوساخ وقاذورات، والطهارة المعنوية. تطهير النفس الإنسانية من كل ما علق بها من أمراض معنوية لكي يكتمل الإنسان المسلم ظاهراً وباطناً، مادياً ومعنوياً، وتصبح صورته صورة مشرقة.

ولم يقتصر هديه ﷺ على نظافة الثياب فقط، وإنما تعدى ذلك إلى عدم تطويل الثوب،

---

(١) لؤلؤة صالح العلي، الوقاية الصحية على ضوء الكتاب والسنة، ص ١٩٢- ١٩٥.

لأنه يكون عرضة للأوساخ التي تعلق به نتيجة لطوله، وهذا يؤدي إلى نجاسته.

قال ﷺ: «إزار المسلم نصف الساق ولا حرج أو لا جناح عليه فيما بينه وبين الكعبين وما كان أسفل من الكعبين فهو في النار»[1].

ويترتب على نظافة الملابس، فوائد صحية كثيرة تكون بمجملها طرقاً لوقاية الإنسان من الأمراض.

ومن هذه الفوائد: أن الملابس غير النظيفة، ربما تؤثر على نفسية الإنسان، فصاحب الثياب الوسخة القذرة، ربما يتأذى منه الناس، أو ربما ينعكس هذا سلبياً على صاحب تلك الملابس، فوقاية له من التأثير النفسي الذي قد يضفي الكآبة، والانطواء فقد أمره الإسلام بأن تكون ثيابه طاهرة نظيفة، لأن الثياب الوسخة غير النظيفة عرضة لأن يقع عليها الذباب والحشرات الأخرى التي تنقل عدوى المرض بدورها، إلى جانب انبعاث رائحة كريهة ربما تكون مصدراً للأمراض والأوجاع والعلل.

هـ- سنن الفطرة:

وردت النصوص عن الرسول ﷺ، فيما يخص سنن الفطرة سواء كان بالأمر أو النهي عنها، نظراً لما يترتب عليها من الحفاظ والوقاية على الناحية الجمالية في الإنسان.

وسنن الفطرة، ما كان عليه السلف الصالح، من الأنبياء وغيرهم وقد التزموا بذلك من باب القناعة والرضا، والتصديق، لما يترتب عليها من فائدة للبشر.

وفي بيان سنن الفطرة: فقد ورد عن الرسول ﷺ ما يتعلق بذلك، فقد ورد عن أبي هريرة رضي الله عنه قوله: (سمعت رسول الله ﷺ يقول: (الفطرة خمس: الختان، والإستحداد، وقص الشارب، وتقليم الأظافر، ونتف الإبط)[2].

أ- الختان: إزالة القُلفة جلدة صغيرة تكون في مقدمة العضو التناسلي للرجل، وعدم إزالتها يؤدي إلى التهاب مجرى البول.

(١) أبو داود، السنن، كتاب اللباس، باب في قدر موضع الإزار، جـ ٤، ص ٥٩.
(٢) صحيح البخاري، الفتح، كتاب الاستئذان، باب الختان، جـ ١١، ص ٨٨.

ويتبين لنا من خلال هذا الحديث، الذي يذكر فيه الرسول ﷺ الختان داعياً إلى العمل بذلك، لأن إزالة تلك القطعة، يقلل من احتمالات إصابة العضو التناسلي بمرض الزهري، حيث ثبت أن ميكروب الزهري يتخذ القلفة بالذات للنمو فيها، كما أنها هي نفسها قد تتعرض أثناء الجماع والاحتكاك إلى التسلخ والجروح ثم تصبح عرضة للالتهاب[١].

والختان يقلل من إصابة المرأة في سرطان عنق الرحم[٢].

وقد يؤدي عدم الختان إلى الهياج الجنسي، وهذا غير محمود في الإنسان لأنه قد يدفعه إلى ارتكاب الحرام (الزنا) وذلك من خلال تراكم المفرزات الدهنية مع بقايا البول، فيصبح الإنسان في حالة تهيج وتحرش، والتحرش منه جنسي دائم[٣].

ب- الإستحداد: هو إزالة شعر العانة.

وقد وردت الإشارة في هديه ﷺ إلى إزالة هذا الشعر نظراً لما يعلق به من أوساخ وكذلك قمل العانة، حيث دعا ﷺ إلى الإستحداد عندما حدّد خصال الفطرة التي تعتبر أحد ركائز النظافة.

قال ﷺ: «عشر من الفطر: قص الشارب، وإعفاء اللحية، والسواك، واستنشاق الماء، وقص الأظافر، وغسل البراجم، ونتف الإبط، وحلق العانة، وانتفاض الماء، والمضمضة»[٤].

وجعلها ﷺ من خصال الفطرة، وأمره بإزالتها من أجل الوقاية من قمل العانة، وكونها قريبة من منطقة السبيلين. حتى لا تكون بيئة صالحة لنمو الجراثيم والأمراض، لهذا اهتم الإسلام بنظافتها من أجل الوقاية من الأمراض.

جـ- قص الشارب:

وأما قص الشارب فوقاية مما يجتمع فيه من غبار يحمل الجراثيم ويلامس الطعام فيلوثه، لقربه من الأنف، فأمر الرسول ﷺ قص الشارب من باب الوقاية من الأمراض التي تنتقل عن

---

(١) عمر محمود عبد الله، الطب الوقائي في الإسلام، ص ٦٢.

(٢) لؤلؤة العلي، الوقاية الصحية في ضوء الكتاب والسنة، ص ١٣٥، نقلا عن حمدي الأنصاري، السرطان، ص ١٦٧.

(٣) لؤلؤة العلي، الوقاية الصحية في ضوء الكتاب والسنة، ص ١٣٦.

(٤) صحيح مسلم (النووي)، كتاب الطهارة، باب خصال فطرة، جـ ٣، ص ١٤٧.

طريق الجراثيم لكونه قريباً من الأنف علاوة على ذلك فهو مخالف للفطرة الإنسانية، وفيه تشبه بالأعداء.

قال ﷺ: «احفوا الشوارب وأعفوا اللحى»[1].

د- نتف الإبط:

وهو مكان مظلم يكون مرتعاً خصباً لنمو الجراثيم والحشرات، وتصدر منه الروائح الكريهة، ووقاية للإنسان وحفاظاً عليه، حث الرسول ﷺ على إزالة هذا الشعر، خوفاً عليه من الأمراض وتجنباً له من الروائح الكريهة.

هـ- تقليم الأظافر:

وتقليم الأظافر يخلص الإنسان من الأوساخ والجراثيم، التي تلوث طعامه وشرابه، وتهدد صحته، علاوة على التخلص من منظرها غير اللائق عندما تكون طويلة وكأنها مخلب سبع مفترس.

ولذلك جاء الأمر النبوي بقصها، لأنها تعتبر مخابى للميكروبات والجراثيم التي تؤثر على صحة الإنسان.

وربما تؤثر الأظافر على الأشخاص المصابين بالأمراض الجلدية (الأكزيما) حتى لا تؤدي حكة لجلده ولخدش الحويصلات وتلويثها بالجراثيم، ومن ثم التهابها، مما يؤدي إلى زيادة المرض وإطالة شفاؤه خاصة عند الأطفال[2].

و- غسل اليدين:

أمر الرسول ﷺ بغسل اليدين بعد كل طعام، وعند الاستيقاظ من النوم، حتى يحفظ على الإنسان صحته ويبقى سليماً معافى.

قال ﷺ: «إذا استيقظ أحدكم من نومه فليغسل يديه قبل أن يدخلهما في وضوئه، فإن

---

(١) محمد ناصر الدين الألباني، صحيح سنن الترمذي، كتاب الاستئذان، باب قص الشارب، ط١، بيروت، المكتبة الإسلامية، ١٩٨٨، جـ ٢، ص.

(٢) أمين رويحة، ولدي في حالة الصحة والمرض، ط١، بيروت، دار القلم، ١٩٧٤، ص ٢٩٨.

أحدكم لا يدري أين باتت يده»[1].

وقد خصّ الرسول ﷺ الأيدي لأنها تحوي الراجم، التي يعلق بها الأوساخ، وبالتالي تكون عرضة لوجود الجراثيم، ومن ثم تنقل بدورها المرض إلى الإنسان، فمن باب الوقاية والعناية والاهتمام أمر الرسول ﷺ المسلم بفعل ذلك.

وقال ﷺ: «من بات وفي يده غَـمَر، ولم يغسله فأصابه شيء فلا يلومن إلا نفسه»[2].

والأمر النبوي هنا من باب الحرص على المسلم حينما ينام، خوفاً أن تؤذيه بعض الحشرات في أثناء نومه أو أن يلحق به أذى الجن.

ز- الوقاية من التلوث:

وفي مجال الوقاية من التلوث، الذي يسبب الأمراض المعدية، فقد علمنا الرسول ﷺ كيف نتجنب التلوث من اجل الوقاية من الأمراض. فعلى سبيل المثال، التلوث الناتج عن ولوغ الكلب من إناء أحدنا فقد بين الهدي النبوي طريق الوقاية خوفاً من الإصابة بالأمراض المعدية، التي تنتقل عن طريق الكلاب.

قال ﷺ: «إذا شرب الكلب في إناء أحدكم فليغسله سبعاً أولاهن بالتراب»[3].

وقرر ﷺ أن ولوغ الكلب في الإناء يؤدي إلى تلوثه وعرّف الإنسان سر الغسل في التراب. وهو وجود المعادن الثقيلة القاتلة للجراثيم، زيادة على مادة السليكان، التي لها قابلية في التنظيف[4].

ح- الوقاية من الأمراض:

وفي مجال الوقاية من الأمراض، قرر الإسلام إبعاد المريض عن مجتمع الناس السليمين، حتى لا ينتقل إليهم العدوى، من خلال التشريعات الإسلامية المتعلقة بصحة الأبدان.

---

(١) صحيح البخاري (الفتح)، كتاب الطهارة، باب الاستجمار، جـ ٢، ص ٢٦٣.

(٢) أبو داود، السنن، كتاب الأطعمة، جـ ٢، ص ٣٣٠، ابن ماجه، السنن، كتاب الأطعمة، جـ ٢، ص١٠٩٦.

(٣) صحيح مسلم، شرح النووي، كتاب الطهارة، باب حكم ولوغ الكلب، جـ ١، ص ٢٣٥.

(٤) عمر محمود عبد الله، الطب الوقائي في الإسلام، ص ٧٣.

وقد وضع ﷺ المبادى الواضحة لما يُسمى بالوقاية الصحية أو ما يسمى الآن (الحجر الصحي) الذي عرفه المسلمون منذ العصور الإسلامية الأولى.

قال ﷺ: «لا يُوردُ مُمْرِض على مصح»[1].

وذلك لأن انتقال المرض يكون إما عن طريق اللمس، وغيرها من طرق الاحتكاك المباشر، أو بطريق غير مباشر، كالانتقال عن طريق الهواء.

فالرسول ﷺ من خلال هذا الحديث يضع للمسلمين طريق الوقاية السليمة الصحيحة. من خلال منع مجيء السليم إلى المريض خوفاً من انتقال المرض إليه.

وقال ﷺ: «فرّ من المجذوم كما تفر من الأسد»[2].

ويلاحظ في هذا الحديث أن الرسول ﷺ، يُحذّر المسلم وينبهه إلى أن يبتعد بل يفر من مريض الجذام، كما يفر أحدنا من الأسد المفترس. نظراً لخطورة هذا المرض، وكأنه أسد جائع يريد أن يفترس الإنسان إذا أدركه ولحق به، وكذلك مرض الجذام[3]، كأنه أسد يفتك بالإنسان إذا حلّ به، وبالتالي يودي بحياته.

وتعتبر هذه قاعدة نبوية صحية وقائية: عدم مخالطة الأصحاء مرضى الجذام، حفاظاً على صحتهم ووقاية لهم، عرفها المسلمون قبل أربعة عشر قرناً من الزمان، ومارسوه قبل أن تمارسه أوروبا.

وكانت أول إشارة إلى الحجر الصحي، هي تلك الإشارة من الرسول ﷺ إلى مرض الطاعون، حيث أمرهم إن هم أدركوا الطاعون في مدينة يريدون الخروج منها، عدم الخروج، وإن أرادوا دخولها بعدم الدخول.

ويعني هذا عدم اختلاط مرضى الطاعون بغيرهم من الأصحاء، حتى لا يتسرب المرض إلى المناطق الأخرى الخالية منه، وهذا ما يسمى بنظام الحجر الصحي أو الإقامة الجبرية على

---

(١) صحيح مسلم (النووي) كتاب السلام، باب لا عدوى ولا طيرة، جـ ١٤، ص ٢١٥.

(٢) صحيح البخاري (الفتح)، كتاب الطب، باب الجذام، جـ ١٠، ص ١٥٨.

(٣) الجذام: مرض تحدث من انتشار المرة السوداء في جميع البدن، فيفسد الحار الغريزي ويبرد الدم/ ويغلظ، خصوصاً إذا كان الطحال ضعيفاً لا يجذب الدم، ولا يقدر على تفسه، إبراهيم الأزرق، تسهيل المنافع في الطب والحكمة، (د. ط)، بيروت، دار الكتب العلمية، ١٩٨٣، ص ١٨٦.

المريض. سواء في بيته، أو في مركز صحي يعالج فيه.

قال ﷺ: «إذا سمعتم به بأرض فلا تقدموا عليه، وإذا وقع بأرض وأنتم بها فلا تخرجوا فراراً منه»[1].

ويظهر هذا واضحاً عندما التزم المسلمون، بهدي الرسول ﷺ وتربيته السليمة الصحيحة، في هذا المجال، فقد سلمت المدينة المنورة والجزيرة العربية من ظهور هذا الوباء فيها، الذي لو انتشر لفتك بالأفراد وقضي عليهم.

ويعتبر هذا من معجزات الرسول ﷺ. حيث لم يعرفه العالم إلا حديثاً.

ويظهر هذا واضحاً من خلال ممارسته ﷺ العملية عندما قدم عليه رجل من ضمن وفد من البادية لمبايعته على الإسلام، وكان بينهم رجل مصاب بالجذام، فرفض الرسول ﷺ أن يدخل المجذوم المجلس، أو يبايعه باليد، وأرسل رجلا آخر بقوله: (أبلغوه أنا قد بايعناه فليرجع)[2]. وهذا قمة الوقاية الصحية التي ربى الرسول عليها أصحابه.

ط- الوقاية بالتداوي:

وفي مجال الوقاية أيضا، أن الرسول ﷺ أمر المسلمين بالتداوي، وأخذ المطعوم المناسب للمرض المناسب، طالما فيه وقاية من المرض، حيث اعتبر ذلك من قدر الله عز وجل، كما أن المريض من قدر الله عز وجل، فالعلاج من قدر الله عز وجل، يدفع القدر بقدر مثله.

قال ﷺ: «إن الله أنزل الداء والدواء، وجعل لكل داء دواء، فتداووا ولا تداووا بالحرام»[3].

ولكن رغم كل هذا فقد أمر الإسلام بالتداوي، وحرّم التداوي بالمحرمات، قال ﷺ: «إن الله لم يجعل شفاءكم فيما حرّم عليكم»[4].

لأن أمر التداوي بالمحرم قضية شائكة، فهي ليست قاصرة على عدد قليل من العقاقير

---

(١) صحيح مسلم (النووي)، كتاب السلام، باب الطاعون، جـ ١٤، ص ٢٠٤.

(٢) صحيح مسلم، (النووي)، كتاب السلام، باب اجتناب المجذوم، جـ ١٤، ص ٢٢٨.

(٣) أبو داوود، السنن، كتاب الطب، باب الأدوية المكروهة، جـ ٤، ص ٧.

(٤) صحيح البخاري، الفتح، كتاب الأشربة، باب شراء الحلوى بالعسل، جـ ١٠، ص ٧٨.

الطبية، ولو كان الأمر كذلك لهان، ولكن المشكلة أن التداوي بالمحرمات بالنسبة لكثير من الأمراض النفسية وبعض الأمراض العضوية، قد أصبح شائعاً لدرجة خطيرة، وتعدّي المواد المحرمة إلى سلوك مرفوض لا يتفق والمبادى الأخلاقية، ونهج الشريعة الإسلامية ويتضاد مع صالح الفرد والمجتمع(١).

فتحريم التداوي به، إنما كان لخبثه وتأثيره على الجسم وصحة الإنسان وتحريمه حمية له، وصيانة له عن تناوله.

ويذكر ابن قيم الجوزية: (أن هذه المحرمات لا يناسب طلب الشفاء بها، فهو وإن أثر في الطب لكنه يؤدي بالجسم إلى مرض أعظم منه. ويؤثر في القلب بقوة الخبث الذي فيه، فيكون المداوى بها قد سعى في إزالة سقم البدن بسقم القلب)(٢).

ويكسب الطبيعة والروح صفة الخبث، ولهذا حرمه الله عز وجل وحرّم التداوي بالمحرم حتى لا تميل النفوس إليه، فتألفه ويصبح ذريعة إلى تناوله للشهوة واللذة، لا سيما إذا عرفت النفوس أنه نافع لها، مزيل لأسقامها، والشارع حرمه سداً للذريعة(٣).

ومن أجل الصحة الجسمية، ووقاية للإنسان من الأمراض وأن يصيبه الهلاك، فقد دعا الإسلام إلى عدم الإسراف في الطعام والشراب لأن كل منها يؤدي بالإنسان إلى الإصابة بالأمراض نتيجة لتناوله طعاماً أكثر من حاجته، مثل التخمة والجلطة وارتفاع ضغط الدم وغيرها.

قال تعالى: ﴿وَكُلُوا۟ وَٱشْرَبُوا۟ وَلَا تُسْرِفُوٓا۟ إِنَّهُۥ لَا يُحِبُّ ٱلْمُسْرِفِينَ﴾ [الأعراف: ٣١]. فينبه الله عز وجل الإنسان في هذه الآية القرآنية إلى عدم الإسراف لأن ذلك يعود بالنتيجة السيئة عليه وعلى جسمه.

وكذلك الاعتدال في الأعمال لأن الإفراط في العمل يؤدي إلى الإرهاق الذي تنتج عنه الأمراض العقلية والجسمية والعصبية والنفسية وغير ذلك(٤).

---

(١) نجيب الكيلاني، في رحاب الطب النبوي، ص ٥٧.

(٢) ابن قيم الجوزية، الطب النبوي، ص ١٢٣.

(٣) ابن قيم الجوزية، الطب النبوي، ص ١٢٣.

(٤) مقداد يالجن، جوانب التربية الإسلامية، ط١، بيروت، مؤسسة الريحاني، ١٩٨٦، ص ٨.

المبحث الثاني

الصحة العقلية

تعريف العقل: لغة: عقل، يعقل، عقلا، معقولا، وهو الجامع لأمره، العاقل الذي يحبس نفسه ويردها عن هواها، والعقل: التثبت في الأمور[1].

اصطلاحاً: العقل: هو القوة المفكرة التي يدرك بها الإنسان حقائق الأشياء، وهو الذي استعد به الإنسان لقبول العلوم النظرية وتدبير الصناعات الخفيفة الفكرية[2].

أهمية العقل:

ولأهمية العقل فقد أوجد الإسلام الوسائل الكثيرة المتنوعة للمحافظة عليه ووقايته من أن تصيبه آفة تجعل من صاحبه إنساناً لا يعقل ولا يفهم معنى الحياة، بحيث يصبح عالة على المجتمع.

ويعتبر العقل إحدى مكونات الشخصية الإنسانية، حيث إنه علامة دالة على التكليف، ففاقد العقل يسقط عنه التكليف الشرعي، حيث ورد عن الرسول ﷺ قوله: «إن القلم رفع عن ثلاثة: عن المجنون حتى يفيق، وعن الصبي حتى يدرك، وعن النائم حتى يستيقظ»[3].

والإنسان الذي أنعم الله عليه بالعقل يسمى عاقلا، إذ إنه بالعقل يعرف ما يحيط به، وبه يستطيع أن ينظم المعلومات الواردة إليه.

لذلك فالعقل له أهمية بالغة كبيرة، وخاصة في توجيه الفرد وتربيته، ونظراً لهذه الأهمية، فقد وضع الإسلام تلك الوسائل المتنوعة للحفاظ عليه.

فقد حرم الإسلام أشياء كثيرة على الإنسان، للحفاظ على عقله لأن العقل أساس الإنسانية فينحط الإنسان بتغيره إلى درجة البهائم، وينحدر إلى درجة العجماوات وعلى أساسه يتحمل

---

(١) ابن منظور، لسان العرب، (د. ط)، بيروت، دار صادر، (د.ت)، جـ ١١، ص ٤٥٨- ٤٦٠.

(٢) الغزالي، إحياء علوم الدين، جـ ١، ص ٧٥.

(٣) صحيح البخاري، البخاري، (فتح الباري)، كتاب النكاح، باب الطلاق في الإغلاق، جـ ٩، ص ٣٨٨.

الإنسان المسؤولية الفردية في الحياة وبعد الممات[1].

والعقل هو القيمة الكبرى في الإنسان، وهو الطريق إلى الإيمان بالله عز وجل من خلال التفكر والتأمل والنظر والبحث في آيات الله عز وجل[2].

والعقل هو سر التكريم الإلهي للإنسان، وتفضيله على كثير من المخلوقات التي خلقها الله عز وجل، قال تعالى: ﴿ ۞ وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِيٓ ءَادَمَ وَحَمَلْنَٰهُمْ فِي ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ وَرَزَقْنَٰهُم مِّنَ ٱلطَّيِّبَٰتِ وَفَضَّلْنَٰهُمْ عَلَىٰ كَثِيرٍ مِّمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلًا ﴾ [الإسراء: ٧٠].

وقد اهتمت التربية الإسلامية بالعقل، وأعلت من شأنه، وهذا الاهتمام يبدو من خلال ما عرض القرآن الكريم في سوره العديدة من الآيات العديدة الدالة على معنى العقل، أو الأفعال الدالة عليه وتشير هذه الآيات بمجموعها إلى التفكر والاعتبار والتدبر والتأمل، وكل هذه الآيات تدل على العقل ووظيفته.

أما لفظ (عَقْل) لم ترد في القرآن، ولكن ورد ما يدل على العمليات العقلية، مثل يعقلون، يفقهون، يتدبرون، يتفكرون.

قال تعالى: ﴿ صُمٌّۢ بُكْمٌ عُمْىٌ فَهُمْ لَا يَعْقِلُونَ ﴾ [البقرة: ١٧١].

وقال تعالى: ﴿ قُلْ هَلْ يَسْتَوِى ٱلْأَعْمَىٰ وَٱلْبَصِيرُ ۚ أَفَلَا تَتَفَكَّرُونَ ﴾ [الأنعام: ٥٠].

وقال تعالى: ﴿ أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ ٱلْقُرْءَانَ أَمْ عَلَىٰ قُلُوبٍ أَقْفَالُهَآ ﴾ [محمد: ٢٤].

ولأهمية العقل، فقد جعل الإسلام العقل والاقتناع بالدليل شرط للإيمان بالله تعالى، وذلك من خلال العرض والمناقشة والتفكر والتأمل على أسس عقلية فطرية، لكي يقتنع المتشكك ويطمئن الباحث إلى أن العقائد التي يدعو إليها الإسلام قائمة على أساس من العلم[3].

وسائل المحافظة على العقل وتنميته:

وبناء على ما تقدم ونظراً لهذه الأهمية التي تحيط بالعقل، فقد شرع الإسلام وسائل عديدة للمحافظة عليه وتنميته، ومن هذه الوسائل:

---

(١) محمد عقلة، الإسلام خصائصه ومقاصده، ص ١٨٣.

(٢) فتحي الدريني، الأصول العامة، ص ٦٢.

(٣) محمد عقلة، الإسلام خصائصه ومقاصده، ص ١٨٤- ١٨٥.

أولا: منع الإسلام وحرّم على المسلم أن يتناول كل ما من شأنه أن يلحق الضرر بالعقل، ويؤثر على قدرته، فقد حرّم من أجل ذلك الخمر، وكل مسكر.

قال تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِنَّمَا ٱلۡخَمۡرُ وَٱلۡمَيۡسِرُ وَٱلۡأَنصَابُ وَٱلۡأَزۡلَٰمُ رِجۡسٞ مِّنۡ عَمَلِ ٱلشَّيۡطَٰنِ فَٱجۡتَنِبُوهُ لَعَلَّكُمۡ تُفۡلِحُونَ﴾ [المائدة: ٩٠].

ثانياً: ووقاية له، فقد شرع الإسلام وأوجد عقوبة قررها على من يشرب الخمر، لأنه يوقع الضرر بعقله، الذي ميّز الله به الإنسان على بقية المخلوقات.

ثالثاً: وبناء عليه، فقد حرّم الإسلام التداوي بالخمر، إذا وصف دواء علاجاً للمريض.

قال ﷺ: «إن الله لم يجعل شفاءكم فيما حرّم عليكم»[(١)].

وقال ﷺ: «إن الله أنزل الداء والدواء، وجعل لكل داء دواء، فتداووا ولا تداووا بالحرام»[(٢)].

والتداوي بالخمر إذا وصف علاجاً للمريض، يقبح عقلاً وشرعاً.

وأما الخمر: فهو أن الله سبحانه وتعالى إنما حرمه لخبثه، فإنه لم يحرّم على هذه الأمة طيباً عقوبة لها، كما حرمه على بني إسرائيل لقوله تعالى: ﴿ فَبِظُلۡمٖ مِّنَ ٱلَّذِينَ هَادُواْ حَرَّمۡنَا عَلَيۡهِمۡ طَيِّبَٰتٍ أُحِلَّتۡ لَهُمۡ﴾ [النساء: ١٦٠]. وإنما حرّم على هذه الأمة ما حرّم لخبثه، وتحريمه حمية لهم، وصيانة عن تناوله، فلا يناسب أن يطلب به الشفاء من الأسقام والعلل، فإنه وإن أثّر في إزالتها، لكنه يُعقب ذلك سقماً أعظم منه في القلب بقوة الخبث الذي فيه، فيكون المداوي به قد سعى في إزالة سُقم البدن بسقم القلب[(٣)].

وتحريمه يقتضي تجنبه والبعد عنه، وفي اتخاذه دواء حض على الترغيب فيه، وهذا ضد مقصود الشارع، وهو داء نص الشارع على تحريمه، فلا يجوز أن يُتخذ دواء.

والخمر شديدة المضرة بالدماغ، الذي هو مركز العقل عند الأطباء، وكثير من الفقهاء

---

(١) صحيح البخاري، (الفتح)، كتاب الأشربة، باب شراء الحلوى، جـ ١٠، ص ٧٨.

(٢) أبو داوود، السنن، كتاب الطب، باب في الأدوية المكروهة، جـ ٤، ص ٧.

(٣) ابن قيم الجوزية، الطب النبوي، ص ١٢٢- ١٢٣، زاد المعاد في هدي خير العباد، ط٢، القاهرة، المطبعة المصرية، ١٩٧٢، جـ ٣، ص ١١٤.

والمتكلمين، قال أبقراط: ضرر الخمرة بالرأس شديد: لأنه يسرع الارتفاع إليه، ويرتفع بارتفاعه الأخلاط، التي تعلو البدن، وهو لذلك يضر بالذهن[1].

وحكمة تحريم الإسلام للخمر، لأنها تؤثر على العقل الذي يفقده السيطرة على السلوك، فيظهر على صاحبه التصرف الشائن غير اللائق والإجرام.

ولذلك يعتبر الإجرام في أحد جوانبه، إلى انحراف نفسي وفكري يكثر فيمن يتعاطى الخمور والمخدرات، وذلك من خلال مرور صاحبه بمراحل السكر المعروفة، من نشوة وتهيج وقوة ثم ارتخاء، وفي فترة التهيج والشعور بالقوة والغرور تقل أو تكاد تفقد السيطرة في العقل على السلوك، فيظهر من التصرف الشائن والإجرام ما لا يتعاطاه دون سكر[2].

وتترك الخمر آثاراً ومصائب وخيمة في الأسر، يظهر على شكل تخلف عقلي وصمم في الأطفال[3].

ولمعرفة الحكمة من التحريم، نضع بين يدي المسلم بعض الإحصائيات في المجتمعات الغربية نتيجة لتعاطي أبنائها الخمر والمخدرات والكحول وغيرها[4]:

١- يموت في فرنسا وحدها خمسون ألفاً من الفرنسيين كل عام بسبب الإدمان على المخدرات.

٢ تصرف ٤٢٪ من ميزانيتها الصحية على معالجة الأمراض الناجمة عن الإدمان الكحولي.

٣- تعتبر الخمرة مسؤولة عن ٥٠٪ من حوادث السير هناك.

وقد عالج الإسلام المجتمع المسلم من كل هذا، بتحريم الخمر ليقي المسلم والمجتمع كاملا، من أضراره الكثيرة التي تعود على الإنسان بفقدان عقله الذي يقوم بعد ذلك، بأشياء كثيرة مخلة بالآداب وإثارة الخوف والرعب في المجتمع.

---

(١) ابن قيم الجوزية، الطب النبوي، ص ١٢٣.

(٢) عمر محمود عبد الله، الطب الوقائي في الإسلام، ص ١٣٦.

(٣) المرجع السابق، ص ١٣٧.

(٤) عمر محمود عبد الله، الطب الوقائي في الإسلام، ص ١٣٧.

وأصل تحريم الخمر وأضرارها؛ وجاء التدرج الإلهي بتحريمه، حتى يتقبل الناس هذا الحكم التحريمي لهذه المادة، التي كان الناس يشربونها لسنوات عديدة سابقا.

قال تعالى: ﴿وَمِن ثَمَرَٰتِ ٱلنَّخِيلِ وَٱلْأَعْنَٰبِ تَتَّخِذُونَ مِنْهُ سَكَرًا وَرِزْقًا حَسَنًا ۗ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَةً لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ﴾ [النحل: ٦٧].

وهذه أول إشارة إلى التحذير من الخمر باعتبارها إيذاء للناس.

ثم جاءت المرحلة الثانية، قال تعالى: ﴿يَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلْخَمْرِ وَٱلْمَيْسِرِ ۖ قُلْ فِيهِمَآ إِثْمٌ كَبِيرٌ وَمَنَٰفِعُ لِلنَّاسِ وَإِثْمُهُمَآ أَكْبَرُ مِن نَّفْعِهِمَا﴾ [البقرة: ٢١٩].

وهذا تحذير آخر للناس ورد بشأن الخمر، حيث يؤكد الله عز وجل أن الضرر الحاصل من الخمرة أكبر من النفع، لتنفير الناس منها وكيلا يقبلون عليها، حماية لهم وصوناً لعقولهم.

ثم جاءت المرحلة الثالثة: قال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تَقْرَبُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَأَنتُمْ سُكَٰرَىٰ حَتَّىٰ تَعْلَمُوا۟ مَا تَقُولُونَ﴾ [المائدة: ٩٠].

التصق التحريم هنا بشيء مهم للإنسان وهو الصلاة التي لا ينقطع عنها بأي حال من الأحوال، لأنه يترتب عليه أن يعلم ما يقول، فلذلك جاء التحريم حتى يتمكن الإنسان من تأدية صلاته.

ثم جاءت المرحلة الرابعة قال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ إِنَّمَا ٱلْخَمْرُ وَٱلْمَيْسِرُ وَٱلْأَنصَابُ وَٱلْأَزْلَٰمُ رِجْسٌ مِّنْ عَمَلِ ٱلشَّيْطَٰنِ فَٱجْتَنِبُوهُ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾ [النساء: ٩٠].

وكان هذا التدريج الإلهي في التحريم غاية في الدقة وهو من أنجع الأساليب التربوية في تحريم هذا الخبيث، الذي تغلل في النفوس وأصبح من العادات المستحكمة فيها، ومن أجل أن يعيش الفرد في المجتمع المسلم صحيح الجسم، وسوي العقل في مجتمعه.

والفرق بين الإسلام وغيره من الأنظمة الأخرى في التحريم، أن الإسلام لم ينفق درهما واحداً على الرعاية لتحريم الخمر مثلما يحدث في الأنظمة الأخرى، التي تنفق ملايين الدولارات على ذلك، إلا أنها لم تفلح في التحريم ومنع الناس عن ذلك.

وجاء تحريم الإسلام للخمر وقاية للإنسان وعقله من الأضرار المترتبة على تعاطي الخمر، وقد ثبت علمياً وطبياً أن الخمر تؤثر على كثير من وظائف أعضاء الجسم.

يؤثر الخمر والكحول وغيرها من المشروبات الكحولية الأخرى في وظائف الدماغ ومراكزه، حيث يؤدي إلى تقليل سرعة رد الفعل كما يقلل صحة التجاوب مع الأحداث، وتقدير الموقف، مثل وقوع حوادث السيارات لتأخر الاستجابة السريعة للحدث[١].

فنستنتج أن الإنسان الذي يتعاطى مثل هذه المواد إنسان فاقد الوعي، لا يدري ماذا يجري حوله، ولا يقدر المواقف التي تحيط به، وبخاصة حوادث السيارات التي تودي بحياة الناس الأبرياء.

فتحريم الإسلام جاء من هذا المنطلق لكي يكون الإنسان في كامل وعيه وإدراكه وتقديره للموقف حتى يعي ما يدور حوله.

ويقلل الخمر والمشروبات الكحولية الأقرى عموماً من قابلية الدماغ على التفكير وسرعته، مما يسبب إصدار القرارات الخاطئة، غير مكترث بالآخرين، ولا يتحرج من أي شيء يفعله[٢].

ويعتبر هذا في قمة الأذى وايقاع الضرر للدماغ الذي هو مركز التفكير وتوزيع الأدوار والأعمال المنوطة بكل عضو من أعضاء الجسم. فإذا ضعف هذا المركز ولم يصبح عنده قابلية على التفكير وسرعته، أدى هذا إلى إحداث خلل في الدماغ وينعكس هذا أخيراً على جميع أعضاء الجسم.

والعلم يقول: إن الخمر تؤثر في مراكز الإحساس، وتقلل الاستجابة للمؤثرات، ومنها المؤثرات الحسية، والعضلية، وإذا استمر المتعاطي للخمر والكحول يتناولها تستمر حالة الارتخاء في كل أجهزته، وأخيراً يفقد إحسانه بالمحيط الذي يعيش فيه[٣].

ويظهر هذا عندما يبدأ الشارب بالضحك واللهو والانشراح بلا ضوابط، فهي تقلل الحياء من الآخرين، وفيها التصرف اللامسؤول الذي يؤدي بالإنسان إلى أن يعمل أعمالاً تكاد تكون جنونية لا يقبلها الإنسان العاقل.

وشرب الخمر يؤدي بصاحبه إلى عدم الشبع إذا تناول الطعام وهو سكران، لأن شرب

---

(١) عمر محمود عبد الله، الطب الوقائي في الإسلام، ص ١٤١.

(٢) عمر محمود عبد الله، الطب الوقائي في الإسلام، ص١٤١.

(٣) عمر محمود عبد الله، الطب الوقائي في الإسلام، ص١٤٢.

الخمر يؤثر تأثيراً مباشراً على الدماغ، ويؤدي إلى فقدان السيطرة، أو هبوط في مستوى أداء مراكز الدماغ المختلفة، وأحد هذه المراكز، مركز الطعام والشعور بالشبع، ويؤدي هذا إلى الإكثار من الطعام دون تحضير مركز الطعام في الدماغ لأنه مخدر ولا يصدر أوامره لبث الشعور بالامتلاء والقناعة، مما يؤدي بهم إلى الإكثار والشراب طوال الوقت[1].

إذن سبب ذلك تأثير الخمرة المباشر على الدماغ الذي يعتبر الأداة التي توزع الأدوار على جميع أعضاء الجسم، وهذا يعود عليه بالأمراض التي تصيب المعدة، ومنها أصابته بالقرحة وغيرها.

فحفاظاً عليه من الأمراض الدماغية وتأثيرها على بقية أعضاء الجسم، حرّم الإسلام ذلك وقاية للإنسان من كل هذه الأمراض، التي تؤدي به إلى الخروج من حصانة العقول إلى عالم المجانين ومشاركتهم في عالمهم الفوضوي، مما يجعلهم سخرية بين الناس.

ونظراً لتأثيرها على العقل، فقد حرّمها بعض الجاهلين على أنفسهم، لما يترتب عليها من أضرار كثيرة تؤثر على العقل وبقية أعضاء الجسم.

ومن هؤلاء عثمان بن مظعون[2] الذي قال: «لا أشرب شيئاً يُذهب عقلي ويُضحك بي من هو أدنى مني، أو يحملني على أن أُنكح كريمتي من لا أريد»[3].

هذا الكلام قاله عثمان في جاهليته، وكان يدرك أن الذي يشرب الخمر يضحك عليه الناس، لأنه يصبح فاقد العقل، لا يدرك ماذا يفعل أو يقول.

وحرمها الإسلام حفظاً للعقل، وخوفاً من أن يقوم بأعمال أقرب إلى الجنون.

ويروي عن أحد الذين يشربون الخمر، وقد فقد عقله ووعيه ونام على قارعة الطريق، فمر

---

(١) عمر محمود عبد الله، الطب الوقائي في الإسلام، ص١٤٣.

(٢) عثمان بن مظعون بن حبيب يكنى أبا السائب، أسلم قبل دخول الرسول، دار الأرقم، هاجر إلى الحبشة، حرم الخمر على نفسه في الجاهلية، توفي في المدينة، وقبّل الرسول خده، المرجع السابق، ج١، ص٤٤٩-٤٥٠، الذهبي، سير أعلام النبلاء، تحقيق شعيب الأرناؤوط، ط٢، بيروت، مؤسسة الرسالة، ١٩٨٢، ج١، ص١٥٥.

(٣) جمال الدين أبي الفرج بن الجوزي، صفة الصفوة، تحقيق محمود فاخوري، ط١، حلب، دار الوعي، ١٩٦٩، ج١، ص٤٥٠.

به كلب فبال على وجهه فصار هذا المسكين يمسح وجهه ويقول: «أكرمك الله»[1].

ويلحق بالخمر كل المواد الكحولية التي لها تأثير على العقل والجسم معا، كالمخدرات والكول وغيرها التي تؤثر على الإنسان عقلاً وجسماً.

وكل هذه المشروبات هي سببٌ في دمار الشعوب وارتفاع نسبة الجرائم في المجتمعات البشرية، والعنف، والإغتصاب، نتيجة فقدان العقل والوعي، مما يؤدي إلى انهيار المجتمع.

وقد أثبتت ذلك الدراسات التي أجريت حول تأثير تلك المشروبات على الإنسان وصحته وعلى جميع أجهزته العصبية وغيرها.

وهذه الدراسات قام بها باحثون من دول متقدمة، وقد لوحظ أن انتشار الإنهيارات العصبية والاضطرابات النفسية في تلك البلاد أكثر من الدول التي تحمي في ظل القيم الدينية[2].

وهٰذا يؤكد وجود علاقة قوية وثيقة بين الإقبال على المخدرات وضعف الوازع الديني، فكلما كان الوازع الديني ضعيفاً، أصبح المرء عنده الجرأة على الإقدام على الحرام والمعصية، وكلما كان الضابط الإيماني قوياً حُفظت النفس من الوقوع بمثل هذه الأمور، وتصبح مصانة متزنة، وتبتعد عن كل ما من شأنه أن يؤثر على عقلها وجسمها ويضعف شخصيتها.

وهنا تبرز حكمة الشارع الحكيم، عندما حرّم التداوي بمثل هذه الأمور لأن التداوي بها، ربما يدفع إلى مفسدة أكثر وأعظم، ولذلك كان درء هذه المفسدة، أولى من العلاج التي تعتبر فيها مصلحة الإنسان.

ولبشاعة الخمر والمخدرات، ونظراً لتأثيرها السيء على الجسم والعقل معا، فقد أشاد كثير من العلماء الغربيين بالإسلام، وأنه حرّم هذه الأمور من أجل المحافظة وصيانة المسلم وعقله وجسمه.

يقول بنتام: «النبيذ في الأقاليم الشمالية، يجعل الإنسان كالأبله وفي الأقاليم الجنوبية يصيّره كالمجنون، وقد حرمت ديانة محمد جميع المشروبات، وهذه من محاسنها»[3].

---

(١) القرطبي، الجامع لإحكام القرآن، ط٢، القاهرة، دار الكتب المرصية، ١٩٥٤، ج٣، ص٥٦.

(٢) نجيب الكيلاني، في رحاب الطب النبوي، ص٧٤.

(٣) الطنطاوي جوهري، الجواهر في تفسير القرآن، ط٢، القاهرة، مصطفى البابي، ١٩٣١، ج١، ص١٩٦.

رابعاً: ومن أجل وقاية العقل والمحافظة عليه، منع الإسلام التضليل الفكري، وبث الأفكار الخبيثة والآراء المشكلة من خلال الصحف والمجلات، ووسائل الأعلام المختلفة، كيلا يلّوث العقل فكرياً وفتح المجال أمام أصحاب الأفكار الهدامة، لبث أفكاره التي تتنافى مع الدين، وقيم الحق والخير، حتى لا يشوش العقل أو يشكك[1].

تنمية العقل: ومن أجل ذلك، فقد دعا الإسلام إلى تنمية العقل مادياً ومعنوياً.

أ- **أما تنميته مادياً**: يكون بالغذاء الجيد، الذي يقوي الجسد، وينشط الذهن، لأن قلة الطعام قد توقع الإنسان في حيرة من أمره، فلا يستطيع أن يصدر حكماً صحيحاً في القضاء، أو يتأمل أو يخشع في أثناء الصلاة، ولذلك لم يجز الإسلام للقاضي أن يقضي وهو جوعان، وأجازوا تقديم الطعام على الصلاة لأن الطعام يحول دون التدبر والخشوع، لأنه يحتاج إلى الفكر، وهذه الأعراض تمنح صحة الفكر فتخل بالقضاء[2].

ب- **تنميته معنوياً**: وأما تنميته معنوياً، لكي يبقى عقلاً مفكراً حياً، لا يصيبه الخلل والركود، من خلال الإهتمام بالعلم والتعلم، والإستزادة من المعرفة، ولو استغرق ذلك وقتاً طويلاً.

قال تعالى: ﴿وَقُل رَّبِّ زِدْنِي عِلْمًا﴾ [طه: ١١٤].

وقد حث الإسلام بصورة متواصلة على العناية بتنمية العقل الإنساني، وترقية الشخصية الإنسانية عن طريق الضرب في الأرض والتعرف على أحوال الأمم وطبائعها[3].

قال تعالى: ﴿أَفَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَتَكُونَ لَهُمْ قُلُوبٌ يَعْقِلُونَ بِهَا أَوْ آذَانٌ يَسْمَعُونَ بِهَا فَإِنَّهَا لَا تَعْمَى الْأَبْصَارُ وَلَٰكِن تَعْمَى الْقُلُوبُ الَّتِي فِي الصُّدُورِ﴾ [الحج: ٤٦].

ولتنمية العقل، وحفظه ووقايته، ليبقى عقلاً مفكراً، عاملاً باحثاً، مستنبطاً، جعل الإسلام باب الاجتهاد مفتوحاً، للإهتمام بالعقل البشري واعطائه دوره في استنباط الأحكام الشرعية، وهذا يجعل الإسلام يتصدى ويجد الحل لكل مشكلة، أو مسألة، أو قضية تستجد في كل عصر.

---

(١) محمد عقله، الإسلام خصائصه ومقاصده، ص١٨٤-١٨٥.

(٢) محمد عقلة، الإسلام خصائصه ومقاصده، ص١٩٢.

(٣) محمد عقلة، الإسلام خصائصه ومقاصده، ص١٩٤.

وأما بخصوص تنميته معنوياً، عن طريق العلم والتعلم، فإن الإسلام ربى العقل التربية السليمة والصحيحة، حتى يبعده عن طريق الشعوذات والخرافات، من خلال تدريب الطاقة العقلية، على طريق الإستدلال المثمر والتعرف على الحقيقة.

وسائل المحافظة على العقل معنوياً:

وقد اتخذ الإسلام لذلك وسيلتين هما:

الوسيلة الأولى: وضع المنهج الصحيح للنظر العقلي.

الوسيلة الثانية: هي تدبر نواميس الكون، وتأمل ما فيها من دقة، وبهذا نجد الإسلام يبدأ بإبعاد العقل وتفريقه عن كل الأمور التي لم تقم على يقين، وكانت تقوم على مجرد التقليد والظن[1].

قال تعالى: ﴿ إِنَّا وَجَدْنَآ ءَابَآءَنَا عَلَىٰٓ أُمَّةٍ وَإِنَّا عَلَىٰٓ ءَاثَٰرِهِم مُّقْتَدُونَ﴾ [الزخرف: ٢٣].

وقال تعالى: ﴿ بَلْ نَتَّبِعُ مَآ أَلْفَيْنَا عَلَيْهِ ءَابَآءَنَآ ۗ أَوَلَوْ كَانَ ءَابَآؤُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ شَيْـًٔا وَلَا يَهْتَدُونَ﴾ [البقرة: ١٧٠].

وأنه من الخطأ اتباع الآباء في كل شيء، لأنهم قد يكونون مخطئين وإذا ساد هذا في المجتمعات، «منطق تبعية الآباء»، لا يمكن الإبتكار والتجديد ولا يمكن أن يتقدم العلم في مجالاته المختلفة فحفاظاً على العقل أمر الإسلام الإنسان عدم اتباع الآباء في كلٍّ وهاجهم هذه التبعية[2].

قال تعالى: ﴿ وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِۦ عِلْمٌ ۚ إِنَّ ٱلسَّمْعَ وَٱلْبَصَرَ وَٱلْفُؤَادَ كُلُّ أُو۟لَٰٓئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْـُٔولًا﴾ [الإسراء: ٣٦].

ويعتبر هذا من باب الحفاظ على العقل وصيانته، حتى لا يُجبر على أخذ شيء غير مقتنع به، أو يُرغم على اعتقاده، وحتى لا يأخذ الأمور باستخفاف، بل لا بد من التثبت والتأكد في كل شيء.

---

(١) محمد قطب، منهج التربية الإسلامية، ط٦، بيروت، دار الشروق، ١٩٨٢، ج٢، ص٧٧.

(٢) مقداد يالجن، موسوعة التربية الإسلامية، ج١، ص١١٣.

أما الوسيلة الثانية، وهي تدبر نواميس الكون، فإنها تطبع العقل، بطابع من الدقة والتنظيم، ومن خلال النظر في دقائق هذا الكون المحكم العجيب، وهذا ما يقودها إلى التعرف إلى خالق الكون، ومن ثم الإيمان به، ويعوّد العقل على دقة النظر وانضباط الأحكام.

وتأتي تنمية العقل من خلال توحيد الطاقة العقلية إلى النظر والتأمل في ملكوت الله سبحانه وتعالى، حتى يكون طريقها إلى الإيمان بالله الخالق، المدبر، الذي خلق السمٰوات والأرض بالحق.

قال تعالى: ﴿ خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ بِٱلْحَقِّ تَعَٰلَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾ [النحل: ٣].

وقد وجه القرآن العقل البشري إلى التفكر، والتأمل والتدبر، وجعل التدبر والتفكر جزء من عقيدة المؤمن.

قال تعالى: ﴿ إِنَّ فِي خَلْقِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱخْتِلَٰفِ ٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ لَءَايَٰتٍ لِّأُو۟لِى ٱلْأَلْبَٰبِ ﴿١٩٠﴾ ٱلَّذِينَ يَذْكُرُونَ ٱللَّهَ قِيَٰمًا وَقُعُودًا وَعَلَىٰ جُنُوبِهِمْ وَيَتَفَكَّرُونَ فِي خَلْقِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ هَٰذَا بَٰطِلًا سُبْحَٰنَكَ فَقِنَا عَذَابَ ٱلنَّارِ﴾ [آل عمران: ١٩٠-١٩١].

أولوا الألباب يتفكرون في مخلوقات الله عز وجل، وتدبر آيات الكون، والتفكر هذا مقروناً بذكر الله عز وجل، ومن ثم يتصل الفكر عندهم بالله، ويتفكرون من أجل الوصول إلى هدف وهو «ربنا ما خلقت هذا باطلا»[1].

والآية القرآنية لم تفصل بين التفكر ونتيجة هذا الفكر، حتى يتبين أن التفكر ونتيجته شيء واحد متصل متلاحق[2].

وينمي هذا العقل من خلال توجيه القرآن الإنسان النظر في سنن الله في الأرض، وأحوال الأمم الأخرى.

قال تعالى: ﴿ ۞أَوَلَمْ يَسِيرُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ فَيَنظُرُوا۟ كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلَّذِينَ كَانُوا۟ مِن قَبْلِهِمْ كَانُوا۟ هُمْ أَشَدَّ مِنْهُمْ قُوَّةً وَءَاثَارًا فِى ٱلْأَرْضِ فَأَخَذَهُمُ ٱللَّهُ بِذُنُوبِهِمْ وَمَا كَانَ لَهُم مِّنَ ٱللَّهِ مِن وَاقٍ﴾ [غافر: ٢١].

---

(١) محمد قطب، منهج التربية الإسلامية، ج١، ص٨٢.

(٢) محمد قطب، منهج التربية الإسلامية، ج١، ص٨٢.

المبحث الثالث
الصحة النفسية

أثبت الطب النفسي أن التدين يشفي لأكثر من ضعفي الأمراض التي يشكو منها الناس، ولا أدل على ذلك من أن الذين تنازلوا عن الأديان السماوية أصيب أكثرهم بالجنون والانتحار[١].

قال أفلاطون: (إن أكثر أخطاء الأطباء أنهم يحاولون علاج الجسد دون العقل، في حين أن العقل والجسد وجهان لشيء واحد، فلا ينبغي أن يعالج أحد الوجهين على حدة، فكم من شخص صرعه المرض العقلي، فعاش كئيباً حزيناً)[٢].

يحتل الطب النفسي مكانة كبيرة في عالم اليوم، وعند تصنيف المرض إلى مصابين بأمراض عضوية، وأمراض نفسية، نجد أن هذا النوع من الأمراض يشمل أعداداً هائلة في كل أنحاء العالم، وقد تنوعت أساليب العلاج لمثل هذا النوع من الأمراض، بحيث شملت العقاقير الطبية، والتحليل النفسي، ومعالجة بعض الأوضاع الاجتماعية والاقتصادية التي تتعلق بالاضطراب النفسي الذي يؤثر في طبيعة المريض وتصرفاته[٣]، ولكن ومع كل هذا فإنهم لم يستطيعوا الوقوف على أسباب تلك الأمراض لأن أسبابه داخلية، نابعة من داخل النفس الإنسانية ولقد استطاع الإسلام الوقوف على أسباب تلك الأمراض وسمّاها طب القلوب. واهتم به اهتماماً كبيراً ووضع لها الحلول المناسبة، والناجعة وأهمها الغذاء الروحي للنفس الإنسانية، وتقوية الوازع الديني والإيمان في نفس الإنسان المؤمن. لأن الدين له علاقة كبيرة في علاج مثل هذه الأمراض.

تعريف الصحة النفسية:

(تُعرف الصحة النفسية بأنها: علم التكيف أو التوافق النفسي الذي يهدف إلى تماسك

---

(١) إبراهيم محمد عبد الباقي، الدين والعلم الحديث، ط١، مصر، المكتبة الكبرى، ١٩٦٤، ص ١٤٦.

(٢) المرجع السابق، ص ١٤٦.

(٣) نجيب الكيلاني، باب الطب النبوي، ص ١٢٩.

الشخصية ووحدتها، وتقبل الفرد لذاته وتقبل الآخرين له، بحيث يترتب على هذا كله شعوره بالسعادة والراحة النفسية)[1].

ويلحظ من هذا التعريف أن توافق الإنسان في شخصيته وتماسكها ووحدتها، يصبح الإنسان ذا شخصية سوية، ويعكس هذا يكون الإنسان في اضطراب وقلق نفسيين.

وتعتبر الحاجات النفسية والاجتماعية دوافع مكتسبة ذات تأثير كبير على سلوك الإنسان، وتحريك نشاطه، واتخاذ مواقفه المختلفة تجاه الآخرين، وتكوين شخصيته على نحو إيجابي أو سلبي، ولا بد من إشباع الحاجات النفسية، كما تشبع الغرائز والحاجات الأخرى في الإنسان، ليعيش الإنسان حياة خالية من القلق والاضطراب النفسي[2].

وإذا ما أشبعت الحاجات النفسية في الإنسان، فإنه يوفر الأمن والطمأنينة النفسية، وإذا ما استقر واطمأن، توفرت له الحرية والاستقلال النفسي، الذي يصل من ذلك إلى النجاح. وإذا لم تشبع تلك الحاجات النفسية، فإن الفرد يفقد الشعور بالأمن والطمأنينة النفسية، ولا يحس بحريته واستقلاله فيفشل في تحقيق النجاح المطلوب في مجالات حياته المختلفة، وربما يصاب بالإحباط النفسي، الذي يؤدي به إلى الحقد على المجتمع، ويكون سلبياً في تصرفاته واتجاهاته غير صالح لنفسه أو لمجتمعه[3].

ومن هنا يتبين مدى الحاجة إلى إشباع الحاجات النفسية في الإنسان، حتى يتحقق فيه التوافق والانسجام مع النفس، فيكون إنساناً فاعلاً في مجتمعه، بعيداً عن كل الاضطرابات التي تميل به إلى الانحراف عن السلوك السوي.

لهذا فقد اعتنى الإسلام واهتم بإشباع الحاجات النفسية في الإنسان، ليبقى منسجماً مع نفسه، ومتوافقاً معها، حتى لا يصيبه الاضطراب والقلق النفسي، وأحاط ذلك بسبل وقائية كثيرة، من أجل أن يوجد الشخصية المسلمة المستقلة، والمتكاملة، والمنسجمة، البعيدة عن التوتر والقلق حتى يحقق النجاح في مختلف شؤون حياته، ويكون عضواً فاعلاً في مجتمعه يعيش حياة هادئة، تظللها السكينة والسعادة.

---

(١) مصطفى فهمي، الإنسان وصحته النفسية، (د. ط)، القاهرة، مكتبة الأنجلو المصرية، (د. ط)، ص٢٤٢.

(٢) عبد الحميد الزنتاني، أسس التربية الإسلامية في السنة النبوية، ص ٦٠٧- ٦٠٨.

(٣) عبد الحميد الزنتاني، أسس التربية الإسلامية في السنة النبوية، ص ٦٠٨- ٦٠٩.

وللأمراض النفسية أسباب متعددة ومتنوعة أهمها:

١. عنصر الوراثة:

كمن يولد في عائلة معوقا، أو فيه تشوه خلقي، نتيجة لعامل الوراثة في أسرته مما ينعكس ذلك سلبياً في حياته ويؤثر فيها.

٢. عنصر البيئة:

ويندرج تحت عنصر البيئة، التغذية، والرعاية الصحية، فقد يكون سوء التغذية في بداية حياة الإنسان، يؤدي إلى بعض التشوهات التي تؤدي إلى الاضطرابات والتوتر والقلق، والصراع النفسي وعدم القدرة على التكيف والتوافق والتوازن[1].

ولكي يخلص الإسلام المسلم من كل هذا، أمر المسلمين إلى ضرورة التغذية الجيدة كمّاً ونوعاً:

قال تعالى: ﴿وَكُلُوا۟ وَٱشْرَبُوا۟ وَلَا تُسْرِفُوٓا۟﴾ [الأعراف: ٣١].

٣. التربية الأسرية:

من خلال أسلوب التربية الذي تستعمله الأسرة، ممثلة بالأب والأم تجاه أبنائها، فإذا كان أسلوب التربية يمتاز بالعنف والقسوة، وكبت غرائزهم، وعدم إشباعها بالطرق السليمة والصحيحة، يؤدي هذا الأسلوب إلى إصابة هؤلاء الأبناء بالعقد النفسية والاضطرابات والعلل الأخرى وربما يقوده هذه إلى أن يصبح إنساناً عدوانياً لا خير فيه لنفسه ولا لأمته.

وقد اهتم الإسلام بذلك، وعلم المسلمين أسلوب التربية الصحيح، من باب الوقاية لأبناء المجتمع من أن تصيبهم الاضطرابات النفسية، وغيرها من العلل الأخرى، التي يسببها أسلوب التربية الخاطئ.

قال ﷺ: «يا عائشة إن الله رفيق يحب الرفق، ويعطي على الرفق ما لا يُعطى على العنف، وما لا يعطى سواه»[2].

---

(١) عبد الحميد الزنتاني، أسس التربية الإسلامية في السنة النبوية، ص ٦٢٦.

(٢) صحيح مسلم، كتاب البر والصلة، باب فضل الرفق، جـ ٤، ص ٢٠٠٣- ٢٠٠٤.

٤ . الوسط الاجتماعي:

وهو الوسط الذي يعيش فيه الفرد، الأسرة، الحي والمؤسسات وكل النظم الاجتماعية الأخرى.

فالوسط الاجتماعي الذي يعيش فيه الفرد، إذا كان حريصاً على إشباع الحاجات النفسية للفرد، يساعده على تحقيق الصحة النفسية، وإذا لم يشبع حاجاته النفسية، فإنه يسبب له القلق والتوتر والأمراض النفسية.

والوسط الاجتماعي النقي دينياً وأخلاقياً وسلوكياً ربما يساعد الفرد الذي يعيش فيه على تحقيق التوافق النفسي، وعدم القلق والاضطراب، والوسط الاجتماعي الذي تنتشر فيه الرذيلة والفاحشة، وانحطاط القيم، ويسود فيه الظلم وغير ذلك، يعتبر مرتعاً خصباً للأمراض والعلل النفسية والصحية والعقلية[١].

وقد حث الإسلام المجتمع على التعاون والتراحم والتكافل، وقاية لهم من كل ذلك.

قال ﷺ: «مثل المؤمنين في توادهم وتراحمهم وتعاطفهم مثل الجسد، إذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الجسد بالسهر والحمى»[٢].

والبدن يتغير من جهة الأعراض النفسانية، مثل الغضب والفرح والهمّ والغمّ، فالغضب مثلا قد يؤثر على الجسم، وقد يحدث اضطراباً في ضغط الدم، وحركات القلب، علاوة على المردود النفسي الذي يحدثه الغضب في نفس الإنسان، وقد نهى الرسول ﷺ عن الغضب، فقد روى البخاري: (أن رجلاً قال للنبي ﷺ: (أوصني، قال: لا تغضب)[٣].

والأمراض النفسية قديمة قدم الإنسان، ولقد أطلق عليه الأطباء المسلمون اسم (طب القلوب) وهذا ما يؤكده ابن القيم في كتابه: (الطب النبوي)[٤] عندما ذكر صفات الأطباء، وأن يكون له خبرة باعتلال القلوب والأرواح وأدويتها، وذلك أصل في علاج الأبدان، فإن انفعال البدن وطبيعته عن النفس والقلب أمر مشهود. والطبيب إذا كان عارفاً بأمراض القلب

---

(١) عبد الحميد الزنتاني، أسس التربية الإسلامية في السنة النبوية، ص ٦٣٠- ٦٣١.

(٢) صحيح مسلم، كتاب البر والصلة، باب تراحم المؤمنين، جـ ٤، ص ١٩٩٩.

(٣) صحيح البخاري، البخاري، (فتح الباري)، كتاب الأدب، باب الحذر من الغضب، جـ ١٠، ص ٥١٩.

(٤) ابن القيم الجوزية، الطب النبوي، ص ١١٣- ١١٤.

والروح وعلاجهما، كان هو الطبيب الكامل... إلى أن يقول: ومن أعظم علاجات المرض: فعل الخير والإحسان والذكر والدعاء، والتضرع والابتهال إلى الله والتوبة، ولهذه الأمور تأثير في دفع العلل، وحصول الشفاء، أعظم من الأدوية الطبيعية...[1].

والملاحظ أن هناك علاقة بين علل القلب والبدن، وهناك نوع من الأمراض يطلقون عليها الأمراض النفسية العضوية، وخاصة بعد أن تأكد أن للحالة النفسية تأثيراً على وظائف الأعضاء الفسيولوجية، فالتوتر العصبي والقلق النفسي والأرق، والخوف، وما إلى ذلك، قد تدفع من ضغط الدم، أو تساعد على قرحة المعدة، أو الذّبحة الصدرية، ورفع نسبة السكر في الدم، إلى غير ذلك من العلل[2].

وقد وضع لنا الرسول ﷺ قاعدة نبوية في معالجة المريض من الناحية النفسية، تؤدي به إلى الطمأنينة والثقة والتفريج عنه.

قال ﷺ: «إذا دخلتم على المريض، فنفسّوا له في الأجل، فإن ذلك لا يرد شيئا، ويطيب نفسه»[3].

ويعتبر هذا الحديث النبوي قاعدة نبوية في الطب النفسي، ومعالجة النفس الإنسانية، وبخاصة إذا كان صاحبها مصاباً بمرض خطير أو شديد الخطورة، فالرسول ﷺ يأمرنا بمثل هذا مع أنه لا يقدم ولا يؤخر، لا يدفع مرضا، ولا يؤخر أجلا، ولكن من باب التفريج عن نفس المريض، وتطيب قلبه، وإدخال السرور إلى نفسه، ويؤدي هذا العمل إلى التأثير على نفس المريض، فيرفع من معنوياته، ويخرجه من قلقه النفسي واضطراباته النفسية كذلك.

وقد لوحظ هذا عند كثير من المرضى، أنهم ينعشون ويقوون عندما يزورهم ويعودهم من يحبونه ويعظمونه، ومكالمتهم له، ولذلك كان الرسول ﷺ يسأل المريض عن شكواه، وكيف يجده، ويسأله عما يشتهيه، ويضع يده على جبهته ويدعو له[4].

وقد كان يعود هذا بالنفع على المريض، ويخفف عنه من آلامه ومعاناته النفسية.

---

(١) نجيب الكيلاني، في رحاب الطب النبوي، ص ٣٢.

(٢) الترمذي، السنن، كتاب الطب، باب التداوي بالرماد، جـ ٣، ص ٢٧٨.

(٣) ابن قيم الجوزية، الطب النبوي، ص ٩٢.

(٤) محمود الحاج قاسم، الطب الوقائي النبوي، ص ٥١.

والمتتبع لسيرته ﷺ، وتعامله مع أفراد المجتمع كله، يجد مواقف كثيرة، ووسائل عديدة، تساعد الكثير منهم على تخطى أزمات نفسية كثيرة، وإبعاد العديد منهم عن التردي في متاهات الحياة.

كان ﷺ يتكلم مع الناس كافة كلاماً يتناسب مع صاحب الأزمة من رصيد فكري وثروة عقلية إدراكاً منه، أن النفس وراء كل طائف يزج بالبشر إلى مهاوي الهلاك، وأن المسلم السوي هو الذي يستطيع أن يمتلك زمام نفسه عند الغضب.

وسائل الوقاية من الأمراض النفسية:

١ . الإيمان بالله عز وجل:

الصلة الرئيسة بين الإنسان وخالقه سبحانه وتعالى -من وجهة نظر القرآن-، أن تقوم على الإيمان به ومحبته وشكره على ما أنعم من نِعم كثيرة لا تُعد ولا تحصى.

ويهدف القرآن الكريم من هذه الصلة بين العبد وربه إلى غايات ثلاثة هي: تربية الضمير الإنساني، والحصول على السعادة النفسية، وشفاء أمراض النفس وهو ما سمي بالطب النفساني[١].

والسعادة النفسية التي يحصل عليها الإنسان تكون نتيجة لإيمانه بالله عز وجل وصلته به، وهو الذي يكوّن في الإنسان الوازع الديني الداخلي (الضمير)، الذي يكون له بمثابة المرشد له ولسلوكه في الحياة، ويبصّر بعواقب أفعاله.

ومن أكبر مقومات الضمير، هو الاعتقاد بأنه قادر يحاسب على الكبائر والصغائر، ويطّلع على ما تكنه السرائر، لهذا قال أحد الفلاسفة في وصف الضمير: (إن ضميراً بلا عقيدة بالله كمحكمة بغير قاض)[٢].

وهذا صحيح حيث إن الوازع الديني الداخلي والضمير إذا كان قيماً على صاحبه يحدث عنده التوازن والتوافق ويخلصه من القلق والاضطراب، ويحقق السعادة النفسية، لأن السعادة ثمرة من ثمرات اتصال الإنسان بخالقه عز وجل.

---

(١) عفيف عبد الفتاح طبارة، روح الدين الإسلامي، ط٦، بيروت، دار العلم للملايين، ١٩٧٧، ص ١٧٣.
(٢) عفيف عبد الفتاح طبارة، روح الدين الإسلامي، ص ١٧٣.

ولا يتم تحقيق السعادة النفسية إلا بعد الشفاء من أمراض النفس، وهو ما يعرف (بالطب النفساني) ولقد اكتشف العلماء أن للأمراض النفسية مثل القلق والهم والحزن، تأثيراً كبيراً على العضوية للإنسان.

يقول د. بول آرسنت أدولف (أميركي): (لقد أيقنت أن العلاج الحقيقي لا بد أن يشمل الروح والجسم معاً في وقت واحد، وأدركت أن من واجبي أن أطبق معلوماتي الطبية والجراحية إلى جانب إيماني بالله وعلمي به، ولقد أقمت كلتا الناحيتين على أساس قويم، وبهذه الطريقة وحدها استطعت أن أقدم لمرضاي العلاج الكامل الذي يحتاجون إليه، ولقد وجدت بعد تدبر عميق أن معلوماتي الطبية وعقيدتي بالله هما الأساس الذي ينبغي أن نقود عليه الفلسفة الطبية الحديثة)[١].

وعند استقراء هذا الكلام لهذا الطبيب، يتبين لنا مدى أهمية الإيمان بالله عز وجل في استقرار النفس الإنسانية وطمأنينتها، حتى يتحقق للإنسان سعادته النفسية الذي تملأ عليه حياته.

وإذا أبعدنا الإيمان بالله عز وجل عن علاج مثل هذه الأمراض يبقى العلاج ناقصا، ويبقى الإنسان غير سوي، ولذلك يشخص أطباء النفسية المرض النفسي وتقصي أسبابه، لكنهم قد ينجحون في العلاج الكامل، وقد يفشلون في ذلك، لأنهم لا يلجأون في علاجها إلى بث الإيمان بالله في نفوس هؤلاء المرضى.

ولقد أثبتت الدراسات التربوية والأبحاث النفسية، بأن ما أحرزته الحضارة المعاصرة في الدول المتقدمة، مادياً وسياسياً وعلمياً والمتخلفة روحياً ودينياً بالمعاناة والخواء العقائدي، هي التي أدت إلى انتشار الأمراض النفسية، ونتائجها الوخيمة كالانهيار العصبي والانتحار والجنون، حتى أصبحت هذه الأمراض مألوفة عندهم. ونذير شؤم بانهيار تلك المجتمعات[٢].

وقد أكدت تلك الدراسات بأن الإيمان بالله عز وجل، خير زاد يتزود به الفرد في عمره، للوقاية من الانحرافات النفسية لأنه يسبغ على نفس المؤمن الاطمئنان إلى عدله والرضى

---

(١) عفيف طبارة، روح الدين الإسلامي، ص ١٧٤.

(٢) محمود الحاج قاسم، الطب الوقائي النبوي، ص ٥١.

بقضائه وقدره، والصبر على بلائه والثقة في عفوه، ورحمته والقناعة برزقه إلى ما ذلك من أمور أخرى.

والإيمان هو الذي يشيع الطمأنينة في نفس المؤمن، انطلاقاً من توحيد الله عز وجل والقناعة بعدله، واللجوء إليه في كل أمر، فيجعله يتوكل على الله عز وجل، ليفوز بالجنة.

قال تعالى: ﴿ يَٰٓأَيَّتُهَا ٱلنَّفْسُ ٱلْمُطْمَئِنَّةُ * ٱرْجِعِىٓ إِلَىٰ رَبِّكِ رَاضِيَةً مَّرْضِيَّةً * فَٱدْخُلِى فِى عِبَٰدِى * وَٱدْخُلِى جَنَّتِى ﴾ [الفجر: ٢٧-٣٠].

إن الإيمان بالله عز وجل يمنح الإنسان يقيناً جباراً، حتى يستطيع مواجهة أعتى المشكلات والصعاب، فهو يجاهد في سبيل هدف سام أعلى، ويغض بصره عن الأهداف الدنيئة القذرة.

إن الإيمان بالله يعطي الإنسان محركاً هو أساس سائر الأخلاق الطيبة، ومصدر قوة العقيدة، والعقيدة هي سر مخزن الصحة النفسية الموفورة، التي يتمتع بها أصحابها، وأية نفسية محرومة من هذه العقيدة لن تنتهي إلا بالأمراض، أقساها وأعتاها[1].

فالإيمان يضع ويوضّح كل شيء أمام الإنسان فلا يبقى مجهول يرعب المسلم في حياته، لا يأس ولا قنوط، بل يصبح عنده التوافق وعدم القلق والاضطراب، واستعداد لخدمة المجتمع البشري الذي يعيش فيه، فيتجاوز المجتمع الأنانية المفرطة، ويحل محلها التعاون والمحبة والمودة فيقل الخصام، والمهاترات عند المسلم، وتنعم حياته بالهدوء والاستقرار والإيمان.

والإيمان بالله عز وجل يطلق النفس من قيودها المادية، فتتعالى النفس على الشهوات، ولا يبالي بالمنافع والمضار خاصة، فيعيش الإنسان لنفسه ولأمته وللناس جميعا، ضمن قوانين الحق عز وجل وسنن الخير الشاملة، فكل ما في الإنسان من خير وحب وطمأنينة إنما هو من الإيمان بالله عز وجل.

والإيمان والعمل الصالح، يترتب عليهما مرضاة الله عز وجل ومكافأته في الدنيا والآخرة.

قال تعالى: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمْ خَيْرُ ٱلْبَرِيَّةِ ﴾ [البينة: ٧].

---

(١) وحيد الدين خان. الإسلام يتحدى، تحقيق عبد الصبور شاهين، ط٢، القاهرة، دار البحوث العلمية، ١٩٧٣، ص١.

والإيمان يحول بين المرء والمعاصي، لأن الإنسان ينطلق خاضعاً لسلطان عقيدته، فتنير له الطريق، ففي ساعة اليأس يتذكر المؤمن أن هناك ملاذاً يلجأ إليه، وأن الله عز وجل قادر على معونته، فليس هناك ما يدعوه إلى اليأس والجزع، فتطمئن نفسه وتصغر أمامها الأهوال وتهون المصاعب.

ولا عجب أن الإيمان يُغذي ذلك الجانب الروحي في الإنسان، لأن الإنسان يشتمل على جانبين: الجانب المادي، ويشبع بالحاجات المادية، والجانب الروحي، ويشبع بالإيمان بالله تعالى، وذكر الله، وقراءة القرآن، مما يجعل الإنسان يعيش في أمن وطمأنينة واستقرار.

فقد جاء في أحد التقارير التي قام بها الباحثون الغربيون لمعرفة الأسباب التي تكمن وراء ظواهر العنف بين طلبة الجامعات الغربية، إذ يقول التقرير: (إن ظاهرة العنف بين طلبة الجامعات تعود إلى وجود خواء أخلاقي في حياتهم، وإلى عدم وجود رسالة إنسانية مما يُولد لديهم الشعور بضعف الحياة وتفاهتها، إلى أن يقول: (لقد أخفقت تربيتنا وجامعاتنا في إعطاهم هدفاً رفيعاً يصلح أن يكون رمزاً أو محوراً ينظمون حوله حياتهم، ويبنون عليهم طموحاتهم الاجتماعية والإنسانية)[1].

وهذا التقرير نشر عام ١٩٦٩م، قبل ثلاثة عقود من الزمن وكان الأمر بهذه الصورة، فكيف يكون الأمر بعد هذه العقود، بعد أن تفجرت المعرفة، وتطورت الحياة، وزادت تعقيداتها، وتنوعت أساليب الفساد والانحلال الخلقي، وزادت الاتجار بالمخدرات.

إن هذا التقرير يؤكد فشل التربية الغربية، التي ينادي بها كثير من المسلمين في تمكنها من الغوص في أعماق النفس البشرية بحيث لا يمكن علاج هذه النفس، فتعيش في قلق واضطراب. عيشاً ليس فيه طمأنينة ولا أمن ولا استقرار.

وهذا ما أكده صاحب التقرير: (لقد أخفقت تربيتنا وجامعاتنا في إعطاء الشباب هدفا رفيعا، أو رسالة إنسانية، تصلح أن تكون رمزاً ينظمون حوله حياتهم، ويبنون عليه طموحاتهم الاجتماعية والإنسانية.

لقد وصلت الحضارة والمدنية الغربية إلى أعماق البحار والأرض، وأعماق القمر في

---

(١) أحمد الفنجري، الطب الوقائي في الإسلام، ص ٨٧.

الفضاء، لكنها لم تستطع الوصول إلى أعماق النفس الإنسانية، أو ما يسمى (بالجانب الروحي)، الذي يحتاج إلى تغذية مستمرة، كيلا يقع الإنسان في الاضطرابات النفسية والقلق، وعدم توازن الشخصية.

إن الإسلام استطاع أن يحل تلك المشكلة، عندما تمكن من الوصول إلى أعماق النفس الإنسانية، ومعرفة حاجتها، فغذى ذلك الجانب، الذي هو بمثابة صمام الأمان، أو الضابط الذي يضبط حياة الإنسان.

فاستطاع الإسلام بالإيمان أن يعالج ذلك الخلل وذلك الخواء الروحي، الذي يصاب به الإنسان، بين الحين والآخر، وهذا يقودنا إلى أن العقل الإنساني قاصر على حل مشاكله، وحاجته الملحة، وأنه بحاجة إلى الإيمان، وعون الله سبحانه وتعالى، حتى يستطيع أن ينظم حياته وحياة مجتمعه.

لهذا جعل الإسلام من أسباب الانحراف والتوتر والاضطراب، ما يسمى بالانحراف الفكري والعقائدي، الذي يدفع الإنسان إلى الملل في الحياة، والبحث عن الملذات، والإكثار من شرب المخدرات، والانحرافات الخلقية الأخرى مثل:

انعدام التراحم في المجتمع- قد يؤدي هذا إلى صاحبه بأمراض التوتر العصرية، لأن عدم التعاون والتراحم يؤدي إلى الأنانية المفرطة والعزلة، وهذا يؤدي إلى أصابته بداء العزلة والتوتر[١].

لذلك ركّز الإسلام على كل هذه الأمور، فاهتم بالجانب الروحي الذي يحتاج إلى تغذية معنوية وروحية، لأن الاهتمام بالجانب المادي وحده على حساب الجانب الروحي، يؤدي إلى قتل إنسانية الإنسان وآدميته، ثم يصاب بعد ذلك بأمراض اليأس من الحياة.

قال تعالى: ﴿أَوَمَن كَانَ مَيْتًا فَأَحْيَيْنَاهُ وَجَعَلْنَا لَهُ نُورًا يَمْشِي بِهِ فِي النَّاسِ كَمَن مَّثَلُهُ فِي الظُّلُمَاتِ لَيْسَ بِخَارِجٍ مِّنْهَا كَذَٰلِكَ زُيِّنَ لِلْكَافِرِينَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ [الأنعام: ١٢٢].

وبالإيمان استطاعت التربية الإسلامية أن تقي الإنسان من صدمات ومصائب الحياة ومشاكلها، بالصبر على ذلك واعتبار ذلك قضاء وقدرا، يستقبله الإنسان بالصبر وعدم الجزع والقلق.

---

(١) أحمد الفنجري، الطب الوقائي في الإسلام، ص ٩٠.

قال تعالى: ﴿ مَآ أَصَابَ مِن مُّصِيبَةٍ فِى ٱلْأَرْضِ وَلَا فِىٓ أَنفُسِكُمْ إِلَّا فِى كِتَـٰبٍ مِّن قَبْلِ أَن نَّبْرَأَهَآ ۚ إِنَّ ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرٌ ﴾ [الحديد: ٢٧].

إنه الإيمان الذي عوده الصبر، وروض نفسه عليه وجعله يستقبل المصيبة بنفس راضية، فلا تتحطم ولا تنهار، بل تتعدى ذلك بسلام.

لذا فإن المسلم حينما يؤمن بالله عز وجل وحده دون غيره، ويقوى هذا الإيمان حتى يملأ القلب، ويشع على جوانب النفس، ويملك على المؤمن شعوره فتصبح كل حياته لله تعالى، فيدفعه إلى الجهاد في سبيل الله والإخلاص، وقول الحق، لأن نفسه اطمأنت بهذا الإيمان واستقرت على أن كل شيء يصيبه، هو من عند الله عز وجل فيجعله خاضعاً لله مستكيناً، يسمو بصاحبه على شهوات النفس، ورغبات الجنس، إنه الإيمان الذي يفعل كل هذا[1].

قال تعالى: ﴿ هُوَ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ ٱلسَّكِينَةَ فِى قُلُوبِ ٱلْمُؤْمِنِينَ لِيَزْدَادُوٓا۟ إِيمَـٰنًا مَّعَ إِيمَـٰنِهِمْ ﴾ [الفتح: ٤].

لا شكل أن سكينة النفس ورضاها وطمأنينة القلب يشكل ركناً من أركان سعادة الإنسان، وأن السبيل إليها لا يكمن في الذكاء ولا العلم ولا الصحة، ولا المال ولا الشهرة ولا الجاه، وإنما مصدرها الوحيد الإيمان بالله عز وجل، الإيمان الصادق العميق، الذي لا يفسده النفاق ولا يكدره الشك.

وأكثر الناس قلقاً وضيقاً واضطراباً، هم المحرومون من نعمة الإيمان، إن حياتهم لا طعم لها ولا مذاق، وإن حفلت في الملذات والشهوات، ولكنهم لا يعرفون لها هدفاً، ولا يدركون لحياتهم معنى، فكيف يظفرون مع هذا بسكينة نفس أو اطمئنان قلب أو انشراح صدر[2]..

والإيمان يساير فطرة الإنسان ويناسبها ولا يناقضها، قال تعالى: ﴿ فِطْرَتَ ٱللَّهِ ٱلَّتِى فَطَرَ ٱلنَّاسَ عَلَيْهَا ﴾ [الروم: ٣٠]. لأن في فطرة الإنسان فراغاً لا يملؤه علم، ولا ثقافة، ولا فلسفة إنما يملؤه الإيمان بالله عز وجل، وستظل الفطرة تحس بالتوتر والجوع والظمأ، حتى تجد الله، وتؤمن به، وتتوجه إليه[3].

---

(١) وهبه سليمان الألباني، أركان الإيمان، ط٢، بيروت، مؤسسة الرسالة، ١٩٧٩، ص٣٢٤.

(٢) يوسف القرضاوي، الإيمان والحياة ط٢، بيروت، مؤسسة الرسالة، ١٩٨٥، ص٩٠-٩٤، بتصرف.

(٣) محمد عبد الله الشرقاوي، الإيمان حقيقته وأثره في النفس والمجتمع، ط٢، بيروت، دار الجيل، ١٩٩٠، ص٢٧-٢٨.

يقول ابن القيم: «ذكر العبد ربه فإنه يطمئن إليه قلبه ويسكن، فإذا اضطرب القلب وقلق فليس له ما يطمئن به سوى ذكل الله عز وجل، والقلب لا يطمئن إلا بالإيمان واليقين، ولا سبيل إلى حصول الإيمان واليقين إلا من القرآن، لأن القرآن هو المحصن والدافع للشكوك والظنون والأوهام، فلا تطمئن قلوب المؤمنين إلا به)[1].

فالإيمان هو مبعث الطمأنينة والتوازن وعدم التردد، ويبعد المسلم عن الشك والريب، فيه عرف الإنسان ربه، وخالقه، وبه عرف الكون وأنه مسخر إليه، وبه عرف أنه لم يخلق عبثا، إنما جاء من أجل هدف وغاية في هذه الحياة، وابتعد عن كل جوانب القلق والاضطراب، لأنه وجد لكل شيء يدور في عقله وخلده جوابا، أشفى غليله، وكان بمثابة الضالة التي ينشدها، ويبحث عنها ثم وجدها.

والإيمان مصدر الأمن النفسي، قال تعالى: ﴿ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَلَمْ يَلْبِسُوٓا۟ إِيمَٰنَهُم بِظُلْمٍ أُو۟لَٰٓئِكَ لَهُمُ ٱلْأَمْنُ وَهُم مُّهْتَدُونَ ﴾ [الأنعام: ٨٢].

وقال تعالى: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ قَالُوا۟ رَبُّنَا ٱللَّهُ ثُمَّ ٱسْتَقَٰمُوا۟ تَتَنَزَّلُ عَلَيْهِمُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ أَلَّا تَخَافُوا۟ وَلَا تَحْزَنُوا۟ وَأَبْشِرُوا۟ بِٱلْجَنَّةِ ٱلَّتِى كُنتُمْ تُوعَدُونَ ﴾ [فصلت: ٣٠].

فالإيمان هو الأمن، ومن لا إيمان له لا أمن له، وعلى قدر الإيمان يكون الأمن والسلام النفسي، فإيمان المؤمن مصدر أمنه، والأمن من ثمرات الطمأنينة والسكينة، ولا سعادة دون الأمن النفسي، لأن المؤمن لا يخاف إلا الله عز وجل، إن فرط في حقه أو اعتدى على خلقه، ولن يخاف الناس، لأنهم لا يملكون ضراً ولا نفعاً[2].

ولذلك فالاعتقاد في وجود الله عز وجل أهم وسائل الوقاية من الأمراض النفسية، والعلاج من مرض الوحدة، يقول د. فرانك لانج العالم النفساني الألماني: (مهما بلغ شعورك بالوحدة، وحدة نفسك، فاعلم أنك لست بمفردك أبداً فإذا كنت على جانب من الطريق فسر

---

(١) ابن قيم الجوزية، مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين، تحقيق، محمد حامد الفقي، (د. ط)، القاهرة، دار الفكر، (د. ت)، جـ ٢، ص ٥١٣.

(٢) محمد عبد الله الشرقاوي، الإيمان حقيقته وأثره في النفس والمجتمع، ص ٣٧- ٣٩، جون كلونر مونسما، الله يتجلى في عصر العلم، ترجمة الدمرداش سرحان، ط٣، القاهرة، مؤسسة الحلبي، ١٩٦٨، ص ١٣٧- ١٣٨.

وأنت على يقين من أن الله معك. . .)[1].

وبالإيمان يسمو الإنسان عن الماديات، ويرتفع عن الشهوات ويتعالى عن لذائذ الدنيا، ومتعها الزائلة غير المشروعة، ويرى الخير كله في النزاهة، والنفس العالية، وتحقيق القيم الصالحة، وهذا يجعل المؤمن يتجه اتجاهاً تلقائياً لخير نفسه وأمته والناس جميعاً.

والإيمان يجعل المؤمن آمناً على رزقه أن يفتن، لأن الرازق هو الله، قال تعالى: ﴿وَفِي ٱلسَّمَآءِ رِزْقُكُمْ وَمَا تُوعَدُونَ﴾ [الذاريات: ٢٢]، ويجعله كذلك آمن على أجله، فالله عز وجل هو الذي قدر الآجال، ولم يُقعده الخوف على الإقدام والسفر والجهاد في سبيل الله عز وجل، قال تعالى: ﴿فَإِذَا جَآءَ أَجَلُهُمْ لَا يَسْتَأْخِرُونَ سَاعَةً وَلَا يَسْتَقْدِمُونَ﴾ [الأعراف: ٣٤].

والإيمان يجعل المؤمن لا ييأس ولا يقنط، بل هو أوسع الناس أملاً، وأكثرهم تفاؤلا، لأن اليأس والتشاؤم لا يجتمعان في قلب مؤمن، قال تعالى: ﴿وَلَا تَا۟يْـَٔسُوا۟ مِن رَّوْحِ ٱللَّهِ إِنَّهُۥ لَا يَا۟يْـَٔسُ مِن رَّوْحِ ٱللَّهِ إِلَّا ٱلْقَوْمُ ٱلْكَـٰفِرُونَ﴾ [يوسف: ٨٧].

ذلك لأن اليأس يؤدي إلى انقباض (الكورتزون) في الدم، والغضب يؤدي إلى ارتفاع (الإدرالين والتروكسين) في الدم بنسبة كبيرة، وإذا استسلم لكل هذا، أصبح فريسة سهلة لأمراض كثيرة، مثل السكري، والمعدة. . .[2].

والفراغ الكبير الهائل في النفس الإنسانية، ناتج عن ضعف الإيمان، وهو السبب وراء كل المصائب التي تحصل للإنسان، في حياته من قلق واضطراب، وهذا لا يشكو منه المسلم، لأن إيمانه هو الذي منع مثل هذه الأمراض الكثيرة من أن تؤثر عليه.

والإيمان من عناصر القوة والاستقرار في شخصية المسلم يدفعه إلى الإقدام على الحياة والمثابرة والعمل وتغيير الواقع نحو الأفضل.

وبعد كل هذا يصل الإنسان المسلم إلى الرضى بالواقع، والقناعة بما قدره الله عليه عز وجل، وهذا يصرف النفس من التمزق بين الواقع المرفوض والأمل المرغوب.

---

(١) علي القاضي، الأمراض النفسية وعلاجها في ضوء الإسلام، مجلة التضامن الإسلامي، وزارة الحج السعودية. السنة السادسة والثلاثون، جـ ١٢، ١٩٨٢، ص ٤٦.

(٢) علي القاضي، الأمراض النفسية وعلاجها، ص ٤٩.

إذن هذا ما يهدف إليه الإسلام من خلال الاهتمام والاعتناء بالصحة النفسية للفرد المسلم، حتى يملك الفرد المسلم القدرة على التوافق مع نفسه، ومع المجتمع، فلا قلق ولا توتر ولا اضطراب.

وبعد هذا يرضى مع نفسه، فيتوافق مع نفسه ومع مجتمعه، فلا يسلك سلوكاً اجتماعياً شاذا، بل يسلك سلوكاً معقولاً متزناً في مختلف مجالات حياته.

وبهذا المنظار، يعتبر هذا شخصاً سوياً، لأنه استطاع أن يضع حدا، ويسيطر على العوامل التي تؤدي إلى الإحباط واليأس، والقلق، والاضطراب، وهذا ما يريده الإسلام من كل فرد مسلم.

وقد عجز الغرب عن إيجاد حلول لمثل هذه المشكلات بين أفراده ومجتمعاته، لأنهم عالجوا ذلك من خلال المادة والحياة المعقدة، ولكن لم تكن تلك الحلول ناجعة، لأنها حلول سطحية لا علاقة لها بحال الإنسان وأعماقه، وما يدور في داخله، بسبب ما يدور حوله من طغيان المادة، وتنكر الناس لروحانيته وقيمه المعنوية.

فالإنسان المادي يفقد ثقته بالله عز وجل وإيمانه بقضائه وقدره، ويفقد رضا النفس وطمأنينتها، وهذا يجعله أكثر عرضة للهزات النفسية، والقلق واليأس والضيق، والطمع[1].

والفراغ الإيماني والفكري والعقائدي يقود الإنسان إلى الملل والبحث عن الملذات، والإكثار من الشرب، والانحرافات الأخلاقية والجنسية وغيرها.

لذلك فالمجتمع الغربي نتيجة لهذا الفراغ بين أفراده لم يستطع إيجاد الحلول الناجعة لأفراده ومجتمعاته، وهذا باعترافهم هم.

يقول أحد التقارير الذي قدمه الكونجرس الأمريكي عام ١٩٦٥م: (إن ظاهرة العنف بين طلبة الجامعات تعود إلى وجود خواء أخلاقي في حياتهم... وإلى عدم وجود رسالة إنسانية... مما يولد لديهم الشعور بضعف الحياة وتفاهتها... إلى أن يقول: (لقد أخفقت تربيتنا وجامعاتنا في إعطائهم هدفاً رفيعاً يصلح أن يكون رمزاً أو محورا، ينظمون حوله

---

(١) أحمد الفنجري، الطب الوقائي في الإسلام، ص ٨٩.

حياتهم، ويبنون عليه طموحاتهم الاجتماعية والإنسانية)[1].

والإيمان يولد في النفس المؤمنة الحب الكبير، الذي يمنح الأمن الروحي والسعادة الداخلية، ويشعر الآخرين بالاطمئنان، والكرامة الإنسانية، فالمؤمن يحب الله ورسوله، ويحب الناس من أجل الله تعالى، فيعطف على صغيرهم، ويرعى يتيمهم، ويعطي محرومهم، ويصل ذوي القربى... وهذا أدعى إلى التكامل والتضامن والمودة والمحبة بين أفراد المجتمع الإسلامي[2].

وعندما يغيب الإيمان، وتغيب العقيدة عن الإنسان، فإنه يشعر بالخوف والقلق، والاضطراب، الق النظر في كلام إنسان إيمانه ضعيف، عقيدته ضعيفة، يقول: (إنني أعيش في خوف دائم، وفي رعب من الناس والأشياء، ورعب نفسي، لا الثروة أعطتني الطمأنينة، ولا المرأة ولا الحب، ولا السهرات الحمراء... صنعت لي شيئا، جربت كل شيء.. أنني أكره العيش أخاف من نفسي... ليست لي هموم إن همي الأكبر هذه الدنيا، المال عندي، المركز الجاه والصحة، من هو الله؟ إن الله لا وجود له في حياتي فمن إذن؟ أخاف من الموت؟ ربما، ولكن لا أبالي... إلى أن يقول: حياتي فراغ... إنني تافه في الحياة إنها عدوي تسخر مني... إلى أن يقول: عرفت الآن ممن أخاف)[3].

إذن الإنسان يسمو بالإيمان، والإيمان يسمو بالإنسان عن الماديات ويرتفع به عن الشهوات، ويتعالى عن لذائذ الدنيا ومتعها الزائلة، أما متاع الدنيا ولذاتها وماديتها، فإنها تنزل بالإنسان إلى الحضيض، إذن لا بد من الإيمان بالله عز وجل. حتى يسمو بهذه النفس الإنسانية نحو القيم العليا.

٢. الإيمان باليوم الآخر:

والإيمان باليوم الآخر فيه إصلاح الدنيا، ومجتمعها، وإصلاح الأفراد، حيث إن الإنسان يؤمن بوجود الآخرة، وأصبح يعلم أن هناك مسؤولية على أقواله وأفعاله، وأنه سوف يحاسب

---

(١) أحمد الفنجري، الطب الوقائي في الإسلام، ص ٨٦.

(٢) نادية شريف العمري، أضواء على الثقافة الإسلامية، ط١، بيروت، مؤسسة الرسالة، ١٩٨١، ص١٠٥-١٠٨.

(٣) يوسف القرضاوي، الإيمان والحياة، ص ١٥٦- ١٥٧.

على ما يقدمه وما يعلنه، وهذا يجعل الإنسان صادقاً مع ربه، وصادقاً مع نفسه ومع غيره.

كما أن الإيمان باليوم الآخر يدفع الإنسان إلى العمل والجد، ويمنعه من القعود والكسل، لأن النفوس البشرية مجبولة على الاستعداد للمستقبل، وبخاصة إذا تأكد هذا المستقبل وكان محقق الوقوع[(١)].

والإيمان بالآخرة يدفع الإنسان إلى بذل نفسه رخيصة في سبيل الله عز وجل، لأنه يعلم علم اليقين، أن هذه النفس التي تبذل في سبيل الله في الدنيا، ينال أعز منها عند الله عز وجل، ويكون مطمئناً متوازناً، لا يبقى في صراع مع نفسه، لأنه قد علم نهايته، ومصيره، على عكس المذاهب والمبادئ الحالية، المادية. والإلحادية، حيث تجعل الإنسان الذي ينتمي إليها في صراع مع نفسه، لا يعلم المصير الذي يؤول إليه، وما يترتب عليه في هذه الحياة، وما هو هدفه فيها، كل هذا يجعله غير آمن وغير مطمئن، يعيش في قلق وخوف واضطراب.

والإيمان باليوم الآخر يهوّن على صاحبه الشدائد والمصائب ويخفف عليه من هذه الشدائد والمصائب، لأن الإنسان يتعرض في هذه الحياة للمصائب والمكاره في المال والنفس والأهل والولد، فالإيمان يهوّن على المؤمن المصائب، لأنه آمن أن كل شيء من عند الله عز وجل، وأنه يؤجر على ذلك إن صبر يوم القيامة، فيعيش آمناً مطمئناً هادياً، متزناً لا قلق ولا اضطراب، ومنسجماً مع نفسه.

قال ﷺ: «ما يصيب المؤمن من وصب، ولا نصب ولا سقم، ولا حزن، حتى الهمّ يُهمّه، إلا كفّر به عن سيئاته»[(٢)].

٣- الإيمان بالقدر:

وهو إيمان الإنسان بما قدر الله عليه في اللوح المحفوظ، ورضا الإنسان المستمر على كل ما يجري في الحياة الدنيا، لأنه من عند الله عز وجل، بقضائه وقدره، وصبر الإنسان على ذلك مع ما فيه من الأمر الشديد، يحفظ للإنسان عقله وقلبه، وينشطه لإعادة الكرة في سبيل

---

(١) عبد الله سراج الدين، الإيمان بعوالم الآخرة ومواقفها، ط١، (د. م)، (د. ن)، ١٩٧٧، ص ١٨.

(٢) صحيح مسلم، كتاب البر والصلة، باب ثواب المؤمن، جـ ٤، ص ١٩٩٣.

ما يريد مرة ومرة حتى يبلغ ما يريد، أو يهلك دونه، ويحفظه من الحزن المهلك عند الهزيمة، ونزول البلاء[1] .

والإيمان بالقدر يدفع المسلم على العزم وعدم التردد، والقضاء عليه، لأنه بقضاء الله وقدره، ويعوّده إلى المضي قدماً دون تردد أو خوف وأن الله مؤيده.

والإيمان بالقدر يجعل المسلم لا يندم على ما فات، أو يتحسر عليه، لأن ذلك لن يعود عليه، بشيء نافع، لأنه مؤمن بما قدره الله عليه، فيدفعه إلى التفاؤل وعدم التشاؤم، وهو تعليل المصائب بعلل أو أسباب غير صحيحة، والتشاؤم من بوم أو إنسان أو غير ذلك كالمرض وغيره، وهو يربي المؤمن على التعقل وعدم تعليل الأمور حسب هواه، بل كل من عند الله عز وجل ، ولذلك يستسلم لقضاء الله وقدره بعد الأخذ بأسباب والتوكل على الله عز وجل.

وأفضل ما يجد المؤمن من آثار عقيدته، أنها تملأ جوارحه رضى بأقدار الوجود والحياة، فهو يعلم من حقائق الوجود ما يسكن به خاطره، ومن مضي الحياة ما تقر به نفسه، فيقبل على دنياه مطمئنا، مهما اختلفت عليه الظروف.

فهو في وئام مع الكون كله، يسجد لله، ويعيش الإسلام في نفسه، لأنه عنصر أرضي يتصاع للقدر، ولأن فيه فطرة روحية تنتزع به إلى ربه عز وجل، فلا يرتاح له بال إلا في كنف الدين، لذلك يفشل الذي لا يؤمن بالله عز وجل فإنه يبقى في شك وحيرة وتردد، فيبقى في عدم توافق نفسي، فيتشتت، ولا يدرك للحياة مغزى تستقر به النفس، وهذا شأن كثير من الناس في حاضر العالم المتقدم، كلما التمسوا غاية فأدركوها استشعروا الخيبة من بعدها، وازداد تبرمهم بالحياة واعتراهم قلق جديد[2] .

٤- ذكر الله:

قال تعالى: ﴿ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَتَطۡمَئِنُّ قُلُوبُهُم بِذِكۡرِ ٱللَّهِۗ أَلَا بِذِكۡرِ ٱللَّهِ تَطۡمَئِنُّ ٱلۡقُلُوبُ ﴾ [الرعد: ٢٨].

---

(١) وهبة الألباني، أركان الإيمان، ص ٣٢٢- ٣٢٣.

(٢) حسن الترابي، الإيمان وأثره في حياة الإنسان، ط١، الكويت، دار القلم، ١٩٧٤، ص ٢٧٠- ٢٧١.

ذكر الله طمأنينة للمؤمن، تطمئن بإحساسها الصلة بالله، والأنس بجواره، والأمن في جانبه، تطمئن من قلق الوحدة وحيرة الطريق بادراك الحكمة في الخُلق والمبدأ والمصير، تطمئن بالشعور بالحماية من كل اعتداء، ومن كل خير وشر إلا بما شاء الله، مع الرضى بالابتلاء والصبر عليه، وتطمئن برحمته في الهداية والرزق والستر في الدنيا والآخرة[١].

والاطمئنان في قلوب المؤمنين حقيقة عميقة، يعرفها الذين خالطت بشاشة الإيمان قلوبهم، لأن الاطمئنان القلبي بالإيمان وذكر الله عز وجل، لا يحصل بالكلمات، ولا يعبر عنه بها، إنما يسري في القلب، ويستريح إليها، فيشعر بالطمأنينة والأنس.

والذي يحرم هذه الطمأنينة إنسان شقي على وجه الأرض، لأنه لا صلة له بالله عز وجل، ولا يدري إلى أين يذهب؟ ويسير في الأرض تائها، ليس له من يطمئنه، والإنسان تمر به لحظات إن لم يكن معتمداً على الله عز وجل ومطمئنا، فمهما أوتي من القوة والصلابة لا يستطيع الصمود أمام التحديات[٢].

وذكر الله: هو التسبيح والتهليل، والاستغفار، وقراءة القرآن، والتوحيد، ووعد الله والحلف بالله، وحب الله ورسوله، والطمأنينة وأن تركن إلى جانب الله عز وجل، وتسكن عند ذكره، وترضى به مولى ونصيرا[٣].

ألا بذكر الله عز وجل، تطمئن قلوب المؤمنين، ويزول القلق والاضطراب من خشيته مما يفيضه عليها من نور الإيمان الذي يذهب الهلع والوحشة، فالمؤمنون إذا ذكروا الله ووعده بالثواب والرحمة سكنت نفوسهم واطمأنت إلى ذلك الوعد وزال عنها القلق والوحشة[٤].

ولقد أثبت العلم الحديث أن النجاح في الدنيا يكون ثمرة للطمأنينة النفسية التي صارت أملا لدى الكثيرين من مرضى هذا العصر الموبوء، فالقلق النفسي أصبح سمة من سمات هذا العصر، وعلامة من علاماته غير الحسنة.

---

(١) سيد قطب، في ظلال القرآن، ط٧، بيروت، دار إحياء التراث العربي، ١٩٧١، جـ ٥، ص ٩٤.

(٢) سيد قطب، في ظلال القرآن، جـ ٥، ص ٩٤.

(٣) سعيد حوى، الأساس في التفسير، ط١، القاهرة، دار السلام، ١٩٨٥، جـ ٥، ص ٢٧٥٥.

(٤) الزمخشري، الكشاف عن حقائق التنزيل، وعيون الأقاويل في وجوه التأويل، (د. ط)، بيروت، دار المعرفة، (د. ت)، جـ ٢، ص ٣٥٩. محمد مصطفى المراغي، تفسير المراغي، (د. ط)، بيروت، دار إحياء التراث العربي، (د. ت)، جـ ١٣، ص ١٠٠- ١٠١.

والقلق له الكثير من الأضرار الجسدية، والنفسية، فيقرر علماء النفس أن الانفعالات النفسية تهيج العصب الحائر فيتسبب في قرحة المعدة، وغيرها من الأمراض[1].

كما ثبت من دراسات نفسية عديدة أن مرّد أغلب الأمراض النفسية هو عدم الإيمان بقضاء الله وقدره، وإلى عدم الإيمان باليوم الآخر.

فالفرد غير المتدين يؤمن بالدنيا وزخرفها، وأن عليه أن يقبل عليها ويستمتع بها قبل موته، فلا غرابة إذا بدأ أسير هواه وملذاته، وكثيراً ما يستسلم لليأس والقنوط، ولا سيما حين تحل به النكبات والمصائب[2].

وذكر الله أثر من آثار الإيمان، وهو غذاء روحي يمد النفس الإنسانية بما تحتاجه من سكينة واطمئنان.

وذكر الله عز وجل مظهر لمعرفة الإنسان ربه عز وجل، والثناء عليه، وهذا ما صرح به القرآن الكريم أن ذكر الله عز وجل وسيلة للتقرب منه سبحانه وتعالى.

قال تعالى: ﴿وَٱلذَّٰكِرِينَ ٱللَّهَ كَثِيرًا وَٱلذَّٰكِرَٰتِ أَعَدَّ ٱللَّهُ لَهُم مَّغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًا﴾ [الأحزاب: ٣٥].

وذكر الله له أثر كبير في تربية النفس، فالذي يذكر الله عز وجل يخشع قلبه ويلين، فلا يصدر عنه إلا كل خير، لأنه يعلم أن كل ما يصدر عنه يعلمه الله عز وجل، والذين يعرضون عن ذكر الله عز وجل، يكون إعراضهم سبباً داعياً إلى قسوة قلوبهم.

وهذا ما حذّر منه القرآن الكريم، قال تعالى: ﴿ ۞ أَلَمْ يَأْنِ لِلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ أَن تَخْشَعَ قُلُوبُهُمْ لِذِكْرِ ٱللَّهِ وَمَا نَزَلَ مِنَ ٱلْحَقِّ وَلَا يَكُونُوا۟ كَٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ مِن قَبْلُ فَطَالَ عَلَيْهِمُ ٱلْأَمَدُ فَقَسَتْ قُلُوبُهُمْ ۖ وَكَثِيرٌ مِّنْهُمْ فَٰسِقُونَ﴾ [الحديد: ١٦].

٥- قراءة القرآن:

وقراءة القرآن الكريم هي من ذكر الله عز وجل.

---

(١) محمد كامل عبد الصمد، الإعجاز العلمي في الإسلام (القرآن الكريم)، ط٢، القاهرة، الدار المصرية اللبنانية، ١٩٩٣، ص ٣٠٦.

(٢) محمد كامل عبد الصمد، الإعجاز العلمي في الإسلام، ص ٣٠٦.

ولقد أظهرت الدراسات التي أجريت على مجموعة من الناس غير المسلمين، خضعوا لتجارب أجريت عليهم، -من خلال قراءة القرآن بالعربية، وقراءة كلاماً ليس قرآناً بالعربية-، فقد أثبتت هذه الدراسة أن قراءة القرآن تؤثر على التوتر الذي يصيب الإنسان، وكانت النتائج ٦٥٪ من تجارب القراءات القرآنية له تأثيره المهدى للتوتر[١].

وتلاوة القرآن وما يتحقق فيها من اطمئنان نفسي هو قضية محسوسة، فقد حسمها قول الحق سبحانه وتعالى: ﴿ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَتَطْمَئِنُّ قُلُوبُهُم بِذِكْرِ ٱللَّهِ ۗ أَلَا بِذِكْرِ ٱللَّهِ تَطْمَئِنُّ ٱلْقُلُوبُ ﴾ [الرعد: ٢٨].

فالاطمئنان هو راحة النفس وانشراح الصدر، وسعادة الحس والوجدان وهو البر في الإسلام بكل أبعاده، فيقول الرسول ﷺ: (البر ما اطمأنت إليه النفس) فالبر طاعة خالصة لله عز وجل، كما أن الإثم معصية، والإثم (ما حاك في الصدر وتردد في النفس وخشيت أن يطلع إليه الناس)، وهو بلغة النفس توتر وقلق وضيق في الصدر وهو أول ما تصل إليه أعراض العلة النفسية، كما أن الاطمئنان هو منتهى ما تحققه الصحة النفسية، وهذا الاطمئنان في كماله وشموله، هو ما تحققه تلاوة القرآن الكريم، وهو البر بكل معانيه، وهو البعد عن التوتر وهو الإثم والإثم المعصية[٢].

قال تعالى: ﴿ إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ ٱللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتُهُۥ زَادَتْهُمْ إِيمَٰنًا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ﴾ [الأنفال: ٢].

أي أن ذكر الله عز وجل وتذكره وقاية للإنسان من الوقوع في المعصية والظلم، وإذا وجل القلب من ذكر الله عز وجل، تضمن خشية الله عز وجل ومخافته، فيدعو صاحبه إلى فعل المأمور وترك المحظور.

قال مجاهد: (هو الرجل يريد أن يذنب الذنب فيذكر مقام الله عز وجل فيدع الذنب)[٣].

---

(١) محمد كامل عبد الصمد، الإعجاز العلمي في الإسلام، ص ٣٠٧- ٣٠٩.

(٢) محمد يوسف خليل، تلاوة القرآن وأثرها على اطمئنان النفس، بحث مقدم إلى الجمعية العالمية الإسلامية للصحة النفسية، ١٩٩٤، (ملخص بحث).

(٣) تقي الدين أحمد بن تيمية، مجموع الفتاوى، جمع وترتيب عبد الرحمن محمد قاسم، (د. ط)، الرياض، مكتبة المعارف، (د. ت)، جـ ٧، ص ٢٠.

ومعنى ذلك إن الإنسان إذا ذكر الله عز وجل، خاف منه فامتنع عن فعل المعصية، فيعيش مطمئناً غير قلق، لأن الذنوب والمعاصي تجعل الإنسان يعيش قلقاً ومضطرباً.

٦- الاعتراف بالذنب:

إن الاعتراف بالذنوب والخطايا أهم ما يعتمد عليه العلاج النفسي، لأنه يعيد إلى النفس المضطربة اتزانها وطمأنينتها، ويشيع فيها السكينة والوقار التي افتقدتها، ويساعدها على التخلص من أمراضها وعللها الكثيرة، كالغم والحزن واليأس، والقنوط، والوسواس والقلق والاضطراب.

والإعتراف بالذنب هو الندم الصادق على الأفعال السيئة، وغير المقبولة عند الله عز وجل. فيدفع المسيء إلى التوبة والعودة إلى الطريق الصحيح والسبيل السوي الذي يحقق له السعادة والطمأنينة النفسية، وحسن التكيف مع الحياة[1].

وقرر علماء النفس أن كافة الأمراض النفسية ترجع إلى الكبت الذي يسبب عقداً نفسية لا شفاء منها إلا بما يسمونه بالتحليل النفسي، الذي يتم باعتراف المريض أمام الطبيب بأخطائه، وهذا الاعتراف يقول عنه الأطباء: إنه صفة منطقية نفسية سلوكية، تكشف عن أخطاء المريض، فيراها ويشعر بها، ويرتاح بعد ذلك.

وإذا كان علاجها هو الاعتراف بالخطأ أمام الطبيب ليرتاح الضمير، فأي فرق بين الاعتراف أمام الله والاعتراف أمام الطبيب؟!

وهذا ما أكده القرآن الكريم، حينما بشر الإنسان الذي يعصى الله عز وجل بأن يعترف بهذا العصيان، ويتوب إلى الله فيغفر له.

قال تعالى: ﴿ ۞ قُلْ يَٰعِبَادِىَ ٱلَّذِينَ أَسْرَفُوا۟ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا۟ مِن رَّحْمَةِ ٱللَّهِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يَغْفِرُ ٱلذُّنُوبَ جَمِيعًا ۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلْغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ ﴾ [الزمر: ٥٣].

٧- التوبة:

تعتبر التوبة من أهم وسائل العلاج النفسي، الذي يطهر النفس من ذنوبها وآثامها، فتشفى من عللها، وحتى تكتمل للنفس طمأنينتها وسكينتها، فلا بد من التوبة النصوح والندم على ما

(١) عبد الحميد الزنتاني، أسس التربية الإسلامية في السنة النبوية، ص ٦٣٢- ٦٣٣.

فات، بالقلب الصادق والعزيمة الصادقة.

وتأكيداً على ذلك، فقد حث القرآن الكريم، وحثت السنة النبوية الإنسان المسلم على التوبة، والندم على ما فات والإقلاع عن المعصية، حتى يبقى مرتاح البال بعيداً عن التناقض والقلق والاضطراب، وهذا يساعد المسيء على تطهير نفسه وتزكيتها، ويجعله يشعر بالراحة، والسكينة بدلا من التوتر والقلق، والصراع النفسي، ينظر إلى الحياة نظرة تأمل وتفاؤل لا نظرة شؤم ويأس، وهذا ما يجعله يتجرد من عقدة الذنب الذي يسبب له القلق والاضطراب، فيساعده على تحقيق الصحة النفسية، وحسن التكيف مع الحياة، وتكوين الشخصية السوية المتزنة.

وقد حث القرآن على التوبة، قال تعالى: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ تُوبُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِ تَوْبَةً نَّصُوحًا﴾ [التحريم: ٨].

وحثت السنة النبوية أيضاً على التوبة:

قال ﷺ: «الله أفرحُ بتوبة عبده من أحدكم سقط على بعيره وقد أضله في أرض فلاة»[١].

وقد عقد الكاتب الهولندي (فرانزستال) مقارنة بين مبادى الإسلام الخلقية وبين ما تدعو إليه حركة التسلح الخلقي ومما قاله: (إن التوبة في الإسلام هي وسيلة تغيير الأفراد أنفسهم، وهي سلاح عظيم ففيها الندم، والتغيير والتحول)[٢].

٨- الاستغفار:

يعتبر الاستغفار باباً لعلاج النفس، وتخليصها من قلقها واضطرابها، فعلى الإنسان في الإسلام إذا أخطأ أن يستغفر الله عز وجل، ثم يستأنف حياته الإسلامية، بعد تخلصه من القلق والاضطراب.

لذلك قرر علماء النفس: (إن كافة الأمراض النفسية ترجع إلى الكبت الذي يسبب عقداً نفسية لا شفاء منها إلا بما يسمونه بالتحليل النفسي الذي يهتم بان يجلس المريض في عيادة الطبيب، ويعترف أمامه بأخطائه، وهذا الاعتراف يقول عنه الأطباء، إنه صفة منطقية نفسية

---

(١) صحيح البخاري، فتح الباري، كتاب الدعوات، باب التوبة الصادقة، جـ ١١، ص ١٠٢.

(٢) عفيف طبارة، روح الدين الإسلامي، ص ١٨٩.

سلوكية تكشف عن أخطاء المريض، فيراها ويشعر بها، فتحدث مهاونة بين النفس والضمير، ويتسامح الضمير، وإذا ما تسامح الضمير واستشعر الإنسان العفو منه والصفاء بينه وبين النفس، زالت العقدة النفسية. والعقد النفسية ليست وهما، فكثيراً ما تسبب هذه العقد الصراع، واضطراباً في القلب وأمراض الضغط وغيره، فأي فرق بين الاعتراف أمام الله وأمام الطبيب، وأي فرق بين غفران الله وتسامح الصمد)[1].

وهذا ما قرره القرآن الكريم، أن الاعتراف بالذنب والاستغفار سبب لرضا الله عز وجل من العبد، مغفرة لذنبه، حتى يكون مطمئنا، هادئا، لا خوف لديه ولا قلق.

قال تعالى: ﴿ وَذَا ٱلنُّونِ إِذ ذَّهَبَ مُغَٰضِبٗا فَظَنَّ أَن لَّن نَّقۡدِرَ عَلَيۡهِ فَنَادَىٰ فِي ٱلظُّلُمَٰتِ أَن لَّآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنتَ سُبۡحَٰنَكَ إِنِّي كُنتُ مِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ ۞ فَٱسۡتَجَبۡنَا لَهُۥ وَنَجَّيۡنَٰهُ مِنَ ٱلۡغَمِّۚ وَكَذَٰلِكَ نُـۨجِي ٱلۡمُؤۡمِنِينَ ﴾ [الأنبياء: ٨٧-٨٨].

٩- ابتغاء رحمة الله عز وجل وأثرها في القضاء على التشاؤم:

التشاؤم مرض خطير يصيب النفس الإنسانية، وقد يؤدي إلى تحطيم تلك النفس، ويقعدها عن العمل والجد والبحث، فيزج بها إلى الهلاك، لأن المتشائم قد يرى نفسه في هذه الدنيا مليئة بالتعاسة والشقاء، والخطايا والاثام، والآلام، وإذا استسلم إلى مثل ذلك، وترك السعي في الحياة، لا محالة يصل إلى الهلاك والوبال.

لكنّ الإسلام عالج ذلك من خلال تحريم التشاؤم، والأمور التي تؤدي بالإنسان إلى التشاؤم، حفظاً للنفس المسلمة، وإبعادها عن كل هذه التناقضات الغريبة العجيبة. فتربية النفس المؤمنة على الطمأنينة المنبثقة من خلال اعتمادها على رحمة الله عز وجل، وجعل الأمل دائماً فيها لا يغادرها لحظة واحدة، وبالإيمان والأمل، تعالج مشكلاتها مستعينة بالحكمة والصبر، مترقبة انفراج الأزمة التي تتخبط فيها من جراء الكوارث والمصائب التي تمر بها.

لهذا طلب القرآن الكريم من الناس ودعاهم إلى طلب رحمة الله عز وجل، وأن تكون مقصدهم في هذه الحياة.

---

(١) عفيف طبارة، روح الدين الإسلامي، ص ١٨٦.

قال تعالى: ﴿وَرَحْمَتُ رَبِّكَ خَيْرٌ مِّمَّا يَجْمَعُونَ﴾ [الزخرف: ٣٢].

فهذا شفاء لقلوب الناس لأن ابتغاء رحمة الله عز وجل؛ تدخل إلى نفوسهم العزاء مما يقاسونه من الآلام والمتاعب، وتجلب إليهم الطمأنينة والسكينة والأمل.

١٠- التوكل على الله وأثره في سكينة النفس:

قال تعالى: ﴿وَمَن يَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُۥٓ﴾ [الطلاق: ٣].

والتوكل هو الاعتماد على الله سبحانه وتعالى: بعد الأخذ بالأسباب، وبهذا يكون التوكل أثر من آثار الإيمان بالله تعالى، فالذي يؤمن بأن الله بيده أمر الحياة كلها، وبيده النفع والضرر، ويترك الأمر إلى الله ومشيئته، فلا يفزعه المستقبل، ويستعيض عن كل ذلك بالسكينة والاطمئنان إلى عدله ورحمته.

والمؤمن الذي يتوكل على الله عز وجل، قد تزول من نفسه كل هذه المخاوف تجاه مستقبل الحياة، والخوف من الفشل، والخوف على الصحة، لأنه مطمئن إلى أن كل ذلك بيد الله عز وجل.

قال تعالى: ﴿وَعَلَى ٱللَّهِ فَتَوَكَّلُوٓا۟ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ﴾ [المائدة: ٢٣].

وبهذا يبشر الله عز وجل المتوكلين عليه حق توكله بالبشرى والخير، الذي يعود عليهم في الدنيا والآخرة.

قال تعالى: ﴿فَمَآ أُوتِيتُم مِّن شَىْءٍ فَمَتَٰعُ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ۖ وَمَا عِندَ ٱللَّهِ خَيْرٌ وَأَبْقَىٰ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ﴾ [الشورى: ٣٦].

وبناء على ما تقدم نرى أن التوكل على الله عز وجل زاد روحي للعبد المسلم، يتغلب به على القلق والخوف، ويجعل في قلبه السكينة والطمأنينة التي حُرم منها الكثير من الناس، وأن الله عز وجل يؤيد المتوكل عليه بالمعونة والتأييد.

قال تعالى: ﴿وَمَن يَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُۥٓ﴾ [الطلاق: ٣].

١١- العبادات الجماعية:

العبادات الجماعية ميزة يمتاز بها الإسلام عن غيره من الأديان، خمس مرات في اليوم

والليلة يكون الإنسان فيها مع خالقه يناجيه ويخاطبه، ويطلب منه، ويشكو همومه ويبث أحزانه.

قال تعالى: ﴿ وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ فَلْيَسْتَجِيبُوا لِي وَلْيُؤْمِنُوا بِي لَعَلَّهُمْ يَرْشُدُونَ ﴾ [البقرة: ١٨٦].

وفي الصلاة الجماعية يشعر الفرد بالمساواة بينه وبين غيره، حيث يصلي صاحب المنزلة العالية إلى جانب الإنسان العادي، كلهم في مصلى واحد، ويتوجهون إلى رب واحد، وهذا يبعث على الراحة النفسية والطمأنينة لأنه لا فضل لأحد على آخر إلا بالتقوى.

وفي صلاة الجماعة، يشعر الفرد بالطمأنينة والسعادة، وذلك إذا ما غاب عن الصلاة، وقد تعوّد على أدائها مع إخوانه المصلين، حيث أنهم يسألون عنه إذا فقدوه، فيزوروه إذا كان مريضاً ويساعدوه إذا كان محتاجاً، وهذا يؤدي إلى إصباغ الطمأنينة والراحة النفسية عليه، حيث تنتهي العزلة من حياته التي تؤدي إلى الأمراض النفسية والاضطرابات الأخرى.

وهذا يشعره بانتمائه إلى هذا المجتمع، ويشعره بمدى اهتمام المجتمع به، مما يبعث على زيادة الطمأنينة والراحة النفسية.

ويقول أطباء النفس: (إن الإيمان القوي، والاستمساك بالدين، والصلاة كفيلة بأن تقهر القلق والمخاوف والتوتر العصبي، وأن الوعاظ الدينيين لا يحضوننا على الاستمساك بالدين توقياً من عذاب الجحيم في الآخرة فحسب، وإنما يوصوننا بالدين توقياً من جحيم، هذه الحياة الدنيا جحيم الانهيار العصبي، والجنون وغير ذلك)[١].

ومهما يكن من أمر فإننا نجد أن المسلم لا يعرف اليأس، لأن اليأس والقنوط والقلق والاضطراب لا يغير من الواقع شيئا، والإسلام يمنح المسلم الثقة والطمأنينة فيجعله راضياً بقضاء الله وقدره، وإذا غُلب على أمره لا قنوط من رحمة الله عز وجل.

وبناء على هذا، فلا عجب إن رأينا انتشار الأمراض النفسية في الغرب بنسبة عالية في بلدان متقدمة، حققت تقدماً باهراً في مختلف الميادين، وسبب ذلك يعود إلى الخواء الداخلي، والفراغ الروحي الهائل في النفس الإنسانية، الذي يسببه ضعف الإيمان بالله،

---

(١) إبراهيم محمد عبد الباقي، الدين والعلم الحديث، ص ١٤٦.

وفقدانه نهائيا، وانهيار البناء العقائدي.

ورغم كل هذا التقدم، فإنه لم يثمر شيئاً في منع حدوث مثل هذه الأمراض النفسية، والاضطرابات، وعدم اتزان الشخصية. والجنوح إلى تعاطي المخدرات والشذوذ الجنسي إنها أمراض الحضارة، لأنها لم تكثر إلا في العصر الحديث وفي الدول الأكثر تقدماً في العلم والصناعة والتكنولوجيا.

وهذا ما يؤكد الطبيب النفساني الإنجليزي الذي أمضى أكثر من عشرين عاماً يعالج المرضى في المصحات النفسية، وظل يجرب وسائل العلاج المختلفة، إلا أن توصل إلى أفضل هذه الوسائل وأقواها، إنها وسيلة بث الإيمان في نفوس مرضاه، وهذا انعكس إيجابياً على نفس الطبيب وجدد إيمانه، وعاد إلى الدين، بعد أن اكتشف العلاج الناجع لمعالجة أصحاب الأمراض النفسية، وهو الإيمان بالله والاطمئنان إلى قضائه وقدره)[1].

لهذا فالعالم كله يبحث عن حل لمثل هذه الأمراض النفسية المستعصية، التي أخذت تفتك بالأفراد والمجتمعات، وأعلن عن عجزه لحل ذلك، وأعلنوها صراحة عندما قال أحدهم: (لقد أخفقت تربيتنا وجامعاتنا في إعطاء الشباب هدفاً رفيعاً أو رسالة إنسانية تصلح أن تكون رمزاً ينظّمون حوله حياتهم)[2].

فجاء الإسلام معلناً وموجداً الحلول الكثيرة لمثل هذه الأمراض، وذلك بعد أن طهّر النفس الإنسانية من أنانيتها وطغيانها المادي، وفراغها الروحي والفكري والعقائدي، وضعفها الإيماني معلناً أن هذه أسباب تكمن وراء تلك الأمراض.

فعالج الإسلام كل هذه الأمراض عن طريق تلبية غرائز الإنسان المادية، وتلبية حاجاته الروحية، حتى حصل التوازن والتوافق في شخصية المسلم.

وعالج الفراغ الفكري والعقائدي، وذلك بأن أمرهم بالجهاد، وشغل عقولهم وقلوبهم بمحبة الناس، وغذى الجانب الروحي، مؤكدا أن الإنسان صاحب المبدأ والعقيدة لا يمكن أن يشعر بالفراغ، أو يفكر بالانتحار أو يشرب الخمر، أو يتعاطى المخدرات، بل يشعر بمسؤوليته عن كل تصرفاته، ورضاه بقضاء الله وقدره.

---

(١) نجيب الكيلاني، في رحاب الطب النبوي، ص ٣٥- ٣٦.

(٢) أحمد الفنجري، الطب الوقائي في الإسلام، ص ٨٧.

وبالنسبة للعامل الاقتصادي، الذي يعتبر عاملاً رئيساً مسبباً لتلك الأمراض، فعالجه الإسلام عن طريق توزيع الثروة العادل، وإيجاب العمل على كل قادر، محارباً الترف والبذخ وكنز المال، موجباً الزكاة التي تقضي على الفقر والبطالة في المجتمع الإسلامي.

وبفضل تلك الحلول لم يترك الإسلام مجالا للحقد الطبقي بين أفراد المجتمع المسلم، لأنه يؤدي إلى الحقد، والحسد وإلى حدوث التوتر والاضطراب.

فهذا ما قام به الإسلام فقضى على كل ذلك، فعاش الفرد المسلم في كنف الإسلام، والمجتمع الإسلامي، آمنا على نفسه وغذائه، وأحواله وأحوال أفراد أسرته.

الفصل السادس

التربية الوقائية في مجال العقيدة والتشريع

ويشمل المباحث التالية:

المبحث الأول: دائرة العقيدة.

المبحث الثاني: دائرة العبادات.

المبحث الثالث: دائرة المعاملات.

المبحث الرابع: دائرة الحدود.

تمهيد:

تعتبر العقيدة، سلاحاً واقياً للإنسان من الوقوع في الأوهام والخرافات، فهي تحرر العقل من كل هذه القيود، حتى يكون الإنسان ذا عقل صاف يفكر وينفع أمته وقد أحاطها الإسلام بسياج واق حتى تبقى عقيدة صافية لا خلل فيها ولا غموض.

وكذلك التشريع يعتبر سلاحاً واقياً للإنسان من الوقوع والانغماس في مزالق الشيطان والهوى والغواية، لأن الله عز وجل الذي خلق الإنسان، هو وحده الذي يعلم أين تكمن مصلحته ومضرته، فالتشريع وقاية لمصلحة الإنسان.

وقد شرع الله عز وجل الأحكام الشرعية الكثيرة التي ترقى بالإنسان وتتقدم به إلى درجة عالية من السمو والكمال الإنساني.

وحفاظاً على المجتمع من عوامل الفساد والانهيار، حرم الإسلام أشياء كثيرة، وحد حدوداً كثيرة، من أجل أن يبقى المجتمع مجتمعاً فاضلاً، طاهراً، بعيداً عن كل عوامل الفساد والانحلال الأخلاقي.

المبحث الأول

دائـرة العـقـيـدة

تُعرف العقيدة: بأنها (مجموعة من قضايا الحق البديهية المسلمة بالعقل، والسمع والفطرة، يعقد عليها الإنسان قلبه، ويثني عليها صدره جازماً بصحتها، قاطعاً بوجودها وثبوتها، لا يرى خلافها أنه يصح أو يكون أبدا)[1].

ويقصد بمجموعة القضايا، أركان العقيدة والإيمان، الإيمان بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر، والقدر خيره وشره، بحيث يصدق بها القلب تصديقاً جازماً، وتطمئن إليها النفس، بحيث تصبح عند صاحبها يقيناً لا يخالطه شك، أو ريب أو ظن أو وهم، يصل الإنسان إلى حقيقة الإيمان بالله عز وجل بعقله، ومما يشاهده من آثار قدره وخلق الله عز وجل في هذا الكون المشهود.

والعقيدة السليمة هي أساس المجتمع الإسلامي السليم، والتوحيد هو روح الإسلام وجوهره، وحمايته عن الأمور التي سعى ويسعى إليها الإسلام، لتطهير المجتمع من كل الأوهام والخرافات والأساطير.

والعقيدة أساس العمل، وعمل القلب، وتحصيل الكمال في كليهما مطلوب شرعاً، وان اختلفت مرتبتا الطلب[2].

وحتى يبقى الإنسان معلقاً بخالقه عز وجل، فقد دعاه الإسلام إلى حب الله عز وجل وحده، وذلك بتنفيذ أوامره وعدم معصيته، قال تعالى: ﴿ قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ ٱللَّهَ فَٱتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ ٱللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴾ [آل عمران: ٣١].

فمن أحب الله عز وجل، والتزم بأوامره، ولم يشرك معه غيره، وصل إلى حقيقة التوحيد وحقيقة الخوف من الله عز وجل، فإذا خافه أطاعه ولم يعصه، لأن الخوف من العبد أكثر من الخوف من الله شرك، قال تعالى: ﴿ فَلَا تَخْشَوُا ٱلنَّاسَ وَٱخْشَوْنِ ﴾ [المائدة: ٤٤].

---

(١) أبو بكر جابر الجزائري، عقيدة المؤمن، ط٢، القاهرة، مكتبة الكليات الأزهرية، ١٩٧٨، ص ٢١.

(٢) محمد عبد الله الخطيب، العقيدة جوهرها وآفاقها، (د. ط)، شبرا، دار المنار الحديثة، (د. ت)، ص ٩.

وفي مجال التوحيد، يجب على المسلم الاعتقاد الجازم أن الله خالق هذا الكون، وأنه هو وحده الضار والنافع، المعطي المانع، الذي يستحق العبادة، لا يشرك معه غيره، لأن الشرك يعرض الإنسان إلى عذاب الله عز وجل، فمن أجل ذلك حرم الإسلام على المسلم الشرك، وكل عمل يودي بالإنسان إلى الشرك، وأن يقع في تلك المحظورات العقائدية حفاظاً ووقاية له من عذاب الله عز وجل.

وللعقيدة دور فاعل في التربية الوقائية في جميع مجالات الحياة لأن العقيدة الدينية، إذا تأصلت في النفوس واطمأنت إليها أصبحت عاملاً فاعلاً فيها. وظهرت نتائجه الإيجابية في حياة المسلم.

ويتوقف هذا على وجود عقيدة قوية، تشمل تعاليمها برنامجاً متكاملاً للطب الوقائي، وهذا ما نراه في تاريخ أمتنا الإسلامية الطويل، حيث كانت العقيدة عاملا فاعلا في النفوس أثرت فيها ذلك التأثير الكبير، فوقاها من كثير من الأمراض القلبية المعنوية، مثل الخرافات، والأوهام، والأساطير، والشعوذة، وغيرها من الأمراض.

جاء في مجلة الموجز الطبي، حول دور الثورة الشيوعية عندما استلمت زمام الحكم في الصين عام ١٩٤٩، كانت تلك البلاد مرتعاً خصباً للمخدرات والزبالة، والأمراض والذباب وركزت الثورة على الوقاية قبل العلاج، وعملت على حشد المئات من المثقفين الصحيين العقائديين، وانتشر هؤلاء في المصانع، ونزل معهم الرئيس (ماو)، ورجال الدولة ينظفون بأنفسهم، ويزورون كل مواطن في عمله، وخاطبوا الناس بالوسائل الإقناعية، حتى قضت الدولة خلال سنة واحدة، على الأمراض الرئيسة الفتاكة، مثل الطاعون، والجدري، والكوليرا، وغيرها.

وقد تمسك العمال والمزارعون بكتاب أحمر صغير، وكانوا يعتقدون بكل ما فيه من مقالات وأقوال، وأنها صحيحة، ومن ضمنها: (إن الشيوعي المواطن حقا، هو الذي يتبع تعاليم النظام)[1].

وقد سأل (ماوتسي) أحد كبار المسؤولين العرب، عندما زاره أن يسدي إليه نصيحة إلى الأمة العربية في صراعهم مع إسرائيل، فقال: (أتسألني عن الطريق، وقد تعلمت منكم)

(١) أحمد الفنجري، الطب الوقائي في الإسلام، ص ٢٥٢- ٢٥٣.

فقال: كيف ذلك؟ قال: (إن في تاريخكم الإسلامي من الأمثلة والكفاح العقائدي، ما كان خير هاد لنا في ثورتنا ضد كل عوامل التخلف في الداخل وضد أعدائنا في الخارج، ولو عدتم إلى تاريخكم لوجدتم فيه كل الحلول دون الحاجة إلى حلول من عندنا)[١].

وهكذا يبدو دور العقيدة في وقاية المجتمع من أن تعصف به الأمراض الحسية والمعنوية، وذلك بعد أن يقبل الناس على عقيدتهم تعلماً وتعليماً، فكراً وتطبيقاً، فإنها تصنع المعجزات، كما لاحظنا من خلال تعاليم (ماو) رئيس الصين.

لقد أشار الباحث عند الحديث عن أهداف التربية الوقائية في الإسلام، أنها تأخذ بيد الفرد المسلم للسمو به، عن كل ما يشوب عقيدته من شرك بالله عز وجل، وقد وجهته وحذرته من الوقوع في ذلك، وأمرته بالابتعاد عن مواطن الشرك بكافة ألوانه وأشكاله، من أجل أن يكون الفرد طاهر المظهر والجوهر.

وجاءت عناية التربية الإسلامية بالتربية العقدية، لتكوين إيمان راسخ قوي يدفع صاحبه إلى العمل بموجبه، وتكوين الاستعداد عنده ليدافع عن عقيدته مقابل العقائد الأخرى.

ومن أجل هذا فقد اهتم القرآن الكريم، والسنة النبوية الشريفة اهتماماً كبيراً بالتربية العقدية، لأن العقيدة لها وظيفة أساسية في حياة الإنسان، وقد هدف القرآن منها إلى[٢]:

١ . راحة الإنسان المسلم.

٢ . صيانة القيم الإنسانية، وتهذيب الفرد ، من أجل أن تقوى فطرته الطبيعية، لأنها توفر للإنسان الاستقرار النفسي والسعادة الدنيوية، قال تعالى: ﴿وَمَن يَتَّقِ ٱللَّهَ يَجْعَل لَّهُۥ مَخْرَجًا ۝ وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ﴾ [الطلاق: ٢-٣].

٣ . حمايةً للإنسان من الضياع، وخوفاً عليه من الوقوع في مزالق الشرك والوثنية والعبودية لغير الله عز وجل، ورد التحذير القرآني الصريح، الذي يحذّر الإنسان من الوقوع في الشرك، لأنه يؤدي إلى إبطال أعمال الإنسان، ونسفها كلها، ولا يقبل مع الشرك عملاً مهما كان.

---

(١) أحمد الفنجري، الطب الوقائي في الإسلام، ص ٢٥٤.

(٢) عمر عودة الخطيب، لمحات في الثقافة الإسلامية، ص ٢٤٧.

قال تعالى: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغۡفِرُ أَن يُشۡرَكَ بِهِۦ وَيَغۡفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُۚ وَمَن يُشۡرِكۡ بِٱللَّهِ فَقَدِ ٱفۡتَرَىٰٓ إِثۡمًا عَظِيمًا﴾ [النساء: ٤٨].

مدلولات العقيدة التربوية:

وللعقيدة مدلولات تربوية كثيرة ومهمة منها:

١- توحيد العقيدة هو الهدف الأسمى للتربية، وبتوحيد العقيدة تتوحد أهداف التربية ونظمها وطرقها، لأنها تعتني بتنمية الإنسان العابد الصالح، عن طريق التعرف على الله سبحانه وتعالى، لتحقيق هدف الإنسان في الأرض، ألا وهو العبادة[١].

٢- وعلى أساس هذه العقيدة تكون قيم الحياة، لأنها نابعة أساساً من صفات الله عز وجل، وهي بدورها تسعى إلى تحقيق العبودية الخالصة لله تعالى.

٣- وتبدو أهمية العقيدة من خلال كون صحة الاعتقاد فيه مصلحة كبيرة للبشر، لأن فيه راحتهم وطمأنينتهم النفسية على المستوى الفردي، والجماعي.

قال تعالى: ﴿ وَمَن يُؤۡمِنۢ بِٱللَّهِ يَهۡدِ قَلۡبَهُۥۚ وَٱللَّهُ بِكُلِّ شَيۡءٍ عَلِيمٌ﴾ [التغابن: ٢٨].

وقال تعالى: ﴿ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَتَطۡمَئِنُّ قُلُوبُهُم بِذِكۡرِ ٱللَّهِۗ أَلَا بِذِكۡرِ ٱللَّهِ تَطۡمَئِنُّ ٱلۡقُلُوبُ ﴾ [الرعد: ٢٨].

٤- وتعمل التربية الإسلامية على تكوين العقيدة الإسلامية السليمة الخالية من العقد النفسية والفكرية وغيرها، وتكوين الاتجاه نحو التطبيق العملي للعقيدة، بغية تحقيق الأهداف التالية:

أ. ربط الإنسان بخالقه عز وجل ربطاً وثيقاً محكماً عن طريق حب الله عز وجل.

ب. تحرير الإنسان من العبودية لغير الله عز وجل.

جـ. تمثل الإنسان بصفات الله عز وجل، وذلك بالعمل بمقتضاها.

د. حب عباد الله، والعمل من أجلهم عملا متواصلا متفانياً من أجل توحيد فكر المجتمع[٢].

---

(١) علي خليل أبو العينين، فلسفة التربية في القرآن، ص ٦٨- ٦٩.

(٢) علي أبو العينين، فلسفة التربية في القرآن، ص ١٨٥.

٥- إبراز أهمية العقل والتطبيق في حياة الإنسان المسلم، لأن الإسلام دين العمل لا دين القول النظري، وهذا ما أكده القرآن الكريم:

قال تعالى: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ كَانَتْ لَهُمْ جَنَّٰتُ ٱلْفِرْدَوْسِ نُزُلًا﴾ [الكهف: ١٠٧].

وقال تعالى: ﴿ إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ﴾ [التين: ٦].

آثار العقيدة في حياة الفرد والمجتمع:

وللعقيدة آثار طيبة تتركها في نفس الفرد والمجتمع، حتى يكون هذا الفرد، فرداً مؤمناً بالله متوكلاً عليه، راضياً بقضاء الله وقدره، نافعاً لمجتمعه، متحرراً من العبودية لغير الله، والخرافات والأوهام وغير ذلك.

وكذلك تترك أثرها في المجتمع، فتجعل منه مجتمعا مثالياً ذا سلوك قويم، متحرراً من الجشع والظلم والأنانية أمناً مطمئناً متعاوناً متكافلاً، يواسي بعضه بعضاً.

ومن آثار العقيدة في حياة الأفراد، ما يلي:

أولا: تحرير الفرد من العبودية لغير الله عز وجل، وتجعله فرداً محرراً من كل ذلك، ليكون فرداً منسجماً في عقله ونفسه، معلناً براءاته من كل ولاء لغير الله عز وجل، ومن التخبط الفكري، والفوضى العقائدية، وإخراجه من الظلمات إلى النور.

ثانياً: الرضا النفسي والاطمئنان القلبي، حيث إن الإيمان هو الذي يطمئن القلوب، ويجعلها سعيدة، قال تعالى: ﴿ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَتَطْمَئِنُّ قُلُوبُهُم بِذِكْرِ ٱللَّهِ ۗ أَلَا بِذِكْرِ ٱللَّهِ تَطْمَئِنُّ ٱلْقُلُوبُ﴾ [الرعد: ٢٨].

ثالثاً: تحرير الإنسان من الأنانية وغير ذلك من الأخلاق السيئة، فالعقيدة الإسلامية تحرر الفرد من كل الأخلاق السلبية، التي لا تقيده بقيود ولا تضبطه بضوابط، لأن الإنسان بدون عقيدة وإيمان يتجرد من إنسانيته، ويصبح لا هم له إلا إشباع غرائزه وميوله، ولو كان ذلك على حساب الآخرين، ولكن العقيدة استطاعت أن تحرر الفرد المسلم من أنانيته المفرطة، ومن جشعه وظلمه للآخرين، حتى جعلته فرداً إيجابياً يعمل لصالح أمته ووطنه ومجتمعه[1].

---

(١) عمر سليمان الأشقر، نحو ثقافة إسلامية أصيلة، ط٢، عمان، دار النفائس، ١٩٩١، ص ١٣٩- ١٤٠.
صالح ذياب هندي، دراسات في الثقافة الإسلامية، ط٢، عمان، المطابع التعاونية، ١٩٨٨، ص ٥٨- ٥٩.

رابعاً: الحفاظ على الأنفس والأموال:

فالإيمان بالله تعالى، يغرس الخوف من الله في نفس الفرد المسلم، فيكون هذا بمثابة المراقب والمحاسب له، فيرد النفس عن المعصية والإفساد في الأرض، وبذلك تحفظ الأنفس والأموال.

خامساً: تحقق السعادة والطمأنينة والأمن للإنسان:

الفرد دون عقيدة وإيمان لا يمكن أن يتذوق طعم الحياة والأمن والاستقرار، لأنه يصبح فرداً دون ضوابط تضبطه فيضطرب، أما الفرد الذي يمثل العقيدة، فيعيش فرداً مطمئناً، هادئ البال، في سعادة وطمأنينة، لأنه يعرف الغاية من خلقه وإلى أين مصيره.

سادساً: تقي الإنسان من الانحراف وعدم الانضباط:

تعمل العقيدة الإسلامية على غرس خلق التقوى والخشية من الله في نفس المسلم، وتجعله يراقب نفسه مراقبة داخلية نابعة من داخل نفسه، فيؤدي واجباته خير أداء، مخلصاً أميناً، دون أن يراقبه أحد، وهذا يؤدي إلى إيجاد مجتمع قوي أمين، أفراده مخلصون في جميع أعمالهم، وهذا ما تسعى إليه التربية الإسلامية.

آثار العقيدة في المجتمع:

بعد أن بينا آثار العقيدة في الفرد، وكيف تصوغ نفسه صياغة جديدة وتجعله إنساناً يعمل لصالح مجتمعه، فإن مجموعة الأفراد تشكل ذلك المجتمع، الذي تكون له أهداف واضحة، ومحددة، لأنه يقوم على أسس ربانية، وهذا يحميه من كل ما يعكر صفو وحدته من إقليمية وعنصرية، أو مصالح دنيوية. وسر كل ذلك هو العقيدة التي صنعت هؤلاء الأفراد، وجعلتهم أفراداً مخلصين لوطنهم ومجتمعهم، أهدافهم واحدة، وغاياتهم واحدة، ومصالحهم مشتركة، ومتعاونين فيما بينهم، وهذا -لا شك فيه- يؤدي إلى قوة المجتمع وتكافله.

قال تعالى: ﴿ إِنَّ هَٰذِهِۦٓ أُمَّتُكُمْ أُمَّةً وَٰحِدَةً وَأَنَا۠ رَبُّكُمْ فَٱعْبُدُونِ ﴾ [الأنبياء: ٩٢].

العقيدة الإسلامية تنشيء مجتمعاً متعاوناً:

تعمل العقيدة الإسلامية على إنشاء مجتمع متعاون متكافل، من خلال أفراده فتتوحد غاياتهم وأهدافهم، ومصالحهم المشتركة، فتحث أفرادها على عمل الخير، والإحسان إلى

الغير، ومساعدتهم وذلك في سبيل حماية هذا المجتمع من التمزق والتفكك ليس بينهم إساءة أو عدوانية، وهذا ما فعلته العقيدة في المجتمع المسلم، حيث جعلته متكافلا متعاونا، يحب بعضه بعضا.

قال ﷺ: «مثل المؤمنين في توادهم وتراحمهم وتعاطفهم، مثل الجسد إذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الجسد بالسهر والحمى»[1].

وهذه ميزة يمتاز بها المجتمع المسلم، حيث تفتقر إلى ذلك المجتمعات الأخرى، التي تفتقر إلى مثل هذه العقيدة، التي صنعت المجتمع المتكافل، وحفظته من كل عوامل التفرقة، والبغض والعدوان والانحلال، فكان قوياً، متماسكاً، ثابتاً على مبادئه المستمدة من كتاب الله عز وجل وسنة رسول الله ﷺ.

وكلما استمسكوا بهذا الدين والعقيدة، ازدادوا اتحاداً وانسجاماً، فالرب واحد، والتشريع واحد، والرسول واحد، والقبلة واحدة، والتصورات -كذلك- واحدة، فبهذا الدين والعقيدة يصبح المسلمون مجتمعاً واحداً متعاوناً والكل يسعى لمصلحة هذا المجتمع.

الوقاية في مجال العقيدة:

نظراً لأهمية التوحيد، فقد وضع الشارع الحكيم أموراً تحميه وتصونه من الشوائب، لكي يبقى التوحيد خالصاً لله تعالى، ولقد ربى المسلم على الالتزام بهذه الأمور، ومن هذه الأمور:

١. تحريم الغلوّ:

حرّم الإسلام الغلو في الدين، والغلو: إعطاء الشيء أكثر مما يستحق، قال ﷺ: «إياكم والغلو، فإنما هلك من كان قبلكم بالغلو في الدين»[2].

ونظراً لما يحدثه الغلو من أضرار في التوحيد، لذلك نهى الإسلام أبناءه عن ذلك وحثهم على تركه حفاظاً على دينهم وعقيدتهم، حتى يبقى الإسلام ناصعاً، طاهراً، بيّناً واضحاً ليس فيه ما يشوبه.

---

(١) مسلم، صحيح مسلم، كتاب البر والصلة، باب تراحم المؤمنين، ط١، القاهرة، دار الحديث، ١٩٩١، جـ ٤، ص ١٩٩٩.

(٢) أحمد بن حنبل، المسند، جـ ١، ص ٢١٥.

قال تعالى: ﴿ قُلْ يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ لَا تَغْلُوا۟ فِى دِينِكُمْ ﴾ [المائدة: ٧٧].

وقد نهى الله أهل الكتاب عن الغلو لأن الغلو كان عندهم كثيرا، فقد غالوا في عيسى عليه السلام، ونقلوه من درجة النبوة إلى درجة الألوهية. إلهاً من دون الله عز وجل، وقد ذكر الله ذلك، تحذيراً ووقاية لهذه الأمة من أن تقع في الغلو وتتجاوز حدود الشرع، وتبتعد عن أوامر الله عز وجل.

وقد حذر الرسول ﷺ أمته من الغلو في دينها، حفاظاً على عقيدتها وتوحيدها، حتى يبقى توحيدها توحيداً خالصاً لله تعالى، قال ﷺ: «لا تطروني كما أطرت النصارى ابن مريم، إنما أنا عبده فقولوا: عبد الله ورسوله»[(١)]. وقال ﷺ: «إياكم والغلو، فإنما هلك من كان قبلكم بالغلو بالدين»[(٢)].

وذلك حتى لا تبالغ هذه الأمة في مدح الرسول، وإعطائه أكثر مما يستحق، كما فعل النصارى، ونقلوا عيسى عليه السلام من درجة النبوة والبشرية إلى درجة الألوهية، حتى يقضي على أسباب الشرك التي منها الغلو في الدين، وقطع وسائله من جميع الجهات.

وقد شمل الإسلام نهيه عن الغلو في الدين، حتى شمل جميع العبادات والاعتقادات والأعمال، ووقاية لهذه الأمة أن يصيبها كما أصاب الأمم الأخرى التي غالت في دينها.

قال ﷺ: «هلك المتنطعون» قالها ثلاثاً[(٣)]. وذلك مبالغة في التحذير والتعليم، حتى لا يخرج الإنسان المسلم في عبادته عن حدود شرع الله، ولذا عاب الرسول ﷺ النفر الثلاثة الذين سألوا عن عبادة الرسول ﷺ، وأرادوا أن يقرنوا أنفسهم بشخص الرسول، وهذا فوق طاقتهم، وفوق طاقة البشر جميعا، لأن الله عز وجل لا يكلف نفساً إلا وسعها، قال تعالى: ﴿ لَا يُكَلِّفُ ٱللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا ﴾ [البقرة: ٢٨٦]. وبعدها علمهم، ودلهم على الطريق الصحيح السليم وأمرهم بعدم الخروج عن مقتضى ذلك، واعتبر ذلك خروجاً على سنته ﷺ.

---

(١) أحمد بن حنبل، المسند، جـ ١، ص ٣٤٧.

(٢) صحيح البخاري، كتاب الأنبياء، باب واذكر في الكتاب مريم، جـ ٣، ص ١٢٧١.

(٣) صحيح مسلم، (النووي)، كتاب العلم، باب هلك المتنطعون، جـ ١٦، ص ٢٢٠.

٢ . النهي عن الحلف بغير الله:

وضماناً للتوحيد حرّم الإسلام الحلف بغير الله عز وجل، حفاظاً على العقيدة وحمايتها، من أن يُعظم غير الله عز وجل، والإنسان الذي يحلف بغير الله قاصداً لتعظيم المحلوف به، فهذا ضررٌ بالعقيدة وتقديم المخلوق على الخالق، وهذا يؤدي إلى الشرك، فعمل الإسلام على تربية الإنسان المسلم تربية سليمة حتى تقيه من الوقوع في مزالق الشرك، والوثنية التي جاء الإسلام حرباً عليها. قال ﷺ: «من حلف بغير الله فقد كفر أو أشرك»[١].

وقد أجمع العلماء على أن اليمين لا تكون إلا بالله أو بصفاته، وأجمعوا على المنع من الحلف بغيره. حتى يبقى الله سبحانه وتعالى هو المعظم لا أحد غيره، وهو المقدم على كل المخلوقات، وهذا من باب الاحتياط في الشرع، حتى لا يقع المسلم في الشرك، أو ما ينفي إيمانه ويشوبه[٢].

فالإسلام يريد أن يكون المسلم مسلماً صادقاً، مؤمناً، موحداً، توحيداً سليماً لا يشوبه شيء صغيراً كان أم كبيراً.

٣ . النهي عن الندية والمساواة:

ونهى بعد ذلك عن الندية والمساواة، أي مساواة الخالق بالمخلوق، والاستعانة والاستغاثة بغير الله عز وجل، نظراً لما يترتب على هذه الأمور من أضرار سلبية، يترتب عليها عقوبات في الدنيا والآخرة، مالم يترتب على ذنب سواه، وعدم مغفرته إلا بالتوبة.

وتكمن الخطورة في أن صاحبه، إن لم يتب يخلد في نار جهنم، قال تعالى: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِۦ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُ ﴾ [النساء: ٤٨].

وهذا من باب التحذير للناس، حتى لا يقعوا فيه، وإنما كان ذلك لأنه أقبح القبح، وأظلم الظلم، إذ إن مضمونه تنقيص رب العالمين، وصرف خالص حقه لغيره.

تلك هي الأمور التي حذر الإسلام منها، حتى يحفظ المجتمع المسلم منها، في خضم

---

(١) أحمد بن حنبل، المسند، جـ ٢، ص ١٢٥.

(٢) سليمان بن عبد الله بن محمد بن عبد الوهاب، تيسير العزيز الحميد (شرح كتاب التوحيد)، (د. ط)، المدينة المنورة، المكتبة السلفية، (د. ت)، ص ٥٢٦.

مجتمعات موبوءة عليلة، قد غزتها الأمراض النفسية والفكرية والجسدية والخلقية، والأمة التي تغزوها أمراض الفكر والعقل، لا شك أنها أمة مؤبوءة عليلة لأنها فقدت كل مقومات الوقاية.

وبناء على ذلك، نهج القرآن الكريم نهجاً قويماً وقائياً حتى تأخذ الأمة الإسلامية بكل أسباب الحيطة والحذر لضمان عدم الإصابة بالمرض والوقوع في العلة.

ومن ذلك -إضافة إلى ما ذكر سابقاً- من تحريم الشرك، والغلو في الدين وغيرها، فقد أشار القرآن الكريم والسنة النبوية إلى قضايا كثيرة جداً، تؤدي بالمجتمع إذا ما قام بها إلى الوبال والهلاك والوقوع في الأمراض والعلل الكثيرة.

٤ . النهي عن الرياء:

ومنها الرياء، ويقصد بالرياء، أن يُرى العبد الناس أنه يعمل عملا على صفة وهو يضمر في قلبه صفة أخرى، وإظهار العبادة لقصد رؤية الناس لها، قال تعالى: ﴿ قُلْ إِنَّمَآ أَنَا۠ بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ يُوحَىٰٓ إِلَيَّ أَنَّمَآ إِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ ۖ فَمَن كَانَ يَرْجُوا۟ لِقَآءَ رَبِّهِۦ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَٰلِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِۦٓ أَحَدًۢا﴾ [الكهف: ١١٠].

وقال ﷺ: «قال الله تعالى: (أنا أغنى الشركاء عن الشرك من عمل عملا أشرك معي فيه غيري تركته وشركه)»[1].

وهذا من باب الوقاية للمسلم في توحيده حتى يبقى توحيداً خالصاً لله تعالى، جميع أعماله خالصة لله تعالى، وأن الله لا يقبل من الأعمال التي يقصد بها غيره، وإن كان مؤداها على أنها عبادة، لأن في ذلك شركاً، والله غني عن قبول مثل هذه الأعمال.

وأراد الله سبحانه وتعالى أن يبين للناس، أن الله لا يقبل من العمل إلا ما كان خالصاً له سبحانه وتعالى، حتى يقبل العبد على الله في جميع أقواله وأفعاله وعبادته، لا يشرك أحداً معه، وحتى لا يخلط الإنسان في أعماله نية غير خالصة لله تعالى.

وهذا من باب الإشفاق من الرسول ﷺ على أمته، وخوفاً عليها من الوقوع في الرياء الذي يعده الرسول ﷺ شركاً أصغر، لأن الله تعالى لا يقبل من الأعمال إلا ما كان خالصاً لوجهه

(١) صحيح مسلم، كتاب الزهد، باب من أشرك في عمله غير الله، جـ ٤، ص ٢٢٨٩.

الكريم، قال تعالى: ﴿وَمَآ أُمِرُوٓاْ إِلَّا لِيَعۡبُدُواْ ٱللَّهَ مُخۡلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ﴾ [البينة: ٥].

وإنما قصد الإسلام هذا، لكي يُربي النفوس على الإخلاص لله تعالى، ويحفظها ويصونها من كل علائق الدنيا، لأنها مجبولة على حب الدنيا والرياسة، وجاء خوف الرسول ﷺ منه لشدة الداعي إليه في واقع الناس ولذا شدد في التحذير منه.

قال ﷺ: «ألا أخبركم بما هو أخوف عليكم عندي من المسيح الدجال؟ قالوا: بلى، قال: الشرك الخفي. يقوم الرجل فيصلي فيزيّن صلاته لما يرى من نظر رجل...»(١)

والرياء يحجب المرء عن ربه سبحانه وتعالى، لأنه لا مبدأ له ولا عقيدة. فيلون بكل لون، ويميل حينما تميل الريح.

والرياء والاتصاف به تهبط بالعمل إلى أسفل الدرجات وتبطله، لأنه الباعث على العمل والضمير الأخلاقي، وهو موضع نظر رب العالمين، فإذا كان غير ذلك، فإن العمل يبطل ولا يقبل عند الله سبحانه وتعالى.

وقد نهى الله سبحانه وتعالي عنه ، وحذر منه ، لما له من آثار سيئة في النفس والمجتمع، وإذا كان القصد في العمل جلب الجاه والمنزلة.

والشرك الأصغر كيسير الرياء، والتصنع للمخلوق، وعدم الإخلاص لله تعالى في العبادة، بل يعمل لحظ نفسه تارة، ولطلب الدنيا تارة ولطلب الجاه والمنزلة عند الخلق تارة أخرى.

٥ . التحذير من الشرك:

لقد حذر الإسلام المسلم من الوقوع في الشرك نظراً لما يترتب عليه من إحباط للعمل، وأنه وعدم قبوله عند الله عز وجل إضافة إلى العذاب الذي ينتظره يوم القيامة، وهو الخلود في نار جهنم.

قال تعالى على لسان لقمان وهو يحذر ابنه من الوقوع في الشرك: ﴿يَٰبُنَيَّ لَا تُشۡرِكۡ بِٱللَّهِۖ إِنَّ ٱلشِّرۡكَ لَظُلۡمٌ عَظِيمٞ﴾ [لقمان: ١٣].

والشرك هنا المقصود به الشرك الأكبر، كشرك النصارى عندما نسبوا الألوهية لعيسى عليه

---

(١) أحمد بن حنبل، المسند، جـ ٥، ص ٤٢٨- ٤٢٩.

السلام. وشرك المجوس الذين كانوا ينسبون حوادث الخير إلى إله النور، وحوادث الشر إلى الظلمة.

وقد حذر القرآن الكريم الإنسان من الوقوع بمثل هذا الشرك لأنه لا ينفع معه عمل، ولا يقبل منه شيئا، ويحبط جميع الأعمال السابقة. ولا يستفيد منها صاحبها، لا في الدنيا ولا في الآخرة.

قال تعالى: ﴿ وَقَدِمْنَآ إِلَىٰ مَا عَمِلُواْ مِنْ عَمَلٍ فَجَعَلْنَـٰهُ هَبَآءً مَّنثُورًا﴾ [الفرقان: ٢٣] وقد بين الله تعالى في كتابه العزيز أن المؤمن الذي يلبس إيمانه بظلم، وقد عنى بذلك، الظلم والشرك.

قال تعالى: ﴿ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَلَمْ يَلْبِسُوٓاْ إِيمَـٰنَهُم بِظُلْمٍ أُوْلَـٰٓئِكَ لَهُمُ ٱلْأَمْنُ وَهُم مُّهْتَدُونَ ﴾ [الأنعام: ٨٢].

فالله سبحانه وتعالى يخبر أن الأمن والاهتداء لا يحصل إلا لمن لم يلبس إيمانه بهذا الظلم، فمن لم يلبس إيمانه بهذا الظلم كان من أهل الأمن والاهتداء[١].

وهذا يدل على أن الشرك أعظم ذنب يعصى به الله عز وجل ولهذا رتب عليه عقوبات، مالم يرتب على ذنب سواه، وذلك إن مات صاحبه عليه، فلن يغفر الله ذلك:

قال تعالى: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِۦ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُ﴾ [النساء: ٤٨].

وهذا التشديد من الله عز وجل على هذا الذنب، حتى يوجب للعبد شدة الخوف منه، لأن الإنسان المشرك شبه الله بخلقه، وأعطاه من خصائص الألوهية، لمن لا يملك لنفسه ضراً ولا نفعاً.

٦. محاربته الأوهام والخرافات:

ومن الأساليب الوقائية التي جاءت بها العقيدة الإسلامية أنها جاءت حرباً على الأوهام والخرافات. فقد حاربت العقيدة الإسلامية الأوهام والخرافات، منذ أن أنزلت تعليمات يعتقدها البشر، حفاظاً على المجتمع ووقايته، والارتفاع بعقله وفكره عن الأوهام والخرافات، التي يرفضها العقل، حتى يبقى المسلم منسجماً مع فطرته السليمة النقية فطرة الإيمان والتوحيد.

---

(١) سليمان بن عبد الله بن عبد الوهاب، تيسير العزيز الحميد، ص ٥١.

قال تعالى: ﴿ فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا فِطْرَتَ ٱللَّهِ ٱلَّتِى فَطَرَ ٱلنَّاسَ عَلَيْهَا لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ ٱللَّهِ ذَٰلِكَ ٱلدِّينُ ٱلْقَيِّمُ ﴾ [الروم: ٣٠].

فالأصل أن الإنسان يولد على التوحيد الخالص، والإيمان والدين، ومن هذا المنطلق، جاء الإسلام يثبت تلك الفطرة ويحميها، ويقيمها من كل ما يؤثر عليها ويغيرها.

ومن الأمور التي تصدى لها الإسلام، وحاربها في هذا المجال حمايته للعقيدة من الأوهام والخرافات، التي تشمل إدعاء الغيب كالكهانة والشعوذة والسحر وغيرها.

وأما قضية الغيب التي يكثر مدعوها هذه الآيام فإن القرآن الكريم قد أكد أن حقيقة الغيب لا يعلمها إلا الله عز وجل.

قال تعالى: ﴿ قُل لَّا يَعْلَمُ مَن فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ٱلْغَيْبَ إِلَّا ٱللَّهُ وَمَا يَشْعُرُونَ أَيَّانَ يُبْعَثُونَ ﴾ [النمل: ٦٥].

وقال تعالى على لسان رسوله ﷺ: ﴿ وَلَوْ كُنتُ أَعْلَمُ ٱلْغَيْبَ لَٱسْتَكْثَرْتُ مِنَ ٱلْخَيْرِ وَمَا مَسَّنِىَ ٱلسُّوٓءُ إِنْ أَنَا۠ إِلَّا نَذِيرٌ وَبَشِيرٌ لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴾ [الأعراف: ١٨٨].

وبناء على هذا ، فقد أعتبر الإسلام كل من أدعى الغيب المطلق، كاذباً مخالفاً لحقيقة الواقع، لأن الله عز وجل وحده صاحب الغيب المطلق، لم يُطلع عليه أحدا.

وهذا من باب الحماية والوقاية لعقيد المسلم ، حتى لا يبقى المسلم يعيش في قلق واضطراب وأوهام وخرافات من خلال تصديقه مثل هذه الأمور.

ولذلك أعلن الرسول ﷺ أن الأمر لا يتعلق بالمشعوذين فقط، وممن يدعون الغيب ولكن يشمل من يذهب إليهم ويصدقهم في أوهامهم وضلالاتهم.

قال ﷺ: «من أتى عرافاً فسأله عن شيء لم تقبل له صلاة أربعين ليلة»[1].

والذي أنزل على محمد ﷺ أن الغيب لله وحده، وأن الرسول ﷺ لا يعلم الغيب، فإذا عرف الناس هذا من نبيهم ﷺ، ثم صدقوا البشر الذين هم مثلهم، أنهم يكشفون الغيب، ويعلمون أن الغيب لله وحده ، فقد كفروا بما أنزل على محمد ﷺ[2].

---

(١) صحيح مسلم كتاب السلام ، باب تحريم الكهانة، ج٤ ، ص ١٧٥.

(٢) يوسف القرضاوي ، الحلال والحرام في الإسلام ، ط ١٠ ، القاهرة: مكتبة وهبة ، ١٩٧٦ ، ص ٢٢٤.

الإيمان بالغيب هو العتبة التي يجتازها الإنسان. فيتجاوز مرتبة الحيوان الذي لا يدرك إلا ما تدركه حواسه إلى مرتبة الإنسان الذي يدرك أن الوجود أكبر وأشمل من ذلك الحيز الصغير المحدود، الذي تدركه حواسه، وهذا يشعر الإنسان أن مداه أوسع في الزمان والمكان، وأن وراء الكون ظاهرة وخافية، حقيقة أكبر منه أستمد وجوده، حقيقة الذات الإلهية. التي لا تدركها الأبصار.

ويعتبر هذا وقاية لطاقة الإنسان المحدود المجال عن التمزق، والانشغال بما لم يخلق له، وهذا يجعل فكر الإنسان، يعمل ويتعمق، وينقص ويتتج وينمي الحياة ويحملها[1].

ومن أمور الغيب التي حذر منها الإسلام التي تؤثر على العقل، فتجعله حائراً، شاكاً، ظاناً، ما يسمى بعصرنا الحاضر، (بالضرب بالرمال، وقراءة الفنجان)، وما يتعلق بهذه الأمور التي كانت سائدة عند الجاهليين، مثل الاستقسام بالأزلام التي لا علاقة لها بالغيب والمستقبل.

قال تعالى: ﴿ وَأَن تَسْتَقْسِمُوا۟ بِٱلْأَزْلَٰمِ ۚ ذَٰلِكُمْ فِسْقٌ ﴾ [المائدة: ٣].

وكان أهل الجاهلية يعتقدون مثل هذا ويعملون به فإن خرج السهم الآمر بالسفر. خرجوا، وإلا فلا. وهذا هو قمة الخرافة، وقمة الأوهام. التي كانت تسيطر على العقل آنذاك. فلا يتحرك الإنسان إلى حسب ما يظهره السهم.

وفي هذه الأيام فإن المجتمعات لم تختلف عن المجتمعات الجاهلية حيث يقرر المستقل ويربط، بحصيات ترمى، وتخط بالرمل ليقرر هذا المشعوذ مستقبل الإنسان، الذي يعمل عقله لمستقبله، وقد يبنى على ذلك أشياء كثيرة، تتعلق بمستقبله وينتظر طويلا، ولا يتحقق له من ذلك شيئا.

وكذلك ما يسمى (بقراءة الفنجان)، التي يصبح الإنسان فيها محكوماً عليه، ويقرر مستقبله بما تبقى من حثالة في الفنجان.

والإسلام قد نهى عن كل هذا، من أجل حماية عقل الإنسان المسلم ووقايته، من أن يكون أسير الأوهام والخرافات، ولكي يبقى عقلا بناء معطاء فاعلاً باحثاً، لا عقلاً محجوراً

(١) سيد قطب، في ظلال القرآن، ج١، ص ٤١ - ٤٣.

عليه، ينطلق من منطلقات خرافية وهمية، لا أساس لها من الصحة، قائمة على الغش والخداع.

٧. السحر:

ومن ضمن الأمور التي حرمها الإسلام، وقاية للعقيدة السحر، وهو كغيره من الأوهام والخرافات والشعوذات، لأنه يقوم على خداع الناس وتخويفهم، وهذا ما أكده، القرآن الكريم.

قال تعالى على لسان موسى: ﴿ قَالَ أَلْقُوا۟ فَلَمَّآ أَلْقَوْا۟ سَحَرُوٓا۟ أَعْيُنَ ٱلنَّاسِ وَٱسْتَرْهَبُوهُمْ وَجَآءُو بِسِحْرٍ عَظِيمٍ﴾ [الأعراف: ١١٦].

أي بهذا السحر سحروا أعين الناس، فأخفوا الحقيقة، ولم يطلعوهم عليها، وما فعله السحر من إيمان السحرة بموسى عليه السلام، يؤكد حقيقة بطلان سحرهم وانه كذب وخداع.

وقال ﷺ: «اجتنبوا السبع الموبقات: قالوا يا رسول الله وما هن؟ قال: الشرك بالله، والسحر، وقتل النفس التي حرم الله إلا بالحق، وأكل مال الربا، وأكل مال اليتيم، والتولي يوم الزحف، وقذف المحصنات الغافلات المؤمنات»[1].

وجعله من الموبقات، التي تهلك صاحبها بما يترتب عليه من العقوبات في الدنيا والآخرة.

حارب الإسلام هذا الداء الخبيث، وقاومه من أن يفتك بجسم الأمة، ويؤدي إلى إثارة القلق والاضطراب التي تهلك الأمم والأفراد.

وللوقاية من شر السحر، أمرنا الله عز وجل أن نستعيذ منهم ومن عملهم، قال تعالى: ﴿ وَمِن شَرِّ ٱلنَّفَّـٰثَـٰتِ فِى ٱلْعُقَدِ﴾ [الفلق: ٤].

ووقاية للمجتمع من أن يتصف به أمراض الفرقة والخلاف حرمه الإسلام، لأنه يقوم على التفريق بين المرء وزوجه، ويؤدي إلى الإضرار البدني، وأصابه الأفراد بعلل السحرة وشرورهم.

---

(١) صحيح البخاري، (فتح الباري) كتاب الوصايا، باب قوله تعالى ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَأْكُلُونَ أَمْوَٰلَ ٱلْيَتَـٰمَىٰ﴾ [النساء: ١٠]، جـ٤ ص ١٢.

قال تعالى: ﴿فَيَتَعَلَّمُونَ مِنْهُمَا مَا يُفَرِّقُونَ بِهِۦ بَيْنَ ٱلْمَرْءِ وَزَوْجِهِۦ وَمَا هُم بِضَآرِّينَ بِهِۦ مِنْ أَحَدٍ إِلَّا بِإِذْنِ ٱللَّهِ﴾ [البقرة: ١٠٢].

والسحر مفسد للمرء وعقله، وكذلك للمجتمع بأسره لأنه سوف يكون مجتمعاً قائماً على الخرافات والأوهام، والأساطير، فيصبح فاشلاً، لأن المجتمع الذي يلجأ إلى حل مشكلاته، ومعالجة أمراضه بالسحر، مجتمع -لا شك- مريض.

ومن أجل المحافظة على العقيدة سليمة خالصة لله تعالى، حرم الإسلام تعليق التمائم والحجاب، التي يعتقد الذي يعلقها، أنها تشفي الأمراض أو تقيه منها، كمن يعلق تميمة في عنقه معتقداً أنها سبب الشفاء، أو من يعلق خرزة صفراء، ويعتقد أنها تشفي من مرض اليرقان.

والخطورة في هذا تكمن في جعل هذا الأمر سبباً للشفاء وأنها هي السبب في شفاء هذا المرض، وهذا الأمر إن اعتقد صاحبه فهو شرك بالله سبحانه وتعالى، ويحدث خلل في عقيدة المسلم، لأن الضرر والنفع من عند الله وحده عز وجل.

وقد ورد عن ﷺ نصوص كثيرة ، توجب على المسلم عدم التعامل مع هذه الأشياء حتى لا يتسرب الخلل إلى عقيدته وتصبح عقيدته قائمة على الخرافات والأوهام.

قال ﷺ: «من علق تميمة فقد أشرك»[1].

وعن ابن مسعود رضي الله عنه قال سمعت رسول الله ﷺ يقول: «إن الرقى والتمائم والتولة شرك»[2].

اعتبر الرسول ﷺ هذه الأمور، من أمور الجاهلية لأن أصحابها كانوا يعتقدون أنها سبب الشفاء وبها تزول العلة ولأنها تصادم سنن الله عز وجل، وتنافي التوحيد فهي جهل وضلال حرمها الإسلام للمحافظة على عقيدة المسلم لتبقى سليمة صافية.

٨. النهي عن التطير والتشاؤم:

وفي معرض الوقائية العقائدية، فقد نهى الإسلام عن التطير والتشاؤم، من أجل المحافظة

(١) أحمد بن حنبل، المسند جـ ٤ ص ١٥٦.

(٢) أحمد بن حنبل، المسند، جـ ١ ص ٣٨١.

على العقل الإنساني المسلم وعقيدته لكي يبقى مستقراً مطمئناً من أن تسيطر عليه الأوهام والخرافات والأساطير، غير خاضع للأوهام التي كانت سائدة في العصر الجاهلي، فيكون عقلا مفكراً عاملاً، لا عقلاً معطلاً، يعتمد تحديد مستقبله على مثل هذه الأمور الواهية والخرافية.

قال ﷺ: «العيافة والطيرة الطرق من الجبت»[1].

والتطير أمر قائم على غير أساس من العلم، أو الواقع الصحيح، إنما هو انسياق وراء الضعف، وتصديق للوهم وإلا فما معنى أن يصدق إنسان عاقل النحس في شخص معين، أو مكان معين، أو ينزعج من صوت طائر، وحركة عين دون أخرى[2].

والعقيدة الإسلامية تقوم على أسس علمية منطقية جاءت توافق الفطرة ولا تصادم العقل الإنساني حتى يكون عقلاً مفكراً باحثاً، يصل إلى الحقائق بالأساليب العلمية، التي تؤدي إلى الإيمان بالله عز وجل.

وبالمقابل أجاز الإسلام الرقي بآيات الله عز جل، وما ورد عن الرسول ﷺ والرقية دعاء ورجاء من الله عز وجل حتى يصل الإنسان إلى درجة الاعتقاد أن الضار والنافع هو الله عز وجل، وليس النفع والضرر من هذه الأشياء.

ووقاية للعقيدة من الشرك والكفر فقد نهى الشارع الحكيم عن سب الدهر، لأن سب الدهر، يعني سب الذات الإلهية، فيقوده هذا إلى الكفر.

عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: قال الله تعالى: (يؤذيني ابن آدم بسب الدهر وأنا الدهر بيدي الأمر أقلّب الليل والنهار)[3].

---

(١) أحمد بن حنبل، المسند، جـ ٣، ص ٤٤٧.

العيافة: زجر الطير والتفاؤل بأسمائها وأصواتها. التطير: التشاؤم لبعض الأشياء من أمكنة وأزمنة وأشخاص. الطرق: الخط يخط في الأرض والضرب بالحصى، (سليمان بن عبد الوهاب، تيسير العزيز الحميد، ص ٣٤٩، يوسف القرضاوي، الحلال والحرام في الإسلام، ص ٢٢٧- ٢٢٨.

(٢) يوسف القرضاوي، الحلال والحرام في الإسلام، ص ٢٣٠.

(٣) صحيح البخاري، (الفتح) كتاب التفسير، باب تفسير سورة الجاثية (٤٥)، جـ ٤، ص ٥٧٤.

وقد يفعل الإنسان هذا، عندما تنزل به الكوارث والملمات والمصائب ، فيسب الأيام، والدهر، والزمان، وهذا من قبيل الشرك، لأن الدهر والزمان خلق من خلق الله عز وجل سخره للإنسان)[1].

والنهي عن ذلك تحسباً، حتى لا يعتقد إنسان، أن سبب ما يحل به من المصائب والكوارث هو الدهر والزمان ، فحرصاً عليه وحماية لعقيدته نهى الإسلام عن ذلك.

٩ . النهي عن سب الريح :

وقد ورد النهي في ذلك، لأن سب الريح يعتبر خللا في عقيدة المسلم ، لأن الرياح مأمورة، ولا تأثير لها في شيء إلا بأمر الله عز وجل.

قال ﷺ: «لا تسبوا الريح لأنها تجيء بالرحمة والعذاب ولكن سلوا الله خيرها وتعوذوا به من شرها»[2].

قال الإمام الشافعي: (لا ينبغي شتم الريح، فإنها خلق مطيع لله وحده، وجند من جنوده، يجعلها الله رحمة إذا شاء ونقمة إذا شاء)[3].

والنهي عن سب الريح، من باب حفظ العقيدة والتوحيد على المسلم، لأن سب مثل هذه الأشياء ، يعني سب المرسل لها والمسخر لها وهو الله عز وجل.

١٠ . تحريم التماثيل:

ومن باب الوقائية لعقيدة المسلم، حرّم الإسلام التماثيل، والصور المجسمة، لأن وجودها في بيت المسلم ، تكون سبباً لعدم دخول الملائكة إلى البيوت التي تحوي مثل هذه الأشياء قال ﷺ: «لا تدخل الملائكة بيتاً فيه كلب ولا تصاوير»[4].

قال العلماء: (إنما لم تدخل الملائكة البيت الذي فيه صورة لأن متخذها قد تشبه بالكفار الذين يتخذون الصور في بيوتهم ويعظمونها، فكرهت الملائكة ذلك، فلم تدخل بيته

---

(١) سليمان بن عبد الوهاب ، تيسير العزيز الحميد ، ص ٥٤٥.

(٢) احمد بن حنبل، المسند، جـ ٢ ، ص ٢٥٠.

(٣) سليمان بن عبد الوهاب، تيسير العزيز الحميد، ص ٦٠٣.

(٤) صحيح البخاري، (فتح الباري) كتاب اللباس، باب التصاوير، جـ١٠ ، ص ٣٨٠.

هجراً له)[1].

وحرم على المسلم أن يشتغل بصناعة التماثيل، لأن هذا الفعل قريب من عهد الجاهلية واتخاذ الأصنام. ولأن فيه مشابهة لخلق الله عز وجل.

قال ﷺ: «إن من أشد الناس عذاباً عند الله يوم القيامة المصورون»[2].

ولعل الحكمة في ذلك حماية للتوحيد، والابتعاد عن مشابهة الوثنيين في أوثانهم التي يصنعونها ، ويقدسونها ويتخذونها آلهة يعبدونها من دون الله عز وجل.

وأما الحكمة في التحريم بالنسبة للصانع، لأن الذي يصنع ذلك، يأخذه الغرور والإعجاب بما صنع حتى كأنه أنشأ شيئاً من العدم، وأبدع إبداعاً حسناً، وقد حدث أن صنع أحد الناس تمثالا، وقد مكث صنعه زمناً طويلاً فلما أتمه أعجب به، ووقف أمامه مبهوراً، وهو ينظر إلى فنه وإتقانه فخاطبه مغروراً بما فعل قائلا: تكلم تكلم[3].

قال رسول الله ﷺ مؤكدا هذه الحقيقة: (إن الذين يصنعون هذه الصور يعذبون يوم القيامة، يقال لهم: أحيوا ما خلقتم)[4].

وعلة النهي هنا مضاهاة خلق الله عز وجل، فالله هو الآمر وله الخلق، وخالق كل شيء، فمن يفعل ذلك، يأمره الله يوم القيامة بنفخ الروح فيما صنع، لأنه أُعجب بما صنع، فجاء النهي عن ذلك.

وعلة التحريم، قد تكون لأن هؤلاء لا يقفون عند تصوير ونحت صور الإنسان والحيوان فحسب، وإنما قد يتعداه إلى نحت وتصوير النساء عاريات وشبه عاريات ويصورون مظاهر الوثنية وشعائر الأديان الأخرى، وهذا ما لا يجوز أن يفعله المسلم.

وربما جاء التحريم، لأن التماثيل يتعامل بها المنعمّون والمترفون، لكي تزين بيوتهم وقصورهم، والإسلام دين يحارب الترف والمترفين، فليس بعيداً عليه أن يحارب كذلك

---

(١) يوسف القرضاوي، الحلال والحرام في الإسلام ، ص ٨٦.
(٢) صحيح البخاري (فتح الباري)، كتاب اللباس، باب عذاب المصورين يوم القيامة ، جـ١٠ ، ص ٣٨٣.
(٣) يوسف القرضاوي، الحلال والحرام في الإسلام، ص٨٧.
(٤) صحيح البخاري، (فتح الباري) كتاب اللباس، باب عذاب المصورين يوم القيامة، جـ١٠ ، ص٣٨٣.

التماثيل في بيت المسلم[١].

١١- تحريم تعظيم الأشخاص:

وحفاظاً على العقيدة والتوحيد، حارب الإسلام الغلو في تعظيم الأشخاص، مهما بلغت مرتبتهم أحياء كانوا أو أمواتاً، وخاصة إذا كان على طريق عمل النصب التذكارية كالأصنام وينفق عليها الألوف، ليشير الناس إليهم بالتعظيم.

قال ﷺ: «لا تطروني كما أطرت النصارى عيسى ابن مريم فإنما أنا عبده فقولوا عبد الله ورسوله»[٢].

وذلك خوفاً من أن يعبدهم الناس، ويتخذوهم أرباباً من دون الله.

ولكن الإسلام خلد قادته ورجالاته في قلوب أتباعه عن طريق أعمالهم ومآثرهم ومناقبهم التي تناقلها الناس عن بعضهم البعض.

وإقامة النصب التذكارية للعظماء والقادة وغيرهم، طريق سلكها أهل أوروبا في تخليد أبطالهم في تماثيل نصبت لهم، وهذه الطريقة المادية بالتخليد هي انحطاط ورجوع إلى الوراء سلكها الرومان واليونان والأوروبيون من بعدهم، وذلك لعجزهم عن تصور تحقيق البشر للمثل الأعلى، فألحقوا أبطالهم بالآلهة. ولذا يجب على المسلمين. أن لا يغيروا الحكم الإسلامي في حرمة إقامة التماثيل لضررها بالنفس والخلق[٣].

وفي باب حفظ العقيدة وحتى تبقى عقيدة سليمة وصحيحة صافية نهى الإسلام عن اتخاذ القبور مساجد ودعاء لأصحابها والاعتقاد بأنهم يضرون وينفعون.

روت السيدة عائشة رضي الله عنها، أن أم سلمة ذكرت للرسول ﷺ كنيسة رأتها بأرض الحبشة وما فيها من الصور، فقال إن أولئك إذا مات فيهم الرجل الصالح أو العبد الصالح، بنوا على قبره مسجداً وصوروا فيه تلك الصورة، أولئك شرار الخلق عند الله)[٤].

---

(١) يوسف القرضاوي، الحلال والحرام في الإسلام ، ص ٨٨.

(٢) البخاري، صحيح البخاري، تحقيق مصطفى البغا، كتاب الأنبياء، باب ما ذكر في الكتاب من، ط٣، دمشق، دار ابن كثير، ١٩٨٧، ج٣، ص١٢٧١.

(٣) يوسف القرضاوي، الحلال والحرام في الإسلام، ص٨٩-٩٠.

(٤) صحيح البخاري، كتاب المساجد، باب ما يكره من الصلاة في القبور، ج١، ص١٦٥.

وهذا إذا اتخذوها مساجد وقبلة يصلون إليها، واتخذوها أوثاناً، ويدعون أصحابها الأموات، فهذا شرك يقع به المسلم ويؤثر في عقيدته. لذلك ورد النهي منه ﷺ بهذا الخصوص لحماية عقيدة المسلم، حتى لا يدعو ميتاً لا يضر ولا ينفع وان كان صالحاً.

ووقاية للعقيدة ، فقد حرم الإسلام أكل الذبيحة التي تذبح وتقدم للآلهة، وهذه عادة الوثنيين وكانوا إذا ما ذبحوا ذكروا على ذبيحتهم أسماء أصنامهم كاللات والعزى وغيرها. وهذا تقرب إلى غير الله عز وجل، وعلة التحريم دينية، لحماية التوحيد، وتطهير العقيدة، ومحاربة الشرك، ومظاهر الوثنية في كافة مجالاتها.

قال تعالى: ﴿حُرِّمَتْ عَلَيْكُمُ الْمَيْتَةُ وَالدَّمُ وَلَحْمُ الْخِنزِيرِ وَمَا أُهِلَّ لِغَيْرِ اللَّهِ بِهِ وَالْمُنْخَنِقَةُ وَالْمَوْقُوذَةُ وَالْمُتَرَدِّيَةُ وَالنَّطِيحَةُ وَمَا أَكَلَ السَّبُعُ إِلَّا مَا ذَكَّيْتُمْ وَمَا ذُبِحَ عَلَى النُّصُبِ وَأَن تَسْتَقْسِمُوا بِالْأَزْلَامِ ذَٰلِكُمْ فِسْقٌ﴾ [المائدة: ٣].

وذكر اسم الله حينئذ إعلان بأنه، يصنع هذا الأمر -بهذه الطريقة- بهذا الكائن الحي، بأذن من الله عز وجل ورضاه، فإذا ذكر اسم غير الله عليه فقد أبطل هذا الأذن، واستحق أن يحرم من هذا الحيوان المذبوح(١).

(١) يوسف القرضاوي، الحلال والحرام في الإسلام، ص٤٤.

المبحث الثاني

دائرة العبادات

أرسل الله عز وجل رسوله محمداً من أجل إصلاح الإنسانية وهدايتها نحو الخير والصلاح وتحقيق أمنها واستقرارها وإخراجها من الظلمات إلى النور.

قال تعالى: ﴿قَدْ جَاءَكُمْ رَسُولُنَا يُبَيِّنُ لَكُمْ كَثِيرًا مِّمَّا كُنتُمْ تُخْفُونَ مِنَ الْكِتَابِ وَيَعْفُوا عَن كَثِيرٍ قَدْ جَاءَكُم مِّنَ اللَّهِ نُورٌ وَكِتَابٌ مُّبِينٌ * يَهْدِي بِهِ اللَّهُ مَنِ اتَّبَعَ رِضْوَانَهُ سُبُلَ السَّلَامِ وَيُخْرِجُهُم مِّنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ بِإِذْنِهِ وَيَهْدِيهِمْ إِلَىٰ صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ﴾ [المائدة: ١٥-١٦].

ومن أجل تحقيق هذه الأمور فرض الله فرائض وحدّ حدوداً، ومن هذه الفرائض التي قررها الله عز وجل العبادات بشتى أنواعها البدنية والمالية والقلبية وتشمل الصلاة، والزكاة والصيام والحج وغيرها.

والعبادة كما يعرفها ابن تيمية بقوله: (اسم جامع لكل ما يحبه الله ويرضاه من الأقوال والأعمال الباطنة والظاهرة كالصلاة والصيام والحج والزكاة وصدق الحديث، وأداء الأمانة، وبر الوالدين، وصلة الأرحام)(١).

ويلاحظ من التعريف أن العبادة تشمل الدين كله، ويجب أن تكون العبادة خالصة لله تعالى، قال تعالى: ﴿فَمَن كَانَ يَرْجُو لِقَاءَ رَبِّهِ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَالِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِ أَحَدًا﴾ [الكهف: ١١٠].

والعبادات التي شرعها الله عز وجل، تشكل درعاً واقياً وسياجاً حامياً للإنسان، مما قد يطرأ عليه في حياته، من منغصات تعكر عليه صفو الحياة، لما فيها خصائص وقائية كثيرة تحفظ على الإنسان حياته؟.

وسوف يكون حديثي في هذا المبحث عن مجموعة هذه العبادات وأثرها الواضح في وقاية حياة المسلم من القلق والاضطراب والشح والبخل، إذا ما أداها ومارسها عن قناعة كاملة

(١) تقي الدين أحمد بن تيمية، العبودية، (د.ط) الرياض: مكتبة المعارف، ١٩٨٢، ص ٤٠.

ونفس مطمئنة ، لما فيها من الخصائص الكفيلة ، بمنح المسلم شحنات سواء أكانت شحنات نفسية أم معنوية أم جسدية حسية.

ومن هذه العبادات

أولاً: الصلاة:

الصلاة لغة: الدعاء.

والصلاة شرعا: أقوال وأفعال مخصوصة يقوم بأدائها المسلم ، مفتتحة بالتكبير ومختتمة بالتسليم.

ونظراً لأهميتها فكانت أول ما فرض الله على رسوله من العبادات وجاءت فرضيتها مباشرة وبدون واسطة وكانت أكرم منزلة شرف الله بها الإنسان المسلم ، وأعظم فريضة فرضها عليه.

ولأهمية الصلاة، أمر الله سبحانه وتعالى المسلم أن يؤديها في وقتها المخصص لها، والمحافظة على تأديتها، قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱلصَّلَوٰةَ كَانَتْ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ كِتَٰبًا مَّوْقُوتًا﴾ [النساء:١٠٣].

وذلك لما لها من فوائد إيجابية تنعكس في حياة المسلم الذي يؤديها ويحافظ عليها. لأنها تقيه وتمنعه من الوقوع في المعاصي والذنوب، قال تعالى: ﴿وَأَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ إِنَّ ٱلصَّلَوٰةَ تَنْهَىٰ عَنِ ٱلْفَحْشَآءِ وَٱلْمُنكَرِ وَلَذِكْرُ ٱللَّهِ أَكْبَرُ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ مَا تَصْنَعُونَ﴾ [العنكبوت: ٤٥].

وتعتبر الصلاة من أهم الطاعات والعبادات ، وهي أكبر نعمة منحها الله تعالى للعالمين. وفوائدها الكثيرة المتنوعة في الحياة الدنيا والآخرة لا يمكن حصرها ، وهي عمود الدين ولا تسقط عن المكلف إلا في حالة فقدان العقل فقط ، ولأهميتها أمر الرسول ﷺ أن يتعملها الفرد المسلم وهو ابن سبع سنوات ويضرب عليها إذا بلغ عشر سنوات.

وللصلاة دور كبير في وقاية الإنسان من الوقوع في المعاصي والآثام، وهي تمنعه من الاقتراب من الذنوب والمعاصي، نظراً لأنها العبادة الوحيدة التي يؤديها الإنسان خمس مرات في اليوم والليلة ، فهي بهذا التكرار تقوي الصلة بين العبد وربه ولذلك كانت واقيا له من المعاصي.

ومن أهم آثار الصلاة في حياة المسلم:

١- الصلاة قوة خلقية.

قال تعالى: ﴿ ٱتْلُ مَآ أُوحِىَ إِلَيْكَ مِنَ ٱلْكِتَٰبِ وَأَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ ۖ إِنَّ ٱلصَّلَوٰةَ تَنْهَىٰ عَنِ ٱلْفَحْشَآءِ وَٱلْمُنكَرِ ۗ وَلَذِكْرُ ٱللَّهِ أَكْبَرُ ۗ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ مَا تَصْنَعُونَ ﴾ [العنكبوت: ٤٥].

أ. تهذيب النفس والإنسان:

تعتبر الصلاة وسيلة لتهذيب النفس الإنسانية في صلتها بربها ، تعوّد الإنسان النظام والخشوع لله عز وجل ، كما تعوده أن ينقي سريرته ، ويصفي قلبه من شوائب الدنيا فتأمره بالمعروف وتنهاه عن المنكر ، ويكون مسلماً حقاً على النحو الذي أراد الله سبحانه وتعالى وأراده رسوله ﷺ[١].

والصلاة وسيلة لتذكير الإنسان بربه، من خلال استغراقه في الأعمال اليومية الدنيوية، التي توجه في ذهنه عادة إلى الكسب الربح، وإلى الملذات في الدنيا ومتاعها، وهو في كل ذلك بحاجة إلى تذكيره برابطته الأساسية الباقية التي تربطه بالله عز وجل لتخرجه من استرساله في الشهوات أو ميله إلى الظلم والشر والباطل. فتصله بربه عز وجل، مصدر الحق فتمنعه من الوقوع في المعاصي وعلائق الدنيا[٢].

ووجه كون الصلاة تنهى عن الفحشاء والمنكر، أن العبد المقيم لها. المتمم لأركانها وشروطها وخشوعها. يستنير قلبه. ويتطهر فؤاده، ويزداد إيمانه ، وتقوى رغبته في الخير، وتقل أو تنعدم رغبته في الشر. فبالضرورة مداومتها والمحافظة عليها على هذا الوجه تنهى عن الفحشاء والمنكر. وهذا اعظم مقاصد الصلاة وثمراتها[٣].

والصلاة يقوم بها العبد، كلما أراد أن يخلص فيها من دنياه، ويفزع فيها لربه بالتكبير والمناجاة، وطلب المعونة والهداية، وهي شأن يبعث على مراقبة الله عز وجل، واستحضار

---

(١) محمود أحمد السيد: معجزة الإسلام التربوية ، ط١ الكويت إدارة البحوث العلمية ، ١٩٨٧ ، ص٤٠.

(٢) محمد المبارك ، نظام الإسلام العقيدة والعبادة ، ط١ ، بيروت ، دار الفكر ، ١٩٦٨ ، ص ٢٠٧.

(٣) محمد المبارك، نظام الإسلام العقيدة والعبادة ، ط١، بيروت، دار الفكر، ١٩٦٨، ص ٢٠٧. عفيف طبارة، روح الدين الإسلامي، ط ١٦، بيروت، دار العلم للملايين، ١٩٧٧، ص ٢٠٧.

عظمته. مما يجعل الإنسان في حذر دائم من مخالفة أحكام الله عز وجل. أو التقصير في حدوده، وبذلك يكمل للروح تهذيبها ، وللنفس صرحها ، وللعقل إدراكه والمجتمع ارتقاؤه[1].

والصلاة هي الوسيلة العظمى في تزكية النفس، وهي في الوقت نفسه علم وميزان على تزكية النفس، فهي وسيلة وغاية في آن واحد.

فهي تعميق لمعاني العبودية. والتوحيد، والشكر، وإقامتها قطع لدابر التفكير والتمرد على الله، واعتراف لله بالربوبية والتدبير، وفي إقامتها على كمالها وتمامها. قطع لدابر العجب والضرورة، بل قطع لدابر المنكر والفحشاء كلها[2].

والصلاة لا تجعل الإنسان مسلوب الإرادة، مجبراً على ترك الفحشاء والمنكر، بل تنهى في نفسه الدوافع الصالحة التي تدفعه لترك الفحشاء والمنكر.

ولذلك جاء التعبير القرآني بـ (تنهى)، ولم يعبر بتمنع أو تزيل، أي أن الصلاة ربما تحوي الدوافع النفسية الصالحة لإبعاد الإنسان عن الفواحش والمنكرات، وهي تقع تحت اختيار الإنسان وإدارته، وتتوقف استفادتها في الصلاة على تفهم المرء لصلاته وجمعه لقلبه عن أدائها، فمثل هذه الصلاة الواعية المتجاوبة، هي التي تنهى عن الفحشاء والمنكر[3].

أي أن الصلاة تؤثر بصورة مباشرة على الغرائز والمفاهيم الشريرة فتمنع ضررها، وعلى الغرائز والمفاهيم النجرة. وتزيل عنها الصعاب. ويظهر هذا من خلال الفارق بين حالة الإنسان قبل أن يلتزم بالصلاة وحالته بعد الالتزام بأدائها.

وفي قوله تعالى: ﴿ إِنَّ ٱلصَّلَوٰةَ تَنْهَىٰ عَنِ ٱلْفَحْشَآءِ وَٱلْمُنكَرِ ﴾ يدل على أن فائدة الصلاة هي بالدرجة الأولى؛ النهي عن المنكرات السلوكية الخاصة، وبالدرجة الثانية النهي عن عموم المنكرات ، أي إن من يتربى على الصلاة التربية الصحيحة والسليمة، تكون له واقياً من الوقوع في المنكرات عموما. ويلحظ هذا من أن نسبة الفواحش في المصلين أخفض

---

(١) عبد الرحمن بن ناصر السعدي، تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، (د. ط). المدينة المنورة مطبوعات الجامعة الإسلامية ، ١٣٩٨هـ، جـ ٦، ص ٤٦ .؟

(٢) محمود شلتوت، من توجيهات الإسلام (د. ت) ، ص ٢٦. (د ط)، القاهرة ، دار القلم.

(٣) علي محمد كوراني، فلسفة الصلاة، ط١، بيروت ، دار إحياء التراث العربي ، ١٩٧٢، ص ١٧٢-١٧١.

وأقل من نسبتها في غيرهم.

قال ابن عباس: (في الصلاة مزدجر عن معاصي الله، وقيل تحول بينه وبين إتيان الفواحش، لأن شغله يقطعه عن الشغل بالمنكرات)[1].

وأن المراعي للصلاة لابد أن يكون أبعد من الفحشاء والمنكر. ممن لا يراعيها. وليس الغرض أن ينتهي عن جميع المناكير. وإنما هذه الخصلة موجودة فيه وحاصلة منه[2].

فهي تنهى عن الفحشاء والمنكر. لما فيها من تلاوة للقرآن المشتمل على الموعظة والصلاة تشغل كل بدن المصلي. وذلك إذا علم أن الله مطلع عليه ويراه. صلحت لذلك نفسه وتذللت. وظهرت على جوارحه هيبتها، ولم يكن يغتر من ذلك حتى تظله صلاة أخرى. يرجع بها إلى أفضل حالة، وذكر الله يمنع من المعصية ، فإن من كان ذاكراً لله لا يخالفه. والذكر النافع، هو مع العلم وإقبال القلب، وتفرغه إلا من الله[3].

والفحشاء، ما قبح من العمل، والمنكر، ما لا يعرف في الشريعة، أي أن الصلاة تمنع الإنسان عن معاصي الله عز وجل وتبعده عنها. ومعنى نهيها عن ذلك. أن فعلها يكون سبباً للانتهاء[4]. أي إن المواظبة عل الصلاة تحمل على ترك الفواحش والمنكرات التي تشتمل عليها الصلاة[5].

وحين تقام الصلاة تنهى عن الفحشاء والمنكر، فهي اتصال بالله عز وجل يخجل معه صاحبه ويستحي أن يصطحب معه كبائر الذنوب وفواحشها ليلقى الله بها. وهي تظهر وتجرد إلا يتسق معها دنس الفحشاء والمنكر.

---

(١) محمد بن جرير الطبري، جامع البيان في تفسير القرآن ، ط٣، بيروت ، دار المعرفة، ١٩٧٨، جـ١٠، ص ٩٩.

(٢) أبو القاسم جاد الله محمود بن عمر الزمخشري، الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل جـ٣، ص ٢٠٧.

(٣) محمد بن أحمد القرطبي ، الجامع لإحكام القرآن ، (د.ط) القاهرة: دار الكاتب ، ١٩٦٧، جـ ١٣، ص٣٤٨-٣٤٩.

(٤) محمد بن علي الشوكاني، فتح القدير ، ط٢. جـ ٤، ص ٢٠٤.

(٥) أبو الفداء إسماعيل بن كثير ، تفسير القرآن العظيم (د. ط) القاهرة: دار إحياء الكتب العربية ، (د.ت) جـ٣، ص ٤١٤.

وفرق بين أداء الصلاة وإقامتها، فهي حين تقام ذكر الله، وذكر الله أكبر[1].

والعبد حين يقوم بين يدي الله عز وجل، يتلو كتابه ويناجيه. فيهون عليه كل ما في الدنيا، رغبة فيما عند الله. ورهبة منه فيتباعد عن كل مالا يرضى الله فيرزقه الله ويهديه[2].

والصلاة تقي الإنسان من الكذب والإخلاف في الوعد. وإنما تربيه على الصدق. ودقة المواعيد وضبطها. فإذا أصبح المسلم منضبطاً مع خالقه، اصبح منضبطاً مع خلقه، قال تعالى: ﴿ وَٱلَّذِينَ هُمْ عَلَىٰ صَلَوَٰتِهِمْ يُحَافِظُونَ﴾ [المؤمنون: ٩].

والصلاة تعود الإنسان النظام، فكل حركة فيها منظمة منضبطة، وتعود الإنسان النشاط المستمر، ومن خلال توزيع أوقات الصلاة وعدد ركعاتها.

والصلاة تربي الإنسان على العزة وتجعله إنساناً عزيزاً وتقيه من الذل والضعف لا يذل ولا يخضع إلا لله عز وجل فهو يفتتحها (بالله أكبر) وهذا يربي عند الإنسان المسلم ملكة العزة والاعتزاز، فلا يرى كبيراً إلا الله عز وجل.

وتجعل الصلاة الإنسان المسلم إنساناً فاضلاً مهذباً في خلقه، غير جزع مما يصيبه من العيب والخلل، سوياً إذا عامل الناس.

قال تعالى: ﴿ ۞إِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ خُلِقَ هَلُوعًا ۞ إِذَا مَسَّهُ ٱلشَّرُّ جَزُوعًا ۞ وَإِذَا مَسَّهُ ٱلْخَيْرُ مَنُوعًا ۞ إِلَّا ٱلْمُصَلِّينَ ۞ ٱلَّذِينَ هُمْ عَلَىٰ صَلَاتِهِمْ دَآئِمُونَ﴾ [المعارج: ١٩-٢٣].

فقد استثنى الله عز وجل من جنس الناس المتصفين بالهلع والجزع، وإمساك الخير، استثنى منهم المصلين: هؤلاء طهرتهم الصلاة وهذبتهم وصاغتهم صياغة خاصة[3].

ب. تنمي الإيمان بالغيب:

والصلاة تنمي في المسلم الإيمان بالغيب، حتى يزداد خشية، من الله عز وجل ويتقي عذابه، وتقيه من الكفر والإلحاد. لأن الذي لا يؤمن بالغيب وينكره يكفر.

---

(١) سيد قطب: في ظلال القرآن، جـ ٦، ص ٤١٣.

(٢) محمد الأمين بن محمد المختار الشنقيطي: أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن، (د. ط) جدة: دار الأصفهاني، ١٩٧٣، جـ ١، ص ٧٥.

(٣) محمد نمر الخطيب (من نور الإسلام، (د، ط) بيروت: مكتبة الحياة، (د، ت)، ص ١٦٨.

قال تعالى: ﴿ وَأَنْ أَقِيمُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَٱتَّقُوهُ ۚ وَهُوَ ٱلَّذِىٓ إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ ﴾ [الأنعام: ٧٢]، والصلاة والتقوى متلازمتان. ولا يقيم الصلاة إلا الذين يتقون، ولا يتم خشوعها إلا الذين يخشون لقاء الله، وتزيدهم صلاتهم. إيمان بالله عز وجل وتقاه لما نهى عنه، ولذلك كانت الصلاة من أعظم النواهي عن المعاصي وهي التي تمنع صاحبها من الهوى فينتظم بها مع المؤمنين[١]، ونظراً لأهمية الصلاة، ودورها في ضبط سلوك المسلم، فقد جعل الله عز وجل، ترك الصلاة وإهمالها، عنوان الانغماس في الشهوات، وسبيل الوقوع في الغي والضلال.

قال تعالى: ﴿ ۞ فَخَلَفَ مِنۢ بَعْدِهِمْ خَلْفٌ أَضَاعُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَٱتَّبَعُوا۟ ٱلشَّهَوَٰتِ ۖ فَسَوْفَ يَلْقَوْنَ غَيًّا ﴾ [مريم: ٥٩].

ولهذا وصف الله عز وجل المتقين بأنهم أقاموا الصلاة، ولم يصفهم بأنهم مصلون، وفرق بين من يقيم الصلاة، وبين من يصلي. فليس كل من صلى قد أقام الصلاة، ولكن من أقام الصلاة فقد صلى.

وهذا ما نجده من خلال تتبع آيات القرآن الكريم، حيث نجد أن الله عز وجل لم يأمر حينما أمر ولا مدح بها حينما مدح إلا بلفظ الإقامة، تنبيها على أن المقصود من الصلاة إقامتها لا الإتيان بها.

جـ. تربية على التوبة والاستغفار:

والصلاة تربي الإنسان على التوبة والاستغفار، نظر لما يصيب الإنسان من المعاصي في يومه وليلته، فالصلاة بتكرارها خمس مرات تحرك في الإنسان دافع التوبة والاستغفار، حتى تقيه من المعصية، وينمي إيمان المؤمن، ويرضي الله عز وجل.

د. تربية نفسية:

والصلاة تربية نفسية، تضفي على النفس الإنسانية طابع الهدوء والطمأنينة النفسية التي تعينه على الاستمرار في حياته بصحة جسمية ، وراحة عقليه، وتقويتها عند المحن. وتدعو إلى الصبر الذي يكون واقياً له الصدمة التي ربما تؤثر عليه من الناحية العقلية والنفسية، فيقوى على البلاء، وتحمل الصدمة.

---

(١) حسن الترابي، الصلاة عماد الدين. ط١. جدة: الدار السعودية للنشر ، ١٩٨٤، ص ١٠٣-١٠٤.

قال تعالى: ﴿ يَتَأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱسْتَعِينُوا۟ بِٱلصَّبْرِ وَٱلصَّلَوٰةِ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلصَّـٰبِرِينَ ﴾ [البقرة: ١٥٣].

فالصلاة تمد المسلم بقوة روحية، نفسية، تعينه على مواجهة الصعاب ومتاعب الحياة، لأن الصلاة تضفي على الإنسان طابع الطمأنينة ، لذلك كان ﷺ إذا حزّ به أمر هرع ونادى إلى الصلاة.

وقد تنبه إلى ذلك العلماء غير المسلمين حيث يقول د. الكسيس كاريل: (لعل الصلاة هي أعظم طاقة مولده للنشاط عرفت إلى يومنا هذا، وقد رأيت بوصفي طبيباً، الكثير من المرضى، فشلت العقاقير في علاجهم فلما رفع الطب يديه عجزاً وتسليماً، تدخلت الصلاة فأبرأتهم من عللهم، إن الصلاة كمعدن الراديوم، مصدر للإشعاع ومولد ذاتي للنشاط. وبالصلاة يسعى الناس إلى استزادة نشاطهم المحدود حتى يخاطبون القوة التي لا يفنى نشاطها)[١].

وهذا تأكيد على فوائد الصلاة لراحة الأعصاب. وإدخال الطمأنينة إلى النفس وراحة البال والهدوء البدني والعقلي فتخلص الإنسان من حالات الإرهاق، والقلق والتوتر، ومن مشكلات الحياة.

وتقوم الصلاة كذلك بالقضاء على الأسباب النفسية للكسل والعبث، وتنزع عن نفسه الخمول واللهو، ويرى أنه لا متسع في عمره للتضيع واللهو والتقاعس. وتضبط السلوك، الذي يشعر صاحبة بمسؤوليته ورقابة الله عليه وهذا ما يجعله يشعر بالانضباط وضبط النفس.

والصلاة بتواليها ودوامها تضمن مدداً روحياً، لا ينقطع عن المسلم، بل يتزايد باطراد مجدداً إيمانه بالله عز وجل ورسوله. ومقوياً خشيته وتقواه وشكره وثقته، ومضاعفاً بذلك جهوده الصالحة في سبيل الله، فكلما استهلكت المسلم تكاليف الحياة أسعفته الصلاة بشحنة من الطاقة الروحية تمد له في مسعاه. من أجل ذلك ارشد القرآن الكريم إلى الاستعانة بالصلاة على ما يقع من الابتلاء أو يتعين من الجهاد[٢].

ولذلك كان رسول الله ﷺ يستعينه بالصلاة إذا حزّ به أمر أو ألمّ بها شيء هرع إلى الصلاة،

---

(١) د. يوسف القرضاوي، العبادة في الإسلام، (د. ط) القاهرة دار الجميع للنشر (د.ت)، ص ١٧١-١٧٢.

(٢) د حسن الترابي، الصلاة عماد الدين ، ص ١١٨.

لكي يستريح من عناء نفسه قليلا، لأن الإنسان إذا وكل نفسه إلى هواه ولم يعتمد على الله ضعف، وأصبح عرضة لهزات الحياة وتقلباتها، أما إذا قويت صلته بالله عز وجل فانه يصبح مطمئناً ويثبت على رشده لا تضره سراء ولا ضراء.

قال تعالى: ﴿ ۞إِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ خُلِقَ هَلُوعًا * إِذَا مَسَّهُ ٱلشَّرُّ جَزُوعًا * وَإِذَا مَسَّهُ ٱلْخَيْرُ مَنُوعًا * إِلَّا ٱلْمُصَلِّينَ * ٱلَّذِينَ هُمْ عَلَىٰ صَلَاتِهِمْ دَآئِمُونَ﴾ [المعارج: ١٩-٢٣].

هـ- تعوّد الإنسان المسلم الصبر:

فالصلاة تمد الإنسان بالصبر والمصابرة في كل ظروف حياته المختلفة. وكل ضروب الإبتلاء التي تصيبه، فهي بمثابة الدرع الواقي من كل هذا.

ومن هذا المنطلق كانت الصلاة توجيهاً مفروضاً على المسلمين في عهد الصبر على الإضطهاد في مكة وهم قلة مستضعفون، وملازمة الصلاة آنذاك إمداد لأفراد المسلمين بالقوة الروحية، بين يدي مرحلة الجهاد وتوثيق لرابطة الموالاة والتضامن بينهم استعداداً لمواجهة الجهة الكافرة وتثبيتاً لهم من أن تستحفهم الفتنة[1].

قال تعالى: ﴿ أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ قِيلَ لَهُمْ كُفُّوٓاْ أَيْدِيَكُمْ وَأَقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ﴾ [النساء: ٧٧].

فظل هذا الأمر ملازماً لهم في المدينة، لأن الصلاة تعين المسلمين على ظروف المرحلة الجديدة، قال تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱسْتَعِينُواْ بِٱلصَّبْرِ وَٱلصَّلَوٰةِۚ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلصَّٰبِرِينَ ﴾ [البقرة: ١٥٣].

وظل هذا الأمر ملازماً للمسلمين حتى في أوج قوتهم وعزهم، ونشوة النصر تحيط بهم حيث وصاهم الله عز وجل بالصبر، لأن النصر وظروفه يعرض الإنسان لدواعي العلو والفخر والإعجاب بالنفس، والصلاة خير واق وخير ما يمنع ذلك بموجبات التقوى ليكسر بها نشوة التكبر ويجاهد بها نزعة العدوان، لأن المنتصر قد تأخذه نشوة النصر فيخرج عن أخلاقياته فيحول إلى عابث في الأرض يحل بها الفساد إلا الذين يخشون الله عز وجل، ومن أجل تثبيت هذه المعاني (الطاعة، والشكر)، شرعت الصلاة[2].

---

(١) د. حسن الترابي، الصلاة عماد الدين، ص١٢٠.

(٢) د. حسن الترابي، الصلاة عماد الدين، ص١٢٢-١٢٣.

قال تعالى: ﴿ ٱلَّذِينَ إِن مَّكَّنَّٰهُمْ فِى ٱلْأَرْضِ أَقَامُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَوُا۟ ٱلزَّكَوٰةَ وَأَمَرُوا۟ بِٱلْمَعْرُوفِ وَنَهَوْا۟ عَنِ ٱلْمُنكَرِ ۗ وَلِلَّهِ عَٰقِبَةُ ٱلْأُمُورِ ﴾ [الحج: ٤١].

و- وقاية من المعاصي:

والصلاة وقاية للجانب الروحي الذي يقي الإنسان من الوقوع في المعاصي والآثام، لأن الجانب الروحي يكسب الإنسان صلابة في الحق، وتحول بينه وبين أن يتسلط عليه الشيطان، فيكبح جماح في نفسه فينهاها عن هواها أو يزيل كل ما يدنسه من أدران، لأن الصلاة تطفأ بها نار الشهوة والمعصية، وتحرق شرارة الشيطان ووسوسته، والإنسان كلما استغرق في صلاته تجرد من آدميته، وكان أقدر على العروج إلى السماء[1].

إن المداومة على أداء الصلاة تعتبر البناء المستمر لعزيمة الإنسان، وبمثابة الشحنات الروحية للوقاية والعلاج من جميع حالات القلق والاضطراب والحزن والعصب والإكتئاب.

قال تعالى: ﴿ وَأْمُرْ أَهْلَكَ بِٱلصَّلَوٰةِ وَٱصْطَبِرْ عَلَيْهَا ۖ لَا نَسْـَٔلُكَ رِزْقًا ۖ نَّحْنُ نَرْزُقُكَ ۗ وَٱلْعَٰقِبَةُ لِلتَّقْوَىٰ ﴾ [طه: ١٣٢].

فالصلاة تبعد الإنسان عن هموم الدنيا ومشكلاتها فيحصل على راحت العقل والنفس والطمأنينة، وتزيد الأمل وتحقق الطموحات، حتى ولو كان الإنسان المؤمن واقعاً تحت أقصى الظروف والضغوط. قال تعالى: ﴿ ۞ إِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ خُلِقَ هَلُوعًا * إِذَا مَسَّهُ ٱلشَّرُّ جَزُوعًا * وَإِذَا مَسَّهُ ٱلْخَيْرُ مَنُوعًا * إِلَّا ٱلْمُصَلِّينَ * ٱلَّذِينَ هُمْ عَلَىٰ صَلَاتِهِمْ دَآئِمُونَ ﴾ [المعارج: ١٩-٢٣].

ولذلك فالصلاة تزيد في تنمية ملكة حصر الذهن، عندما يتوجه الإنسان نحو خالقه لأداء الصلاة فإنه يطرد كل شيء ويستحضر عظمة الله عز وجل لأن العقل يصبح أداة تفكير مدهشه إذا ركز وحصر، بدل أن يكون مشتتاً. يقول ريدارد ايجست: «العقل الإنساني يصبح أداة مدهشة الكفاءة إذا تركز تركيزاً قوياً»[2].

والصلاة تبرز الصفة الفكرية في المجتمع في مظهرين هما: مظهر الإلتزام بها، ومظهر الاجتماع لأدائها.

---

(١) د. فضل حسن عباس: خماسيات مختارة في تهذيب النفس الأمارة، ط١، عمان: دار البشير، ١٩٩٠، ص١٢٦.

(٢) عفيف عبد الفتاح طبارة، روح الدين الإسلامي، ص٢٥١.

فالإلتزام اليومي بأداء الصلاة من جميع أفراد المجتمع يشكل ظاهرة الوحدة فيه. وهٰذا يقيها من التمزق والتفرق والشرذمة، ومظهر الاجتماع والأعياد وموسم الحج ليكون هذا المجتمع مجتمعاً واحداً في حقيقته، مهما اختلفت جنسياته، وأقاليمه، وكيف إذا أضيفت إلى ذلك الوحدة الروحية، ووحدة مركز الإتجاه ولذلك تعمق الصلاة الوحدة في المجتمع الإسلامي[1].

ويعكس هٰذا في المجتمع صورة الأخوة والتعاطف والسلوك والتكامل، حتى يبتعد عن مظاهر التفرقة والأنانية والتشتت.

ثانياً: وقاية الصلاة في جانب النظافة

جانب النظافة: الصلاة عبادة فرضها الله عز وجل على عباده، ولا تقبل إلا إذا تطهر الإنسان إليها إما بالوضوء أو الغسل، وبهٰذا يتخلص الإنسان من النجاسة، ويصبح نظيفاً طاهراً.

قال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا قُمۡتُمۡ إِلَى ٱلصَّلَوٰةِ فَٱغۡسِلُواْ وُجُوهَكُمۡ وَأَيۡدِيَكُمۡ إِلَى ٱلۡمَرَافِقِ وَٱمۡسَحُواْ بِرُءُوسِكُمۡ وَأَرۡجُلَكُمۡ إِلَى ٱلۡكَعۡبَيۡنِۚ وَإِن كُنتُمۡ جُنُبٗا فَٱطَّهَّرُواْۚ وَإِن كُنتُم مَّرۡضَىٰٓ أَوۡ عَلَىٰ سَفَرٍ أَوۡ جَآءَ أَحَدٞ مِّنكُم مِّنَ ٱلۡغَآئِطِ أَوۡ لَٰمَسۡتُمُ ٱلنِّسَآءَ فَلَمۡ تَجِدُواْ مَآءٗ فَتَيَمَّمُواْ صَعِيدٗا طَيِّبٗا فَٱمۡسَحُواْ بِوُجُوهِكُمۡ وَأَيۡدِيكُم مِّنۡهُۚ مَا يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيَجۡعَلَ عَلَيۡكُم مِّنۡ حَرَجٖ وَلَٰكِن يُرِيدُ لِيُطَهِّرَكُمۡ وَلِيُتِمَّ نِعۡمَتَهُۥ عَلَيۡكُمۡ لَعَلَّكُمۡ تَشۡكُرُونَ﴾ [المائدة: ٦].

يبين هٰذا النص القرآني، أن الطهارة واجبة على كل إنسان لكي يعيد نفسه لأداء الصلاة، وأن الصلاة لا تصح بغير طهارة.

وبينت أيضاً أن المريض والذي به جرح أو حرق وغيره، أو كان في حالة سفر أو يتأخر في سفره يستبدل الماء بالتراب من أجل الإستعداد للصلاة، وذلك وقاية له من أن يزداد مرضه، أو يتأخر شفاؤه.

وقد جعل الله عز وجل الطهارة والنظافة باستعمال الماء. ولا يسد عن الماء شيء غيره، وجعل غسل الجسم مرة في الأسبوع على الأقل. ولم يتركه حسب الأهواء والأمزجة، وذلك

---

(١) علي محمد كوراني، فلسفة الصلاة، ص٣٨٦-٣٨٧.

من أجل المحافظة على الجسم نظيماً طاهراً.

قال ﷺ: «غسل الجمعة واجب على كل محتلم وأن يمس من الطيب ما يقدر عليه»[1].

أ- الوضوء:

والوضوء يعد مقدمة للصلاة، وقد قرره الشارع الحكيم ثلاثاً والغاية من ذلك هي إزالة الوساخ.

إذن فالغاية من الوضوء، هو الطهارة والدخول في العبادة ومن ثم نظافة كل البدن حتى يكون المسلم طاهر الجسد، نظيفاً طيب الرائحة، ويسير بين الناس ذو نفسية مميزة، صحيح الجسم قوي البنية، مقاوماً للأمراض والأوبئة حتى يكون المسلم أنموذجاً لغيره يقتدى به الناس في كل منحى من مناحي حياته.

فغسل اليدين، له أهمية كبيرة في منع انتشار الأمراض وقد يحول بين انتقال الأمراض التي تدخل الجسم عن طريق الفم من طعام أو شراب.

والمسلم الذي يصلي يغسل يديه على الأقل في اليوم والليلة خمس مرات مكرراً بذلك ثلاث مرات، ثم يفعل ذلك قبل الطعام، وبعده وعند الخروج من بيت الخلاء بعد قضاء حاجته.

ويطلب الشارع من المسلم أن يغسل يديه ثلاثاً وأمره بتخلل الأصابع وغسل البراجم[2] وبهٰذه الطريقة يكون المسلم قد أزال ما بهما من أوساخ ومن جراثيم عالقة عليهما. وهٰذا من أفضل الطرق الوقائية من الأمراض.

ومن أعمال الوضوء غسل الفم ثلاث مرات وفرك الفم واللثة وتنظيفها أحياناً باستمال السواك، الذي حث على استعماله الرسول ﷺ.

وفائدة ذلك أن الإنسان يعلق في فمه بعد الأكل بقايا الطعام وبين الأسنان وقد يكون ذلك مرتعاً خصباً للجراثيم، التي تسبب تسوس الأسنان وصدور رائحة كريهة من الفم نتيجة لتخمر بقايا الطعام.

---

(١) صحيح البخاري (الفتح) كتاب الجمعة، باب هل على من لم يشهد الجمعة غسل، ج٢، ص٦.

(٢) البراجم: عقد الأصابع.

فالمسلم الذي يفعل ذلك مراراً وتكراراً في اليوم والليلة، وقبل النوم فإن الأمور السابقة تكون بعيدة عنه، ويبقى طاهر الفم نقياً، تصدر منه الرائحة الطيبة، وتقيه كذلك من أمراض الفم والأسنان والبلعوم. وأمراض أخرى كثيرة ومتنوعة -لذا فالطهارة لما فيها من نظافة وتكرار لغسل الفم والصلاة ولما فيها من اطمئنان للنفس، وأمن للفكر وراحة للأعصاب وهدوء مثالي للإنفعالات والقلق، لأن للعامل النفسي أثراً في حدوثه[1].

ويؤكد هذا ما قاله أحد الأطباء: «هناك طفيليات تدعى «المتحولات اللثوية»[2] توجد أحياناً في أفواه بعض الناس، ثم أجرى ذلك على أفواه الطلبة، قام بفحصها واحداً بعد الآخر، قال وكنا عشرين طالباً، ولم يستطع أن يستخرجها إلا من فم واحد لا يعرف الوضوء ولا المضمضة»[3].

وقد وردت أحاديث كثيرة تركز على استعمال السواك، لنظافة الفم وضمان رائحة طيبة، قبل كل صلاة.

قال ﷺ: «لولا أن أشق على أمتي لأمرتهم بالسواك مع كل صلاة»[4].

وفي المضمضة واستعمال السواك تزول تلك التراكمات من مخلفات الطعام، التي تؤدي بدورها إلى نمو الجراثيم، وإصابة اللثة بالالتهابات، وتسوس الأسنان وغيرها من الأمراض التي تصيب الفم.

والاستنشاق ثلاثاً، أمر به الرسول ﷺ، حيث قال ﷺ: «إذا توضأ أحدكم فليجعل في أنفه ثم لينثر»[5].

وهذا من باب التأكيد منه ﷺ على تنظيف باطن الأنف، لأن الأنف يعتبر بمثابة المصفاة التي يمر من خلالها الهواء إلى الرئتين من خلال الأغشية والأنسجة الموجودة داخل الأنف،

---

(١) فارس علوان: وفي الصلاة صحة ووقاية، ط١ جدة: دار المجتمع ١٩٨٧، ص١٩٩.

(٢) عبارة عن طفيليات وحيدة الخلية تتحرك بواسطة استطالات من جسمها تسمى الأرجل الكاذبة، وتدعى أميبيا، ومنها نوع يعيش على لثة الإنسان وتدعى بذلك. فارس علوان، وفي الصلاة صحة ووقاية، ص٢٠١.

(٣) د. فارس علوان، وفي الصلاة صحة ووقاية، ص١٩٩.

(٤) صحيح البخاري، (الفتح)، كتاب الجمعة، باب السواك، ج٢، ص٣٧٤.

(٥) صحيح البخاري، كتاب الوضوء، باب الاستجمار وترا، ج١، ص٧٢، الفتح.

ولها خاصية اللزوجة حتى يعلق بها الغبار والتراب والأجسام الغريبة الأقرى. والاستنشاق ثلاث مرات في كل وضوء يساعد الإنسان على التخلص من أكبر قدر ممكن من تلك الجراثيم، ومما يؤدي إلى تقليل فاعلية الجزء المتبقي منها إلى أدنى درجة. وهكذا مع التكرار يتخلص الأنف من الجزء المتبقي وبذلك يصبح الإستنشاق وقاية من الأمراض الخطيرة كالسل وغيرها[١].

وتكرار الإستنشاق ثلاثاً يؤدي حتماً إلى تنقية تامة لتجاويف الأنف من أنواع الجراثيم التي طالما كمنت فيها، وأدت إلى تلك الإلتهابات المزمنة التي تنتج عنها الإصابة بالأمراض، وهذا ثابت بالوسائل العلمية الحديثة»[٢].

وقد أُجريت دراسة في كلية الطب/ جامعة الاسكندرية، فوجدوا أن باطن الأنف عند غالبية من لا يتوضؤون يكون شاحب اللون، دهني الملمس، يترسب على مدخله بعض الأتربة والقشور، وفتحة الأنف لزجة داكنة اللون، يسهل تساقط الشعر منها، أما عند المنتظمين في الوضوء، فقد كان سطح باطن الأنف لامعاً نظيفاً، خالياً من القشور والأتربة، وأظهر الفحص المجهري للمزارع الجرثومية العنقودية والعقدية وغيرها. أما الذين يتوضؤون باستمرار فلم تظهر عندهم أية مستعمرات من الجراثيم، وكانت أنوفهم طاهرة نقية، إلا عناصر قليلة منهم، حيث ظهر قليل من الجراثيم التي ما لبثت أن اختفت بعد تعليمهم كيفية الاستنشاق الصحيح[٣].

وتبدو أهمية غسل الوجه واضحة من خلال الأمر بها في القرآن الكريم، قال تعالى: ﴿ فَاغْسِلُوا۟ وُجُوهَكُمْ وَأَيْدِيَكُمْ إِلَى ٱلْمَرَافِقِ . . . ﴾.

والرسول ﷺ غسل وجهه ثلاثاً ويديه إلى المرافق ثلاثاً ثم مسح برأسه ثم كلتا رجليه[٤].

ويعد الغسل للوجه ثلاث مرات -مع كل وضوء-، نظافة للوجه ومحافظة عليه، وسرعة

---

(١) مختار سالم، الصلاة رياضة النفس والجسد، (د.ط)، القاهرة، المركز العربي الحديث، ١٩٩٠، ص٥٧-٥٨.

(٢) د.توفيق علوان، معجزة الصلاة في الوقاية من مرض دوالي الساقين، ط١، المنصورة، دار الوفاء، ١٩٨٨، ص١٤٥.

(٣) د.فارس علوان، وفي الصلاة صحة ووقاية، ص٥٧-٥٨.

(٤) صحيح البخاري، (الفتح)، كتاب الصوم، باب السواك، ج٤، ص١٥٨.

لتخلص ما يعلق عليه من تراب وأوساخ وعرق وغير ذلك، فيضمن للمسلم سلامة العينين، وعدم تعرضها للإصابة بالجرايم والأوساخ التي تعلق على الوجه.

وغسل الوجه بالماء البارد، ثلاث مرات يومياً، يؤدي إلى تنشيط خلايا بشرة الوجه، حيث تجعل أنسجتها قوية مرنة غير مترهلة، وهذا يساعد على زيادة حيوية الوجه ونضارته، ومكافحة التجاعيد لتأخير ظهورها، ويكسبه نقاء، فيظهر المسلم بشكل وضاء وجميل، وصفاء ونقاء[١].

وأما فائدة غسل اليدين إلى المرفقين، فإن اليدين والساعدين حتى المرفقين هي أكثر أجزاء الجسم تعرضاً للتلوث بالجرائيم والميكروبات، لكثرة استعمالها في إدارة الأعمال.

وأكدت الدراسات والمشاهدات الطبية، أن أكثر الميكروبات والفطريات الضارة تدخل الجسم البشري عن طريق اختراقها للجلد، وخاصة طفيليات الديدان، والبعض عن طريق الفم، عند تناول الطعام باليدين دون غسلهما، وكثرة الأمراض تنتقل عن طريق الملامسة، ومن هنا تبدو عملية غسل اليدين مهمة للوقاية من الأمراض، وحرصاً على المسلمين وسلامتهم ووقايتهم من كل هذا شرع الله الوضوء، وغسل اليدين إلى المرفقين[٢].

وكذلك مسح الرأس، الذي لا يقل عن الربع حتى يجزي، مع ضرورة مسح الجزء الأمامي من الرأس، كما ورد ذلك في السنة، وذلك لما فيه إزالة لما يتراكم من أتربة تكون في مقدمة الرأس، وما يتبع ذلك من عرق وإفرازات.

وكذلك مسح الأذنين ومسحهما من الداخل والخارج، يزيد ما علق بهما من إفرازات تتراكم على الأذن، والغبار والأتربة التي تمتزج وتختلط بهذه المادة، مما قد يسبب متاعب كثيرة للأذن، وبالوضوء يزال كل هذا[٣].

وكان رسول الله ﷺ يستعمل ماء جديداً لغسل الأذنين، وهذا ما يجعلهما نظيفتين باستمرار[٤].

---

(١) مختار سالم، الصلاة رياضة النفس والجسد، ص٦١.
(٢) المرجع السابق، ص٦٣-٦٤.
(٣) عفيف عبد الفتاح طبارة، روح الصلاة في الإسلام، ط٩، بيروت، دار العلم للملايين، ١٩٧٩، ص٨١.
(٤) عفيف عبد الفتاح طبارة، روح الصلاة في الإسلام، ص٨١.

وأما غسل القدمين، فإن غسلهما استعداداً للصلاة، في اليوم والليلة خمس مرات، يخلصهما مما قد يتراكم عليهما من أوساخ وإفرازات عرقية، مما يجعلهما بينية ملائمة لتكاثر الجراثيم والفطريات، وذلك نتيجة لتقلبات الجو، وبخاصة في جو الطقس الحار، مما قد يؤدي إلى خروج رائحة كريهة من القدمين، ويجعلهما عرضة لكثير من الأمراض الجلدية نتيجة للإفرازات، ولكن بغسلهما يمنع ذلك[١].

ومهما يكن من أمر فإن في الوضوء الذي يراق فيه الماء على الوجه واليدين وبقية أعضاء الجسد، يؤدي إلى انقباض العروق الشعرية السطحية، الجلدية ثم تعود منبسطة إلى حالاتها الأولى، وبهذا تزداد حركة القلب وتنشط في الجسم، ويصل على تهدئة الأعصاب مما يشعره بالطمأنينة والسكينة، لهذا كان الوضوء مخففاً لحدة الغضب، وتوتر الأعصاب[٢].

والركوع والسجود في الصلاة له فوائد جمة، وبقي جسم الإنسان من كثير من الأمراض التي تصيبه، يقول د. مصطفى: «إن الركوع يفيد في تقوية عضلات جدار البطن، ثم أنه يساعد المعدة على تقلصها، ومن ثم على قيامها بوظيفتها الهضمية»[٣].

وأما السجود فيدفع بالهواء من جوف المعدة إلى الفم فيريحها من وطأة التمدد وما ينتج عنه من مضاعفات هضمية وانعكاسات قلبية، وينصح به الأطباء لمعاجة التحقن في أسفل البطن عند المرأة الناجم عن إلتواء خلقي في بيت الرحم[٤].

ويقول د. فارس عازوري: «إن الصلاة عند المسلمين وما تحتويه من الركوع والسجود تقوي عضلات الظهر، وتلين حركات فقرات السلسلة الظهرية، وخصوصاً إذا قام الإنسان بالصلاة في سن مبكرة، ويترتب على ذلك مناعة ضد الأمراض التي ينتج عن ضعف العضلات التي تجاور العمود الفقري، والتي ينشأ من ضغطها أنواع من أمراض العصبي، تسبب الآلام الشديدة والتشنج في العضلات»[٥].

---

(١) عفيف طبارة، روح الصلاة في الإسلام، ص٨٢.

(٢) عفيف طبارة، روح الصلاة، ص١٣٧.

(٣) عفيف طبارة، روح الصلاة، ص١٣٧.

(٤) عفيف طبارة، روح الصلاة، ص١٣٧.

(٥) عفيف طبارة، روح الصلاة، ص١٣٧.

وبالنسبة للرأس حيث يوجد مركز الجهاد العصبي والعقلي، يحتاج لزيادة الدورة الدموية المارة به، وهذا ما يحقق السجود حيث يوضع به الرأس في وضع منخفض ويتحقق المطلوب، فتمر كميات أكبر من الدم النقي وتغسل خلايا المخ من السموم التي ترسبت فيها، فتحافظ عليها دائماً في حالة نقية، فيجعل الجهاز العصبي يعمل دون انقطاع ليحافظ على نظام الحياة[1].

ويقول علماء الطب بأن من يستفيق في الليل بعد النوم ويصلي، يكون قد تخلص دمه من حامض اللبن (اللكتيك) وهذا ينتج من استمرار مدة النوم، وهو مع الزمن يؤثر على صحة الإنسان[2].

وللصلاة فائدة عظيمة على القلب، حيث إن أداء الصلاة في أوقاتها يتيح للمسلم القيام بمجهود منتظم تنشط فيه الدورة الدموية من طلوع الشمس إلى صلاة العشاء، مما يعطيه وقاية من حدوث الذبحة الصدرية، لأن التراخي والكسل، وقلة الحركة تتلف عضلة القلب، لأنها ترفع نسبة حدوث جلطة بالشريان التاجي مما يؤدي إلى الذبحة الصدرية[3].

والصلاة وقاية من المعاصي والآثام، قال ﷺ: «أرأيتم لو أن نهراً بباب أحدكم يغتسل فيه كل يوم خمسا، ما يقول ذلك من يبقى درنه شيء، قالوا: لا يبقى من درنه شيء، قال: فذلك مثل الصلوات الخمس يمحو الله بها الخطايا»[4]. كررها الله عز وجل خمس مرات في اليوم والليلة لتكون بمثابة الحمام الروحي للإنسان يتطهر به مما علق به من الآثام والمعاصي، وكذلك الأوساخ الحسية.

ثانياً: الصيام:

ركن من أركان الإسلام، وفيه الوقاية للمسلم لكثير من الأمراض والعلل والآثام.

قال تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُتِبَ عَلَيۡكُمُ ٱلصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِكُمۡ

---

(١) لؤلؤة صالح العلي، الوقاية الصحية على ضوء الكتاب والسنة، ص٢٩١، نقلاً عن (فعال: أثر العبادات الإسلامية على الصحة النفسية، المجلة الطبية السعودية، العدد (٣١) السنة السادسة.

(٢) لؤلؤة العلي، الوقاية الصحية على ضوء الكتاب والسنة، ص٢٩٢.

(٣) لؤلؤة العلي، المرجع السابق، ص٢٩٣.

(٤) صحيح مسلم، النووي، كتاب المساجد، باب المشي إلى الصلاة، ج١، ص٤٦٢.

﴿لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾ [البقرة: ١٨٣].

يقول ابن القيم: «الصوم جنة من أدواء الروح والقلب والبدن، ومنافعه تفوت الإحصار، وله تأثير عجيب في حفظ الصحة وإذابة الفضلات، وحب النفس عن تناول ما يؤذيها، لا سيما إذا كان باعتدال وقصد في أفضل أوقاته شرعاً، وحاجة البدن إليه طبعاً، ثم إن فيه من إراحة القوى والأعضاء ما يحفظ عليها قواها... ويحفظ الصائم مما ينبغي أن يتحفظ منه ويعينه على قيامه بمقصود الصوم، وسره وعلته الغائبة فإن القصد منه أمراً آخر، وراء ترك الطعام والشراب، وباعتبار ذلك الأمر أختص من بين الأعمال بأنه لله سبحانه وتعالى، فأحد مقصود الصيام الجُنة والوقاية، هي حمية عظيمة النفع والمقصود، والآخر اجتماع القلب والهم على الله تعالى وتوفير قوى النفس على محبته وطاعته»[1].

والصوم من وسائل الإسلام العظيمة، ومن عباداته الهادفة لبلوغ الإنسان وهو على الأرض عالم الروحانيات، لأن الصوم يحد من شُره المادية في الإنسان، ويعيد لنفسه ما فقدته من حيوية ونشاط، ومن جدة وقوة، وليشحنها شحناً روحانياً إيمانياً. تستطيع أن تحفظ اعتدالها وتوازنها في الحياة[2].

ولذلك ختم الله عز وجل الآية بقوله: ﴿لعلكم تتقون﴾ أي أن الصيام وقاية يحول بينكم وبين الميول إلى الشهوات والنزعات والمنكرات، والصوم يقي الفرد من أن يكون فرداً يعمل بمفرده، ويقي المجتمع من أن يتخلى على أفراده.

وتفيد ﴿لعل﴾ الإعداد والتهيئة؛ إعداد الصيام نفوس الصائمين لتقوى الله يظهر من وجوه كثيرة أعظمها: أن أجر الصيام موكول إلى نفس الصائم، لا رقيب عليه إلا الله عز وجل، فإذا ترك الصائم شهواته امتثالاً لأمر الله عز وجل، وتكرر ذلك شهراً كاملاً، يراقب الله عز وجل، ويشعر أنه مطلع على سر نفسه، ولا شك أن ذلك يكوّن عنده ملكة مراقبة الله عز وجل وخشيته والحياء منه، فيؤهل لأعمال الخير، ويبتعد عن الشر فلا يخدع ولا يغش ولا يظلم،

---

(١) شمس الدين محمد بن أبي بكر ابن قيم الجوزية، الطب النبوي، مراجعة، د.عبد الغني عبد الخالق (د.ط)، (د.م)، (د.ن)، (د.ت)، ص٢٥٨-٢٥٩.

(٢) محي الدين مستو، الصوم فقهه وأسراره، ط٥، دمشق، دار القلم، ١٩٨١، ص٣٤.

ولا يهضم حقاً، ولا يسعى في الفساد بين الناس[1].

قال ﷺ: «كل عمل ابن آدم له إلا الصيام، فإنه لي وأنا أجزي به، والصيام جُنة، وإذا كان صوم أحدكم فلا يرفث ولا يصخب، فإن سابه أحد فليقل إني امرؤ صائم»[2].

الصوم يعتبر مدرسة في تربية الضمير، فيجعل من نفس الإنسان مراقباً داخلياً، الذي تحتاج إليه الأمم في كل مناحي الحياة، لا سيما في المعاملات اليومية بين الأفراد والأمم، وإذا تربى الضمير في أحضان الإيمان والصيام والتقوى، بنى أمة الإسلام الحقة.

كان يوسف عليه السلام على خزائن مصر، وكان يصوم يوماً ويفطر يوماً، فقيل له: أيها الصديق، لم تكثر من الصوم، وقد وضع الله خزائن الأرض تحت يديك؟ فأجاب: إني أخشى أن أشبع فأنسى الجائع! وهكذا فهم يوسف عليه السلام الصوم فهم النبوة[3].

والصيام يتوفر فيه رؤى تربوية كثيرة مما لا يتوفر في غيره من المناهج، مهما سمت مكانته، ومهما اتسع مداه. لأن الكثير من الأسس النفسية والروحية والصحية والخلقية موجودة في الصيام.

فمن الناحية الخلقية والسلوكية، فإن الصوم يربي في الفرد الشعور بالمراقبة لله فينعكس ذلك على سلوك الفرد داخل المجتمع وعلاقاته بالآخرين، فتسود روح العدالة في المجتمع، لأن رقابة الضمير أفضل من رقابة القانون، حيث إن القانون قد يكسر في غفلة السلطة، أما الضمير فهو الأفضل والأكثر أثراً، وهو العاصم من الزلل[4].

والصيام جُنة، ووقاية بمثابة الحجاب الواقي، الذي يقي المسلم من المعاصي والآثام، ويدفع عنه الأذى، فيرتفع به ويسمو عن الدنايا والخطايا، بحيث يجد في جميع أطواره البشرية، الأنس والراحة والسعادة والطمأنينة، بعيداً عن الأغلال الحيوانية الدنيا، وبعيداً عن

---

(١) عفيف عبد الفتاح طبارة، روح الدين الإسلامي، ص٢٥٤-٢٥٥.

(٢) صحيح البخاري، فتح الباري، كتاب الصيام، باب هل يقول: إني صائم، ج٤، ص١١٨.

(٣) عبد السميع المصري، لعلكم تتقون، بحث مجلة التضامن، وزارة الحج السعودية، السنة الأربعون، الجزء الثالث، ١٩٨٥، ص٥١.

(٤) محمد محمد عيسوي الفيومي، أثار الصيام في سلوك الفرد والمجتمع، مجلة (هدي الإسلام)، المجلد ٣١، العدد (٦)، وزارة الأوقاف، عمان، ١٩٨٧، ص٥٤.

أغلال اللذات والحاجات، وبعيداً عن الأغلال من المألوفات والعادات وبعيداً عن السلاسل التي تحول بينه وبين العبادة[1].

قال تعالى: ﴿وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾ [الذاريات: ٥٦].

فالصيام حصانة للجسد بالتهذيب والإصلاح والتوبة والتقويم، وحصانة للروح، بإبراز خصائصها وانتصار فضائلها، لأن الحياة تحتاج إلى عزيمة صادقة تصدع غوائل الهوى، وتحفظ النفس من الوقوع في الردى ويجعلها تتغلب على الهوى.

وهذا يعني أن الصيام وقاية للمسلم من كل هذا ويمده بالعزيمة الصادقة والإرادة القوية الحرة، التي تدرب الصائم أن يمتنع باختياره عن شهواته، صابراً على ذلك.

فرض الله عز وجل الصيام شهراً السنة، من أجل تربية إرادة المجتمع، على الحق والخير، وهذا ما يتيحه رمضان، فهو فرصة عملية لكي يسيطر الإنسان على شهوته، ونزعات نفسه، وتكون مذعنة لفكره، منقادة للوازع النفسي فيه، النابع من الحس الديني المسيطر على النفس ومشاعرها.

يقول الرافعي: (أما والله لو عم الصوم الإسلامي أهل الأرض جميعا، لآل معناه أن يكون إجماعاً من الإنسانية كلها على إعلان الثورة شهراً كاملاً في السنة لتطهير العالم من رذائله وفساده، ومحق الإثرة والبخل فيه، وطرح المسألة النفسية ليتدارسها أهل الأرض دراسة عملية واقعية حيّة معاشة، مدة هذا الشهر الكريم)[2].

والصيام أسلوب وطريقة عملية واقعية، في تطبيقه رسوخ فكرة الخير والحق في النفس، وتطهير المجتمع من خسائس العقل المادي ورد هذه الطبيعة الإنسانية المحكومة بالقوانين، والمحررة من القوانين في باطنها إلى قانون من باطنها نفسه، يطهر مشاعرها، ويهذب خواطرها، ويسمو بإحساسها، ويصرفها إلى معاني إنسانيتها، حتى يرجع بها لتصبح صافية نقية طاهرة.

---

(١) د.سعيد المرصفي، نفحات رمضان وأثرها في تكوين الشخصية الإسلامية، ط١، بيروت، مؤسسة الرسالة، ١٩٨٥، ص٢٦.

(٢) مصطفى صادق الرافعي، وحي القلم، (د. ط)، بيروت، دار الكتاب العربي، (د. ت)، جـ٢، ص ٧٥.

١ . الصيام وقاية أخلاقية:

قال ﷺ: «يا معشر الشباب من استطاع منكم الباءة فليتزوج، فإنه أغض للبصر، وأحصن للفرج، ومن لم يستطع فعليه بالصوم فإنه له وجاء»[١].

والصيام كان بمثابة الوجاء، لأنه قاطع وصارف للنفس عن التصورات المثيرة للشهوة، المزحزحة عن طريق الاستقامة وحدود التقوى، فيخفف ويحد من الشهوة التي هي أم المعاصي.

والصيام يقي الإنسان من الغضب ويعلمه الصبر، قال ﷺ: «لكل شيء زكاة، وزكاة الجسد الصوم، والصيام نصف الصبر»[٢].

وإنما جعل الصيام نصف الصبر، لأن الإنسان يتغلب فيه من الناحية الروحية على الناحية الحيوانية، فيتغلب على شهواته من بطن وفرج، ويصبر على الجوع، ولا رقيب عليه إلا الله عز وجل، ويصبر على أذى غيره، ويتصرف في الأمور بعقل واتزان، لا بتسرع وعجلة.

والصوم يعلم الإنسان الصدق، ويقيه من الكذب، لأنه بين العبد وربه عز وجل، لا يطلع عليه أحد، ولا يعلم به أحد من الناس، فيصدق في صيامه، وهو سر بينه وبين الله عز وجل فيدفعه الصيام إلى الصدق في كل أحواله، فينمي خلق الصدق في نفس المسلم حتى يصبح ممزوجاً بأخلاقه وسلوكه فيقوده بالتالي إلى البر، قال تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَكُونُوا۟ مَعَ ٱلصَّٰدِقِينَ ﴾ [التوبة: ١١٩].

والصوم يعلم المسلم الأمانة، لأنه أمانة في عنق المسلم، حيث أمره الله عز وجل بحفظ نفسه وجوارحه من الآثام، وإذا استطاع أن يكون أميناً في وقف نفسه عن شهواتها وغيها، وحفظ حواسه، من الوقوع في الحرام، ومواجهة ذلك، فإنه يصبح أهلا للمسؤولية والأمانة التي كلف بها.

والصوم وقاية للإنسان من البخل، ويعلمها الكرم، لأنه يدفع الإنسان إلى الإحساس

---

(١) صحيح البخاري، (الفتح)، كتاب النكاح، باب قول النبي من استطاع منكم الباءة، جـ ٧، ص ٣.

(٢) أبو عبد الله محمد بن يزيد بن ماجة، السنن، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي، (د. ط)، بيروت، المكتبة العلمية، (د. ت)، جـ ١، ص ٥٥٥.

بالفقراء والمحتاجين الذين لايجدون الطعام، ويبقون طوال ساعات النهار دون طعام، ويحس بألم الجوع الذي يحس به هؤلاء، فتجود نفسه بالصدقة والتصدق عليهم، وتذكرهم باستمرار.

والصوم دافع إلى حفظ اللسان وضبطه، حيث يعلم الإنسان أن يكون صاحب خلق حسن، لا يقول إلا حقا، ولا يقول إلا صدقا، فلا يرفث ولا يصخب.

قال ﷺ: «إذا كان صوم أحدكم فلا يرفث ولا يصخب، فإن سابه أحد أو قاتله فليقل إني أمرؤ صائم»[1].

فالصيام يربي المسلم على استقامة اللسان، ويجعله يحافظ على صيامه، ولا يتكلم في أعراض الناس، لأن ذلك يفسد عليه صومه، إفساداً معنوياً، كالغيبة والنميمة، وشتم الناس والظلم، وغير ذلك فكلها مفطرات تلغي آثار الصوم التربوية والخلقية، وإن صح صيامه.

والصيام يقوي الوازع الديني والرقابة الإلهية عند الإنسان المسلم، ويجعل من نفسه عليه رقيباً وحسيباً، فيبتعد عن المعصية، والذنوب والاثام، فإن اصبح كذلك، فقد أمن المجتمع شره، وبوائقه، واستراح من شروره، وهذا مالم يجده في وازع السلطان والقانون فإن الحارس قد يغفل والقانون قد يتحايل عليه للتخلص منه، لذلك تكثر الجرائم والمفاسد إذا قلت التربية الدينية. ولكن الرقابة الإلهية، حارس قوي يمنع الإنسان من التفكير في الجرائم والشرور، وهذا يقود إلى استقرار المجتمع وأمنه[2].

والصيام يضبط النفس الإنسانية، الضبط الذي لا غنى للبشرية عنه، فما من إنسان فيه عقل إلا ويدرك أنه لو أطلق كل إنسان لأهوائه العنان في كل مجال واستطاع أن يحققها فإن البشرية تنتهي في لحظات أو أيام، وأن الحياة تصبح لا تطاق، والواقع يرينا كم يعاني البشر من الفساد والشر نتيجة لعدم تقيدهم بالحدود، التي ينبغي أن يتقيدوا بها، والأمر العملي لضبط النفس هو الصوم المفروض، ولذلك كان طريقاً من طرق الوصول إلى حقيقة التقوى التي هي التعبير العملي عن أخذ المسلم نفسه بالإسلام[3].

---

(١) صحيح البخاري، (فتح الباري)، كتاب الصيام، باب هل يقول إني صائم، جـ ٥، ص ١١٨.

(٢) محمود شلتوت، من توجيهات الإسلام، ص ٣٧٧- ٣٨٠. د. مصطفى إبراهيم الزلمي، فلسفة الشريعة، ط١، بغداد، دار الرسالة، ١٩٧٨، ص ٢٣.

(٣) سعيد حوى، الإسلام، ط٣، بيروت، دار الكتب العلمية، ١٩٨١، جـ ١، ص ١٦٥.

٢ . الصيام والوقاية الصحية:

يعتبر الصيام فرصة للعبد لتقوية روحه، وفيه فرصة لتقوية بدنه ووقايته من كثير من الأمراض التي تصيبه، ومعظمها ينتج من كثرة الطعام والشراب، وهذا ما أكده الرسول ﷺ بقوله: «ما ملأ ابن آدم وعاء شراً من بطنه، حسب ابن آدم أكلات يقمن صلبه فإن كان لا محالة فثلث طعام وثلث شراب، وثلث لنفسه»[(١)].

وهذا يعطينا دلالة على أن كثرة الأكل تسبب الأمراض الكثيرة للإنسان، وتقليل الطعام والحمية رأس الدواء، حتى تستريح المعدة، ويتخلص الجسم من فضلات الطعام الزائدة والكثيرة الضارة.

والصوم له فوائد اقتصادية جمة، لأن الصوم يخفف من أمراض كثيرة مثل السكري، وضغط الدم، والاضطرابات الهضمية، فالأموال التي تنفق على هذه الأمراض وعلاجها، تقل وبشكل تدريجي في رمضان، وتوفر وتنفق في مشاريع أخرى.

يقول د. نجيب الكيلاني: (ومن ثم تمتلئ نفسه بالسكينة والرضى وتدريجياً تذهب عن نفسه الوساس، وتزايله الأوهام، وتنمحي المخاوف والهواجس، ويجد الله بجواره، فيركن إليه، ويزداد تشبثاً به، وعندما يستطيع الصائم أن يصل إلى هذه الدرجة بعبادته وصلاته، يكون قد وصل إلى بر الأمان، وسرعان ما تقل الشكوى، وتختفي كثير من الأعراض والأمراض المقلقة)[(٢)].

ومن فوائده الصحية، ما يذكره د. مصطفى الحفّار عن تأثير الصوم على الصحة يقول: (إن البحث العلمي الحديث أكد على منافع الصوم، حتى أن أطباء وعلماء ينصحون به، منهم د. دولور، فقد نصح بالصوم وقاية من أمراض تأتي مع كبر السن، ومن أمراض تصيب المرء في شبابه، فالصوم له علاقة بحفظ الجسد، وإراحة الأعضاء من وظائفها، كذلك يعدل الصوم العمل الوظائفي لبعضها، ويعيده إلى الحالة الطبيعية، ومن المعروف علمياً أن الحياة الاجتماعية وشاغلها لها أثر على الشهية وعلى نسبة تناول الطعام، وعلى إفراز الأعضاء

(١) أحمد بن حنبل، المسند، جـ ٤، ص ١٣٢.

(٢) د. نجيب الكيلاني، الصوم والصحة، ص ٥٢ - ٥٣.

الهضمية، مما يدخل الجسم في دوام يجعل فيها الأعضاء بحالة عمل متزايد... إلى أن يقول: الصوم يخلص الإنسان من أمراض الروماتيزم الناجمة عن ترسب الأملاح البولية في الأنسجة والمفاصل، وحصي الكلى، ويعدل ضغطه، ويفيد الكبد والمجاري الصفراوية، ويزيل المواد الدهنية والشحوم، ويدفع بالغدد الهضمية للمعدة أن تقلل من إفرازاتها، وهذا يحمي المعدة وأغشيتها من إصابات مرضية في المستقبل)[١].

ويقي الصوم النساء من كثير من الأمراض مثل اضطرابات اليأس والتهاب الرحم المزمن، والطمث والقيء في أثناء الحمل، ويساعد الحامل في شهرها الثالث والرابع، لأن الصوم يساعد على انبساط عضلة الرحم وعدم انقباضها بشدة، ولا يؤثر على صحة الجنين إذا كانت الأم بصحة جيدة[٢].

يقول ابن القيم: (وفي الصوم الشرعي من أسباب حفظ الصحة، ورياضة البدن والنفس، ما لا يدفعه صحيح الفطرة[٣].

ثالثاً: - الزكاة:

يعتبر المال مهما غاية الأهمية للأفراد والجماعات، وأنه قوام الحياة وأساسها، وعليه تقوم النهضات، وتتقدم الحضارات، به تصان الحرية وقوة الشوكة والعزة والمنعة، وقد وصفه القرآن بأنه قوام الحياة، وينصح بالتوسط إن ملكه المرء، فلا يسرف حتى يقف عاجزاً عن التصرف، ولا يقتر حتى يتعرض للسخط والملامة.

قال تعالى: ﴿وَلَا تُؤْتُوا۟ ٱلسُّفَهَآءَ أَمْوَٰلَكُمُ ٱلَّتِى جَعَلَ ٱللَّهُ لَكُمْ قِيَـٰمًا﴾ [النساء: ٥].

ولما كان المال ذا أهمية كبيرة في حياة الناس، من نفقة وإعداد القوة ودفع الحاجات، وتفريج الكربات، بإطعام الجائع، وكسوة العاري، وفك ضائقة المحتاج، فإن الله عز وجل أوصى بالبذل في هذه الوجوه، وفرض نصيباً مفروضاً ومقدراً في أموال الأغنياء، يرد على الفقراء، سماه الزكاة، قال تعالى: ﴿خُذْ مِنْ أَمْوَٰلِهِمْ صَدَقَةً تُطَهِّرُهُمْ وَتُزَكِّيهِم بِهَا وَصَلِّ عَلَيْهِمْ ۖ إِنَّ صَلَوٰتَكَ سَكَنٌ لَّهُمْ ۗ وَٱللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾ [التوبة: ١٠٣].

---

(١) عفيف عبد الفتاح طبارة، الخطايا في نظر الإسلام، ص ٢٣٥- ٢٣٦.

(٢) لؤلؤة العلي، الوقاية في ضوء الكتاب والسنة، ص ٣٣٧، نقلا عن: التداوي بلا دواء: د. أمين رويحة.

(٣) ابن قيم الجوزية، الطب النبوي، ص ١٩٣.

والصدقات في الإسلام تقوم بوظائف كثيرة في حياة الناس ومتنوعة، ولهذا حدد الله عز وجل مصارفها من باب الحرص والتأكيد على أهميتها خوفاً من التلاعب بها.

قال تعالى: ﴿ إِنَّمَا ٱلصَّدَقَٰتُ لِلْفُقَرَآءِ وَٱلْمَسَٰكِينِ وَٱلْعَٰمِلِينَ عَلَيْهَا وَٱلْمُؤَلَّفَةِ قُلُوبُهُمْ وَفِى ٱلرِّقَابِ وَٱلْغَٰرِمِينَ وَفِى سَبِيلِ ٱللَّهِ وَٱبْنِ ٱلسَّبِيلِ فَرِيضَةً مِّنَ ٱللَّهِ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴾ [التوبة: ٦٠].

والمتأمل في هذا النص القرآني يرى ما ينطوي عليه نظام الصدقة من تكافل اجتماعي بين أبناء المجتمع، بمواساة الغني للفقير والمسكين، ومراعاة المجتمع للذين يتفرغون لشؤون المجتمع، وإعانتهم على القيام بما ندبوا إليه خير قيام، ثم إعطاء المؤلفة قلوبهم الذين دخلوا في الدين، ثم إعطاء المكاتب لشراء أنفسهم وإعتاقها، وهذا يعطينا دلالة على أن الإسلام تواق للحرية معين عليها، ثم من أحاطت به الديون والمكاره، جعل الله له نصيباً من هذه الصدقات ليسد بها دينه، ويستأنف حياته، حتى يكون فرداً نافعاً في هذا المجتمع ليس مما له على غيره.

إذن فالزكاة وقاية للمجتمع من الأمراض الاجتماعية والنفسية نتيجة للفقر، فالزكاة تمنع مثل هذه الأمراض، لأنها تؤخذ من الأغنياء وترد على الفقراء، حيث يقوم الغني بإعطاء الفقير هذا الحق لسد حاجته، وصوناً لكرامته، وتطهيراً لقلبه من الحسد والحقد[١].

ومن خلال الزكاة عالج الإسلام الفقر، حيث ربط الفقراء بالإغنياء برباط وثيق قائم على المحبة والتعاون والعطف والرحمة رغم أن الإنسان يحب المال حباً جماً وشديداً.

إلا أن الإسلام عالج ذلك بطرق شتى: منها القسمة الجبرية والزم بها أصحاب الأموال الأغنياء، إلزاماً سمّاه الزكاة[٢].

والزكاة وقاية للمجتمع من الآثام والمعاصي، وطهرة لهم من كل ذلك، قال تعالى: ﴿خُذْ مِنْ أَمْوَٰلِهِمْ صَدَقَةً تُطَهِّرُهُمْ وَتُزَكِّيهِم بِهَا﴾ [التوبة: ١٠٣].

وهذه الآية كانت صريحة في إعلام الناس، أن صلة الفقراء بالصدقة، وربطهم بالزكاة

---

(١) محمود شلتوت، من هدي القرآن، ط٢، القاهرة، دار الكاتب العربي، (د. ت)، ص ٢٣٦- ٢٣٨.

(٢) محمد نمر الخطيب، من نور الإسلام، (د. ط)، بيروت، دار مكتبة الحياة، (د. ت)، ص ١٨١.

سبب لطهارة النفوس من أدران الحقد والحسد والغل والشقاق والفساد، وهي كذلك تطهير للمجتمع من شروره، فهي الوقاية الصحيحة من السرقة والقتل والنهب، والحماية من انتهاك الحرمات، أو الخروج عن القانون والنظام، والزكاة هي السبيل الصحيح لحماية الأفكار أن تكبح والنفوس أن تخرج وتتجبر، وهي السد الحقيقي الذي يمنع الناس من اعتناق هذه المبادى الهدامة من استعمارية وفوضوية، وهذا ما يعاني منه العالم اليوم[١].

والزكاة وقاية للمال من أن يتكدس في أيدي فئة من الناس، والآخرون يحرمون من ذلك، وبذلك ينتج ما يسمى بالتفاوت الطبقي، وتؤدي أخيراً إلى أن يكره الفقير الغني، ويبقى يتألم ويتحسر ولا يستطيع أن يحصل على لقمة العيش، بينما الآخرون بأيديهم كل شيء، والزكاة ما هي إلا مظهراً من المظاهر التي تعكس إحساساً في قلب المسلم، وهو إحساس بالمسؤولية الاجتماعية، وشعور قوي بالتعاون والارتباط[٢].

إذن الزكاة تربي في المسلم خلق التعاون والتكافل والمحبة، حتى يكون له وقاية من الجشع والطمع والأنانية والنظرة الدونية لأفراد المجتمع الإسلامي.

والزكاة وقاية وحماية للإنسان من الطمع المادي، حتى لا يكون الإنسان عبداً للمال، وتطهره من الشحّ، لأن المسلم يؤديها طاعة لله عز وجل. وهي وقاية له من الذنوب والمعاصي، بسبب عبوديته للمال، وتحرر النفس من كل ذلك تعلق بالمال أو الخضوع له[٣].

والزكاة وقاية للمال من التلف والنقص، وتطهر المال من كل هذه الآفات، لأن المال مهدد بالنقص وعرضة للآفات السماوية التي تصيب الإنسان في العام، وتهبط بالدخل القومي، وهذا ما هو إلا أثر من سُخط الله عز وجل، ونقمته على قوم لم يتكافلوا ولم يتعاونوا، ولم يحمل قويهم ضعيفهم، وتطهير ذلك لا يكون إلا بأداء حق الله عز وجل، وحق الفقير بالزكاة[٤].

---

(١) محمد نمر الخطيب، من نور الإسلام، ص ١٨٣.

(٢) د. مصطفى عبد الواحد، شخصية المسلم كما يصورها القرآن، ط٤، قطر: إدارة الشؤون الدينية، ١٩٨١، ص ١٦٧.

(٣) د. يوسف القرضاوي، فقد الزكاة، ط٦، بيروت، مؤسسة الرسالة، ١٩٨١، جـ ٢، ص ٨٥٧- ٨٥٨.

(٤) د. يوسف القرضاوي، فقه الزكاة، جـ ٢، ص ٨٦٨.

والزكاة مرتكز نظام المال في الإسلام، وهي بمثابة العمود الفقري فيه، وتجميد المال ليس محببا، وقد نهى عنه الإسلام، قال تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ يَكْنِزُونَ ٱلذَّهَبَ وَٱلْفِضَّةَ وَلَا يُنفِقُونَهَا فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ فَبَشِّرْهُم بِعَذَابٍ أَلِيمٍ﴾ [التوبة: ٣٤].

وحفاظاً على العلم وأهميته، ووقاية له من التقصير، فقد قرر العلماء إعطاء طالب العلم من أموال الزكاة وإذا تفرغ لطلب علم نافع وتعذر النفقة، فإنه يعفي من الزكاة، بقدر ما يعينه على أداء مهمته وما يشبع حاجته. واشترط بعضهم نفع المسلمين به، لأن العلم يحتاج إلى التفرغ[1].

لأنه يفيد الأمة كاملة، ووقاية لهذا العلم من أن يقصر به الناس، نتيجة لعدم قدرتهم على التفقه، ومصروفاته فقد منح الإسلام طالب العلم جزءاً من أموال الزكاة، لكي يقوم بالدور المنوط به تجاه أمته[2].

ووقاية للمجتمع من الحقد والحسد، والسرقة، وإثارة الخلافات بين أفراده فقد كان الخلفاء، إذا أعطوا من أموال الزكاة أغنوا، لرد السؤال والحاجة، وهذا ما سار عليه الخليفة عمر بن الخطاب رضي الله عنه، في سياسته المالية.

وقد أعلن ذلك، وقال: (إذا أعطيتم فاغنوا) وكان يعمل على سد حاجته لا مجرد سد جوعه)[3].

وقال العلماء: (إن من غاية الكفاية ما يأخذه الفقير ليتزوج به، إذا لم تكن له زوجة، واحتاج النكاح). وهذا من قبيل الوقاية له من الزنا والوقوع في الفاحشة، ومن باب التكافل والتضامن في المجتمع الإسلامي.

والزكاة تحل مشاكل البطالة والحاجة والضعف، والتخلف في مواصلة الحياة، إنها مورد متجدد، يشمل كل مصادر العمل والكسب، يتجه إلى مصب واحد، هو الفقر والعوز

(١) منصور يونس البهوتي، الروض المربع بشرح زاد المستقنع، (د. ط)، بيروت، عالم الكتب، ١٩٨٥.

(٢) أبو الطيب صديق بن حسن، الروضة الندية شرح الدرر البهية، تحقيق: عبد الله الأنصاري، (د. ط)، قطر، الشؤون الدينية، (د. ت)، جـ ١، ص ٣٠٧.

(٣) أبو عبيد القاسم بن سلاّم، الأموال، تحقيق: محمد خليل هراس، ط٢، بيروت، دار الفكر، ١٩٧٥، ص٦٧٦.

والحاجة، وتقرب بين الطبقات، وكفاية المحتاجين، وتحقق التآزر والتآخي والمودة بين أفراد المجتمع المسلم، وعن طريقها ينجح المجتمع الإسلامي في تحقيق السلام بين الطبقات، وربطها برباط التكامل، بما يحقق التوازن، ويشبع التكافل، ويعالج كثيراً من المشاكل التي تهدد المجتمع بالاضطراب والانحلال.

ونستطيع أن نبين الأثر الاجتماعي للزكاة، حين نطرح السؤال الآتي: كيف يكون الحال لو بخل الأغنياء بأموالهم على الفقراء والمحتاجين وعلى البذل في وجود البذل الأخرى؟؟.

ويأتي الجواب: إن صورة المجتمع المسلم تصبح صورة مخيفة مفزعة، فالفقراء والمحتاجون تمتلئ صدورهم بالأحقاد والضغائن. وتمتد أيديهم إلى هذه الأموال التي لم يحصلوا عليها طواعية ليستولوا عليها بوسائل أخرى، يُفسد بها نظام الحياة، ويصبح المجتمع طوائف متناحرة تتربص كل منها بالأخرى، وتغدو الحياة جحيماً لا تطاق[1].

رابعاً: الحــج:

هو الركن الخامس للإسلام، وهو الفريضة التي تستوجب مفارقة المألوفات والعادات استجابة لرب العالمين.

والحج عبادة روحية فريدة، تترك آثاراً طيبة في نفس المسلم، وتطبعه بطابع التجرد لله عز وجل، والتزام حكمه، والخضوع لشرعه.

والحج يعتبر وقاية للإنسان من الذنوب وتكفير الخطايا، قال ﷺ: «من حج هذا البيت فلم يرفث ولم يفسق رجع كيوم ولدته أمه»[2].

والحج معول الهدم الأول، لكل حاجز يوضع بين أبناء هذه الأمة، حاجز القومية والوطنية، المال والجاه والسلطان، كل هذا يزول بضربة واحدة من معول الحج العظيم[3].

والحج طريق من طرق الخلاص، من مكائد وبراثن الشيطان إلى طريق الرحمن وطريق الخير والحب.

---

(١) علي عبد اللطيف منصور، العبادات في الإسلام وأثرها في تضامن المسلمين، مجلة الجامعة الإسلامية، المدينة المنورة، العدد (٦) السنة السادسة عشرة، ١٤٠٤هـ، ص ٢٨.

(٢) صحيح البخاري، (فتح الباري)، كتاب المحصر، باب قوله تعالى: (فلا رفث)، جـ ٤، ص ٢٠.

(٣) سعيد حوى، الإسلام، جـ ١، ص ١٩٥.

والحج يصقل نفس المسلم، ويجعلها نفساً طائعة لله عز وجل ينقيها من الكبرياء والتعالي على الناس، ويجعلها تعلم حقيقة المساواة بين المسلمين، وأنهم جميعاً من خلق الله عز وجل.

قال تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَٰكُم مِّن ذَكَرٍ وَأُنثَىٰ وَجَعَلْنَٰكُمْ شُعُوبًا وَقَبَآئِلَ لِتَعَارَفُوٓا۟ ۚ إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ ٱللَّهِ أَتْقَىٰكُمْ ﴾ [الحجرات: ١٣].

ويعكس الحج في نفس المسلم الرحمة والشفقة على المسلمين، حينما يجتمعون في صعيد واحد بلباس واحد، ومكان واحد، لا فرق بين حاكم ومحكوم، وسيد وعبد، وغني وفقير، فالكل يقول بلسان واحد: لبيك اللهم لبيك، والكل يخضع لرب واحد سبحانه وتعالى.

والحج رمز الوحدة الإسلامية، وهذا يبعدها ويصونها ويحميها من الاختلاف والفرقة.

والحج مظهر يحث على الأخوة الإسلامية، وهذا يقيها من القومية والعنصرية والطائفية.

والحج مظهر للمساواة بين المسلمين، والشعوب الإسلامية كافة من مختلف الأقطار والألوان.

والحج يذكر الإنسان بالآخرة، فيربي به خلق الخوف والخشية من الله عز وجل، وهذا يقوي دافع التقوى والإيمان فيمنع نفسه من المعاصي، وحين يلبس لباس الإحرام الذي يذكره بلباس الإنسان عند موته، فيقوى به هذا الخلق فيذكر ذلك اليوم، وأن الله سوف يحاسبه، فيمتنع عن المعصية ويتقي الله عز وجل في كل عمل يقوم به.

والحج تدريب عملي للمسلم على المبادئ التي جاء بها، فقد أراد الإسلام ألاّ تكون مبادئه وقيمه الاجتماعية مجرد شعارات أو نداءات، بل ربطها بعبادته وشعائره، حتى تخط مجراها في عقل المسلم وقلبه فهماً وشعوراً، ثم تخط مجراها في حياته سلوكاً وتطبيقاً، وهكذا فترى في الحج معنى المساواة في أجلّ صورة وأتمها، فالجميع قد طرحوا الملابس والأزياء المزخرفة، التي تختلف باختلاف الأقطار واختلاف الطبقات، واختلاف القدرات، والأذواق، ولبسوا لباساً واحداً بسيطاً، لا فرق بين أحد منهم[1].

---

(١) د. يوسف القرضاوي، العبادة في الإسلام، ص ٢٧٢- ٢٧٣.

والإحرام في حقيقته ما هو إلا تجرد من شهوات النفس والهوى، وحبسها عن كل سوى الله عز وجل، وحثها على التفكير في جلالة الله عز وجل وما التلبية إلا التزام بهذه الطاعة والامتثال لله عز وجل وما الرمي إلا رمز مقت واحتقار لعوامل الشر، ونزعات النفس، وعزيمة صادقة لطرد الهوى المفسد للأفراد والجماعات[١].

والحج شحنة روحية يتزود بها المسلم، خشية لله عز وجل وعزماً على طاعته، وندماً على معصيته، وتوقظ مشاعر الأخوة لأبناء دينه في أي مكان، وتهز كيانه المعنوي، وتنشئه خلقاً آخر وتعيده كأنه مولود جديد[٢].

والحج توسيع لأفق المسلم الثقافي، ووصله بالعالم الكبير من حوله يلتقي بمختلف الجنسيات والثقافات والفكر من كل أنحاء العالم الإسلامي.

والحج فيه تحمل الصبر والتضحية، بالراحة والدعة ونعومة العيش، وتحمل المشاق والمصاعب.

والحج مؤتمر عالمي كبير له أكثر من معنى، وأكثر من إيحاء، إنه يحيي الأمل، ويطرد عوامل اليأس، ويبعث الهمة، ويشحذ العزم، إن التجمع يوحي دائماً بالقوة، ويوقظ الآمال الغافية، ويذكر المسلم بحق أخيه المسلم، وإن تباعدت الديار، فيذكر برابطة الإيمان التي تجمع المسلمين ويرسي دعائم المحبة والإخاء والمساواة والتواضع، واحترام الضعفاء وكلها تدعو إلى استقرار المجتمع[٣].

وهاهو الحج يَربي المسلم على كل هذه الأخلاق الفاضلة، خلق التقوى، والخشية، خلق المساواة وعدم التكبر، خلق التواضع، حتى يقي المجتمع المسلم من كل أسباب التفرق والتمزق والتشتت والتعالي والفوارق اللونية والطبقية، حتى يظل مجتمعاً متعاوناً متكاملاً، متساويا، لا طبقية فيه ولا عنصرية، بل وحدة متكاملة.

---

(١) محمود شلتوت، الإسلام عقيدة وشريعة، ص ١٢٠.

(٢) د. يوسف القرضاوي، العبادة في الإسلام، ص٢٦٩-٢٧٠.

(٣) المرجع السابق، ص٢٢٧، د. محمد علي المرصفي، في التربية الإسلامية، ط١، القاهرة، مكتبة وهبة، ١٩٨٧، ص١٤٣.

المبحث الثالث

دائرة المعاملات

المعاملات لغةً: جمع معاملة، من العمل بمعنى الحرفة، أو الصنعة. وصيغته مفاعلة تقتضي مشاركة بين طرفين فأكثر في العمل الذي هو موضوع التعامل كالبيع والهبة وغيره[١].

اصطلاحا: هي الأحكام المتعلقة بتصرفات الناس في شؤونهم الدنيوية، وذلك كأحكام البيع والتجارة والمزارعة، وغيرها. .[٢]

وسوف ينطلق الباحث في هذا المبحث، فيما يسمى بالوقاية الاقتصادية.

جاء اهتمام الإسلام بالجانب الاقتصادي، ليلبي حاجات الإنسان المادية، وينظمها ويضبطها، ويوائم بينهما وبين الجانب الروحي، كما قرر ذلك القرآن الكريم.

قال تعالى: ﴿ وَٱبْتَغِ فِيمَآ ءَاتَىٰكَ ٱللَّهُ ٱلدَّارَ ٱلْءَاخِرَةَ ۖ وَلَا تَنسَ نَصِيبَكَ مِنَ ٱلدُّنْيَا ۖ وَأَحْسِن كَمَآ أَحْسَنَ ٱللَّهُ إِلَيْكَ ۖ وَلَا تَبْغِ ٱلْفَسَادَ فِى ٱلْأَرْضِ ۖ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلْمُفْسِدِينَ ﴾ [القصص: ٧٧].

ونظراً لأهميته، -واهتمام الإسلام به-، فقد أراد الله عز وجل من المسلم أن يجعله وسيلة وليس غاية، يخدم أهدافه العليا وليس مهيمناً عليه.

ونظراً لأهمية هذا الجانب في حياة الإنسان، فقد وضع الله عز وجل له خطة كاملة، تقوم على مبادى وأصول هي[٣]:

١- الملك له:

كل شيء في الكون، خلق الله عز وجل، وهو المالك الوحيد له، قال تعالى: ﴿ لِلَّهِ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَمَا فِيهِنَّ ۚ ﴾ [المائدة: ١٢٠].

---

(١) محمد فريد وجدي، دائرة معارف القرن العشرين، (د. ط)، بيروت، دار المعرفة، ١٩٧١، جـ ٦، ص٧٤٨.

(٢) د. عبد الستار فتح الله سعيد، المعاملات في الإسلام، (د. ط)، مكة المكرمة، رابطة العالم الإسلامي، ١٤٠٢هـ، ص ١٢.

(٣) د. عبد الستار فتح الله، المعاملات في الإسلام، ص ١٢٩.

٢- التسخير:

خلق الله عز وجل الإنسان في الأرض، وجعله خليفة له يقيم شرعه ويعمر الأرض، وسخر له كل عناصر الطبيعة، وما فيها:

قال تعالى: ﴿ وَسَخَّرَ لَكُم مَّا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلْأَرْضِ جَمِيعًا مِّنْهُ ﴾ [الجاثية: ١٣].

٣- الاستخلاف:

خلق الله عز وجل الإنسان، وأنزله على الأرض خليفة له، وجعله يقوم بدور الوكيل المستخلف على هذا المال، يديرها على وفق شروط صاحبها وخالقها.

قال تعالى: ﴿ وَأَنفِقُوا۟ مِمَّا جَعَلَكُم مُّسْتَخْلَفِينَ فِيهِ ﴾ [الحديد: ٧].

وقال تعالى: ﴿ وَءَاتُوهُم مِّن مَّالِ ٱللَّهِ ٱلَّذِىٓ ءَاتَىٰكُمْ ﴾ [النور: ٣٣].

٤- احترام الملكية:

ومعنى هذا أنه يجب أن لا يضيع جهد الإنسان سدى، وألاّ يذوب ما يملكه ويصبح مشاعاً بين الناس، وإنما يجب أن يحترم هذا المال، لأنه من تعب الإنسان وكده وكدحه.

وقد أكد الله عز وجل حق الإنسان في هذه الملكية، وأضافها إليه، قال تعالى: ﴿ وَٱلَّذِينَ فِىٓ أَمْوَٰلِهِمْ حَقٌّ مَّعْلُومٌ ﴾ [المعارج: ٢٤].

وسائل الكسب المشروعة:

وقد وضع الإسلام قيوداً على هذه الملكية، من أجل المحافظة عليها وتنميتها بالطرق المشروعة والصحيحة، ومن ذلك:

١. الكسب الحلال، قال تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ كُلُوا۟ مِمَّا فِى ٱلْأَرْضِ حَلَٰلًا طَيِّبًا ﴾ [البقرة: ١٦٨].

٢. ومنها الابتعاد عن الحرام في كسب المال وتنميته:

قال تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ أَنفِقُوا۟ مِن طَيِّبَٰتِ مَا كَسَبْتُمْ وَمِمَّآ أَخْرَجْنَا لَكُم مِّنَ ٱلْأَرْضِ وَلَا تَيَمَّمُوا۟ ٱلْخَبِيثَ مِنْهُ تُنفِقُونَ ﴾ [البقرة: ٢٦٧].

ومنها الإنفاق في الطرق المشروعة، ووجوه الحلال الأخرى ومن أجل ذلك، حرّم

الإسلام الإسراف والتبذير.

قال تعالى: ﴿وَلَا تُبَذِّرْ تَبْذِيرًا * إِنَّ ٱلْمُبَذِّرِينَ كَانُوٓا۟ إِخْوَٰنَ ٱلشَّيَٰطِينِ ۖ وَكَانَ ٱلشَّيْطَٰنُ لِرَبِّهِۦ كَفُورًا﴾ [الإسراء: ٢٦-٢٧].

وقال تعالى: ﴿۞ يَٰبَنِىٓ ءَادَمَ خُذُوا۟ زِينَتَكُمْ عِندَ كُلِّ مَسْجِدٍ وَكُلُوا۟ وَٱشْرَبُوا۟ وَلَا تُسْرِفُوٓا۟ ۚ إِنَّهُۥ لَا يُحِبُّ ٱلْمُسْرِفِينَ﴾ [الأعراف: ٣١].

وسائل المحافظة على المال:

ومن أجل المحافظة على المال، فقد وضع الإسلام تدابير وقائية للمحافظة عليه، ودعا المسلم إلى الالتزام والتمسك بها وحذره من الخروج عليها، وذلك من أجل المحافظة على المال وخوفاً عليه من الضياع والتلف.

ومن هذه التدابير الوقائية، أو الواقية للمحافظة على المال:

١. حرّم الإسلام الإسراف:

قال تعالى: ﴿۞ يَٰبَنِىٓ ءَادَمَ خُذُوا۟ زِينَتَكُمْ عِندَ كُلِّ مَسْجِدٍ وَكُلُوا۟ وَٱشْرَبُوا۟ وَلَا تُسْرِفُوٓا۟ ۚ إِنَّهُۥ لَا يُحِبُّ ٱلْمُسْرِفِينَ﴾ [الأعراف: ٣١].

وقال تعالى مادحاً المؤمنين الذين آمنوا بالله ورسوله، بأنهم إذا أنفقوا وكانوا معتدلين، ولا إسراف ولا تقتير.

قال تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ إِذَآ أَنفَقُوا۟ لَمْ يُسْرِفُوا۟ وَلَمْ يَقْتُرُوا۟ وَكَانَ بَيْنَ ذَٰلِكَ قَوَامًا﴾ [الفرقان: ٦٧].

والنهي هنا من باب الوقاية وحفظ المال، حتى لا ينفقه صاحبه فيما حرّم الله عز وجل، على شرب الخمر أو إتلاف المال بالمقامرة، وغير ذلك من وجوه الإسراف غير المشروعة.

وقد جعل الإسلام الإسراف فيها، وإسرافها في غير الحقوق والواجبات التي يجب أن تسرف فيها، يوقع الحسرة والندامة. قال تعالى: ﴿وَلَا تَجْعَلْ يَدَكَ مَغْلُولَةً إِلَىٰ عُنُقِكَ وَلَا تَبْسُطْهَا كُلَّ ٱلْبَسْطِ فَتَقْعُدَ مَلُومًا مَّحْسُورًا﴾ [الإسراء: ٢٩].

لأن إسراف المال في غير موضعه الصحيح، يؤدي إلى الحسرة والندامة لصاحبه، ويصبح

عالة على غيره في المجتمع الذي يعيش فيه، لأن ذلك مدعاة إلى الانزلاق في طرق الكسب الحرام والإنفاق الخبيث.

٢. تحريم الترف:

والسرف والترف: هما السبب في إهلاك الأمم والشعوب على مدار الأزمنة، وهذا ما أخبر به القرآن الكريم.

قال تعالى: ﴿وَإِذَآ أَرَدۡنَآ أَن نُّهۡلِكَ قَرۡيَةً أَمَرۡنَا مُتۡرَفِيهَا فَفَسَقُواْ فِيهَا فَحَقَّ عَلَيۡهَا ٱلۡقَوۡلُ فَدَمَّرۡنَٰهَا تَدۡمِيرٗا﴾ [الإسراء: ١٦].

وذلك حتى لا يكون المال غاية في حد ذاته، وينفقه الإنسان في الطرق غير المشروعة، فيكون وبالا عليه، نقمة لا نعمة. وهذه دعوة لقناعة النفس، ووقف لشرها وتلهفها، فإذا كان لمال الغير حرمة تمنع من التعدي عليه، فإن لمال الإنسان نفسه حرمة تمنعه من أن يضيعه أو يسرف فيه.

والترف مدعاة إلى الشر، وهو سبب هلاك الأمم، وهو منبع الشر الذي يملأ القلوب حقدا، وضغينة، ويقضي على حياة الأمن والاستقرار ويصل بأصحابه إلى جحود الحق وإنكار الشرائع، ويغرس في نفوسهم الأثرة وفتنة الطبقات، علاوة على أن الله عز وجل جعل لهم سوء العاقبة يوم القيامة.

قال تعالى: ﴿وَأَصۡحَٰبُ ٱلشِّمَالِ مَآ أَصۡحَٰبُ ٱلشِّمَالِ * فِي سَمُومٖ وَحَمِيمٖ * وَظِلّٖ مِّن يَحۡمُومٖ * لَّا بَارِدٖ وَلَا كَرِيمٍ * إِنَّهُمۡ كَانُواْ قَبۡلَ ذَٰلِكَ مُتۡرَفِينَ﴾ [الواقعة: ٤١-٤٥].

وقد جاء نهي الإسلام عن الإسراف والترف في كل شيء لأنه يجعل صاحبه لا يهتم بالآخرين، وهذا لا يظهر في الإنسان إلا إذا أضناه التعب، ولحق به الجوع، والضيق، كما أثر عن يوسف عليه السلام، أنه لما صار على خزائن الأرض ما كان يشبع أبدا، فلما سُئل عن ذلك، قال: (أخاف إن شبعت أن أنسى الجياع، والمسرف مغمور بالنعمة من كل جانب فأنى له أن يفكر أو يهتم بالآخرين[1].

(١) د. السيد محمد نوح، آفات على الطريق، ط١، المنصورة، دار الوفاء، ١٩٩٤، جـ١، ص ٤٦.

٣. النهي عن الشح:

وتحقيقاً لانتفاع الجميع بالمال وتطهيراً للنفوس من بواعث الإثرة فيها، حارب الإسلام في المالكين لها، والقائمين عليها، خلق الشح الذي يمنع من البذل والإنفاق، كما حارب السفه الذي يؤدي بالمال في غير وجوه النفع، وإقامة المصالح[١].

قال تعالى: ﴿ وَمَن يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِۦ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ﴾ [التغابن: ١٦].

وكما حارب الشح والسفه فقد حارب الإسلام البخل، الذي هو وليد الشح.

قال تعالى: ﴿ وَلَا يَحْسَبَنَّ ٱلَّذِينَ يَبْخَلُونَ بِمَآ ءَاتَىٰهُمُ ٱللَّهُ مِن فَضْلِهِۦ هُوَ خَيْرًا لَّهُم ۖ بَلْ هُوَ شَرٌّ لَّهُمْ ۖ سَيُطَوَّقُونَ مَا بَخِلُوا۟ بِهِۦ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ ۗ وَلِلَّهِ مِيرَٰثُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۗ﴾ [آل عمران: ١٨٠].

وقال ﷺ محذراً من الشح نظراً لما يترتب عليه من مخاطر اجتماعية، نتيجة لطمع الذي لا يفارق البخيل والشحيح صاحب المال.

قال ﷺ: «إياكم والشح، فإنما هلك من كان قبلكم بالشح، أمرهم بالبخل فبخلوا، وأمرهم لا لقطيعة فقطعوا وأمرهم لا الفجور ففجروا»[٢].

ولا يوجد أقوى من هذا التعبير في تصوير الخطر الاجتماعي الذي ينبعث من الشح، ولا ريب أنه من أكبر الآفات التي تفرق المجتمعات، وتقضي على حياة الأمم وصلاح العمران[٣].

وكما اتجه الإسلام بهذه الإرشادات إلى الأفراد، تحذيراً لهم من آفتي الشح والتبذير، فجعل من حق ولي الأمر القائم على المصالح الجماعية، بالنسبة لمن يقع ويخضع لهذه الإرشادات أن يأخذ منهم بطريق القهر والقوة، ما قرره الله عز وجل في أموالهم من حقوق الأفراد والجماعة.

وقد وصل الأمر في تطبيق هذا الأمر، أن قاتل الخليفة أبو بكر الصديق رضي الله عنه

---

(١) محمود شلتوت، من هدي القرآن، ط٢، القاهرة، دار الكاتب العربي، (د. ت)، ص ٢١٩.

(٢) محمد شمس الدين الحق العظيم، عون المعبود شرح سنن أبي داوود، تحقيق: عبد الرحمن محمد عثمان، كتاب الزكاة، باب الشح، ط٣، بيروت، دار الفكر، ١٩٧٩، جـ ٥، ص ١١٥.

(٣) محمد شلتوت، هدي القرآن، ص ٢٢٠.

الجماعة الذين منعوا الزكاة[1].

ونجد من خلال هذا أن الإسلام حارب في النفوس خلال الشح والبخل والإسراف والترف والتبذير، وعمل على تطهير الجماعة منها، وأعد النفوس للبذل والعطاء، والقيام بحق الله عز وجل، حتى يبقى المجتمع مجتمعاً متكافلاً، متعاوناً تزول منه كل أسباب الحقد والغل والحسد، والبغضاء، وكفل الحياة الطيبة التي تكفل للفرد والجماعة سعادة الدنيا والآخرة.

٤ . تحريم أكل أموال الناس بالباطل:

ومن الوسائل الوقائية التي وضعها الإسلام للمحافظة على المال وربى المسلم عليها، وأمره بالالتزام بها، فقد حرم الإسلام أكل أموال الناس بالباطل.

قال تعالى: ﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تَأْكُلُوٓا۟ أَمْوَٰلَكُم بَيْنَكُم بِٱلْبَـٰطِلِ ﴾ [النساء: ٢٩].

وهذا من الآفات التي يشكو منها المجتمع، وهي أكل أموال الغير بالباطل، لأن هذا يؤدي إلى امتصاص أفراد المجتمع، وأخذ أموالهم بغير الطرق المشروعة، ويؤدي إلى قلب الأحكام التي تصدر عن قاض من القضاة، من حق إلى باطل أو العكس، لأن السبب هو تقديم المال من أحد الأطراف على حساب الطرف الآخر.

ومـن ذلــك:

٥ . حرم الإسلام الرشوة:

وقد ورد النهي عن ذلك، من باب المحافظة على المال أن يتسلط عليه أصحاب المناصب والمراكز لتسهيل أمور الناس الضعفاء أو تغيير الحكم من قبل القاض، مقابل مبلغ من المال يدفعه الشخص منهم.

وقد ورد عن الرسول ﷺ: «لعنة الله على الراشي والمرتشي»[2].

وجاء النهي عن الرشوة، وذلك لخطورتها في المجتمع، وذلك لأن الراشي، يتقدم إلى الأمام، ويتأخر أصحاب الكفاءات في العمل، ولذلك سن الإسلام قانون من أين لك هذا؟ وقد سبق النظم الحديثة في تشريع قانون الكسب المشروع، حتى لا يصبح الأمر في المجتمع

---

(١) محمود شلتوت، من هدي القرآن، ص ٢٢٠.

(٢) محمد ناصر الدين الألباني، صحيح ابن ماجة، بيروت، المكتب الإسلامي، ١٩٨٦، جـ ٢، ص ٣٤.

فوضى وكيلا يأكل الناس أموال بعضهم بعضا[1].

٦. تحريم القمار:

وقد جعله القرآن الكريم من الكبائر، نظراً لخطورته على المجتمع، قال تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِنَّمَا ٱلْخَمْرُ وَٱلْمَيْسِرُ وَٱلْأَنصَابُ وَٱلْأَزْلَٰمُ رِجْسٌ مِّنْ عَمَلِ ٱلشَّيْطَٰنِ فَٱجْتَنِبُوهُ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴾ [المائدة: ٩٠].

والمقامرة يدخل فيها سباق الخيل، إذا كان مشروطاً على أحد من المتسابقين واللعب بأي نوع من أنواع التسلية على الشرط.

ويدخل في هذا أوراق اليانصيب التي تباع في الأسواق، لأن الميسر يعتمد على الحظ والصدفة، والأمل الكذاب، ولعل الحكمة من تحريم هذا الكسب نظراً لما يترتب عليها من أضرار كثيرة.

منها: أن القمار من أسباب العداوة والبغضاء بين المتقامرين وربما يؤدي إلى حد القتل، إذا ما خسر أحد المتقامرين.

ومنها أن الذي خسر أول مرة ربما يعود مرة أخرى، لعله يربح مرة أخرى، وقد يخسر وقد يضطر بعد ذلك لبيع معظم ما يملك لعله يعيد بعض ماله الذي خسره.

ومنها: قد يؤدي إلى تشريد أولاد كثيرين في الشوارع، بسبب والدهم المقامر، لأنها تجعل المقامرين عاطلين عن العمل، يأخذون من الحياة ولا يعطون، ويستهلكون ولا ينتجون.

ومنها: أن المقامر مشغول باللعب بالقمار، وهذا مما يعيقه عن واجبه تجاه ربه عز وجل، وواجبه نحو نفسه وأسرته وأمته، ولا يستبعد أن يبيع من جراء المقامرة دينه وشرفه وعرضه.

من أجل ذلك حرم الله القمار، وقرنه بالخمر لأن أضرارهما وخيمة على الفرد والمجتمع، وقد وصف الله عز وجل النتيجة التي يؤول إليها لاعب القمار ومدمن الخمر.

قال تعالى: ﴿ إِنَّمَا يُرِيدُ ٱلشَّيْطَٰنُ أَن يُوقِعَ بَيْنَكُمُ ٱلْعَدَٰوَةَ وَٱلْبَغْضَآءَ فِى ٱلْخَمْرِ وَٱلْمَيْسِرِ وَيَصُدَّكُمْ عَن ذِكْرِ ٱللَّهِ وَعَنِ ٱلصَّلَوٰةِ فَهَلْ أَنتُم مُّنتَهُونَ ﴾ [المائدة: ٩١].

---

(١) أحمد محمد عساف، الحلال والحرام في الإسلام، ط٥، بيروت، دار إحياء العلوم، ١٩٨٥، ص ٣٥٨.

والميسر يؤدي إلى إفساد التربية بتعويد النفس الكسل وانتظار الرزق في الأسباب الوهمية، وإضعاف القوة العقلية بترك الأعمال المفيدة من طرق الكسب الطبيعية، وإهمال المقامرين للزراعة وغيرها كالتجارة والصناعة التي هي أركان العمران، وفيها تحول البيوت فجأة إلى الفقر في ساعة واحدة، وهذا ينعكس على ضبط الأسرة، فيسودها الخصام والنزاع، وربما يصل إلى الطلاق[١].

٧. تحريم كنز المال:

وحفاظاً على المال من أن ينتهي، ولا ينمو ولا يستثمر في الوجوه المشروعة، التي أمر بها الإسلام، حرم الإسلام كنز المال، وتوعد صاحبه بالعذاب في الآخرة، لأن فعله هذا يجعل في فئة قليلة ومحدودة من الناس، ولا يعود نفعه على صاحب المال، ولا بقية أفراد المجتمع.

وكنز المال هو حبس المال عن الاستثمار والتداول، وحبس المال عن التداول حبس لتقدم النشاط الاقتصادي، ولهذا توعد الله عز وجل الذين يكنزون المال بالعذاب الأليم، وسوى بين الاكتناز وأكل أموال الناس بالباطل، وبين الصد عن سبيل الله عز وجل، وفي هذا أبشع تشنيع لمن يكنزون المال[٢].

قال تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ يَكْنِزُونَ ٱلذَّهَبَ وَٱلْفِضَّةَ وَلَا يُنفِقُونَهَا فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ فَبَشِّرْهُم بِعَذَابٍ أَلِيمٍ﴾ [التوبة: ٣٤].

وكنز المال حرمان الأمة من ثمراته المتمثلة في نشاط المؤسسات والصناعات لنمائه وسد حاجات الآخرين مقابل أعمالهم، أمر مخالف لما كان عليه المسلمون الأوائل.

وحب المال في الوقت الحاضر، أدى إلى تشجيع المؤسسات الربوية، التي فتحت خزائنها لتلك الأموال مقابل فوائد قليلة لصاحب المال الذي أقعده الكسل عن تنمية ماله والإسهام في استيعاب الأيدي العاطلة عن العمل[٣]، وهذا يؤدي إلى إيقاع الضرر في المجتمع الإسلامي.

---

(١) محمد أحمد كنعان، مختصر تفسير المنار، ط١، دمشق، المكتب الإسلامي، ١٩٨٤، جـ١، ص ١٩٥.

(٢) محمود إبراهيم الخطيب، من مبادئ الاقتصاد الإسلامي، ط١، الرياض، (د. ن)، (د. ت)، ص ٧٧. نقلا عن د. عبد الله يونس مختار: الملكية في الشريعة الإسلامية ودورها في الاقتصاد الإسلامي، ١٩٨٧.

(٣) عبد القادر أحمد عطا، هذا حلال وهذا حرام، (د. ط)، بيروت، دار إحياء التراث العربي، ١٩٧٥، ص٨٧.

٨. النهي عن التجارة المحرمة:

وفي مجال التربية الاقتصادية ووقايتها حرم الإسلام التجارة المحرمة، التي تكون عن طريق بيع وشراء الأشياء المحرمة، التي حرمها الله عز وجل وحرمها رسوله ﷺ.

وقد ورد النهي عن ذلك، قال رسول الله ﷺ: «إن الله ورسوله حرّم بيع الخمر والميتة ولحم الخنزير»[١]، ويلحق به مهر البغي وهو ما تأخذ الزانية مقابل الزنا[٢]، وذلك حتى يقطع دابر هذا العمل لأنه مدعاة لفتح أبواب الفساد.

٩. النهي عن شراء المسروق:

ومن الأمور التي حرمها الإسلام، شراء الشيء المسروق، وذلك من أجل محاربة الجريمة، والضرب على أيدي السارقين حتى لا تسول لهم أنفسهم ارتكاب مثل هذا العمل مرة أخرى.

قال ﷺ: «من اشترى سرقة وهو يعلم أنها سرقة، فقد أُشرك في عارها وإثمها»[٣].

وهذا من باب الوقائية الاقتصادية، لأن ذلك يعين على نهب الأموال واختلاسها وسرقتها، وبخاصة إذا وجد من يشتريها منه، ووجد سوقاً لترويجها، فتحريم الإسلام لمثل هذا ومحاربته له، من باب المحافظة على أموال الناس.

١٠. النهي عن بيع النجش:

النجش: بفتح النون وسكون الجيم، الزيادة في ثمن السلعة المعروضة للبيع، وليس له بها حاجة، بل ليغري بذلك غيره، ويغلي من ثمنها[٤].

---

(١) صحيح البخاري، الفتح، كتاب البيوع، باب بيع الميتة، جـ ٤، ص ٤٢٤.

(٢) محمد بن إسماعيل الصنعاني، سبل السلام(شرح بلوغ المرام من دولة الأحكام)، (د. ط)، (د. م)، (د.ن).

(٣) أبو بكر أحمد بن الحسين البيهقي، السنن الكبرى، كتاب البيوع، (د. ط)، بيروت، دار الفكر، (د. ت)، جـ ٥، ص ٣٣٦.

(٤) الصنعاني، سبل السلام، جـ ٣، ص ١١٨، د. وهبة الزحيلي، الفقه الإسلامي وأدلته، ط٣، دمشق، دار الفكر، ١٩٨٩، جـ ٤، ص ٢٣٩.

وقد ورد النهي عن ذلك، عن ابن عمر رضي الله عنهما، قال: (نهى رسول الله عن النجش)[1].

وهذا الحديث يعتبر من التدابير الوقائية الاقتصادية، التي بينها الإسلام من أجل المحافظة على المال ووقايته من الغش والخداع حتى يحفظ على المسلمين أموالهم ويمنعهم من الغش والخداع.

ويعتبر الناجش آكل ربا، ورد عن ابن أبي أوفى قوله: (الناجش آكل ربا خائن)[2].

ومعنى النهي الوارد في حديث الرسول ﷺ، لأن ذلك معناه المكر والمخادعة، وإيصال الأذى إلى المسلم، إما بطريق الاحتيال وإما اجتلاب نفعه لذلك، ويلزم منه وصول الضرر إليه[3].

١١ . النهي عن تلقي الركبان والجلب:

وهو لقاء أهل المدينة للقادم، الذي يريد بيع سلعته في المدينة فيشتري منهم ما معهم، ثم يبيع لأهل البلد، وقد ورد النهي عن ذلك.

عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: (نهي الرسول ﷺ عن التلقي للركبان وأن يبيع حاضر لباد)[4].

وهذا الحديث يعتبر قاعدة في التدابير الاقتصادية، ووقاية من غلاء الأسعار على المسلمين، حيث إن تلقي الركبان بهذه الصورة يجعلهم يبيعون بضاعتهم دون علم بالأسعار، وتكون بأسعار قليلة، ثم يبيعها التجار لأهل المدينة بأسعار مرتفعة ما يلحق الضرر بهم، ويعد هذا من الاستغلال، فحماية للمجتمع من مثل هذا نهى عنه الرسول ﷺ، كإجراء وقائي اقتصادي.

---

(١) صحيح البخاري، (الفتح) كتاب الحيل، باب ما يكره من النجش، جـ ١٢، ص ٣٣٦.

(٢) زين الدين بن شهاب الحنبلي، جامع العلوم والحكم في شرح خمسين حديثا من جوامع الكلم، (د. ط)، عمان: مكتبة الرسالة الحديثة، (د. ت)، ص ٣٠٩.

(٣) المرجع السابق، ص ٣١٠.

(٤) مسلم بن الحجاج، صحيح مسلم، تحقيق محمد فؤاد عبد الباقي، كتاب البيوع، باب تحريم بيع الرجل على بيع أخيه، ط١، القاهرة، دار الحديث، ١٩٩١، جـ ٣، ص ١١٥٥.

١٢- النهي عن بيع الغرر وما فيه جهالة:

الغرر هو الخداع الذي هو مظنة أن لارضاء به عند تحققه، فيكون من أكل المال بالباطل[١].

الغرر فقهاً يتناول الغش والخداع والجهالة بالمعقود عليه وعدم القدرة على التسليم[٢].

وهذا النوع مدعاة للنزاع والشقاق والخصام، لأنه أبعد من ثبات الحقيقة، وفيه جهالة وخداع وغش، ويلحق بالناس الضرر لذلك نهى الرسول ﷺ من باب التدابير الوقائية حفاظاً على الأمة من الخلاف والنزاع والشقاق وحفظاً لأموالها من الضياع.

وهو خطر يلحق الضرر بأحد المتعاقدين، والإسلام نهى عن الضرر.

عن أبي هريرة رضي الله عنه، قال: (نهى رسول الله ﷺ عن بيع الحصاة وبيع الغرر)[٣].

١٣. الاحتكار:

الاحتكار: هو حبس مال أو منفعة أو عمل، والامتناع من بيعه أو بذله حتى يغلو سعره غلاء فاحشاً غير معتاد بسبب قلته أو انعدام وجوده في فطانة، مع شدة حاجة الناس إليه أو الدولة أو الحيوان[٤].

وقد حرم الإسلام الاحتكار، نظراً لما يترتب عليه من أضرار كثيرة تعود على الفرد والمجتمع في آن واحد، وهو أمر يتعلق بالسوق، وفيه استغلال المحتكر للمستهلكين، بمغالاة الثمن، ورفع السلعة أحيانا.

والاحتكار نزعة فردية، يحدوها الجشع والطمع، ضد مجتمع بكامله، والذي يقوم بهذا العمل قد فقد كل حسي إيماني وإنساني، واندفع وراء الوحشية والأنانية وحب النفس، لأنه فقد كل معاني الإنسانية التي تضبط علاقاته مع أفراد مجتمعه.

---

(١) الصنعاني، سبل السلام، جـ٣، ص ٥١٥.

(٢) الزحيلي، الفقه الإسلامي وأدلته، جـ٤، ص ٤٦.

(٣) مسلم بن الحجاج، الصحيح، كتاب البيوع، باب بطلان بيع الحصا، جـ٣، ص ١١٥٣.

(٤) محمد فتحي الدريني، الفقه الإسلامي المقارن مع المذاهب، (د. ط)، دمشق، مطبوعات الجامعة، (د.ت)، ص ٩٠.

لهذا حرم الإسلام الاحتكار، لأن فيه تضييق على الناس في أرزاقهم وأقواتهم وسبل معيشتهم وفيه ظلم لهم بمنعهم من الحصول على ما يحتاجونه دون متاعب ومصاعب وفيه استغلال بشع لظروف الإنسان، وإهدار لحرية التجارة والصناعة، وقتل روح المنافسة المشروعة والمنضبطة التي تؤدي إلى الإتقان والتفوق في جميع المجالات[(١)].

ومعنى هذا إن الاحتكار يؤدي إلى التباغض بين أفراد المجتمع وكذلك الحقد، اللذين يحلان محل التضامن والتكافل الاجتماعي بين أفراد المجتمع، لهذا جاء تحريمه في الشريعة الإسلامية.

قال ﷺ: «من احتكر فهو خاطىء»[(٢)].

وقال ﷺ: «من دخل في شيء من أسعار المسلمين ليغليه عليهم كان حقاً على الله أن يقعده بعظم من النار يوم القيامة»[(٣)].

النهي عن الربا:

الربا: فضل مال مشروط بلا عوض في معاوضة مال بمال[(٤)].

وقيل هو الزيادة على أصل المال من غير تبايع[(٥)].

وقد ورد تحريم الربا في الإسلام، قال تعالى: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تَأْكُلُوا۟ ٱلرِّبَوٰٓا۟ أَضْعَـٰفًا مُّضَـٰعَفَةً﴾ [آل عمران: ١٣٠].

---

(١) ماجد محمد أبو رخية، الاحتكار دراسة فقهية مقارنة، ط١، عمان، مكتبة الأقصى، ١٩٩٠، ٢٤- ٢٥.

(٢) صحيح مسلم (النووي)، كتاب المساقاة، باب تحريم الاحتكار، جـ ١٢، ص ٤٣.

(٣) البيهقي، السنن الكبرى، كتاب البيوع، باب ما جاء في الاحتكار، جـ ٦، ص ٣٠.

(٤) علاء الدين الكاساني، بدائع الصنائع في ترتيب الشرائع، ط٢، بيروت، دار الكتاب العربي، ١٩٨٢، جـ ٥، ص ١٨٣.
انظر: ابن قدامة، المغني، (د. ط)، الرياض، مكتبة الرياض الحديثة، ١٩٨١، جـ ٤، ص ٣.
محمد الخطيب الشربيني، مغني المحتاج، (د. ط)، بيروت، دار الفكر، (د. ت)، جـ ٢، ص ٢١.
شمس الدين محمد بن أبي العباس، نهاية المحتاج إلى شرح المنهاج، (د. ط)، بيروت، دار الفكر، ١٩٨٤، جـ٣، ص ٤٢٤.

(٥) شمس الدين السرخسي، المبسوط، ط٣، بيروت، دار المعرفة، ١٩٧٨، جـ ١٢، ص ١٠٩.

وقال ﷺ: «لعن الله آكل الربا وموكله، وشاهديه، وكاتبه»[1].

الربا في الشرائع السماوية:

والتعامل الربوي أمر قبيح تنكره العقول السليمة، وتحرمه الشرائع السماوية، وكان السابقون يستنكرون هذا العمل الإجرامي فقد ورد في دائرة المعارف الدولية للعلوم الاجتماعية، ومما يلاحظ أن اليونانيين والرومانيين استنكروا كسب المعيشة بوسيلة الربا[2].

وكانت نظرة الناس إلى الربا ليست نظرة صائبة، وإنما كانوا ينظرون إليه نظرة ازدراء، كما لوحظ عند اليونانيين والرومانيين، وقد كان هذا الشعور عند العرب الجاهليين.

وقد ذكر ذلك، في سيرة ابن هشام، عندما أراد العرب بناء الكعبة حيث ذكر عن أبي وهب عمرو بن عائذ المخزومي، عندما تناول حجراً من الكعبة، وثب الحجر من يده حتى رجع إلى موضعه، فقال: (يا معشر قريش لا تدخلوا في بنائها من كسبكم إلا طيباً، لا يدخل فيها من مهر بغي، ولا بيع ربا، ولا مظلمة أحد من الناس)[3].

وقد حرمته الشرائع السماوية قبل الإسلام، فكان محرّماً في اليهودية والنصرانية، حيث يؤكد هذا القرآن الكريم.

قال تعالى: ﴿ فَبِظُلْمٍ مِّنَ ٱلَّذِينَ هَادُوا۟ حَرَّمْنَا عَلَيْهِمْ طَيِّبَٰتٍ أُحِلَّتْ لَهُمْ وَبِصَدِّهِمْ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ كَثِيرًا * وَأَخْذِهِمُ ٱلرِّبَوٰا۟ وَقَدْ نُهُوا۟ عَنْهُ وَأَكْلِهِمْ أَمْوَٰلَ ٱلنَّاسِ بِٱلْبَٰطِلِ ۚ وَأَعْتَدْنَا لِلْكَٰفِرِينَ مِنْهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا ﴾ [النساء: ١٦٠-١٦١].

وفي هذه الآية دلالة على أن الربا كان محرماً عليهم، كما هو محرم علينا وان النهي يدل على حرمة المنهي عنه، وإلا لما توعّد الله سبحانه وتعالى على مخالفته[4].

---

(١) صحيح مسلم (النووي)، كتاب المساقاة والمزارعة، باب الربا، جـ ١١، ص ٢٦.

(٢) فضل الهي، التدابير الوقائية من الربا، ص ١٩.

(٣) ابن هشام، السيرة النبوية، تحقيق: مصطفى السقا، (د. ط)، القاهرة، دار الكنوز الأدبية، (د. ت)، جـ١، ص ٩٤.

(٤) الألوسي، روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني، (د. ط)، بيروت، دار إحياء التراث العربي، (د. ت)، جـ ٦، ص ١٤. ابن العربي، أحكام القرآن، تحقيق: علي محمد البجاوي، (د. ط)، بيروت، دار المعرفة، (د. ت)، جـ ١، ص ٥١٤.

وجاء في العهد القديم: (إن أقرضت فضة لشعبي الفقير الذي عندك فلا تكن له كالمرابي، لا تضعوا عليه ربا)[1].

وقد حرمته النصرانية أيضاً، لأن عيسى عليه السلام بعث مصدقاً لما في التوراة، ولذلك ما حرمته التوراة حرمه الإنجيل.

وقد أكد علماؤهم ذلك، يقول سكوبار: (إن من يقول إن الربا ليس معصية يُعد خارجاً عن الدين)[2].

وقد ورد التحريم الرباني في القرآن والسنة، فأما في القرآن، فقد جاء تحريمه على نسق يماثل تحريم الخمر، وهو ما جاء به الإسلام في معالجة المفاسد التي مر عليها زمن طويل، لكي يهيئ النفوس والعقول لقبول الأحكام الشرعية على مبدأ الإقناع العقلي.

قال تعالى: ﴿ وَمَآ ءَاتَيْتُم مِّن رِّبًا لِّيَرْبُوَاْ فِىٓ أَمْوَٰلِ ٱلنَّاسِ فَلَا يَرْبُواْ عِندَ ٱللَّهِ ﴾ [الروم: ٣٩].

جاءت الإشارة في هذه الآية إلى النفع الذي قد يعود على المرابي، ولكن الله عز وجل أشار إلى أن هذا النفع لا يقبله الله عز وجل، ولا ينفع صاحبه.

وقال تعالى: ﴿ فَبِظُلْمٍ مِّنَ ٱلَّذِينَ هَادُواْ حَرَّمْنَا عَلَيْهِمْ طَيِّبَٰتٍ أُحِلَّتْ لَهُمْ وَبِصَدِّهِمْ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ كَثِيرًا ﴿١٦٠﴾ وَأَخْذِهِمُ ٱلرِّبَوٰاْ وَقَدْ نُهُواْ عَنْهُ ﴾.

وفي هذا النص، حيث يشير إلى تحريم الربا على اليهود، وهو شرع من قبلنا، وهو تشريع لنا مالم ينسخ، وقد جاء القرآن يؤكد حرمة الربا.

وقال تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَأْكُلُواْ ٱلرِّبَوٰٓاْ أَضْعَٰفًا مُّضَٰعَفَةً ﴾ [آل عمران: ١٣٠].

إشارة إلى أن الربا له مضار كثيرة، تعود على المرابي بالضرر الكبير.

وقال تعالى: ﴿ ٱلَّذِينَ يَأْكُلُونَ ٱلرِّبَوٰاْ لَا يَقُومُونَ إِلَّا كَمَا يَقُومُ ٱلَّذِى يَتَخَبَّطُهُ ٱلشَّيْطَٰنُ مِنَ ٱلْمَسِّ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ قَالُوٓاْ إِنَّمَا ٱلْبَيْعُ مِثْلُ ٱلرِّبَوٰاْ وَأَحَلَّ ٱللَّهُ ٱلْبَيْعَ وَحَرَّمَ ٱلرِّبَوٰاْ فَمَن جَآءَهُۥ مَوْعِظَةٌ مِّن رَّبِّهِۦ فَٱنتَهَىٰ فَلَهُۥ مَا سَلَفَ وَأَمْرُهُۥٓ إِلَى ٱللَّهِ وَمَنْ عَادَ فَأُوْلَٰٓئِكَ أَصْحَٰبُ ٱلنَّارِ هُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ ﴿٢٧٥﴾ يَمْحَقُ ٱللَّهُ ٱلرِّبَوٰاْ وَيُرْبِى

---

(١) الكتاب المقدس، سفر الخروج، الإصحاح الثاني والعشرون، فصل ٢٦، (د. ط)، (د. م)، دار الكتاب المقدس، ص١٢٣.

(٢) د. محمد عبد الله دراز، الربا في نظر القانون الإسلامي، (د. ط)، الكويت، المنار، (د. ت)، ص ٧.

﴿ٱلصَّدَقَٰتِۗ وَٱللَّهُ لَا يُحِبُّ كُلَّ كَفَّارٍ أَثِيمٍ﴾ إلى أن قال: ﴿فَإِن لَّمْ تَفْعَلُوا۟ فَأْذَنُوا۟ بِحَرْبٍ مِّنَ ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ﴾ [البقرة: ٢٧٥-٢٧٩].

وجاء هذا التحريم القطعي بعد أن هيأ الله عز وجل النفوس والعقول لقبول تحريمه.

وأما في السنة، فقد وردت أحاديث كثيرة في تحريم الربا، منها:

حديث الرسول ﷺ الذي يقول فيه: (اجتنبوا السبع الموبقات) وذكر منها: الربا[١].

وقد جاء التحريم في القرآن على هذه الصورة، بأسلوبه التعليمي في ممارسة الرذائل التي تأصلت في المجتمع العربي، متخذاً في ذلك سبيل الإصلاح المرحلي.

وتحريم الربا يعتبر لبنة من لبنات النظرية الاقتصادية التي تعتمد على أن الكسب يقوم على أساس العمل المشروع، الذي يستحق صاحبه الأجر عليه، أما الربا فهو رأس المال النقدي الذي يسّلفه الرأسماليون للمشاريع التجارية، وغيرها مقابل أجر سنوي بنسبة مئوية، من المال المقرض، وهي الفائدة التي يحرمها الإسلام[٢].

وقد بلغ الإسلام في تحريم الربا، وأنه عمل فظيع، إلى أن أعلن الرسول ﷺ اللعن على كل من شارك في هذا العمل، عن جابر رضي الله عنه قال: (لعن رسول الله ﷺ أكل الربا، وموكله، وكاتبه، وشاهديه، وقال هم سواء)[٣].

وقد حرّم الله عز وجل الربا، كما حرمه رسوله ﷺ نظراً لما يترتب على المجتمع من أضرار كبيرة، فحرصاً على المجتمع، لكي يبقى مجتمعاً تسوده المودة والرحمة والتعاون، والتكافل بعيداً عن كل ما يعكّر عليه صفوة الحياة من التباغض والتحاسد، وعن كل ما يقضي على آثار المعروف بين الناس، ويزعزع صرح التعاون والتآلف بينهم.

وسبب التحريم، أن الربا هو السبب الأكبر في اختلال التوازن وتفاقم المشكلة التي يعاني منها العالم اليوم، وهو من أخطر العوامل التي أدت إلى استفحالها، وهو سبب الكارثة التي

---

(١) صحيح البخاري، فتح الباري، كتاب الوصايا، باب قوله تعالى: (إن الذين ياكلون أموال اليتامى) []، جـ٥، ص ٣٩٣.

(٢) أحمد محمد العساف، هذا حلال وهذا حرام، ص ٣٨٩.

(٣) صحيح مسلم بشرح النووي، جـ ١١، ص ٢٦، سبق تخريجه.

يعاني منها العالم اليوم، ولا يجد مخرجاً لها)[1].

ومن ذلك أن الإسلام يريد طهارة خلق الفرد، كما يريد المودة بينهم بين الجماعة، فما يأكل الربا فرد له خلق وضمير، ويشيع الربا في الجماعة وتبقى فيها مودة وتعارف، والذي يعطي المسلم مبلغاً من المال لكي يسترده وزيادة، ولا يطيب المسلم له نفسا، ولا يحمل له ودا، ولذلك فالربا يهدم المودة والتعاون، الذي يعتبر أصلا من أصول المجتمع الإسلامي[2].

إذن فالغاية من تحريم الربا، لأنه يؤدي إلى تكدس الأموال بأيدي طبقة من الناس فيتحكمون في رقاب بقية الخلق، وهذا يؤدي بدوره إلى البطالة والكساد في الأمة من قبل أصحاب رؤوس الأموال لأنهم يضعون أموالهم وتأتيهم الأرباح دون عناء، وتعب وعمل. ويؤدي هذا بدوره إلى الخلود والراحة وعدم العمل، وحب الأموال وعدم استثمارها.

يقول سيد قطب: (وثمة حكم أخرى تبدو لنا في هذا العصر لتحريم الربا ربما لم تكن بارزة حينذاك، ذلك أن الربا وسيلة لتضخيم رؤوس الأموال تضخيماً شديداً، لا يقوم على الجهد، ولا ينشأ من العمل، مما يجعل طائفة من القاعدين يعتمدون على هذه الوسيلة وحدها في تنمية أموالهم، فتشيع بينهم البطالة، والترف على حساب الناس الآخرين الذين يحتاجون للمال فيأخذونه بالربا في ساعة العسرة، وينشأ عن ذلك مرضان اجتماعيان خطران، تضخيم الثروات إلى غير حد، وتفريق الطبقات علواً وسفلاً بغير قيد، ثم وجود طبقة متعطلة مترفة، لا تعمل شيئاً وتحصل على كل شيء)[3].

ومعنى هذا أن الربا يعتبر عائقاً من العوائق التي تقف في طريق التقدم الاقتصادي والتنمية الاقتصادية، وهذا ما أثبته علماء الاقتصاد في الغرب حيث إنهم قالوا: إن الربا نوع من أنواع الاغتصاب، والسرق. وعلى رأس هؤلاء كارل ماركس إذ يشير إلى أن الرأسمالي هو أول من يمتلك الثروة الجماعية، برغم أنه ثمة قانون أسبغ عليه حقاً هذه الملكية -ويحدث ذلك عن طريق أخذ الفائدة.

---

(١) سيد سابق، فقه السنة، الطبعة الأخيرة، بيروت، دار الفكر، ١٩٨٧، جـ٣، ص ٢٤٠، د. محمد السيد، التوازن الاجتماعي في ضوء الكتاب والسنة، مجلة كلية الإمام الأعظم أبو حنيفة، بغداد، المكتبة الوطنية، ١٩٧٤، ص ٤٤.

(٢) سيد قطب، العدالة الاجتماعية في الإسلام، (د. ط)، (د. م)، (د. ن)، ١٩٧٨، ص ١٧٠.

(٣) سيد قطب، العدالة الاجتماعية في الإسلام، ص ١٧٠- ١٧١.

يقول د. شاخت الماني، ومدير بنك الرايخ الألماني سابقا، في محاضرة له بدمشق عام ١٩٥٣: (إنه بعملية رياضية غير متناهية، يتضح أن جميع المال في الأرض صائر إلى عدد قليل جداً من المرابين، ذلك أن الدائن المرابي يربح دائماً في كل عملية، بينما المدين معرض للربح والخسارة)(١).

وقد غلّظ الرسول ﷺ القول بشأن الربا، وذلك من أجل التشديد على حرمة الربا، حتى جعل الدرهم الحرام الواحد، أشد من الزنا.

قال ﷺ: «درهم ربا يأكله الرجل وهو يعلم أشد عند الله من ستة وثلاثين زنية»(٢).

وقد أورد الإمام الشوكاني تعليقاً على هذا الحديث، حيث قال: (يدل على أن معصية الربا من أشد المعاصي، لأن المعصية التي تعدل معصية الزنا -التي هي غاية الفظاعة والشناعة- بمقدار العدد المذكور، بل أشد منها لا شك أنها تجاوزت الحد في القبح)(٣).

وهذا يوحي بأن الربا من أكبر الكبائر التي حرمها الله عز وجل، وقد مضى العلماء على ذلك، يقول ابن حزم: (والربا من أكبر الكبائر)(٤).

وعلة التحريم في الربا، لأنه ظلم يقع على الناس، وأي ظلم أكبر من هذا الذي يفعله المرابي، ويتحكم بالمال، ويتحكم بالناس، حتى يكون الناس هم الأحوج إليه باستمرار. قال تعالى: ﴿ وَإِن تُبْتُمْ فَلَكُمْ رُءُوسُ أَمْوَٰلِكُمْ لَا تَظْلِمُونَ وَلَا تُظْلَمُونَ ﴾[البقرة: ٢٧٩]. فبين الله عز وجل بأن أخذ الربا ظلم.

ولو رجعنا إلى آية تحريم السرقة، لوجدناها تربط السرقة بالربا بعلة الظلم.

قال تعالى: ﴿ وَٱلسَّارِقُ وَٱلسَّارِقَةُ فَٱقْطَعُوٓا۟ أَيْدِيَهُمَا جَزَآءًۢ بِمَا كَسَبَا نَكَـٰلًا مِّنَ ٱللَّهِ ۗ وَٱللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ * فَمَن تَابَ مِنۢ بَعْدِ ظُلْمِهِۦ وَأَصْلَحَ فَإِنَّ ٱللَّهَ يَتُوبُ عَلَيْهِ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴾ [المائدة: ٣٨-٣٩].

---

(١) سيد قطب، العدالة الاجتماعية في الإسلام، ص ١٧٣- ١٧٤، محمد فؤاد مغنية، التفسير الكاشف، ط٣، بيروت، دار العلم للملايين، ١٩٨١، ص ٣٤٥.

(٢) أحمد عبد الرحمن، الفتح الرباني لترتيب مسند الإمام أحمد، جـ ١٥، ص ٦٩.

(٣) محمد بن علي الشوكاني، نيل الأوطار من أحاديث سيد الأخبار، شرح منتقى الأخبار، (د. ط)، بيروت، دار الجيل، ١٩٧٣، جـ ٥، ص ٢٩٧.

(٤) علي بن أحمد بن حزم، المُحلى، (د. ط)، بيروت، دار الآفاق الجديدة، (د. ت)، جـ ٩، ص ٥٠٣.

فوصف الله عز وجل أن السرقة ظلم، وأن الربا ظلم، لأن المرابي سارق للمال من أفراد المجتمع الذي يعيش فيه بالباطل، لأن المرابي يأخذ حقه، وما زاد على رأس المال فهو ظلم وسرقة لأموال الناس، وبهذا اجتمعت السرقة والربا بعلة واحدة وهي الظلم[1].

وفي موطن آخر نجد أن الربا والشرك بالله، والقتل تجمعها علة واحدة وهي الظلم.

قال تعالى على لسان لقمان وهو يعظ ابنه: ﴿يَٰبُنَيَّ لَا تُشْرِكْ بِٱللَّهِ إِنَّ ٱلشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ﴾ [لقمان: ١٣].

وقال تعالى: ﴿وَمَن قُتِلَ مَظْلُومًا فَقَدْ جَعَلْنَا لِوَلِيِّهِۦ سُلْطَٰنًا فَلَا يُسْرِف فِّى ٱلْقَتْلِ إِنَّهُۥ كَانَ مَنصُورًا﴾ [الإسراء: ٣٣].

وأكل الربا ظلم، فالظلم وصف مشترك بين الشرك والربا والقتل.

وقد حرّم الإسلام الربا نظراً لما يترتب عليه من أضرار أخلاقية، ومن ناحية روحية.

فمن الناحية الأخلاقية، تتعلق بنفس المرابي التي سولت له ارتكاب الظلم، وهي شح النفس الذي ولّد عنده قسوة القلب، وموت الضمير، وانتزاع الرحمة، ويبلّد الشعور الإنساني، وحب الدنيا رأس كل خطية.

قال تعالى: ﴿وَمَن يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِۦ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ﴾ [الحشر: ٩].

وتعامل الإنسان بالربا، بناء على رغبته في جمع المال، ومنطبعاً بتأثير الإثرة والبخل، وضيق الصدر وتحجر القلب، والعبودية للمال، والتكالب على المادة، ثم تصبح عند الإنسان المرابي صفات تؤصل في الإنسان كل ما تقدم[2].

والعجب أن تأتي أبواب الربا بضعاً وسبعين باباً، في الوقت الذي جاء فيه شعب الإيمان بضعاً وسبعين شعبة.

قال ﷺ: «الإيمان بضع وسبعون أو بضع وستون شعبة، فأفضلها قول لا إله إلا الله وأدناها

---

(١) عطية محمد سالم، الحكمة الإلهية في تحريم المعاملات الربوية، ندوة المحاضرات موسم الحج، ١٩٦٩، رابطة العالم الإسلامي، مكة، ص ١٤٢.

(٢) أبو الأعلى المودودي، الربا، ط٢، جدة، الدار السعودية، ١٩٨٣، ص ٥٠.

إماطة الأذى عن الطريق، والحياء شعبة من الإيمان»[1].

وقال ﷺ: «الربا اثنان وسبعون باباً، أدناها أن يأتي الرجل أمه علانية»[2].

وأول ما يفهم من هذين الحديثين أن من مقتضيات الإيمان ترك الربا، والربا ضد الإيمان.

وذكر القاسمي في التفسير: (قول الحرالي: (فبين أن الربا والإيمان لا يجتمعان)[3].

ويفهم أيضاً أن كل باب من أبواب الربا يقضي على شعبة من شعب الإيمان[4].

ومن حكم تحريم الربا، المحافظة على أموال الناس، وان لا تؤخذ بالباطل، لأن الربا يقتضي أخذ مال بغير عوض، لأنه يبيع الدرهم بدرهمين، فيحصل على زيادة من غير عوض، ومال الإنسان متعلق بحاجته، وله حرمة عظيمة، فوجب أن يكون ماله من غير عوض محرما[5].

ومن حكم تحريم الربا، أن الربا يمنع الناس من الاشتغال بالمكاسب مما يقضي إلى انقطاع مصالح الخلق، بترك التجارات والصناعات، فتحريم الربا يتوجه إلى الأغنياء ليبتعدوا عنه، وينأوا عن الفراغ، وإلى المدخرين كافة، وإن قل ادخارهم، ليقدم كل منهم على تدبير استثمار ماله بغير الربا، لتنطلق تيارات الفكر وحوافز الكسب التي فُطر الناس عليها في جنبات الأمة كلها[6].

أما في الناحية الاجتماعية فتكمن مضار الربا، في أنّ المقرض في الغالب يكون غنيا، والمستقرض يكون فقيرا، فالقول بتجويز عقد الربا تمكين للغني من أن يأخذ من الفقير والضعيف مالاً زائداً وذلك غير جائز.

---

(١) مسلم، صحيح مسلم، كتاب الإيمان، باب عدد شعب الإيمان، جـ ١، ص ٦٣.

(٢) علاء الدين علي بن بلبان الفارسي، الإحسان بترتيب صحيح ابن حيان، ط١، بيروت، دار الكتب العلمية، (د. ت)، جـ ٤، ص ١١٧.

(٣) محمد جمال الدين القاسمي، محاسن التاويل، ط٢، بيروت، دار الفكر، ١٩٧٨، جـ ٣، ص ٣٧٣.

(٤) عطية محمد سالم، الحكمة الإلهية في تحريم المعاملات الربوية، ص ١٤٧.

(٥) فخر الدين محمد الرازي، التفسير الكبير ومفاتيح الغيب، ط١، بيروت، دار الفكر، ١٩٨١، جـ ٧، ص٩٥.

(٦) فتحي محمد السيد لاشين، الربا وفائدة رأس المال بين الشريعة والنظم الوضعية، (د. ط)، القاهرة، دار التوزيع والنشر، ١٩٩٠، ص ٣٢.

ومعنى هذا أن يزداد الغني غنى، والفقير فقرا، يفضي إلى تضخيم طبقة من المجتمع على حساب طبقة أخرى، مما يخلق الأحقاد والضغائن، ويورث العداوة والصراع بين المجتمع بعضه مع بعض، ويؤدي إلى الثورات المتطرفة والمبادى الهدامة، كما أثبت التاريخ القريب، خطر الربا والمرابين على السياسة والحكم والأمن المحلي والدولي جميعا[1].

أما من الناحية الاقتصادية الدولية والعالمية، فإن الربا كما يؤثر على الأفراد ويستغلهم أصحاب الأموال، فإن الدول الفقيرة أيضاً والمحتاجة تتحكم بها الدول الكبرى، حتى تبقى تحت سيطرتها وتحركها وتوجهها كيفما تريد.

ويؤكد هذا ما قاله اللورد كينز الانجليزي حيث قال: (لا أستطيع أن أنسى أبد الدهر ذلك الحزن الشديد والألم المرير، الذي لحق بي من معاملة أميركا إيّانا في هذه الاتفاقية، أخذت بريطانيا بموجبها قرضاً ربوياً، وأبت أمريكيا أن تقرضها شيئاً إلا بالربا).

وقال تشرشل: (إني لأتوجس خلال هذا السلوك العجيب المبني على الإثرة وحب المال الذي عاملتنا به أميركا ضروباً من الأخطار، والحق أن هذه الاتفاقية قد تركت أثراً سيئاً جداً بيننا وبين أمريكيا في العلاقة)[2].

وقال د. دالتن وزير المالية أمام البرلمان في ذلك الزمان: (إن هذا العبء الثقيل جداً، نلناها على ما عانينا في الحرب من الشدائد والمشاق والتضحيات لأجل الغاية المشتركة، وندع للمؤرخين في المستقبل أن يروا رأيهم في هذه الجائزة الفذة في نوعها، التمسنا من أمريكيا أن تقرضنا قرضاً حسناً، ولكنها قالت جواباً على هذا!، ما هذه بسياسة عملية)[3].

الذي قال هذا الكلام من غير المسلمين، قال هذا نظراً لما سوف يلحق بهم من أضرار كثيرة من خلال الفوائد الربوية التي يترتب على هذا القرض. لأن ذلك يلحق أضراراً هائلة تصيب المجتمع والدولة، بأخطار فادحة، في مختلف مجالات الحياة الاقتصادية والسياسية والمالية، من جزاء الفائدة على رأس المال.

ويظهر لنا أن الربا هو وراء الأزمات الاقتصادية ونوبات الكساد، وأحد الأسباب الرئيسة

---

(١) يوسف القرضاوي، الحلال والحرام في الإسلام، ص ٢٤٨.

(٢) أبو الأعلى المودودي، الربا، ص ٥٢- ٥٣.

(٣) المودودي، الربا، ص ٥٣.

لتكدس الثروات وتضخم الأسعار. واختلال توزيع الثروة بين الناس، فتثير الاضطراب، وعدم الاستقرار في المجتمع ويصيبه الانهيار والتفكك[1].

وغالباً ما يكون الإقراض من دولة لأخرى، لها مآرب، مثل السيطرة على الدولة المستقرضة عن طريق التسلل المالي الموهن بقدراتها وغالباً ما يكون ذلك سبيلاً للاستعمار.

وقد وضع الإسلام بعضاً من التدابير الوقائية لمنع وقوع الربا، ومن ذلك، العقوبات من أجل أن تكون رادعة للأفراد والجماعات عن التعامل بالربا:

١. العقوبات الدنيوية: وتنقسم إلى قسمين:

أ- العقوبات الفردية.

ب- العقوبات الجماعية.

أ. فالعقوبات الفردية:

تعريض المتعامل بالربا نفسه للقتال، قال تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَذَرُواْ مَا بَقِيَ مِنَ ٱلرِّبَوٰٓاْ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ۞ فَإِن لَّمْ تَفْعَلُواْ فَأْذَنُواْ بِحَرْبٍ مِّنَ ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ ﴾ [البقرة: ٢٧٨-٢٧٩].

وقد أعلنت الحرب عليه من الله ورسوله فكيف أن تبقى حرمته نفسه[2]، والذي يؤكد هذا ما رواه الطبري في تفسير الآيتين قول ابن عباس رضي الله عنهما: (فإن كان مقيماً على الربا لا ينزع منه، فحق على إمام المسلمين أن يستتيبه، فإن نزع وإلا ضُرب عنقه)[3].

وقد ذكر حول هذا المعنى البيضاوي في تفسيره، بان يقاتل المتعامل بالربا حتى يفيء إلى أمر الله عز وجل بعد الاستتابة كالباغي[4].

ب. العقوبة الجماعية:

ضرر الربا لا يتوقف على الفرد الذي يتعامل به وحده، بل يتعدى ذلك إلى جميع أفراد

---

(١) المودودي، الربا، ص ٥٣.

(٢) فضل الهي، التدابير الوقائية من الربا، ط١، باكستان، إدارة ترجمان الإسلام، ١٩٨٦، ص ٥٣- ٥٤.

(٣) محمد بن جبر الطبري، جامع البيان عن تأويل آي القرآن، ط٣، القاهرة، مصطفى البابي، ١٩٦٨، جـ ٦، ص ٢٥.

(٤) القاضي البيضاوي، أنوار التنزيل وأسرار التأويل، (د. ط)، مصر، (د. ن)، ص ٤٠.

المجتمع، إن لم يأخذوا على يديه، ويمنعوه من ذلك، وقد ذكر الرسول ﷺ ورتب عقوبة لتكون درعاً وقائياً للمجتمع من أن يتعامل بالربا، ويأخذ على أيدي أفراده.

قال ﷺ: «ما ظهر في قوم الزنى والربا إلا أحلّوا بأنفسهم عقاب الله عز وجل»[1].

وقال الحرالي: (أكثر بلايا هذه الأمة، حتى أصابها ما أصاب بني إسرائيل من اليأس الشنيع والانتقام بالسنين إنما هو من عمل الربا)[2].

وبذلك يكون الشارع الحكيم قد أنذر الأمة جميعها، إن لم تأخذ على أيدي المرابي، عمهم الله عز وجل بالعذاب والضنك والسنين، فبهذا يكون هذا رادعا للأمة لتأخذ على أيدي المرابين وتمنعهم من ذلك.

٢- العقوبات الآخروية:

وكما قرر الله عز وجل العقوبات الدنيوية على آكلي الربا، فقد قرر عقوبات آخروية عليهم، لتكون رادعاً لكل من تُسول له نفسه للتعامل بالربا. ومن هذه العقوبات:

قال تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَذَرُواْ مَا بَقِيَ مِنَ ٱلرِّبَوٰٓاْ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ* فَإِن لَّمْ تَفْعَلُواْ فَأْذَنُواْ بِحَرْبٍ مِّنَ ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ ﴾ [البقرة: ٢٧٨-٢٧٩]. وفي ذلك ما يكفيهم لتأديبهم، وقمع نفوسهم، وردعها عن الظلم في تعاملهم الربوي.

ومنها قوله تعالى: ﴿ ٱلَّذِينَ يَأْكُلُونَ ٱلرِّبَوٰاْ لَا يَقُومُونَ إِلَّا كَمَا يَقُومُ ٱلَّذِى يَتَخَبَّطُهُ ٱلشَّيْطَٰنُ مِنَ ٱلْمَسِّ ﴾ [البقرة: ٢٧٥].

وهذه عقوبة آخروية تصيب آكل الربا، إذا ما قام من قبره وبعثه الله عز وجل إذا مات ولم يتب عن الربا والتعامل به، فيقوم كما يقوم الذي أصابه الصرع.

قال الطبري: (الذين يربون الربا لا يقومون في الآخرة من قبورهم إلا كما يقوم الذي يخنقه الشيطان فيصرعه من الجنون، وتلك علامة أهل الربا يوم القيامة بعثوا وبهم خبل من

---

(١) نور الدين بن علي الهيثمي، مجمع الزوائد ومنبع الفوائد، ط٣، بيروت، دار الكتاب العربي، ١٩٨٢، جـ٤، ص ١١٨.

(٢) عبد الرؤوف المناوي، فيض القدير شرح الجامع الصغير، ط٢، بيروت، دار المعرفة، ١٩٧٢، جـ ٥، ص ٤٩٤.

الشيطان)[1].

ومنها أن المرابي يوقف في نهر من الدم، وكلما أراد الخروج منه يُرمى بحجر في فيه.

روى الإمام البخاري عن سُمرة بن جندب قال: قال رسول الله ﷺ: «رأيت الليلة رجلين أتياني فأخرجاني إلى أرض مقدسة، فانطلقا حتى أتينا على نهر من دم فيه رجل قائم، وعلى وسط النهر رجل بين يديه حجارة، فأقبل الرجل الذي في النهر، فإذا أراد الرجل أن يخرج رمى رجل بحجر في فيه، فردّه حيث كان فجعل كلما جاء ليخرج رمى في فيه بحجر فيرجع كما كان، فقلت: ما هذا؟ فقال: الذي رأيته في النهر آكل الربا»[2].

ومن ذلك ما ورد عن جابر رضي الله عنه قال: (لعن رسول الله ﷺ آكل الربا، وموكله، وكاتبه، وشاهديه، وقال: هم سواء)[3].

وهذا من باب التشديد، حتى يكون الردع عاماً يشمل الآكل والموكل، بل ويتعدى حتى يعم الشاهد والكاتب، ويقول الإمام النووي: (وهذا تصريح بتحريم كتابة المبايعة بين المترابين والشهادة عليها والله أعلم)[4].

ويقاس على تحريم كتابة المبايعة الربوية والشهادة عليها، تمكين مؤسسة ربوية من محل بإيجار وإعانتها بنشر إعلاناتها وغير ذلك[5].

التدابير الوقائية من الربا:

ومن التدابير الوقائية:

١. الإيمان بالله عز وجل:

الإيمان وترسيخه في نفس الإنسان المسلم، حتى يكون الإيمان رادعاً وواقياً له من الوقوع والتعامل بالربا، وهذا ما صرحت به الآية القرآنية.

---

(١) الطبري، جامع البيان، جـ ٦، ص ٨.

(٢) صحيح البخاري، الفتح، كتاب البيوع، باب آكل الربا، جـ ٤، ص ٣١٣.

(٣) صحيح مسلم، (بشرح النووي)، كتاب المساقاة، باب لعن آكل الربا وموكله، جـ ١١، ص ٢٦.

(٤) صحيح مسلم، بشرح النووي، جـ ١١، ص ٢٦.

(٥) فضل الهي، التدابير الوقائية من الربا، ص ٥٩.

قال تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَذَرُواْ مَا بَقِيَ مِنَ ٱلرِّبَوٰٓاْ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴾ [البقرة:٢٨٧] لأن الإيمان لا يترك سلطة للشيطان على المؤمن فيضله ويغويه، قال تعالى: ﴿ إِنَّهُۥ لَيْسَ لَهُۥ سُلْطَٰنٌ عَلَى ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ﴾ [النحل:٩٩].

ولم يجعل الإيمان أهله يتركون الربا فحسب، بل جعلهم يبتعدون عن أدنى شبهة فيها ربا، فهذا عمر بن الخطاب الصادق في إيمانه، يقول: (تركنا تسعة أعشار الحلال مخافة الربا)[١].

٢. ومن التدابير الوقائية، تضييق الفوارق بين الناس، حيث يساعد وجود التفاوت الكبير بين الناس على انتشار المعاملات الربوية، فهذا سبب في وجود المال بأيدي مجموعة من الناس، والباقي محرومون من المال، وهذا ما يفتح أمامهم لكي يقدموا إلى هؤلاء الفقراء قروضاً ربوية بفائدة.

٣. ومن التدابير الوقائية، فرضية الزكاة، حيث تؤخذ الأموال من الأغنياء وتعطى إلى الفقراء، وهذا ما يساعد على سد حاجات الفقراء، ومنها ذلك الحث على الصدقات بجميع أنواعها وأشكالها.

٤. ومن التدابير الوقائية، ما أوجبه الإسلام من نظام النفقات الذي أوجبه على الأغنياء تجاه أقاربهم الفقراء، وكذلك نظام الإرث.

٥. ومن التدابير الوقائية ما يسمى بالقرض الحسن، والقرض هو: تمليك الشيء على أن يرد بدله[٢].

والقرض الحسن، يضع حداً للمرابي، ويعين المحتاجين والفقراء على الاستقراض، وإعادة المال في الوقت المحدد المناسب، دون أن يزاد على رأس المال شيء.

٦. ومن التدابير الوقائية، مسؤولية الدولة الإسلامية في مكافحة الربا وهو من أهم الأمور التي يجب على الدولة أن تأخذها بعين الاعتبار، ويكون هذا عن طريق محاربة المرابين، ووضع العقوبات المناسبة التي يرها الإمام.

---

(١) فضل الهي، التدابير الوقائية من الربا، ص ١٨١.

(٢) محمد الخطيب الشربيني، مغني المحتاج إلى معرفة معاني ألفاظ المنهاج، (د. ط)، دار الفكر، بيروت، (د. ت)، جـ ٢، ص ١١٧.

ويجب على الدولة أيضاً منع كنز الأموال، وجعله في أيدي فئة قليلة من الناس وإلزام الأغنياء بالإنفاق على أقاربهم الفقراء، ومطالبة المجتمع برعاية الفقراء والمساكين والمحتاجين واليتامى والأرامل[١].

يقول ابن تيمية: (وعلى ولي الأمر المنع من هذه المعاملات الربوية، وعقوبة من يفعلها، ورد الناس فيها إلى رؤوس أموالهم دون الزيادات)[٢].

وهناك تدابير وقائية كثيرة حث عليها الإسلام، وذلك تفادياً وحصراً للمعاملات الربوية، ومنعاً من وقوع الناس فيها.

٧. ومن ذلك، ما يسمى بالقروض الاستثمارية، التي تعطى للناس، لأن الإنسان يطمع في الحصول على المال، وهذا ما يدفعه إلى التعامل بالربا، لأنه يريد المال، وهو لا يملك المال، لكي يستطيع أن يواكب الحياة، ولذلك شرع الإسلام عقد المزارعة، وعقد الإجارة، وعقد المساقاة، والشركات والبيع إلى أجل، كل هذا في سبيل القضاء على جشع المرابين، ومنع الناس من التعامل بالربا، حتى يستطيعوا الحصول على لقمة العيش بالحلال.

وبعد هذا، وبعد معرفة الحال الذي يؤدي إليه الربا سواء بالنسبة للأفراد، أو المجتمعات، من أجل هذا حرّمه الإسلام، لأنه يجعل العلاقات بين الأفراد علاقات مادية لا قيمة لها، قائمة على المقامرة والاستغلال.

وحتى تؤتي هذه التدابير الوقائية من الربا ثمارها، فلا بد من أن يقوم كل فرد بالاتصاف بها، ويجب على العلماء بذل الجهد لتحقيق هذه الأمور، سواء فيما يتعلق بتقوية الإيمان، واتقاء الشبهات، وتحريم الحيل، وإيجاب النفقة على الفقراء، وإقراض الفقراء والمحتاجين الأموال اللازمة لإقامة مشاريعهم واستثمارها كيلا يلجأوا إلى مثل تلك القروض الربوية.

والأهم من ذلك يجب على الدولة محاربة الربا والمرابين، وإلغاء المعاملات الربوية من جميع معاملاتها الاقتصادية، عن طريق تحصيل أموال الزكاة وتقديمها للفقراء حتى يتم تضييق الفوارق الطبقية بين الناس والقضاء على الربا والمرابين.

---

(١) فضل إلهي، التدابير الوقائية من الربا، ص ٢٥٩.

(٢) أحمد عبد الحليم بن تيمية، مجموع فتاوى ابن تيمية، (د. ط)، الرياض، مكتبة الرياض الحديثة، ١٣٩٨، جـ ٢٩، ص ٤٣٨.

المبحث الرابع
دائرة الحدود

لقد شرع الله الحدود من أجل أن يستقيم الناس على طريق الخير والحق والعدل، وحتى يشيع بينهم وفي حياتهم الأمن والاستقرار، ومن أجل أن يضبط بها تصرفات الفرد والمجتمع، وصيانة لأنفسهم وأعراضهم وأموالهم، وحفظاً لحقوقهم.

وقد شرع الله عز وجل الحدود -العقوبات- لتكون زواجر لمن تسول نفسه الاعتداء على غيره، سواءاً كان الاعتداء على المال أو النفس أو العرض أو العقل.

وشرع الله الحدود، لأنها تربي النفوس على حب الخير والطهر والاستقامة، وتزكي النفوس وتطهرها من درن الجريمة حسياً ومعنوياً.

والحدود تمنع الإنسان من العودة إلى الجريمة، وتزجره زجراً نهائياً، وتُؤدب الجناة وتصلحهم، وتصون الأعراض، وتحفظ النوع الإنساني وتربي في النفوس القناعة والرضا، بما قدر الله لها.

تعريف الحدود:

الحد: جمع حد، الفصل بين الشيئين، لئلا يختلط أحدهما بالآخر، ومنه سميت العقوبات المقررة حدودا، لأنها في الغالب تمنع الشخص من الإقدام على المعصية[1].

اصطلاحا: العقوبة المقررة شرعاً ويشمل هذا القصاص وجرائم الحدود وغيرها، ويخرج التعزيز لأنه عقوبة مقررة شرعا[2].

---

(١) جمال الدين بن منظور، لسان العرب، (د. ط)، بيروت، دار صادر، ١٩٥٦، جـ ص ١١٥.

(٢) علاء الدين الكاساني، بدائع الصنائع في ترتيب الشرائع، ط٢، بيروت، دار الكتاب العربي، ١٩٨٢، جـ٧، ص ٣٣.

محمد الخطيب الشربيني، مغني المحتاج إلى معرفة معاني ألفاظ المنهاج، (د. ط)، بيروت، دار الفكر، (د. ت)، ١٩٩٤، جـ ٣، ص ١٥٨.

شمس الدين محمد بن أبي العباس، نهاية المحتاج إلى شرح المنهاج، الطبعة الأخيرة، بيروت، دار الفكر، ١٩٩٤، جـ٣، ص ٤٢٣- ٤٢٤

العقوبة: الجزاء المقرر لمصلحة الجماعة على عصيان أمر الشارع[1]، وتعرف أيضاً بأنها: (زواجر وصفها الله سبحانه وتعالى للردع عن ارتكاب ما حظر، وترك ما أمر لما في الطبع من مغالبة الشهوات الملهية، عن وعيد الآخرة بعاجل اللذة، فجعل الله عز وجل من زواجر الحدود ما يروع به ذا الجهالة حذراً من ألم العقوبة، من نكال الفضيحة، ليكون ما حظر من محارمه ممنوعاً، وما أمر به من فروضه متبوعاً، فتكون المصلحة أعم، والتكليف أتم[2].

خصائص الحدود:

١. أنها مقررة من الله عز وجل، وهو الذي خلق الإنسان، وهو الذي قرر هذه العقوبات، ويعلم علم اليقين أنها رادعة له، وكافية لعلاجه.

٢. لاتقام على الصبي، لأنه يشترط البلوغ، ولا تجزأ العقوبة بأي حال من الأحوال[3].

٣. لا تجوز فيها الشفاعة، ولا يصح فيها العفو[4].

٤. تدرء الحدود بالشبهات[5].

٥. ما ينشأ من تلف في أثناء تنفيذ العقوبة غير واجب الضمان[6].

مشروعية الحدود:

لقد ورد في القرآن الكريم ما يدل على مشروعية الحدود، منها على سبيل المثال لا الحصر، قال تعالى: ﴿ ٱلزَّانِيَةُ وَٱلزَّانِى فَٱجْلِدُوا۟ كُلَّ وَٰحِدٍ مِّنْهُمَا مِا۟ئَةَ جَلْدَةٍ ﴾ [النور: ٢].

وقال ﷺ: «حد يعمل به في الأرض، خير لأهل الأرض من أن يمطروا أربعين

---

(١) عبد القادر عودة، التشريع الجنائي في الإسلام مقارناً بالقانون الوضعي، ط٤، بيروت، دار إحياء التراث العربي، (د. ت)، جـ١، ص ٦٠٩.

(٢) علي بن حسين الماوردي، الأحكام السلطانية والولايات الدينية، ط٣، بيروت، دار الكتب العلمية، ١٩٧٣، ص ٢٢١.

(٣) ابن عابدين، حاشية رد المحتار على الدر المختار، (د. ط)، مصر، المطبعة الكبرى الأميرية، ١٣٢٣هـ، جـ٣، ص ١٩٣.

(٤) محمود شلتوت، الإسلام عقيدة وشريعة، (د. ط)، بيروت، دار الشروق، ١٣٩٧هـ، ص ٢٠٦.

(٥) الكاساني، بدائع الصنائع، جـ٧، ص ٧٢.

(٦) الماوردي، الأحكام السلطانية، ص ٢٣٦.

صباحا»[1].

ويعتبر إقامة الحدود مهما، ليكون ذلك رادعاً للمجرم، ولمن تسول له نفسه ارتكاب معصية من المعاصي.

يقول الإمام علي رضي الله عنه: (لا بد للناس من إمارة برة كانت أو فاجرة، فقيل: يا أمير المؤمنين، هذه البرة قد عرفناها فما بال الفاجرة، فقال: تقام بها الحدود، وتأمن بها السبل، ويجاهد بها العدو ويقسم بها الفيء)[2].

ويتضح من خلال هذا النص، أهمية إقامة الحدود، حتى لو كانت الإمارة برة أو فاجرة، وذلك من أجل أن يبقى الأمن مستتبا، ويعم المجتمع الطمأنينة والاستقرار.

ونظراً لأهمية العقوبة، فقد أمر الله سبحانه وتعالى إعلانها، حين تطبيقها من أجل أن يكون الردع العام لعامة الناس، حتى لا تسول لهم أنفسهم، حتى مجرد التفكير في الإقدام على المعصية، وفي هذا تربية ووقاية للإنسان من أن يتجرأ على المعصية.

قال تعالى: ﴿ٱلزَّانِيَةُ وَٱلزَّانِى فَٱجْلِدُوا۟ كُلَّ وَٰحِدٍ مِّنْهُمَا مِا۟ئَةَ جَلْدَةٍ ۖ وَلَا تَأْخُذْكُم بِهِمَا رَأْفَةٌ فِى دِينِ ٱللَّهِ إِن كُنتُمْ تُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْـَٔاخِرِ ۖ وَلْيَشْهَدْ عَذَابَهُمَا طَآئِفَةٌ مِّنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾ [النور: ٢].

لأن المعصية إذا ظهرت يجب أن تكون عقوبتها ظاهرة، ردعاً للجاني ولأمثاله من الناس.

دور التربية الإسلامية في الحد والوقائية من الجريمة:

١- من الناحية الصحية:

يهدف الإسلام إلى تربية الإنسان المسلم تربية صحية سليمة، حتى يكون صحيح الجسم، ليتمكن من القيام بواجباته خير قيام، وبناء الإسلام لأبنائه الصحة الكاملة، خير وقاية لأبنائه من الإصابة باختلال التوازن العقلي والنفسي، الذي يكون سبباً للانحراف في السلوك الوقوع في الجريمة.

٢- ومن ناحية التربية العقلية: وضع الإسلام منهجاً متكاملاً تربوياً يخطط فيه ويوضح

---

(١) ابن ماجة، السنن، كتاب الحدود، باب إقامة الحدود، جـ ٢، ص ٨٤٨.

(٢) أحمد بن تيمية، السياسة الشرعية في إصلاح الراعي والرعية، (د. ط)، بيروت، دار الكتب العربية، (د.ت)، ص ٥٧.

الطرق التي تنمي القدرات العقلية عند الإنسان، لما للعقل من أهمية كبيرة في حياة الإنسان، ومن أجل ذلك حرّم الخمرة، ووضع حداً لشاربها لحماية العقل من الأمراض العقلية والعصبية[1].

٣- ومن ناحية التربية الروحية: اهتم الإسلام بها اهتماماً كبيراً، لما لها من دور مميز في حياة الإنسان المسلم، حتى يطهر نفسه من الآثام والرذائل حتى يتمكن المسلم من العيش حياة سعيدة مطمئنة، وقد جعل الإسلام أبواباً كثيرة لهذا النوع من التربية، منها قراءة القرآن، وذكر الله، والتوبة، والاستغفار، والإخلاص في العمل، والابتعاد عن الرياء والشرك، وغير ذلك.

٤- ومن ناحية التربية الأخلاقية الاجتماعية: فقد اهتمت التربية الإسلامية كثيراً بهذين الجانبين، نظراً لما للأخلاق من دور كبير في حياة المسلم، حتى يعم الخير جميع أفراد المجتمع، ولهذا دعت التربية الإسلامية إلى مكارم الأخلاق، وحذرت المسلم من رذائل الأخلاق.

ورتبت على ذلك عقوبات مقدرة وغير مقدرة.

الأسباب التي تدعو إلى الجريمة وكيفية معالجتها:

هناك أسباب عديدة ومتنوعة، تكون وراء صاحب الجريمة، حينما تسول له نفسه الوقوع في الجريمة ومن ذلك:

١. ضعف الإيمان، وكل القيم الأخلاقية في النفس الإنسانية.

٢. العامل النفسي، أو ما يسمى بالانحرافات النفسية التي تحمل صاحبها على ارتكاب الجرائم، فقد يكون الانحراف النفسي، الطمع في جمع المال، فيسلك كافة السبل المشروعة وغير المشروعة، للحصول على المال، وقد يكون الانحراف ناتجاً عن أزمات أسرية يعجز صاحبها عن مواجهتها فيميل إلى شرب الخمر والمخدرات ظناً منه أنه بهذا العمل، قد يهرب من ذلك الواقع الذي يعيشه.

---

(١) مقداد يالجن، التربية الإسلامية ودورها في مكافحة الجريمة، (د. ط)، الرياض، (د. ن)، ١٩٨٠، ص ٣٤.

٣. العامل الاجتماعي: ويتمثل هذا بالبيئة الاجتماعية التي يعيش فيها الفرد، وقد يتمثل بالأسرة المنحلة التي يسودها التفكك، وضعف الروابط والانحلال الخلقي، دون أن يهتم أفرادها بعلاج الوضع، ويتصرف كل فرد على حده، دون الرجوع إلى الآخرين، وهذا ينتهي بأفرادها إلى حياة الشر والعدوان والإجرام.

٤. وقد يكون تصور الفرد في توفير حاجاته الأساسية من مأكل ومشرب وغير ذلك، إما لعدم توفير الدولة له ذلك، وإما أن المجتمع لا يساعده على توفير ذلك، ومع وجود البطالة والكسل والرغبة في الحصول على المال دون عناء، مما يؤدي إلى الانحراف السلوكي، فيلجأ إلى السرقة والرشوة وغير ذلك.

٥. وقد يكون ناتجاً عن عجز المسؤولين في التصدي لكثير من الجرائم التي تقع في المجتمع، وبخاصة ما يُفرض من عقوبات تكون غير رادعة، مما يجعل المجرم يقترف الجريمة أكثر من مرة[١].

وقد واجه الإسلام هذه العوامل التي تدعو إلى الجريمة، أو تكون سبباً في حصولها من خلال ما يلي:

١. فقد عالج الإسلام ضعف الحس الإيماني، وضعف الشعور الديني عن طريق التربية الإيمانية التي تحمل المسلم على فعل الخير، والعمل الصالح، ورتب على ذلك ثواباً وعقاباً، فالثواب لمن يفعل الخير، والعقاب لمن يفعل الشر.

وقد عمل الإسلام إلى اتباع أسلوب الترغيب والترهيب، الذي عالج من خلاله المسلم، وذلك بوعده بالثواب الحسن والأجر العظيم، لمن ترك المعصية والتزم الخير.

قال تعالى: ﴿ فَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُۥ * وَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُۥ﴾ [الزلزلة: ٧-٨].

وأما أسلوب الترهيب، فيكون بالتنفير من الجريمة وفعلها والوعيد الشديد، لمن يقترف مثل هذه الجرائم في الأخرى.

---

(١) محمد عقلة الإبراهيم، نظام الإسلام العبادة والعقوبة، ط١، عمان، مكتبة الرسالة الحديثة، ص ١٢١-١٢٣. بتصرف.

قال تعالى: ﴿ وَلَا تَقْرَبُوا الزِّنَىٰ إِنَّهُ كَانَ فَاحِشَةً وَسَاءَ سَبِيلًا ﴾ [الإسراء: ٣٢].

٢. ومنها العبادات، لأن العبادات تلعب دوراً مهماً في حياة المسلم حيث إن المسلم الذي يؤدي العبادات ويحافظ عليها، تمنعه من الوقوع في الجريمة والمعاصي الأخرى، وتجعل نفسه صافية، ويعود هذا على المجتمع بالخير والنفع[(١)]. وأما بالنسبة للدوافع النفسية فقد عالجها الإسلام، عن طريق التهذيب النفسي، وتربية الضمير داخل النفس الإنسانية، من خلال خشية الله عز وجل، وشعوره بالمسؤولية أمام الله عز وجل، عن طريق ترسيخ العقيدة في نفس المسلم التي تقوم بدورها بتنمية نوازع الخير داخل نفسه وتبعده عن كل بؤر الشر[(٢)].

٣. الدوافع الاجتماعية: وأما بالنسبة للدوافع الاجتماعية، فقد وضع الإسلام التدابير الوقائية لمنع حدوثها، عن طريق تقوية الروابط الاجتماعية بين أفراد المجتمع، حتى يشعر أفراد المجتمع بأحوال بعضهم بعضا، فلا يتطرق إليهم الفساد والانحلال، وركزّ على الروابط الأسرية لأن الأسرة من أهم الأوساط، وأكثرها فاعلية، من حيث دورها في قوة المجتمع وترابط أفراده وفي الوقاية من الجريمة[(٣)].

وقد وضع الإسلام خطة محكمة في تربيته للإنسان، قبل أن يرصد للجريمة عقوبة، تحول بين الإنسان وبين ارتكابها.

ومن ملامح هذه الخطة:

١. تربية الفرد لإيجاد وازع خلقي في نفسه.

٢. إيجاد رأي عام ينفر من الجريمة، بل وينكرها ويحاصر مرتكبها.

٣. سد كل منافذ الفتنة لتظل نائمة.

٤. تحديد العقوبات الرادعة، التي تنزل بالمخالف عندما لا يوجد بديل عنها[(٤)].

---

(١) محمد عقلة، نظام الإسلام العبادة والعقوبة، ص ١٢٦.

(٢) المرجع السابق، ص ٢٨.

(٣) محمد عقلة الإبراهيم، مرجع سابق، ص ١٣٢ - ١٣٣.

(٤) محمود محمد عماره، الحدود في الإسلام بين الوقاية والعلاج، (مجلة التضامن الإسلامي)، وزارة الحج السعودية، السنة السادسة والثلاثون، جـ ١٢، جمادى الثانية، ١٩٨٢، ص ١١.

وقد اتخذ الإسلام كل هذه الوسائل، قبل أن يقوم على وضع العقوبة المقررة لذلك، وهذا ما يسمى في الإسلام الجمع بين التوجيه والتشريع، وهذا من خصائص الإسلام، فقد وجه الإسلام وشرّع في آن واحد، لأن التوجيه وحده لا يكفي، ولا بد من التوجيه مع التشريع.

فشرع الإسلام الحدود صيانة للمجتمع من الشذوذ والانحراف، لا إكراهاً على الفضيلة وحسن الخلق، فهو مجتمع يقوم على عقيدة ينبع منها خلق ويصونه نظام، وهذه الثلاثة مجتمعة متضامنة، متناسقة، تعمل على تربية المجتمع وتطهيره وصيانته(١).

وشرعت هذه العقوبات من أجل أن تحفظ الضروريات الخمس التي أقرها الإسلام:

١ . من أجل حفظ الدين شرع حد القصاص.

٢ . من أجل حفظ النفس، شرع القصاص.

٣ . من أجل حفظ المال، شرع حد السرقة.

٤ . من أجل حفظ النسل، شرع حد الزنا.

٥ . ومن أجل حفظ العقل، شرع حد شرب الخمر(٢).

وقد شرعت هذه العقوبات على اختلاف أنواعها، من أجل المحافظة على المجتمع من الشر والفساد، والمحافظة على مقاصد الإسلام الكبرى.

الآثار التربوية لإقرار العقوبات:

وقد يترتب على إقرار العقوبات آثار كثيرة، منها ما يعود على الفرد، ومنها ما يعود على المجتمع.

أما ما يخص الفرد، فهي:

١- إصلاح الجاني وتهذيبه واستئصال دوافع الشر.

فقد عمدت التربية الإسلامية، عندما أقرت نظام العقوبات، وحد الحدود، إصلاح

---

(١) محمد شديد، منهج القرآن في التربية، (د. ط)، بيروت، دار الأرقم، (د. ت)، ص ١٩٦.

(٢) محمد أبو زهرة، الجريمة والعقوبة في الفقه الإسلامي، (العقوبة)، (د. ط)، القاهرة، دار الفكر العربي، (د. ت)، ص ٥٨- ٥٩.

الجاني، وقاية له من الوقوع في المعاصي والمفاسد، فكلما فكر الإنسان أن يقترف معصية أو ذنباً ثم تذكر العقوبة التي تنتظره، وتوقع عليه، تراجع عن فعل ذلك.

٢- حفظ هيبة التشريع في نفوس الأفراد.

فالأمر والنهي لا يكفيان وحدهما في منع الإنسان من الإقدام على المعصية، لذلك شدد الله عز وجل العقاب كنوع من الوقاية للإنسان المسلم، حتى لا تسول له نفسه الإقدام على المعصية،لأن العقوبة هي التي تعمل في النفوس، وتولد الحرص على ترك المعصية، وهي التي تجعل للأمر والنهي مكانة في نفس الإنسان المسلم[١].

٣- الرحمة بالجاني:

شرع الله عز وجل العقوبة رحمة للجاني، لكي تطهره من الذنب الذي اقترفه، يقول ابن تيمية: (إنما شرعت العقوبات رحمة من الله بعباده، فهي صادرة عن رحمة الخلق وإرادة الإحسان إليهم)[٢].

٤- الردع للمجرم والزجر لغيره:

تعتبر العقوبة ردعاً للمجرم، فلا يفكر بارتكاب جريمة أخرى، بعد إقامة الحد عليه، وتعتبر زجراً لغيره من الناس، وذلك حينما يرون العقوبة تقام على مرتكب الجريمة، فلا تسول لهم أنفسهم بارتكاب الجريمة، أو حتى الاقتراب منها.

إن الحد يردع المحدود، ومن شهده ومن حضره يتعظ به ويزجر لأجله، ويشيع حديثه فيعتبر به من بعده، ويزول من نفسه الخبث الذي بعثه على الجناية، فيتزجر الناس، ويزول الخبث من الجاني[٣].

٥- تحقيق التوازن بين الدوافع النفسية للفرد.

مهمة العقوبات بما تنطوي عليه من عامل الزجر، أن تحقق في نفس الفرد العادي هذا

---

(١) محمد عقلة، نظام الإسلام، العبادات والعقوبة، ص ١٦٠.

(٢) ابن تيمية، الاختيارات الفقهية، (د. ط)، دار المعرفة، (د. ت)، ص ٢٨٨.

(٣) محمد الطاهر بن عاشور، مقاصد الشريعة الإسلامية، (د. ط)، تونس الشركة التونسية للتوزيع، ١٩٧٨، ص ٢٠٥-٢٠٦.

التوازن، بحيث يتمكن من السيطرة على دوافعه، ووجه ذلك: أن من طبيعة النفس الإنسانية تحركها تحت تأثير عاملين متضادين: عامل الرغبة، وعامل الرهبة، وكلاهما يؤثر سلباً أو إيجاباً على النفس من ناحيتين مختلفتين، فمثلاً من يهم بالزنا يتماثل له ما أعده الله عز وجل للمتقين، فينشط الوازع النفسي فيه، حتى يكف عما كان متجهاً إليه، وعامل الرهبة يؤدي إلى النتيجة عينها من طريق آخر فالخوف من العقاب المترتب على الزنا يمنعه من الاقتراب منه[١].

ومن هنا تبدو عظمة القرآن في مزجه وربطه الوثيق بين عنصري الترغيب والترهيب في كل الأحوال أمراً ونهياً، لأن هذا المزج يتيح للنفس من عوامل التوازن والسيطرة على بواعثها ودوافعها، ما تتمكن به من شحذ إرادتها في مجال الاختيار والترجيح، فتتجه -في قوة- لإيثار ما هو مطلوب منه إقداماً أم إحجاماً[٢].

أما فيما يتعلق بالدافع النفسي، حيث وجود عاملين في النفس الإنسانية يدفع كل منهما الآخر دافع الرغبة، ودافع الرهبة، فإن تقوية طرف منهما، وإضعاف الآخر يقضي على الصراع قضاء شبه كامل، ويحله حلاً شبه تام.

أما تقوية طرف وإضعاف طرف مع ترك الآخر كما هو، فقصارى أمرهُ أن يخفف من حدة الصراع، ولا يصل بالنفس إلى السكينة اللازمة لتتجه الإرادة بكل قوتها إلى الفعل، إن كان المطلوب فعلاً لمأمور به، أو نحو الترك إن كان المطلوب كفاً عن منهي عنه[٣].

وفي ضوء ذلك يتبين أن الحدود تمثل في البقاء النفسي للفرد والمجتمع المسلم عنصراً رئيساً من عناصر التوازن، يحول بعيداً عن كل محارم الله عز وجل لا يقربها ولا يحوم حولها، وبه تصبح الغالبية العظمى من أفراد المجتمع أسوياء، لا شذوذ في تكوينهم، ولا انحراف في ميولهم واتجاهاتهم، يسهل عليهم ارتكاب شيء مما يجعلهم تحت طائلة هذه الحدود[٤].

---

(١) محمد عقلة، نظام الإسلام العبادة، والعقوبة، ص ١٦٢.

(٢) محمد حسين الذهبي، أثر إقامة الحدود في استقرار المجتمع، ط٢، دمشق، دار الهجرة، ١٩٨٧، ص٩٦- ٩٧.

(٣) محمد حسين الذهبي، أثر إقامة الحدود في استقرار المجتمع، ص ٩٦.

(٤) محمد حسين الذهبي، المرجع السابق، ص ٩٨.

ودور الحدود هو دور بنائي يسهم في تكوين الفرد وتنشئته من جهة، ودور وقائي يمنع الكثرة الغالبة من الأفراد عن الإقدام على جرائم الحدود من جهة أخرى.

والعقوبات التي شرعها الإسلام، كانت ملائمة للجرائم بحيث إن كل جريمة وصفت لها عقوبة تناسبها، حتى يكفل ذلك تحقيق الأهداف والغايات التي من اجلها شرعت العقوبة.

فجريمة الزنا، وضع لها الإسلام عقوبة تناسبها، لأنه لا يقدم عليها، إلا من قويت في نفسه النزعة لتحقيق لذته، ولذلك شرع لها عقوبة الجلد والرجم، لما لها من تأثير جسدي ونفسي على نفسية المجرم.

وإقامة الحد عليه أمام الناس، وعلى مرأى منهم، يجعله معروفاً لدى الناس بإجرامه، وفظاعة جرمه، وهذا يسبب له عذاباً نفسياً، ويحدث في نفسه ردعاً عن ارتكاب الجريمة، وعند غيره بحيث لا يقدمون على مثل هذا الفعل الشنيع، ويجعله يفكر كثيراً قبل الإقدام على ذلك.

وقد أشار ابن كثير إلى هذا بقوله: (فإن ذلك يكون أبلغ في الزجر، وأنجع في الردع، لأن فيه تقريعاً وتوبيخاً وفضيحة)[1].

ويقول سيد سابق في أن العقوبة إذا أقيمت تحقق الأمن والاستقرار: (إقامة الحدود فيها نفع للناس، لأنها تمنع الجرائم، وتردع العصاة، وتكف من تحدثه نفسه بانتهاك الحرمات، وتحقق الأمن لكل فرد في نفسه وماله وعرضه وسمعته وحريته وكرامته)[2].

لقد راعى الإسلام كل ما ينغص على الأفراد والجماعات أمنهم، ووضع له حدودا، حتى لا يظن أحد أنه بمقدوره أن يعتدي على حرمات الآخرين، ثم يُترك وشأنه، وهذا هو الهدف الأساس الذي شرعت من أجله العقوبة، وهو مكافحة الجريمة والقضاء عليها والتقليل منها، حماية للمجتمع من أخطار المجرمين، حتى يستتب الأمن والاستقرار[3].

---

(١) ابن كثير، تفسير القرآن العظيم، جـ ٣، ص ٢٦٢.

(٢) سيد سابق، فقه السنة، ط٣، بيروت: دار الكتاب العربي، ١٩٧٧، جـ ٢، ص ٣٥٨.

(٣) محمد عقلة، نظام الأسرة العبادة والعقوبة، ص ١٦٦.

التدابير الوقائية لمنع الجريمة:

وقد استطاع الإسلام وضع التدابير الوقائية من الجريمة إلى جانب التدابير العقابية، وبيّن أثر العقيدة والعبادة في الحد من الجريمة ومكافحتها.

١ - **دور العقيدة:** وقد أثبتت العقيدة الإسلامية دورها في تربية أفراد المجتمع الإسلامي تربية سليمة وصحيحة، حتى تمكنت من نفوسهم، وكان أثرها أكثر من أثر التدابير العقابية، لأن العقيدة تؤثر في سلوك الفرد، وطريقة تفكيره، وتحقق السعادة والخير.

قال تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَلَمْ يَلْبِسُوٓا۟ إِيمَـٰنَهُم بِظُلْمٍ أُو۟لَـٰٓئِكَ لَهُمُ ٱلْأَمْنُ وَهُم مُّهْتَدُونَ﴾ [الأنعام: ٨٢].

وذلك من خلال أن العقيدة توجد في نفس المسلم الرقابة الذاتية، لإيمانه بأن الله عز وجل يعلم السر وأخفى، ويعلم حركاته وسكناته، وهي بدورها تتحكم في نوازع النفس وشهواتها، فتكبح جماح نفسه عن ملذاتها وغوايتها.

وهذا ما يجعل المسلم يبتعد عن كل انحراف في أقواله وأفعاله لأنه يعلم علم اليقين أنه سوف يحاسب على كل أمر يصدر منه، سواء كان قولا أو فعلا، وهذا من خلال الاستشعار بالرقابة الإلهية.

وتعمل العقيدة على تنمية الدافع إلى العمل الصالح، لأن المؤمن كلما ازداد معرفة بالله عز وجل، اقترب منه، وتزداد صلته به عز وجل، فيجعله يسعى بكل محبته إلى إرضاء الله عز وجل، من خلال اتباع أوامره، واجتناب نواهيه.

يقول الإمام الرازي: (كل من كان اطلاعه على دقائق حكمة الله وقدرته في المخلوقات ثم كان علمه بكماله أتم، فكان له حبه أتم)[1].

وتوده هذه المحبة إلى طاعة الله عز وجل، وتكون له بمثابة الدرع الواقي من الوقوع في المعاصي، قال الإمام الطحاوي: (فتأخذ تلك المحبة بصاحبها للطاعة، لأن من كمال المحبة أنها لا تقبل الشركة ولا المزاحمة)[2].

---

(١) الفخر الرازي، التفسير الكبير، مفاتيح الغيب، ط١، بيروت، دار الفكر، ١٩٨١، جـ٣، ص ٢٨٢.

(٢) أبو العز الحنفي، شرح العقيدة الطحاوية، ط٨، بيروت، المكتب الإسلامي ١٩٨٤، ص ٢٠٤.

فالإيمان بالله عز وجل يولد في النفس الرغبة الشديدة للإقدام على الخير وفعله، ورقابة الضمير من أقوى العوامل التي تحفظ النفس الإنسانية وتقيها وتربيها التربية الصحيحة، وتكبح جماح النفس عن غواياتها، ووقوعها في المعاصي والجرائم التي حرمها الله عز وجل، نتيجة لتلك الرقابة الداخلية التي ولّدها الإيمان بالله تعالى، في نفس المؤمن، وهذا مالم تحققه التشريعات الأخرى الوضعية، لأنها أهملت الجانب الإيماني.

لقد بقي العالم الإسلامي مدة طويلة من الزمن لا يعرف جرائم القتل والسرقة والزنا وشرب الخمر، وغيرها، إلا في حالات معدودة، تكاد لا تذكر، والسبب في ذلك يعود إلى أن الإيمان والعقيدة قد أثرا في سلوك الفرد المسلم، فجعلاه ذلك الإنسان الذي يخشى الله عز وجل في جميع حالاته.

أما المجتمعات الحديثة، فإنها تعاني من اضطرابات اجتماعية، وانعدام الأمن والاستقرار، والناظر في واقع المجتمع الغربي، يجد الجرائم الكثيرة، بمختلف صورها وأشكالها، وأصبح الأمن عاجزاً عن تحقيق الاستقرار والطمأنينة في تلك البلاد، حتى ارتفع عدد الجرائم إلى أعداد كبيرة بمختلف أشكالها.

وقد ذكر تقرير نشرته مجلة التايم الأمريكية، نشرته صحفية الدستور الأردنية بتاريخ ١٩٨١/٣/٢٥ تحت عنوان (ازدياد عدد الجرائم في المجتمع الأمريكي): (جريمة قتل واحدة كل ٢٤ دقيقة، اغتصاب امرأة كل سبع دقائق، عملية سطو كل عشر ثوان)[١].

ومن خلال المقارنة بين ما كان عليه المجتمع الإسلامي سابقاً، وما هو عليه الان، حينما أُوقف تطبيق الحدود الشرعية التي شرعها الله عز وجل للعقوبات للزجر وردع المجرمين، وما هو عليه المجتمع الأوروبي، ليدرك الأهمية الكبرى لتطبيق الحدود الإسلامية، وأنها تعتبر هدية الله إلى البشرية الضالة التي تريد أن تنعم بالأمن والاستقرار، وحتى ننعم بالأمن والاستقرار فلا بد من العودة إلى تطبيق حدود الله عز وجل[٢].

ويعتبر الإيمان واقياً ورادعاً لصاحبه عن اقتراف الجرائم، فالإيمان يكف النفس عن الخروج على الأخلاق الفاضلة، والسلوك السوي، فإذا تعذر لدى الفرد، فإن ما يبثه الإيمان

---

(١) محمد عقلة، نظام الإسلام، ص ١٦٨.

(٢) محمد عقلة، نظام الإسلام، ص ١٦٨- ١٦٩.

من الحياء يكفي لردع صاحبه، أن يأتي جريمة في السر، ويقوي ذلك الردع في إتيانه علانية والمجاهرة به[1].

وذلك أن الإيمان باعث على الحياء الذي يمنع صاحبه عن ارتكاب الجريمة.

قال ﷺ: «الإيمان بضع وسبعون شعبة، والحياء شعبة من الإيمان»[2].

والحياء انقباض النفس عن القبيح[3].

وقال ﷺ: «الحياء لا يأتي إلا بخير»[4].

٢ . دور العبادات:

ومن أجل المحافظة على أمن واستقرار المجتمع وأفراده، شرع الإسلام العبادات كوسائل وقائية لمنع حدوث الجريمة، ومن أجل تربية المسلم تربية سليمة وصحيحة، بحيث تكون له هذه التربية بمثابة الدرع الواقي، المانع له من ارتكاب الجريمة والمعصية، ومنها هذه العبادات:

أ . الصلاة: الصلاة التي تمنع الإنسان من ارتكاب الفاحشة والمنكر والمعصية، وذلك إذا أدّاها وأقامها على الكيفية التي أرادها الله عز وجل ورسوله ﷺ.

قال تعالى: ﴿ ٱتْلُ مَآ أُوحِىَ إِلَيْكَ مِنَ ٱلْكِتَٰبِ وَأَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ ۖ إِنَّ ٱلصَّلَوٰةَ تَنْهَىٰ عَنِ ٱلْفَحْشَآءِ وَٱلْمُنكَرِ ۗ﴾ [العنكبوت: ٤٥].

فأداء الصلاة وإقامتها تكون رادعاً للإنسان المسلم عن اقتراف الجرائم، وتقيه من الانحراف، لأنها تحقق لصاحبها أموراً ثلاثة:

١ . عصمة تغلب شهوته، وإرادة تقهر غفلته، ومحبة تظهر سلوته ومطلبه[5] وتبعث

---

(١) روضة محمد ياسين، منهج القرآن في حماية المجتمع من الجريمة، (د. ط)، الرياض، المركز العربي للدراسات الأمنية والتدريب، ١٩٩٢، جـ ٢، ص ٣٩- ٤٠.

(٢) صحيح البخاري، (فتح الباري)، كتاب الإيمان، باب الحياء من الإيمان، جـ ١، ص ١١.

(٣) الراغب الأصفهاني، معجم مفردات ألفاظ القرآن، (د. ط)، بيروت، دار الفكر، (د. ت)، ص ١٤٠.

(٤) صحيح مسلم (شرح النووي)، كتاب الإيمان، باب عدد شعب الإيمان، جـ ١، ص ٦٤.

(٥) ابن قيم الجوزية، مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين، (د. ط)، بيروت، دار الكتاب العربي، ١٩٧٢، جـ ٢، ص ٤٠.

الصلاة في قلب صاحبها الاطمئنان، قال تعالى: ﴿ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَتَطۡمَئِنُّ قُلُوبُهُم بِذِكۡرِ ٱللَّهِۗ أَلَا بِذِكۡرِ ٱللَّهِ تَطۡمَئِنُّ ٱلۡقُلُوبُ﴾ [الرعد: ٢٨].

ومن هذا أن النفس تسكن وتستأنس في تذكرة الألسنة، وتلاوة القرآن والتسبيح والتحميد[١].

والصلاة تملأ فراغاً كبيراً في النفس الإنسانية، الذي قد يدفع صاحبه إلى سلوك غير سليم، قال تعالى: ﴿ وَٱسۡتَعِينُواْ بِٱلصَّبۡرِ وَٱلصَّلَوٰةِۚ وَإِنَّهَا لَكَبِيرَةٌ إِلَّا عَلَى ٱلۡخَٰشِعِينَ﴾ [البقرة: ٤٥]. فهي الملجأ للمحتاج، والراحة للمضطرب، والأمان للخائف[٢].

ب. الزكاة:

والزكاة أحد أركان الإسلام، التي يحقق الأهداف التالية:

١- القضاء على الفقر:

يعد الفقر من أكثر العوامل التي تساعد على الانحراف، فالإنسان الذي لا يملك المال لكي يعيش، ولم يوفر له المجتمع سبل الحياة ولا الدولة كذلك، فربما يلجأ إلى السرقة والنهب، وغير ذلك.

وبالزكاة التي تعطى للفقراء والمحتاجين، تمنع أمثال هؤلاء من التطلع إلى ما بأيدي الناس، وتمنعهم من اقتراف جريمة السرقة. فيخلو المجتمع من جرائم الاعتداء على أموال الغير.

٢- الزكاة تعتبر تطهيراً للنفس من البخل والشح، لأن المال إذا كثر بيد صاحبه، فإنه مدعاة إلى الانحراف والسلوك غير المشروع.

قال ﷺ: «واتقوا الشح فإن الشح أهلك من كان قبلكم حملهم على أنْ سفكوا دماءهم واستحلوا محارمهم»[٣].

---

(١) محمد بن علي الشوكاني، فتح القدير، جـ ٣، ص ٨١.

(٢) روضة محمد ياسين، منهج القرآن في حماية المجتمع من الجريمة، جـ ٢، ص ٤٥.

(٣) صحيح مسلم (بشرح النووي) كتاب البر والصلة، باب تحريم الظلم، جـ ١٦، ص ١٣٤.

جـ. الصوم:

لعل الحكمة من فرض الصيام، هي وقوع حصول التقوى، من المسلم وهذا ما نص عليه القرآن الكريم.

قال تعالى: ﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ كُتِبَ عَلَيْكُمُ ٱلصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾ [البقرة: ١٨٣].

والتقوى حفظ النفس عما يؤثم، وقال ابن حجر العسقلاني في بيان الحكمة من الصوم: (ليكون سبباً لاتقاء المعاصي وحائلا بينه وبينها)[١].

وأما أن الصيام وقاية للإنسان المسلم من الوقوع في المعصية وارتكاب الجريمة وواقياً له من الانحراف والسلوك غير السوي، فهذا ما حددته الآية القرآنية: ﴿لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾ والتقوى وقاية، وهذا ما أكده الرسول ﷺ بقوله: «يا معشر الشباب من استطاع منكم الباءة فليتزوج، فإنه أغض للبصر، وأحصن للفرج، ومن لم يستطع فعليه بالصوم فإنه له وجاء»[٢].

وذلك أن الصوم يعمل على كسر الشهوة التي هي أساس الوقوع في المعصية، ويعمل على مقاومة الانحرافات النفسية التي تميل إلى ارتكاب الجريمة، وأن شهوة النكاح تابعة لشهوة الأكل تقوى بقوته وتضعف بضعفه، ولهذا فالصيام يحد من الشهوة، يقلل من الوقوع في الجرائم، والاعتداء على الأعراض.

ولذلك نحن مأمورون بتضييق الخناق على الشيطان الذي يجري في ابن آدم مجرى الدم، بالجوع، حتى نسد عليه وسوسته، ومنافذه الأخرى.

قال ﷺ: «إن الشيطان يجري من ابن آدم مجرى الدم»[٣].

والصوم يربي في النفس خلق الأمانة، والرقابة الداخلية، والخوف من الله عز وجل، وهذا يؤدي إلى منع الإنسان من ارتكاب المعصية، حتى ولو كان بمفرده، نظراً لما أوجده الصيام في نفسه من خلق الرقابة والخوف من الله عز وجل.

---

(١) ابن حجر العسقلاني، (فتح الباري)، كتاب التفسير، باب يا أيها الذين آمنوا كتب عليكم الصيام، جـ٨، ص١٧٨.

(٢) صحيح البخاري، (فتح الباري)، كتاب النكاح، باب قول النبي: (من استطاع منكم الباءة فليتزوج)، جـ ٥، ص ١٩٠.

(٣) صحيح البخاري، كتاب الأحكام، باب الشهادة تكون عند الحاكم، جـ٨، ص ١١٤.

د. الحج:

وأما فريضة الحج، بما فيها من مناسك مشروعة، تجعل المسلم يتحرر من الدنيا وزينتها، وتذكره بأحوال الآخرة، فيزهد في الدنيا، ولا يبقى في نفسه شيء من أنواع الحسد والحقد والغل، وهي التي تسبب ارتكاب الجرائم.

الحدود التي شرعها الإسلام:

أولا: حد الزنا: عقوبته مقدرة، ورد النص القرآني في تحديدها، وأمر بإشهاد الناس عليها، فشهود الحد ضرورة لتحقيق أثره وغايته في الزجر والتبعيد، عن هذا الإثم.

والأمر الثاني، إنما هو التشهير به، وهذا إيلام نفسي، يصيبه نتيجة لرد فعل الجماعة نحوه، وسقوطه في عينها، أشد عليه من الجلد لأن الجلد قد يتحمله لقوة بنيته[1]. إن الحد يقام مرة ليمنع من إقامته مرات، بل مئات المرات، ومن هنا حرص الإسلام على تمكين الأثر المترتب عليه سواء في ناحيته النفسية أو في ناحيته الاجتماعية.

فمن يؤذيه الألم الحسي، ولا يؤذيه السقوط في نظر الجماعة، يردعه الجلد ومن يؤذيه أن يسقط في عين الجماعة، وقد لا ينال منه الألم الحسي، يردعه الإعلان[2].

وللعقوبة التي تنزل بالجاني، أثر تربوي من حيث صلاحه لمستقبله وتأديبه في حاضره لما حدث منه ولا بد من عامل الإيلام وكذلك النفي الذي شرع إلى جانب الجلد، لما في الغربة من ألم البعد عن الأهل والوطن، بسبب لذة يسيره، وفي هذا يقول ابن القيم: (ولم يكن الجلد وحده كافياً في الزجر فغلظ بالنفي والتغريب ليذوق من ألم الغربة ومفارقة الوطن، ومجانبة الأهل والخلطاء ما يزجره عن المعاودة)[3].

ويدل هذا على أن العقوبة التي أنزلت بالزاني غير المحصن، إنما هي لتأديبه وإصلاحه لا لتعذيبه، يقول السرخسي: (والحد إنما شرع على وجه يكون زاجراً لا متلفا)[4].

---

(١) محمد حسين الذهبي، أثر إقامة الحدود في استقرار المجتمع، ص ١٠٩.

(٢) محمد حسين الذهبي، أثر إقامة الحدود في استقرار المجتمع، ص ١١٠.

(٣) ابن قيم الجوزية، أعلام الموقعين عن رب العالمين، (د. ط)، بيروت، (دار الجيل، (د. ت)، جـ ٣، ص ٩٧.

(٤) شمس الدين السرخسي، المبسوط، ط١، مصر، مطبعة السعادة، ١٣٢٤هـ، ص ٤٤.

أضرار الزنا:

أ. الأضرار الصحية:

وفي إقامة حد الزنا وقاية للإنسان من الأمراض التي تصيبه كمرض السيلان، الذي يصيب الجسم كاملا، وربما يفتك به ويؤدي بحياة الشخص.

ومرض السيلان الذي من يصاب به مرة أصيب إلى الأبد، ويؤدي هذا المرض إلى إتلاف الكبد والمثانة، ونادراً ما يشفى صاحبه[1].

ومنها مرض السفلس: الذي يؤدي إلى إصابة القلب، حيث إنه يهاجم جميع أجزاء الجسم، وقد يودي بحياة المريض، ويصيب الجهاز العصبي بأكمله[2].

وإن سلم الزاني من هذه الأمراض فإنه يصاب بسفاسف الأمراض الخلقية، التي تتعلق بالفاحشة، من خداع، وكذب، وأنانية، وخضوع للشهوات، ثم يقوم بنقلها إلى أفراد المجتمع فيصاب بها المجتمع.

وقد شرع حد الزنا لحماية الإنسان من الأضرار الخلقية، وقاية للمجتمع من أن ينتشر الزناة فيه، وينقلون عدوى أمراضهم سواء كانت الحسية منها أو المعنوية إلى أفراد المجتمع كاملاً.

ب. الأضرار الخلقية: ومن الأضرار الخلقية التي يخشى على المجتمع منها، وجود فئة البغايا، وهذا النوع من النساء يصبح وسيلة لقضاء شهوة الرجال مدى الحياة، ويؤدي هذا إلى أن تتشكل في المجتمع طبقة منحلة، مهانة في المجتمع، يحرمن المجتمع من أية خدمة نافعة، وبإقامة حد الزنا عليهن وقاية من مثل ذلك[3].

ومن الأضرار الخلقية، فتح السبل وتيسير الأسباب للتحلل من المسؤولية أمام أفراد المجتمع، فالذي يصبح الزنا عادة عنده، لا يجد لديه الرغبة لتحمل أعباء الزوجية، والأسرة، وتفشي هذا النمط من الناس يزيد عدد المنحلين من مسؤولياتهم[4].

---

(١) علي عبد الرحمن سعيد: الآثار التربوية لإقامة الحدود الشرعية، رسالة ماجستير غير منشورة، جامعة أم القرى، مكة المكرمة، ١٤٠٩هـ، ص ٨٥.

(٢) محمد علي البار، الأمراض الجنسية، ط٣، جدة، دار المنارة، ١٤٠٧هـ، ص ٣١٥.

(٣) محمد عقلة، نظام الإسلام العبادة والعقوبة، ص ٢١٢.

(٤) المرجع السابق، ص ٢١٢.

جـ. الأضرار المادية: ومن ذلك الأضرار المادية، حيث تقتل حوافز العمل في مجتمع تنتشر فيه الأمراض الجسدية والخلقية، والنفسية نتيجة للزنا، وتجرده من المثل والقيم العليا، التي يسعى لتحقيقها، وثمرة ذلك كله الركود إلى الكسل والدعة، والحرص على المال لاجتلاب مزيد من المتعة المحرمة[1].

ويؤدي هذا إلى هلاك الأمة لفقدانها مقومات وجودها، وأسباب بقائها واستمرارها، يقول أحد الكتاب الفرنسيين حول أسباب انهيار فرنسا: (ومن أهم أسباب انهيار فرنسا في الحرب العالمية الثانية، تفسخ الشعب الفرنسي، نتيجة لانتشار الرذيلة بين أفراده)[2].

د. الأضرار الاقتصادية: ومن ذلك الأضرار الاقتصادية التي تعود على المجتمع بالخسارة الكبيرة جدا، حيث يستلزم هذا الإنفاق الكبير من الأموال لمعالجة هؤلاء الذين يصابون بهذه الأمراض، وفتح المستشفيات والكوادر الطبية البشرية، وكل هذا إهدار للمال العام، الذي ينفق في مصالح أخرى تهم المجتمع، فيما لو إذا طبقت الحدود.

وهذا يؤدي إلى حرمان المجتمع من طاقات الذين أصابهم المرض، وخارت قواهم، وأصبحوا عاطلين عن العمل، بسبب الزنا، فيخسر المجتمع قوة كان بالإمكان استغلالها في الجهات الخيرة في البناء والإعمار.

ومنها حرمان المجتمع من الانتفاع بثمرة الأموال الطائلة التي يبذلها أرباب الشهوات على ملذاتهم.

ومنها أن الدولة التي يتشر فيها الزنا بحاجة إلى مزيد من الأموال لإنفاقها على الأطفال غير الشرعيين.

الآثار الإيجابية المترتبة على إقامة حد الزنا:

أ. حفظ الأنساب: وفي إقامة حد الزنا صيانة وحفظاً للأنساب والأعراض من الاختلاط، وضياعها، وتوهين حرمة القرابة، وإفساد مقومات الأسرة، واستهانة بحرمة الزواج، واضطراب الأنساب، وتعريض الأولاد للضياع، إلى غير ذلك..

---

(١) المرجع نفسه، ص ٢١٢.

(٢) عبد الله ناصح علوان، إلى كل أب غيور يؤمن بالله، ط١٠، القاهرة، دار السلام، ١٩٩٥، ص ٩٣.

١- حفظ المجتمع من الفساد: ومن ذلك إبعاد أفراد المجتمع وردعهم عن الوقوع بمثل هذه الجريمة، إذ إن الزاني لو كان محصنا، فحده الرجم حتى الموت، ويعني هذا اجتثاثه من المجتمع نهائيا، ويكون ردعاً لغيره، لأن من يعمل عمله يكون مصيره الرجم حتى الموت.

وكذلك لو كان غير محصن، فالجلد والتغريب عقوبتان كافيتان لردعه وردع أمثاله من الذين تسول لهم أنفسهم فعل ذلك.

٢- الوقاية من غضب الله: وفي إقامة حد الزنا، وقاية للمجتمع من غضب الله عز وجل، وحبس الخير من قبل الله عز وجل، إلى جانب مقت الله عز وجل.

قال تعالى: ﴿ وَلَا تَقْرَبُوا۟ ٱلزِّنَىٰٓ ۖ إِنَّهُۥ كَانَ فَٰحِشَةً وَسَآءَ سَبِيلًا ﴾ [الإسراء: ٣٢].

وقال ﷺ: «ما ظهر الغلول في قوم إلا أُلقي في قلوبهم الرعب، ولا فشا الزنا في قوم قط إلا كثر فيهم الموت، ولا نقص المكيال والميزان إلا قُطع عنهم الرزق، ولا حكمهم قوم بغير الحق، إلا فشا فيهم الدم، ولا ختر قوم بالعهد إلا سلط الله عليهم العدو»(١).

٣- إصلاح الفرد: وإقامة حد الزنا، يقوي الجانب الخلقي عند المسلم، لأن الزنا مفسدة وفساد خلقي كبير، والحد الذي يقام على مرتكبه هو محاربة لهذه المفسدة، ودفعا لها بعقوبة مرتكبها، وتقوية الجانب الخلقي لدى أفراد المجتمع المسلم باستوائهم إلى الخلق الكريم، وهذا يؤدي إلى تقوية الإرادة عند المسلم وتقوية شخصياتهم ثم التكامل(٢).

فحد الزنا يعمل على إصلاح الفرد الذي يكون أحد أفراد المجتمع، فإذا صلح وهذبت أخلاقه، أدى ذلك إلى صلاح المجتمع، وشاع الأمن والمحبة والاستقرار وانتشرت سعادة المجتمع.

فالحد يمنع صاحبه إذا لم يكن متلفا، وغيره بالمشاهدة، ويمنع من يشاهد ذلك ويعاينه، إذا لم يكن متلفا، لأنه يتصور حلول تلك العقوبة بنفسه، لو باشر تلك الجناية(٣).

---

(١) مالك ابن أنس، الموطأ، كتاب الجهاد، باب ما جاء في الغلول، (د. ط)، مصر، مطبعة الحلبي، ١٣٥٣هـ، جـ ١، ص ٤٦٠.

(٢) محمد أمين المصري، لمحات في وسائل التربية الإسلامية وغاياتها، ط٤، بيروت، دار الفكر، ١٣٩٨هـ، ص٢١٤.

(٣) علاء الدين الكاساني، بدائع الصنائع في ترتيب الشرائع، جـ ٧، ص ٣٣.

وبعد هذا يتبين أن الزنا، يشكل مصدراً كبيراً وخطيراً للجريمة في عالمنا المعاصر، علاوة على أنه ظلم فادح يلحق بأبناء السفاح وبالأطراف الأخرى، وينتهك أخطر حقوق الإنسان على الإطلاق ألا وهو حق الطفل في التربية الأسرية بين أمه وأبيه[١].

حد القذف:

يعرف القذف: الرمي بوطء، يوجب الحد على المقذوف[٢].

والتشديد في عقوبة الزنا لا يكفي وحده في صيانة الجماعة من الفساد، مالم تسبقه ضمانات وقائية منها: محاربة الإشاعات الكاذبة، ولجم ألسنة السوء عن إطلاق التهم الباطلة، ومعاقبة الذين يقذفون العفيفات بالزنا والاتهام بدون دليل، قال تعالى: ﴿ وَٱلَّذِينَ يَرْمُونَ ٱلْمُحْصَنَٰتِ ثُمَّ لَمْ يَأْتُوا۟ بِأَرْبَعَةِ شُهَدَآءَ فَٱجْلِدُوهُمْ ثَمَٰنِينَ جَلْدَةً وَلَا تَقْبَلُوا۟ لَهُمْ شَهَٰدَةً أَبَدًا ۚ وَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْفَٰسِقُونَ ﴾ [النور: ٤].

فترك الألسنة تلقي التهم على العفيفات بدون دليل قاطع، يترك المجال فسيحاً لكل من شاء أن يقذف بريئاً أو بريئة بتلك التهمة النكراء، فتصبح الجماعة أعراضها مطعونة، وسمعتها ملوثة، وكل زوج فيها يخامره الشك في زوجته، وكل بيت مهدد بالانهيار من جراء كذبة يطلقها ذو غرض، مما يسبب حدوث مشاكلات خطيرة في المجتمع تنتهي إلى وقوع جنايات قد تصيب كثيراً من الأبرياء[٣].

فوقاية للمجتمع من الاتهام الباطل والكاذب بدون دليل، فقد شدّد القرآن في عقوبة القذف، فجعلها قريبة من عقوبة الزنا، مع إسقاط حق الشهادة ووصف صاحبها بالفسق، فعاقبه بعقوبة جسدية، وأخرى نفسية معنوية أدبية، وبعدها لا تقبل له شهادة، ولا يوثق بكلامه.

ونظراً لخطورة هذا الأمر فقد شدد الشارع الحكيم في إثبات هذه الجريمة، وجعلها أربعة شهداء، ويجب أن يشهد الأربعة على ذلك وبالرؤية.

---

(١) أحمد عبد الرحمن، التدابير الوقائية في الإسلام (الإسلام وأمن المجتمع)، (د. ط)، القاهرة، دار الاعتصام، (د. ت)، ص ٤٠.

(٢) محمد بن إسماعيل الصنعاني، سبل السلام، جـ ٤، ص ١٥.

(٣) عفيف عبد الفتاح طبارة، الخطايا في نظر الإسلام، ط٤، بيروت، دار العلم للملايين، ١٩٧٩، ص ٨٢.

الغاية من إقامة حد القذف:

وأما الغاية من إقامة حد القذف، فهو لما يتركه من آثار تربوية تمثل في تربية المسلم وتهذيبه، وتقيمه وتردعه، وتكف لسانه عن النطق بالمنكر، والفاحش من القول.

وفي حد القذف موازنة عادلة، حيث رتب الشارع عليه عقوبة الجلد، وعقوبة عدم قبول الشهادة، واعتباره فاسقاً ما لم يتب، لأن قذف الإنسان دون بينة عدوان على سمعته ووضعه الاجتماعي، وإهدار لقيمة يحرص عليها بين الناس، وهدم معنوي لمن يوجه إليه، والألم الذي يصيب المسلم من جراء هذا الجرم نفسي بالغ.

ومن هنا اشتمل الحد على هذه العقوبات، فالعقاب بالجلد مناسب وملائم للذين يقعون في أعراض الناس بهتاناً وزوراً، وعقوبة نفسية كالتي حلت بالمتهم أماداً طويلة، فجاءت العقوبة النفسية والمعنوية تمثل الإيلام النفسي تطارد القاذف إلى أن يتوب، ويتجلى هذا في إهدار أهليته في عدم قبول شهادته، وهذا وصف غير مباشر بأنه كذاب، فهو من جهة اتهام له بالكذب، ومن جهة نفي لما كان من قذف لأنه مصدر كذب[1].

الآثار التربوية لإقامة حد القذف:

أ. ومن الآثار التربوية لإقامة حد القذف، تربية المسلم على محاسبة نفسه ولسانه عن الكلام إلا في الخير، وتربية للمسلم ووقاية له من الوقوع في جريمة القذف.

ب. ومنها تربية المسلم على احترام أعراض الناس ومشاعرهم وكراماتهم، لأن القذف جريمة ومفسدة من المفاسد الأخلاقية للفرد والمجتمع، وعقوبة هذه الجريمة تهدف إلى حماية الفضيلة وحماية المجتمع، من أن تتحكم فيه الرذيلة، كما تهدف إلى تحقيق المنفعة والمصلحة العامة للمجتمع، فالشريعة الإسلامية جاءت لحماية مصالح الإنسان، وجاءت العقوبة لحماية تلك المصلحة[2].

وأكد الغزالي ذلك بقوله: (وجلب المنفعة ودفع المضرة مقاصد الخلق وصلاح الخلق في

---

(١) محمد حسين الذهبي، أثر إقامة الحدود في استقرار المجتمع، ص ١١- ١١٢.

(٢) علي عبد الرحمن سعيد، الآثار التربوية لإقامة الحدود الشرعية، ص ١٩٧- ١٩٨، نقلا عن سامح السيد جاد، العفو عن العقوبة، ط٢، جدة، دار العلم، ١٤٠٤هـ، ص ٦.

تحصيل مقاصدهم، ولكننا نعني بالمصلحة المحافظة على مقصود الشرع، ومقصود الشرع من الخلق خمسة، وهو أن يحفظ عليهم دينهم، وأنفسهم، وعقلهم، ونسلهم، ومالهم، فكل ما يتضمن حفظ هذه الأصول الخمسة فهو مصلحة، وكل ما يفوت هذه الأصول فهو مفسدة ودفعها مصلحة)(١).

فإشاعة الفاحشة واتهام الناس في أعراضهم من غير دليل على ذلك يعتبر مفسدة وأي مفسدة أعظم من ذلك.

جـ. ومنها التغلب على ما جرت عليه عادة بعض الناس من الاستهانة بأمر اللسان، واعتقاد الناس أن الكلام لا ينتقص من المتكلم في حقه شيئاً كل ذلك جعل الناس يستهينون به(٢).

د. ومن ذلك تربية المسلم على تحري الصدق والدقة، في نقل المعلومات، وهذا من خلال ما قرره الشارع عليه من عقوبة القذف فيما لو كان كاذبا، فالجلد وعدم قبول شهادته، واتهامه بالفسق، عقوبات كفيلة بتربيته تربية سليمة وعلى قول الحق والصدق، وبخاصة إذا أراد أن يتكل، بحق أمرىء مسلم، ويجب عليه التأكد من صحة المعلومات قبل أن يطلق للسانه العنان للخوض في أعراض الناس.

وفي هذا تربية على قول الصدق وعدم الكذب، لأن القذف يقوم على الكذب والافتراء والكلام غير الصحيح، وهو من أخبث أنواع الكذب، ولذلك حثته الشريعة بالابتعاد عن الكذب مهما كان نوعه، وإن الكذب من خصال المنافق والمؤمن لا يعرف الكذب.

ومعنى هذا أن القاذف الذي عليه حد القذف، قد زالت منه صفة الصدق وإقامة الحد عليه، يدعو القاذف من جديد إلى أن يتربى على الصدق، ويلزمه في كل ما يصدر عنه، وأن يتأكد في نقل أي معلومة، وأن يصلح نفسه بالتوبة الصادقة والاستغفار، ويصدق مع الله عز وجل ومع النفس والناس(٣).

---

(١) أبو حامد الغزالي، المستصفى في علم أصول الفقه، ط١، مصر، مطبعة بولاق، ١٣٢٤هـ، ج١، ص١٤٠.

(٢) محمد عقلة، نظام الإسلام العبادة والعقوبة، ص ٢٢٦.

(٣) علي عبد الرحمن سعيد، الآثار التربوية لإقامة الحدود الشرعية، ص ٢٢٠.

ويلحق بالزنا اللواط، وهو عمل جنسي غير طبيعي، لأنه اتصال الذكر بالذكر، وهو أمر بشع تنفر منه النفوس الطاهرة، ولا يقترفه إلا من فقد إنسانيته وأصبح لا يدري ماذا يفعل، وما يقترفه من إثم على النوع الإنساني برمته، ومن هنا حارب الإسلام اللواط، لما فيه من الجناية على قدسية الجنس والمرأة والأسرة.

قال ﷺ: «من وجدتموه يعمل عمل قوم لوط فاقتلوا الفاعل والمفعول به»[(١)].

وفي تطبيق هذا الحد ردع لكل من تسول له نفسه أن يقوم بهذا العمل المخالف للإنسانية، وهو عمل حيواني، وقد يترتب عليه خطر أمراض العصر الحديث، كمرض الإيدز الذي ينتج عن الشذوذ الجنسي، وصاحب هذا المرض ميت لا محالة، فلهذا جعل الإسلام الحد بهذه الصورة الشديدة، حتى كون ردعاً عاماً لجميع أفراد المجتمع.

والشذوذ الجنسي يؤثر على المخ، ويحدث اختلالا في توازن عقل الإنسان وإرباكاً في تفكيره، وركوداً غريباً في تصوراته، وبلاهة واضحة في عقله، وضعفاً شديداً في إرادته، علاوة على أصابته بأمراض الزنا التي تصيب الزناة[(٢)].

حد السرقة:

تعرف السرقة: أخذ المال خفية ظلماً من حرز مثله بشروطه[(٣)] والمال محترم[(٤)].

فالسرقة اعتداء على أموال الغير، وهي أموال محترمة شرعا.

وعقوبة السارق التي قررها الله عز وجل في القرآن الكريم، القطع من الكوع، وهذا ما عليه العلماء[(٥)].

قال تعالى: ﴿ وَٱلسَّارِقُ وَٱلسَّارِقَةُ فَٱقْطَعُوٓا۟ أَيْدِيَهُمَا جَزَآءًۢ بِمَا كَسَبَا ﴾ [المائدة: ٣٨].

---

(١) محمد ناصر الدين الألباني، صحيح ابن ماجة، كتاب الحدود، باب من عمل عمل قوم لوط، ط١، بيروت، المكتب الإسلامي، ١٩٨٦، جـ٢، ص ٨٢- ٨٣.

(٢) سيد سابق، فقه السنة، جـ٢، ص ٤٩٩. نقلا عن د. محمد وصفي، الإسلام والطب.

(٣) الخطيب الشربيني، مغني المحتاج، (د. ط)، بيروت، دار الفكر، (د. ت)، جـ٤، ص ١٥٨.

(٤) منصور بن يونس إدريس، كشاف القناع عن متن الإقناع، (د. ط)، بيروت، عالم الكتب، ١٩٨٣، جـ٦، ص ١٢٩.

(٥) ابن حزم، المحلى، (د. ط)، جـ٣، ص ٣٥٧.

أما وقد تضمن حد السرقة وسمهُ بعلانية بينة، لا يملك معها حيلة في الإخفاء أو التمويه، إنها بمثابة نشر صورته على الدنيا ومعها تحذير بأنه سارق مع فارق أن الصورة والاسم قد ينساهما الناس، أما اليد المقطوعة، ومن موضع محدد، وبطريقة معينة، فهي علامة دائمة تلازم صاحبها، وتدفعه بالعار، وتفضحه أمام الأعين، وتنبّه له الغافل، ولا يملك لدفع عارها إلا أن يتوب[1].

وقطع يده يعني تعطيل أداة رئيسة من أدوات الجريمة، وفقد اليد اليمنى هو في الحقيقة تحديد سلاح العدوان والمقاومة، إذا أضيف إليها ما يُحدث قطعها من تنبيه وتحذير، فقد عُدت معاودة السرقة من المقطوع شبه مستحيلة[2].

آثار إقامة حد السرقة:

أ. وجاءت إقرار عقوبة السرقة القطع من الشارع الحكيم، وذلك من أجل المحافظة على المال وصيانته من أيدي العابثين والطامعين، والمحافظة على أمن واستقرار المجتمع.

ب. وإقامة حد القطع فيه تأديب للسارق وتربيته تربية سليمة وصحيحة.

يعود بعدها عضواً نافعاً في المجتمع، لا يفكر أن يعود إلى مثل هذا العمل، وإذا فكر بالعودة نظر إلى يده فتذكر القطع، فتوقف واعتبر، ومعنى هذا أن فيه إصلاح للنفوس وتزكيتها.

جـ. وإقامة حد السرقة فيه تربية للنفس الإنسانية على الرضا بالذي قدره الله عز وجل، لا ينظر ولا يمد يده إلى مال غيره، وهذا هو سر نجاح العقوبة الشرعية في مكافحة الجريمة، وتربية نفس السارق على الرضى بما قسم الله له من الرزق، فإن للسرقة أثراً كبيراً في الخوف والقلق، وزعزعة أمن المجتمع واستقراره، ولهذا أبقت التربية الإسلامية في جسمه من أثر عقوبة السرقة ما يذكره فعلاً بالجريمة، فلا يعود لمثلها مرة أخرى، وهذا ما أكده ابن قيم الجوزية حيث قال: (بالقطع فجعله عقوبة مثله عدلا، والسارق كانت عقوبته أبلغ وأردع من عقوبته بالجلد، ولم تبلغ جناية حد القتل، فكان أليق العقوبات به إبانة العضو الذي جعله وسيلة إلى أذى الناس وأخذ أموالهم)[3].

---

(١) محمد حسين الذهبي، أثر إقامة الحدود في استقرار المجتمع، ص ١١٠- ١١١.

(٢) المرجع السابق، ص ١١١.

(٣) ابن قيم الجوزية، أعلام الموقعين عن رب العالمين، (د. ط)، بيروت، دار الجيل، (د. ت)، جـ ٢، ص١١٥- ١١٦.

د. ومن آثار إقامة حد السرقة التربوية، تربية الفرد على احترام أموال الغير وممتلكاتهم، لأن السرقة تحدث في حالة ضعف إيمان الإنسان فيقدم على السرقة.

قال ﷺ: «لا يزني الزاني حين يزني وهو مؤمن، ولا يسرق السارق حين يسرق وهو مؤمن، ولا يشرب الخمر حين يشربها وهو مؤمن، والتوبة معروضة بعد»[1].

هـ. وإقامة الحد رحمة للجاني، بحيث لو تُرِك من غير عقاب لعاد إلى السرقة مرة أخرى، بل مرات كثيرة، وإذا لم يعاقب السارق لانتهاكه ما حرم الله عز وجل، فإن الأموال وكل الممتلكات تهون في أعين السارقين، لذلك شرع الله العقوبة[2].

وقد ذكر ابن حجر العسقلاني حول هذا عن عبد الله المازري قوله: (صان الله الأموال بإيجاب قطع سارقها، وشدد العقوبة فيها ليكون أبلغ في الزجر، ولم يجعل دية الجناية على العضو المقطوع، بقدر ما يقطع به، حماية لليد ثم لما هانت هانت)[3].

ولعل المراد بذلك الإهانة والخذلان، كأنه قيل لما استعمل أعز شيء في أحقر شيء خذله الله عز وجل حتى قطع)[4].

و. وإلى جانب الردع الخاص الردع العام، قال تعالى: ﴿فَاقْطَعُوٓا۟ أَيْدِيَهُمَا جَزَآءًۢ بِمَا كَسَبَا نَكَـٰلًا مِّنَ ٱللَّهِ﴾ [المائدة: ٣٨].

والغاية من تنفيذ العقوبة علانية على مرأى من الناس، هو الردع العام للناس لأن كل من يرى السارق، وقد أُقيم عليه الحد، لن تسول له نفسه بارتكاب مثل هذا العمل، ولذلك يكون الحضور أبلغ في الزجر والردع.

فالعقوبات مشروعة لدرء المفاسد المتوقعة والزواجر معظمها على العصاة، لتزجرهم عن المعصية، ولكل من تسول له نفسه الإقدام على المعصية[5].

---

(١) صحيح البخاري، فتح الباري، كتاب الحدود، باب أثر الزناة، جـ ١٢، ص ١١٤.
(٢) علي عبد الرحمن سعيد، الآثار التربوية لإقامة الحدود الشرعية، ص ٢٤٧.
(٣) أحمد بن حجر العسقلاني، فتح الباري، شرح صحيح البخاري، جـ ١٥، ص ١٠٤.
(٤) المرجع السابق، جـ ١٢، ص ٨٢- ٨٣.
(٥) شهاب الدين أحمد بن إدريس القرافي، الفروق، (د. ط)، بيروت، عالم الكتب، (د. ت)، جـ ١، ص ٢١٣.

وهذا يردع الفرد ويردع المجتمع، ويمنع الاعتداء على أموال الغير، لأن السرقة تبديد للمال وإضاعة له، فيسود الأمن والاستقرار في المجتمع، الذي يساعده على الكسب المشروع، والبحث عن موارد الرزق الحلال، بالطرق المشروعة، وتسوده روح الأخوة، والتعاون والمحبة، والتعاون بين أفراده.

ولهذا كانت العقوبة التي قررها الشرع أفضل من العقوبة التي تقرها التشريعات الحديثة، وهي الحبس، لأنها عقوبة غير رادعة، ونلاحظ هذا في جميع المجتمعات، أن السارق الذي يسرق ثم يسجن ويخرج من السجن مرة أخرى يعود للسرقة مرة ثانية، ولهذا يظل المجتمع في حالة من عدم الأمن وعدم الاستقرار، وحالة من الفوضى وفقدان الأمن.

حد شرب الخمر:

الخمر عدو العقل والإنسانية جمعاء، لأنه يصيب العقل بالخلل، فتنتج عنه تصرفات غير سليمة، ربما يؤدي إلى إثارة الفوضى بين أفراد المجتمع الذي يعيش فيه.

قال تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِنَّمَا ٱلْخَمْرُ وَٱلْمَيْسِرُ وَٱلْأَنصَابُ وَٱلْأَزْلَٰمُ رِجْسٌ مِّنْ عَمَلِ ٱلشَّيْطَٰنِ فَٱجْتَنِبُوهُ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾ [المائدة: ٩٠].

وقال تعالى: ﴿ إِنَّمَا يُرِيدُ ٱلشَّيْطَٰنُ أَن يُوقِعَ بَيْنَكُمُ ٱلْعَدَٰوَةَ وَٱلْبَغْضَآءَ فِى ٱلْخَمْرِ وَٱلْمَيْسِرِ وَيَصُدَّكُمْ عَن ذِكْرِ ٱللَّهِ وَعَنِ ٱلصَّلَوٰةِ فَهَلْ أَنتُم مُّنتَهُونَ﴾ [المائدة: ٩١].

وشرب الخمر حرام نظراً لورود النصوص في ذلك، وهو كبير من الكبائر الذي يستحق فاعلها إقامة الحد عليه.

الآثار التربوية لإقامة الحد على شارب الخمر:

١- ردع خاص للشارب، فلا يعود لمثل هذا العمل، فكلما أراد العودة تذكر موقفه بين الناس، والإمام يجلده أربعين جلدة، على كل مرة يشرب فيها الخمر، فيعود عن مثل هذا العمل فلا يقدم عليه.

وفي قوله تعالى: ﴿ إِنَّمَا يُرِيدُ ٱلشَّيْطَٰنُ أَن يُوقِعَ بَيْنَكُمُ ٱلْعَدَٰوَةَ وَٱلْبَغْضَآءَ. . . ﴾ [المائدة: ٩١].

ذكر الشيخ ولي الله الدهلوي، في هذه الآية قوله: (بيّن الله تعالى أن في الخمر مفسدتين، مفسدة في الناس فإن شاربها يلاحق القوم ويعدو عليهم، ومفسدة فيها يرجع إلى تهذيب

نفسه، فإن شاربها يغوص في حالة بهيمية ويزول عقله، الذي به قوام الإحسان)[١].

وهناك ارتباط وثيق بين شرب الخمر والفاحشة، فربما من يشرب الخمر يرتكب الفاحشة، فإقامة الحد على أمثال هؤلاء يقلل من شيوع الفاحشة والجرائم في المجتمع.

عن معاذ بن جبل رضي الله عنه، قال: (أوصاني رسول الله ﷺ بعشر كلمات، قال لا تشرك بالله شيئاً وإن قتلت وحرقت، ولا تعص والديك وإن أمراك أن تخرج من أهلك ومالك، ولا تتركن صلاة مكتوبة متعمدا، فإن من ترك صلاة مكتوبة متعمدا، فقد برئت ذمة الله ولا تشربن خمراً فإنه رأس كل فاحشة، وإياك والمعصية، فإن المعصية حل سخط الله عز وجل، وإياك والفرار من الزحف وإن هلك الناس، وإذا أصاب الناس موتان وأنت فيهم فأثبت وأنفق على عيالك من طولك، ولا ترفع عنهم عصاك أدباً وأخفهم في الله)[٢].

ويؤكد هذا حديث الرسول ﷺ، الذي رواه عثمان بن عفان، قال سمعت رسول الله ﷺ يقول: (اجتنبوا الخمر فإنها أم الخبائث، إنه كان رجل ممن خلا قبلكم تعبد فعلقته امرأة غوية، فأرسلت إليه جاريتها، فقالت له: إنا ندعوك للشهادة، فانطلق مع جاريتها، فطفقت كلما دخل باب أغلقته دونه، حتى أفضى إلى امرأة وضيئة عندها غلام وباطية خمر، فقالت: (إني والله ما دعوتك للشهادة، ولكن دعوتك لتقع عليّ أو تشرب من هذه الخمر، أو تقتل هذا الغلام، قال: فاسقيني من هذا الخمر كأساً فسقته، قال: زيدوني فلم يرمْ حتى وقع عليها وقتل النفس، فاجتنبوا الخمر فإنها والله لا يجتمع الإيمان وإدمان الخمر إلا ليوشك أن يخرج أحدهما صاحبه)[٣].

وروي عن جعفر بن أبي طالب، وقد ترك شرب الخمر قبل تحريمها، سألوه عن سبب تركها فقال: (إني رأيت أهل العقول يحاولون الازدياد في عقولهم، وشارب الخمر يتعمد إلحاق المضرة والتقصير بعقله)[٤].

---

(١) أحمد ولي الله الدهلوي، حجة الله البالغة، ط١، القاهرة، دار التراث، ١٣٥٥هـ، جـ٢، ص ١٦٤.

(٢) أحمد بن حنبل، المسند، (د. ط)، بيروت، المكتب الإسلامي، (د. ت)، جـ٥، ص ٢٣٨.

(٣) أبو عبد الرحمن أحمد بن شعيب النسائي، السنن شرح السيوطي، ط١، القاهرة، المكتبة التجارية الكبرى، ١٩٣٠، جـ٨، ص ٣١٥.

(٤) المرجع السابق، ص ١٨.

وهذا من حرص الإسلام على تربية العقل تربية سليمة، لأن العقل منطلق الفكر، وإن شرب الخمر يأخذ من عقل الرجل وفكره، وله نتائج خطيرة على العقل، ومن ذلك ضعف الذاكرة، وتأخر القدرة على التفكير المنطقي المنظم، والإدمان يلعب دوراً هاماً في الأمراض العقلية.

أضرار الخمر:

١. والخمر توقع العداوة والبغضاء بين الناس، كما نص على ذلك القرآن، من خلال ما ذكره الحديث السابق، حينما شرب الرجل الخمر، ثم وقع على المرأة، ثم قتل ذلك الغلام، فمثل هذه الأمور تؤدي إلى العداوة والبغضاء بين الناس.

وإقامة حد الخمر فيه الحفاظ على العقل، الذي جعله الله عز وجل مناط التكليف، لأن الإنسان إذا شرب الخمر، سكر وخمل، فيفقد عقله ووعيه، ولا يدري ما يفعل، يقال أن شخصاً شرب الخمر في بيته حتى فقد عقله، ثم أخذ سكيناً وبقر بطن زوجته الحامل، وقتل الطفل الصغير، ثم قتل ابنته الكبرى، وعلى أثر الصوت الذي صدر من داخل المنزل، جاء الجيران لكي يعرفوا السبب فوجوه عرياناً ويقول: إنه ذبح الدجاج لطعام الغداء[١].

وللخمر أخطار على سلامة العامة، فوقاية من حوادث السير المروعة، والتي تذهب بأرواح الأبرياء نتيجة لشرب الخمر، الذي يشربه من يمارس القيادة فإن جرعة صغيرة يتناولها بكمية قليلة، تسبب حوادث السير، لأن الكحول تقلل من سرعة استجابة الجسم للتفاعلات الحيوية في داخله، فيقلل من حدة البصر شيئاً فشيئاً، ثم يتقلص محيط الرؤيا، ويحصل الاختلال في التوازن، فتحصل حوادث السير التي تؤدي إلى قتل الأبرياء[٢].

جاء في تقرير المركز الطبي للبحوث الجنائية الفرنسي، أن الخمر كانت سبباً في ٦٦٪ من جنايات الاعتداء على الأشخاص، و٥٦٪ من جنايات الإخلال بالآداب و٨٢٪ من جنايات العنف، و٥٣٪ من جرائم القتل، و٧٠٪ من جرائم الضرب والجرح، و٥٧٪ من جرائم هتك الأعراض[٣].

---

(١) عبد الله إبراهيم الأنصاري، الخمرة أم الخبائث، (د. ط)، قطر، الشؤون الدينية، (د. ت)، ص ١٧.

(٢) عفيف عبد الفتاح طبارة، الخطايا في نظر الإسلام، ص ١٠٨.

(٣) أحمد عبد الرحمن، التدابير الوقائية في الإسلام، ص ٧٤- ٧٥، نقلا عن علي منصور، نظام التحريم والعقاب، جـ ١، ص ٧٦- ٧٧.

٢- والخمر تلهي عن ذكر الله عز وجل، وتشغل عقل الإنسان وقلبه عن ذكر الله عز وجل وتوقع العداوة والبغضاء بين الناس، ومدعاة إلى الفاحشة والجرائم الكبيرة، ويلهي الإنسان عن الصلاة، ويفسد الأهل والذرية، فكثيراً ما يقلد الأبناء آباءهم في الفساد والانحراف ويدفع إلى السباب والشتم والعدوان على الناس[١].

٣- ويترتب على شرب الخمر أضرار اقتصادية، لأن ملايين الأموال تنفق على صناعة الخمر، وهذه الأموال تذهب هدراً وتخسرها الأمة، وكذلك ما ينفق على علاج المدمنين في المستشفيات من أموال كثيرة، فالأمة أولى بها تنفق على مصالحها العامة.

٤- ومن الناحية السياسية، فتعاطي الخمر من أسباب ضعف شباب الأمة، وضعف قوتهم فلا يكونون أهلا لمواجهة العدو، لذلك فإن الدول تحرم على جنودها شرب الخمر أيام الحرب، لأن ذلك يعجزهم عن القيام بواجباتهم[٢].

٥- ومن مضارها النفسية، إفشاء الأسرار، وهو ذو أضرار خطيرة، ولا سيما إذا كان متصلا بالحكومات وسياسة الدولة، وشؤونها الفكرية، وعليها يعتمد الجواسيس في نجاحهم في مهماتهم التي ندبوا إليها[٣].

فلكل هذه الأضرار الصحية والعقلية والجسمية والنفسية والسياسية والخلقية والمالية حرم الإسلام الخمر وشرع لها حداً وهو الجلد، وقاية للمسلم من آثارها السلبية، وحرصاً على سلامة المجتمع من الانهيار والانحلال الخلقي.

خامسا: حد الردة:

والردة في حقيقتها: هي قطع الإسلام، ويحصل ذلك تارة بالقول الذي هو كفر، وتارة بالفعل، والأفعال الموجبة للكفر، هي التي تصدر عن تعمد صريح واستهزاء بالدين، كالسجود للصنم أو للشمس، وإلقاء المصحف في القاذورات، أو استحل محرماً بالإجماع،

---

(١) وهبي سليمان غاوجي، التحذير من الكبائر، ط١، عمان، مؤسسة الرسالة، ١٩٨٨، ص ١٠٧.

(٢) محمد عقلة الإبراهيم، نظام الإسلام العبادة والعقوبة، ص ٢٣٥- ٢٣٦.

(٣) محمد عبد السلام وآخرون، دراسات في الثقافة الإسلامية، ط٤، الكويت، مكتبة الفلاح، ١٩٨٥، ص٥٦٢.

كالخمر والزنى، أو حرم حلالا بالإجماع، أو نفى وجوب مجمع على وجوبه كركعة من الصلوات...[1].

مشروعية حد الردة:

وشرع حد الردة وهو القتل، حفاظاً ووقاية للدين لأن المراد يحبط عمله بهذا الفعل.

قال تعالى: ﴿وَمَن يَرْتَدِدْ مِنكُمْ عَن دِينِهِۦ فَيَمُتْ وَهُوَ كَافِرٌ فَأُوْلَٰٓئِكَ حَبِطَتْ أَعْمَٰلُهُمْ فِى ٱلدُّنْيَا وَٱلْءَاخِرَةِ وَأُوْلَٰٓئِكَ أَصْحَٰبُ ٱلنَّارِ هُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ﴾ [البقرة: ٢١٧].

وقال ﷺ: «من بدل دينه فاقتلوه»[2].

الآثار التربوية لإقامة حد الردة:

١. ويترتب على حد الردة، ردعاً عاماً لجميع أفراد المجتمع، الذين تسول لهم أنفسهم القيام بمثل هذا العمل، والتلاعب بالدين، والإساءة إليه، والطعن فيه، لأن المرتد حين يعلن خروجه من الإسلام، يقصد بذلك الإساءة والطعن والانضمام إلى الذين يحاربونه والكيد له، ومحاولة لصد الناس عن الدخول فيه.

ومن أجل ذلك شرع حد القتل للمرتدين، حتى يكون عبرة لغيره، وردعاً عاماً لجميع أفراد المجتمع.

٢. حفظ الدين: والردة تقع ضد الدين الإسلامي، والتهاون في هذه الجريمة يؤدي إلى زعزعة النظام الاجتماعي الذي يقوم على الدين، وكذلك يعاقب بأقصى العقوبات وهي القتل، من أجل استئصال شره من المجتمع، وحماية لعقيدة المجتمع، ومنعاً للجريمة وزجراً عنها، فما هو إلا ثورة على النظام العام، فاستحق القمع بلا هوادة[3].

وجاءت العقوبة بهذا الشكل، لأن الإسلام كمنهج للسلوك الإنساني لا بد له من سياج يحميه، ودرع يقيه، فإن أي نظام لا قيام له إلا بالحماية والوقاية، والحفاظ عليه من كل ما

---

(١) أبو زكريا يحيى بن شرف النووي، روضة الطالبين، (د. ط)، بيروت، المكتب الإسلامي، ١٩٧٦، جـ١٠، ص ٦٤.

(٢) صحيح البخاري، فتح الباري، كتاب استتابة المرتدين، باب حكم المرتد، جـ ١٢، ص ٢٦٧.

(٣) عبد القادر عودة، التشريع الجنائي الإسلامي مقارناً بالقانون الوضعي، ط٤، بيروت، دار إحياء التراث العربي، (د. ت)، جـ١، ص ٦٦١- ٦٦٢.

ينهر أركانه، ويزعزع بنيانه، ولا شيء أقوى من حماية النظام ووقايته من الخارجين عليه، لأن الخروج عليه يهدد كيانه ويعرضه للسقوط[1].

وذلك أن المرتد عندما يدخل الإسلام، ويرتد بالخروج منه، وما خرج إلا اقتناع بعدم صلاحيته، أو بأفضلية غيره عليه، فإن كان المرتد ممن كانت له مكانة في الجماعة قويت الشبهة واشتد التشكيك، وهو يشبه من يترك وطنه وينحاز إلى وطن معاد، وهي خيانة عظمى للجماعة التي ينتمي إليها، فهل تغفر الأمم والشعوب لبنيها جريمة الخيانة العظمى؟ وهل يتسامح المجتمع معه؟[2].

وحد الردة يُغلق باباً خطيراً في وجه من يريدون إفساد الإسلام من داخله، أو التجسس عليه، حتى يبقى المجتمع بعيداً عن كل الشكوك والظنون، وردعاً لمن تسول له نفسه مثل ذلك، نظراً لما ينتظره من عقوبة شديدة ألا وهي القتل.

سادساً: حد الحرابة:

والحرابة هي (قطاع الطرق): خروج طائفة مسلحة في دار الإسلام لإحداث الفوضى وسفك الدماء، وسلب الأموال، وهتك الأعراض، وإهلاك الحرث والنسل[3].

مشروعيته:

الأصل فيه قوله تعالى: ﴿إِنَّمَا جَزَٰٓؤُاْ ٱلَّذِينَ يُحَارِبُونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَيَسۡعَوۡنَ فِي ٱلۡأَرۡضِ فَسَادًا أَن يُقَتَّلُوٓاْ أَوۡ يُصَلَّبُوٓاْ أَوۡ تُقَطَّعَ أَيۡدِيهِمۡ وَأَرۡجُلُهُم مِّنۡ خِلَٰفٍ أَوۡ يُنفَوۡاْ مِنَ ٱلۡأَرۡضِۚ ذَٰلِكَ لَهُمۡ خِزۡيٞ فِي ٱلدُّنۡيَاۖ وَلَهُمۡ فِي ٱلۡأٓخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾ [المائدة: ٣٣].

وقد جاءت العقوبات على أمثال هؤلاء تتراوح بين القتل والصلب، وقطع الأيدي والأرجل، والنفي، وقد بلغ التغليظ به إلى هذا الحد، نظراً لما ارتكبوه من فساد، حتى تكون العقوبة رادعة.

وحد الحرابة يتغلب فيه الطابع الاجتماعي، حتى ليكاد يعتبر حقاً خالصاً للجماعة، وما

(١) سيد سابق، فقه السنة، جـ ٢، ص ٥٣٢٠- ٥٣٣.

(٢) محمد حسين الذهبي، أثر إقامة الحدود في استقرار المجتمع، ص ١١٥- ١١٦.

(٣) سيد سابق، فقه السنة، جـ ٢، ص ٥٤١.

يتخلل خروج البغاة والمحاربين من عدوان على أفراد المجتمع، حيث إن الأمر يتعلق بأمن الجماعة كلها، وبهيبة الدولة وسلطانها، وأي تهاون أو تفريط يجر إلى عواقب لا تقف عند حد، ومن هنا جاءت العقوبة تتسم بالحزم والتغليظ الذي يتناسب مع الجريمة[(١)].

آثار إقامة حد الحرابة:

١. وإقامة الحد عليهم، حماية للنظام، وإقرار الأمن، وصيانة حقوق الأفراد، والمحافظة على دمائهم وأموالهم وأعراضهم، وحفاظاً على حياتهم من الفوضى والاضطراب، من أجل أن ينعم الناس بالأمن والاستقرار والطمأنينة، ولذة السلام والاستقرار، وينصرف كل إلى عمله دون أن يكون خائفاً قلقاً على نفسه، أو على أهله وماله[(٢)].

٢. فجاءت هذه العقوبات بهذه الشدة، ردعاً للأفراد جميعهم، الذين تسول لهم أنفسهم إخافة الناس، وإشاعة الفساد بينهم وترويعهم حتى ينعم المجتمع بالأمن والاستقرار.

والمجتمع الذي يتهاون مع المجرمين، ولم يطبق عليهم هذه العقوبة الرادعة لهم ولأمثالهم، الذين تسول لهم أنفسهم فعل ذلك، ويتقاعس في تطبيق هذه العقوبة الشديدة، مجتمع ينتشر فيه الفساد، وعدم الأمن والاستقرار، وإخافة الناس الآمنين، فيجعله يحكم على نفسه بالهلاك.

سابعاً: حد البغي

والبغي: خروج جماعة ذات شوكة، وقوة على الإمام، يريدون خلعه بالقوة والعنف مع بقائهم على العقيدة السليمة[(٣)].

مشروعيته:

قال تعالى: ﴿ وَإِن طَآئِفَتَانِ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ٱقْتَتَلُوا۟ فَأَصْلِحُوا۟ بَيْنَهُمَا ۖ فَإِنۢ بَغَتْ إِحْدَىٰهُمَا عَلَى ٱلْأُخْرَىٰ فَقَـٰتِلُوا۟ ٱلَّتِى تَبْغِى حَتَّىٰ تَفِىٓءَ إِلَىٰٓ أَمْرِ ٱللَّهِ ﴾ [الحجرات: ٩].

فالفئة الباغية تقاتل لتعود إلى أمر الله عز وجل، لأن بغيها يؤدي إلى الإفساد في الأرض،

---

(١) محمد حسين الذهبي، أثر إقامة الحدود في استقرار المجتمع، ص ١١٣- ١١٤.
(٢) سيد سابق، فقه السنة، جـ ٢، ٥٥٧- ٥٥٨.
(٣) عبد القادر عودة، التشريع الجنائي الإسلامي، مقارناً بالقانون الوضعي، جـ ١، ص ١٠١- ١٠٢.

والظلم للناس، وتتعدى بغير الحق، وقد يكون فرديا، وقد يكون جماعيا، وحرمه الإسلام لما فيه من إيقاع الضرر على الغير وإفساد المجتمع، وقد شدد الإسلام في عقوبتهم، لأن التساهل فيها يؤدي إلى إثارة الفتن والاضطرابات وعدم الاستقرار، وهذا بدوره يؤدي إلى تأخر الجماعة وانحلالها، وعقوبة القتل أقدر العقوبات على صرف الناس عن هذه الجريمة، التي يدعو إليها الطمع وحب الاستقرار(١).

آثار إقامة حد البغي:

وهذا فيه الردع العام للأفراد الذين يبغون الفساد في الأرض وزعزعة أمن المجتمع واستقراره، وكذلك الجماعة التي تريد الخروج على الإمام، لما فيه من زعزعة الأمن والاستقرار، وإثارة الفتن، ونحن مأمورون بعدم إثارة الفتنة، لما لها من نتائج سلبية على حياة وأمن المجتمع.

ثامناً: عقوبة القتل (القصاص)

مشروعيه:

قال تعالى: ﴿ وَلَكُمْ فِي ٱلْقِصَاصِ حَيَوٰةٌ يَٰٓأُو۟لِي ٱلْأَلْبَٰبِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾ [البقرة: ١٧٩].

وتعتبر عقوبة القصاص من التدابير الوقائية، فضلا عن كونها عقوبات، لأن في هذه العقوبة الردع ومنع الجريمة، وحماية للمجتمع من المجرمين.

وقد عظّم الإسلام إزهاق الروح الإنسانية، حيث جعل قتل النفس الواحدة بمثابة قتل البشرية كلها.

قال تعالى: ﴿مَن قَتَلَ نَفْسًۢا بِغَيْرِ نَفْسٍ أَوْ فَسَادٍ فِي ٱلْأَرْضِ فَكَأَنَّمَا قَتَلَ ٱلنَّاسَ جَمِيعًا وَمَنْ أَحْيَاهَا فَكَأَنَّمَآ أَحْيَا ٱلنَّاسَ جَمِيعًا﴾ [المائدة: ٣٢].

الآثار التربوية لإقامة القصاص:

وقد يترتب على إقامة عقوبة القصاص آثار تربوية وقائية لأفراد المجتمع، الذين يفكرون بقتل الأبرياء ظلما وعدوانا، بدون حق يستوجب.

(١) عبد القادر عودة، التشريع الجنائي، جـ ١، ص ١٠٦.

١ . الردع الخاص: قال قتادة: (جعل الله القصاص حياة، ونكالا وعظة لأهل السفه والجهل من الناس، وكم من رجل قد همّ بداهية لولا مخافة القصاص لوقع فيها، ولكن الله حجز بالقصاص بعضهم عن بعض)[١].

وقال سيد قطب حول الاية: (والحياة في القصاص تنبثق عن كف الجناة عن الاعتداء ساعة الابتداء، فالذي يؤمّن أنه يدفع حياته ثمناً لحياة من يقتل، جدير به أن يتروى ويفكر ويتردد، كما تنبثق من شفاء صدور أولياء الدم عن وقوع القتل بالفعل، شفاؤها من الحق، والرغبة في الثأر)[٢].

٢ . الردع العام: ففي تنفيذ وتحديد عقوبة القصاص، ذلك الجزاء العادل، فيها جانب التربية الوقائية لأفراد المجتمع، قاطبة الذين تسول لهم أنفسهم الاعتداء على أرواح الناس بدون مبرر لذلك، وكذلك إزالة الحق والغل والرغبة في الثأر من نفوسهم، عندما يأخذ القاتل جزاءه العادل.

٣ . وأن أهداف القصاص، أهداف وقائية تقي وتصون الحياة من أن تصبح رخيصة، وتزهق دون حق، وهي صمام أمن ضد الثأر، وتمنع التشاحن والخصام والبغي والعدان.

وبعد هذا نقول: إن الإسلام عندما شرع الحدود كلها، قد ربى جميع أفراد المجتمع تربية إسلامية صحيحة وسليمة، أدت إلى الوقاية من الوقوع في المعاصي، والفساد، والانحلال الخلقي، وإزهاق الأرواح، وإشاعة القلق والاضطراب، ويعود كل هذا على المجتمع بالأمن والاستقرار.

ويؤدي إلى توفير المبالغ الطائلة، التي تنفقها الدولة والتي ترصد على الأمن، وتكلف الدولة مبالغ طائلة، تنفقها على هذا الجهاز، وتجنب الدولة من أن يصبح هؤلاء هم الذين يقومون بدور الفساد، تحت حماية القانون وسلطة الوظيفة.

وإقامة حد الزنا كفيل بإغناء مجتمع المسلمين عن جهاز من البشر لا يختلف عن سائرهم، يكون من حقه التجسس على عورات الناس، والتسمع على أعراضهم.

وقطع يد واحدة بحقها، كفيلة أن تخفف على الدولة بتكثيف أجهزة الرقابة العامة على الأموال، الذين أُعدوا لمراقبة هؤلاء السارقين.

---

(١) محمد بن جرير الطبري، جامع البيان عن تأويل القرآن، جـ ٣، ص ٣٨٢.

(٢) سيد قطب، في ظلال القرآن، جـ ٢، ص ٢٣٤- ٢٣٥.

وهذا كفيل بأن يجعل جميع المغامرين في جرائم المال من اختلاس ورشوة، يكفون فورا، إذا ما رأوا يداً واحدة قد قطعت وفقدها صاحبها إلى الأبد، وبقي له وصمتها الفاضحة وذكراها المؤلمة، وبهذا تتخلص الدولة من الإنفاق على جهازين ربما يعدان لهذه الغايات.

وكذلك في حد الزنا والخمر وغيرها من الحدود، التي ينتج عن تطبيقها الأمن والاستقرار الذي يعم جميع أفراد المجتمع، وتختفي الفاحشة والرذيلة بين أفراده، ويشبعون رغباتهم عن طريق الزواج المشروع.

وشارب الخمر نظراً لما يصيبه من إهانة وعار في المجتمع، وفضيحة بين أفراد المجتمع، وقد يذوق من ألم العقوبة ما يفوق اللذة، أضعافاً مضاعفة، ومؤدى هذا كله، أن طاقات المجتمع قد أصبحت بمثابة النهر الصافي المهذب، وضعت عليه القناطر والجسور، وقويت جوانبه، بعد أن كانت في البداية سيلاً عارماً يفيض في كل اتجاه، وهذا يعني حشد طاقات المجتمع لتنطلق نحو عمل مثمر نافع، هو قصارى ما تنزع له النظم والدول بشتى الوسائل، ولكنها كثيراً ما تناقض الغاية حتى تفتح أمام هذه الطاقات مشارب ودروباً تمتصها وتذهب بها إلى وادي الشيطان.

وفي ظل الحدود ينعم المجتمع بالأمن الشامل الذي تتقوم بها الحياة المثلى، ويتفيأ الناس ظلال الحرية الشاملة، التي يتحررون فيها من قيود الهوى في داخلهم، ومن عوامل الخوف تأتي من خارجهم، وهذا ما يجعل المجتمع ينعم بالأمن والاستقرار والطمأنينة.

وعلاوة على ما تحدثه الحدود وخاصة حد الزنا من تقليص الرذيلة، وإغلاق سوقها، يقي المجتمع من أمراض معينة خبيثة، لا تنتشر إلا في جو الزنا، وهذا حماية للصحة، وصيانة لما ينفق على العلاج والوقاية من أموال.

واللقطاء كم يبلغ عددهم في مجتمعات الغرب والشرق!؟ التي جعلت من الجنس أمراً مباحاً، وهؤلاء يحتاجون إلى إنفاق كبير من الدولة، لأنهم مشردون لا يعرفون لهم أباً ولا أماً.

وفي تطبيق حد السرقة، حفظاً للأموال العامة من السرقة، وتأمين الناس على أموالهم.

لقد كان تطبيق الإسلام تطبيقاً كاملاً للحدود، أساس هذا الصلاح، وما حدث مرة يمكن أن يتكرر من جديد[1].

---

(١) محمد حسين الذهبي، أثر إقامة الحدود في استقرار المجتمع، ص ١٢٨ - ١٣٩.

الفصل السابع

التربية الوقائية في مجال الحياة الاجتماعية

ويشمل المباحث التالية:

المبحث الأول: دائرة الفرد.

المبحث الثاني: دائرة الأسرة.

المبحث الثالث: دائرة المجتمع.

المبحث الأول

دائـرة الـفــرد

اهتم الإسلام بالفرد اهتماماً كبيراً، وأولاه عناية خاصة، نظراً لما للفرد من دور كبير في بناء المجتمع الإسلامي الذي ينتمي إليه، والفرد هو أحد مكونات الأسرة، بل هو أحد ركائزها، التي تقوم عليها.

ولأن الفرد أحد الدعائم، التي يقوم عليها البناء الاجتماعي في الإسلام فقد أحاطه برعايته وتربيته، حتى يكون فرداً صالحاً، فيه الخير لنفسه ولأبناء مجتمعه وأمته.

وبناء على ذلك، فقد وضع الإسلام قواعد تربوية وقائية، لكي تحفظ عليه نفسه وخلقه وسلوكه، ويكون ثمرة إصلاح في المجتمع.

والفرد في هذه الحياة يعيش حياة صراع مع الشيطان، الذي يحاول أن يقعد له كل مقعد، وأن يضله عن الطريق الصحيح.

ولهذا سوف يكون الحديث في هذا الفصل، فيما يتعلق بالجانب الوقائي والاحترازي من الشيطان وحبائله، وعن الجانب التربوي الوقائي الذي وضعه الإسلام.

التدابير الوقائية:

والتدابير الوقائية التي وضعها الإسلام للمسلم لكي يسلم من الشيطان ومداخله كثيرة، منها:

١- النهي عن الغضب: حث الإسلام المسلم على عدم الغضب، لأن الغضب مدخل كبير من مداخل الشيطان، وربما يقود المسلم إلى الوقوع في الجريمة، والكفر وغير ذلك.

قال ﷺ: «من كان يؤمن بالله واليوم الآخر، فليقل خيراً أو ليصمت»(١).

وقال ﷺ: «إذا غضب أحدكم وهو قائم فليجلس، فإذا ذهب عنه الغضب وإلا فليضطجع»(٢).

---

(١) صحيح البخاري، فتح الباري، كتاب الأدب، باب من كان يؤمن بالله، جـ ١٠، ص ٤٤٥.

(٢) أبو داود، السنن، كتاب الأدب، ما يقال عند الغضب، جـ ٤، ص ٢٤٩.

وذلك لما للغضب من آثار سيئة تعود على الفرد، ولذا أمره الرسول ﷺ بهذا العمل، لكي يخفف من غضبه، لأن الغضب شرارة من نار الشيطان ربما يكون مؤداه إلى نهاية لا يحمد عقباها.

وقد وعد الله عز وجل المسلم الذي يكظم غيظه، أن جعله في عداد المحسنين، قال تعالى: ﴿ وَٱلْكَٰظِمِينَ ٱلْغَيْظَ وَٱلْعَافِينَ عَنِ ٱلنَّاسِ ۗ وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴾ [آل عمران: ١٣٤].

وهذا من باب حث المسلم على كظم الغيظ والغضب، إذا علم أن الله عز وجل أعد له لذلك الأجر العظيم.

ومن ذلك: ٢. حب الدنيا:

وحب الدنيا مدخل عظيم من مداخل الشيطان، لأن الإنسان جُبل على حب المال وحب الدنيا، والتكاثر والتفاخر بالمال والأهل والولد.

ولكن الإسلام لم يترك المسلم حيال هذا الأمر، حتى يغرق في شهواته وحب الدنيا ومتاعها، فيعذب في نار جهنم، لذلك حذر المسلم من الدنيا وزخرفتها، وقلل من أهميتها في نفس المسلم، ووصفها بأنها حقيرة لا تساوي شيئاً حتى يزهد المسلم فيها.

قال تعالى: ﴿ ٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّمَا ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَا لَعِبٌ وَلَهْوٌ وَزِينَةٌ وَتَفَاخُرٌۢ بَيْنَكُمْ وَتَكَاثُرٌ فِى ٱلْأَمْوَٰلِ وَٱلْأَوْلَٰدِ ۖ كَمَثَلِ غَيْثٍ أَعْجَبَ ٱلْكُفَّارَ نَبَاتُهُۥ ثُمَّ يَهِيجُ فَتَرَىٰهُ مُصْفَرًّا ثُمَّ يَكُونُ حُطَٰمًا ۖ وَفِى ٱلْءَاخِرَةِ عَذَابٌ شَدِيدٌ وَمَغْفِرَةٌ مِّنَ ٱللَّهِ وَرِضْوَٰنٌ ۚ وَمَا ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَآ إِلَّا مَتَٰعُ ٱلْغُرُورِ ﴾ [الحديد: ٢٠].

ويتبين من خلال هذا النص القرآني، أن الله عز وجل قلل من أهمية الدنيا، وأنها لا تساوي شيئاً إلى جانب الآخرة، وهذا من باب وقاية المسلم وتربيته حتى لا يركن إلى الدنيا، وينقطع عن الآخرة.

وقد شبّهها الرسول ﷺ بجدي ميت لا قيمه له حينما مر بالسوق والناس كنَفَتَيْه[١]، فمر بجدي أسك[٢]، فتناوله بإذنه ثم قال: أيكم يحب أن له هذا بدرهم؟ فقالوا: ما نحب أنه لنا

---

(١) كنفتيه: جانبيه، صحيح مسلم، شرح النووي، جـ١٨، ص ٩٣.

(٢) أسك: صغير الأذنين، المرجع السابق، جـ١٨، ص ٩٣.

شي، وما نصنع به؟ قال: أتحبون أنه لكم؟ قالوا: والله لو كان حياً لكان عيباً فيه، لأنه أسك، فكيف وهو ميت؟ فقال: والله الدنيا أهون على الله عز وجل من هذا عليكم)[1].

وقال الحسن البصري: (لا تخرج نفس ابن آدم من الدنيا إلا بحسرات ثلاث: أنه لم يشبع مما جمع، ولم يدرك ما أمل، ولم يحسن الزاد لما يُقدم عليه)[2].

وربما يكون حب الدنيا مفتاحاً وقائداً إلى الأمل الذي يجعل الإنسان ينسى الآخرة، ويهتم بالدنيا فقط، فتكون عليه الدنيا وبالاً وشقاء لما بعده، ولذلك حذّر الرسول ﷺ من أن يركن إلى الدنيا وطول الأمل، وأن يسّوف في عمله.

عن ابن عمر رضي الله عنهما قال: (أخذ الرسول ﷺ بمنكبي، فقال: كن في الدنيا كأنك غريب أو عابر سبيل..)[3].

وهذا التحذير من قبل الرسول ﷺ تحذير لكل مسلم، أن يجعل الدنيا أكبر همه، ويحرص عليها أكثر من الآخرة، ويؤمل فيها الشيء الكثير، ثم يسوف في عمله، فيأتيه الموت بغتة، وهذا هو الخسران المبين.

٣. النهي عن الكبر: ومنها الكِبْر وهو ضد التواضع، ويعتبر من مداخل الشيطان إلى النفس الإنسانية، حيث يجعل صاحبه يرد الحق، ويغمط الناس حقهم، والازدراء بهم واحتقارهم، وهذا ما أشار إليه الرسول ﷺ بقوله: «الكبر بطر الحق، وغمط الناس»[4].

والكبر يجعل صاحبه يتعالى على الناس، ولا يرد لهم حقوقهم، ويقود صاحبه إلى نار جهنم، فوقاية للمسلم من عذاب النار، حذر الله عز وجل المسلم من التكبر والكبر، ورتب عليه عقوبة أخروية في نار جهنم.

قال تعالى: ﴿سَأَصْرِفُ عَنْ ءَايَٰتِيَ ٱلَّذِينَ يَتَكَبَّرُونَ فِى ٱلْأَرْضِ بِغَيْرِ ٱلْحَقِّ﴾ [الأعراف: ١٤٦].

---

(١) صحيح مسلم، شرح النووي، كتاب الزهد، جـ ١٨، ص ٩٣.

(٢) وحيد عبد السلام بالي، وقاية الإنسان من الجن والشيطان، ط١، بيروت، دار الكتب العلمية، ١٩٩٠، ص ٢٠٠٥.

(٣) صحيح البخاري، (الفتح، كتاب الرقاق، باب قول النبي: كن في الدنيا، جـ ١١، ص ٢٣٣.

(٤) صحيح مسلم، شرح النووي، كتاب الإيمان، باب تحريم الكبر، جـ ١، ص ٩٣.

٤ ـ النهي عن العُجب: ومن ذلك العُجُب، فالعجب يلحق الضرر بالمسلم، فيجعله ينظر إلى نفسه نظرة علو واستكبار وإلى غيره نظرة احتقار وازدراء.

ويسمى العُجب حب المدح، لأن الإنسان الذي يحب المدح ويكون هذا من طبعه وخلقه، يجعله يتغاضى عن عيوبه، ولا ينظر إليها، وهذا يقوده إلى الإعجاب بنفسه والتغاضي عن عيوبه.

وقد نهى النبي ﷺ عن ذلك، حتى لا يكون هذا الأمر طريقاً إلى الإعجاب بالنفس.

عن أبي موسى الأشعري قال: (سمع الرسول ﷺ رجلا يثني على الرجل ويطريه في المدحة، فقال: أهلكتم أو قطعتم ظهر الرجل)[١].

ومن آفات المدح: أن الممدوح يظن بنفسه خيرا، فلا يجتهد في الإكثار من الطاعات، وهذا ما أكده السلف الصالح، حيث يروى عن بعضهم قوله: (من فرح بمدح، فقد مكّن الشيطان من أن يدخل في باطنه)[٢].

والعُجب: استعظام النعمة والركون إليها من نسيان إضافتها إلى المنعم[٣].

ونظراً لخطورته فقد حذر النبي ﷺ منه، لأنه يؤدي إلى آفات كثيرة.

قال ﷺ: «كفى بالمرء علماً أن يخشى الله، وكفى بالمرء جهلا أن يعجب بعلمه»[٤].

ومن آفات العُجب الكبر، حيث يدعو الإنسان إلى نسيان الذنوب وإهمالها، فبعض ذنوبه لا يذكرها، ولا يتفقدها لظنه أنه مستغن عن تفقدها فينساها، وما يذكره منها فيستصغره ولا يستعظمه، فلا يجتهد في تداركه وتلافيه، بل يظن أن يغفر له، وأما العبادات والأعمال، فإنه يستعظمها ويتبجح بها، ويمن على الله بها، ثم إذا أُعجب بها عمي عن آفاتها.

ومن لم يتفقد آفات الأعمال كان اكثر سعيه ضائعا، والمعجب يعتد بنفسه وبرأيه، ويأمن مكر الله وعذابه، ويظن أنه عند الله بمكان، وأن له عنده منّة وحق بأعماله، التي هي من نعم

---

(١) صحيح البخاري، الفتح، كتاب الشهادات، باب ما يكره من الإطناب في المدح، جـ ٥، ص ٢٧٦.

(٢) وحيد الدين بالي، وقاية الإنسان من الجن والشيطان، ص ٢٢٣.

(٣) أبو حامد الغزالي، إحياء علوم الدين، جـ ٣، ص ٣٧١.

(٤) أبو محمد عبد الله بن محمد الدارمي، السنن، (د. ط)، بيروت، دار الكتب العلمية، (د. ت)، جـ ١، ص ٩٣.

الله عز وجل[1].

وقد يؤدي العُجب إلى الغرور، وهو آفة خطيرة على الإنسان المسلم، ولهذا ورد في القرآن ما يحذر من ذلك، قال تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنَّ وَعۡدَ ٱللَّهِ حَقّٞۖ فَلَا تَغُرَّنَّكُمُ ٱلۡحَيَوٰةُ ٱلدُّنۡيَاۖ وَلَا يَغُرَّنَّكُم بِٱللَّهِ ٱلۡغَرُورُ ﴾ [فاطر: ٥].

وقد يكون الغرور ناتجاً عن عدم محاسبة النفس، ووقفها عند حدها، وقد ينتج عن عدم قبول النصيحة من الآخرين لاعتقاده أنه أفضل منهم، وقد يكون بسبب التعمق في العلم عند بعض الناس، فيعتقد أنه العالم وحده، وكل الناس أقل منه شأناً وعلماً ودراية، ويؤدي هذا إلى احتقار الناس واستصغارهم، وهذا من أكبر آفات العلم، وليس همه فقط، إلا أن يقال عنه عالم، ولا يأبه بعمله.

وقد جاء القرآن الكريم، يحذر أمثال هؤلاء الذين يغترون بأنفسهم ويقولون قولا، دون تطبيق ذلك القول، قال تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لِمَ تَقُولُونَ مَا لَا تَفۡعَلُونَ ۝ كَبُرَ مَقۡتًا عِندَ ٱللَّهِ أَن تَقُولُواْ مَا لَا تَفۡعَلُونَ ﴾ [الصف: ٢-٣].

وهؤلاء علماء الدنيا الذين يريدون بعلمهم التوصل إلى الجاه والمنزلة وقد حذّر الرسولﷺ من ذلك، حيث قال: «لا تتعلموا العلم لتباهوا به العلماء، ولتماروا به السفهاء، ولا تخيّروا به المجالس، فمن فعل ذلك فالنار النار»[2].

وهذا يدل على عظيم خطر العلم، وأن العالم إن لم يعمل بعلمه، وقد أصابه الغرور معرض لعقاب الله عز وجل.

وقد ورد عن عمر رضي الله عنه قوله: (إن أخوف ما أخاف على هذه الأمة، المنافق العليم، قالوا: وكيف يكون منافقاً عليماً؟ قال: عليم اللسان، جاهل القلب والعمل)[3].

وقال الحسن رحمه الله: (لا تكن ممن يجمع على العلماء، وطرائف الحكماء، ويجري

---

(١) الغزالي، إحياء علوم الدين، ج٣، ص٣٧٠.

(٢) أبو عبد الله محمد بن يزيد بن ماجة، السنن، المقدمة، (د. ط)، بيروت، المكتبة العلمية، (د. ت)، جـ١، ص ٩٣.

(٣) أبو حامد الغزالي، إحياء علوم الدين، جـ ١، ص ٥٩.

في العمل مجرى السفهاء)[1].

وروي عن عيسى عليه السلام قوله: (مثل الذي يتعلم العلم وما يعمل به، كمثل امرأة زنت في السر فحملت فظهر حملها فافتضحت، فكذلك من لا يعمل بعلمه، يفضحه الله تعالى يوم القيامة على رؤوس الأشهاد)[2].

وفي هذه النصوص التي مرت، تربية للمسلم الذي يتعلم العلم، حتى يكون علمه من أجل الله عز وجل، لا من أجل الشهرة والإعجاب، والتكبر والتعالي على الناس.

ومنها اتباع الهوى، أي اتباع ميل النفس وشهواتها، بحيث تقوده إلى الباطل والشر، وتصده عن الخير، ولهذا حذّر القرآن من اتباع الهوى.

قال تعالى: ﴿وَلَا تَتَّبِعِ ٱلْهَوَىٰ فَيُضِلَّكَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ﴾ [ص: ٢٦].

والهوى إذا تغلب على العقل، سيطر عليه وقاده بحيث يصبح لا يميز بين الحق والباطل.

قال علي بن أبي طالب: (إياكم وتحكيم الشهوات على أنفسكم، فإن عاجلها ذميم، وآجلها وخيم، فإن لم ترها تنقاد بالتحذير والإرهاب، فسوقها بالتأميل والإرغاب، فإن الرغبة والرهبة إذا اجتمعتا على النفس ذلت لهما وانقادت)[3].

ومعنى هذا إن اتباع الهوى، هو بداية كل طغيان، وكل تجاوز عن الحق والدافع إلى كل معصية، ولهذا جاء التحذير من اتباع الهوى، وأمر الناس باتباع الحق.

ومن التدابير الوقائية التي تحض المسلم من أذى الشيطان ووسوسته:

٥. الإخلاص في العمل:

إذا أخلص المسلم بكل عمله يقوم به اتجاه الله عز وجل، لم يجعل للشيطان منه حظا، فقد سلك سبيل الخلاص منه.

قال تعالى عن لسان الشيطان: ﴿قَالَ رَبِّ بِمَآ أَغْوَيْتَنِي لَأُزَيِّنَنَّ لَهُمْ فِي ٱلْأَرْضِ وَلَأُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ ۝ إِلَّا عِبَادَكَ مِنْهُمُ ٱلْمُخْلَصِينَ﴾ [الحجر: ٣٩-٤٠].

---

(١) المرجع السابق، جـ١، ص ٥٩.

(٢) المرجع نفسه، جـ١، ص ٦٤.

(٣) علي بن محمد الماوردي، أدب الدنيا والدين، ط٥، بيروت، دار اقرأ، ١٩٨٦، ص ٢٧.

ومنها العبادة الخالصة لله تعالى، لأن من يحقق معنى العبودية لله عز وجل فلا سبيل للشيطان عليه، قال تعالى: ﴿ إِنَّ عِبَادِى لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطَٰنٌ ﴾ [الحجر: ٤٢].

والعبادات بمعناها العام، سواء أكانت عبادات قلبية، أم بدنية، أم مالية، فيجب على المسلم أن يجعلها خالصة لله تعالى.

٦. لزوم الجماعة:

وهذا فيه حث للمسلم على لزوم الجماعة والتعاون معهم، لأن الإنسان بمفرده لا يساوي شيئا، وربما استحوذ عليه الشيطان، ودفعه إلى أعمال شريرة، أما الجماعة فربما يأخذون على يدي من يحاول السوء ويمنعونه من ارتكاب فعلته، وهذا ما أكده الرسول ﷺ، حيث قال: (الشيطان يهم بالواحد والاثنين، فإن كانوا ثلاثة لا يهم بهم)[١].

وبين الرسول ﷺ أن التفرق من الشيطان عندما نزل بواد وتفرق المسلمين، قال: (إن تفرقكم في الشعاب والأودية إنما ذلكم من الشيطان)[٢].

والتزام الجماعة فيها العون على طاعة الله عز وجل، ومنعه من ارتكاب المعاصي والفواحش، وأنه يسلم من أذى الشيطان ووسوسته.

ومن ذلك المحافظة على صلاة الجماعة:

وقد أكد الرسول ﷺ أن الصلاة لها دور كبير في تربية الإنسان المسلم على الخير، ووقايته من أذى الشيطان، حيث قال: :ما من ثلاثة في قرية ولا بدو لا تقام فيهم الصلاة، إلا قد استحوذ عليهم الشيطان، فعليك بالجماعة، فإنما يأكل الذئب من الغنم القاصية)[٣].

٧. الالتزام بالكتاب والسنة:

والالتزام بأوامر الله عز وجل، وأوامر رسوله ﷺ، من أعظم وأنجع الوسائل الوقائية من أذى واستحواذ الشيطان على الإنسان.

---

(١) مالك ابن أنس، الموطأ، تعليق محمد فؤاد عبد الباقي، كتاب الاستئذان، (د. ط)، بيروت، دار إحياء التراث العربي، ١٩٧٥، جـ ٢، ص ٩٧٨.

(٢) أبو داود سليمان بن الأشعث السجستاني، السنن، تحقيق محمد فؤاد عبد الباقي، (د. ط)، بيروت، دار إحياء التراث العربي، (د. ت)، جـ ٣، ص ١٥٠.

(٣) المرجع السابق، جـ ١، ص ١٥٠.

قال تعالى: ﴿وَأَنَّ هَٰذَا صِرَٰطِي مُسْتَقِيمًا فَٱتَّبِعُوهُ وَلَا تَتَّبِعُوا۟ ٱلسُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَن سَبِيلِهِۦ ذَٰلِكُمْ وَصَّىٰكُم بِهِۦ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾ [الأنعام: ١٥٣].

وقد ذكر ابن الجوزي عن رجل كان يكلم الجن قوله: (قالوا ليس علينا أشد ممن يتبع السنة، وأما أصحاب الأهواء فإنّا نلعب بهم لعباً)[١].

٨. **كثرة الطاعات:**

وكثرة الطاعات وقاية للإنسان من أذى الشيطان، واستحواذه عليه، وهذا أكثر ما يضايق الشيطان.

قال ﷺ: «إذا قرأ ابن آدم السجدة فسجد، اعتزل الشيطان يبكي، يقول: يا ويله أمر ابن آدم بالسجود فسجد فله الجنة، وأمرت بالسجود فعصيت فلي النار»[٢].

٩. **الاستعاذة من الشيطان:**

الاستعاذة من الشيطان في كل عمل يقوم به الإنسان، يعني الالتجاء إلى الله عز وجل من كل ذي شر سواءاً كان من الناس أم من الجن، ولهذا أمر الله عز وجل الإنسان أن يستعيذ من شيطان الجن لأنه يقبل رشوة ولا يؤثر فيه جميل، لأنه شرير بالطبع، ولا يكفه عنك إلا الذي خلقه[٣].

وكذلك الاستعاذة عند قراءة القرآن، لأن القرآن شفاء لما في الصدور، يذهب ما يلقيه الشيطان فيها من الوساوس والشهوات والإرادة الفاسدة، فهو دواء لما أمر به الشيطان.

ومن ذلك الاستعاذة عند دخول الخلاء، وذلك وقاية للإنسان المسلم من أذى الشيطان، وبخاصة بمثل هذه الأماكن، وقد كان الرسول ﷺ بهذا وأمر المسلم أن يدعو بذلك، قال ﷺ: «اللهم إني أعوذ بك من الخبث والخبائث»[٤].

---

(١) جمال الدين أبو الفرج عبد الرحمن بن الجوزي، تلبيس إبليس، (د. ط)، بيروت، دار الجيل، (د. ت)، ص ٦٠.

(٢) صحيح مسلم، شرح النووي، كتب الإيمان، باب إطلاق الكفر على تارك الصلاة، جـ ٢، ص ٦٩.

(٣) أبو الفداء إسماعيل بن كثير، تفسير القرآن العظيم، (د. ط)، القاهرة، دار إحياء الكتب العربية، (د. ت)، جـ ١، ص ١٥.

(٤) صحيح البخاري، الفتح، كتاب الوضوء، باب ما يقول عند الخلاء، جـ ١، ص ٢٤٢.

أ. الاستعاذة عند الصلاة:

والصلاة حتى تكون خالصة لله تعالى، لا حظ للشيطان فيها، ولا حظ لوسوسته فيها، فقد أمر الرسول ﷺ من يحول بينه وبين صلاته، الشيطان أن يستعيذ منه، وكان يأمر الرسول ﷺ من يحول بينه وبين صلاته أن يتعوذ من الشيطان الرجيم[1].

ب. الاستعاذة عند الغضب:

وذلك تفادياً من تفاقم المشكلة، وحدة المواقف بين الناس، ولكن الرسول ﷺ ربى المسلم على خلق عظيم، بكلمات بسيطة، تمنع عنه الغضب وتدفعه، وتهدأ من حدة الغضب عنده.

استب رجلان عند النبي ﷺ: (إني لأعلم كلمة لو قالها لذهب عنه ما يجد فقالوا: ما هي يا رسول الله؟ قال: أعوذ بالله من الشيطان الرجيم)[2].

جـ. إتيان الرجل زوجته:

وهذا تحصين للأهل والأولاد، من أذى الشيطان وحذره، قال ﷺ مؤكدا: (لو أن أحدكم إذا أتى أهله، قال: بسم الله اللهم جنبنا الشيطان، وجنب الشيطان ما رزقتنا فقضي بينهما ولداً لم يضره الشيطان أبدا)[3].

ومن الأمور الوقائية الأخرى، التي ربى الإسلام أبناءه عليها، وقاية لهم من أذى الشيطان ووسوسته.

١٠. قراءة سورة البقرة:

منها: قراءة سورة البقرة، قال ﷺ: «لا تجعلوا بيوتكم قبوراً، إن الشيطان ينفر من البيت الذي تقرأ فيه سورة البقرة»[4].

١١. ومنها قراءة آية الكرسي: وقد أمر الرسول ﷺ أبا هريرة بذلك قائلاً له: (إذا آويت

---

(١) صحيح البخاري، كتاب السلام، باب التعوذ من شيطان الوسوسة، جـ ١٤، ص ١٩٠.

(٢) صحيح البخاري، الفتح كتاب الأدب، باب الحذر من الغضب، جـ ١٠، ص ٥١٩.

(٣) صحيح البخاري، الفتح، كتاب الوضوء، باب التسمية على كل حال، جـ ١، ص ٢٤٢.

(٤) صحيح مسلم، النووي، كتاب صلاة المسافرين، باب استحباب صلاة النافلة، جـ ٣، ص ٦٨.

إلى فراشك فأقرأ آية الكرسي، فإنك لا يزال عليك من الله حافظ، لا يقربك شيطان حتى تصبح)[1].

١٢. ومنها قراءة سورة الإخلاص والمعوذتين، حيث أمر الرسول ﷺ ذلك الصحابي أن يقرأ بهما، قال له: (اقرأ قل هو الله أحد، والمعوذتين، حتى تمسي وحين تصبح ثلاث مرات يكفيك من كل شيء)[2].

المبحث الثاني
دائـرة الأســـرة

تبدو أهمية الأسرة، من خلال دورها في إصلاح الفرد والجماعة وبهذا فقد أعطى الإسلام الأسرة الاهتمام الكافي، وحدد الله عز وجل مسؤولياتها، وفصّل جميع قضايا الأسرة تفصيلا، ولم يترك الأمر للناس، وذلك لما للأسرة من أهمية كبيرة.

والأسرة تخرج أجيالا إلى الحياة، وحتى تكون هذه الأجيال صالحة فلا بد للأسرة من حصون تحصنها وتقيها، لكي تبقى الأسرة المسلمة أسرة قوية متينة، محصنة، لا يستطيع أحد اختراقها ولا النيل منها.

والأسرة هي المسؤولة عن صلاح الأمة، بما تقدم لها من أفراد، يقومون بتحمل المسؤولية، وحمل رسالة الأمة، لهذا أولى الإسلام هذه العناية الكبيرة للأسرة، وشملتها التعاليم الإلهية بالإحاطة والرعاية والشمول.

وتعرف الأسرة بأنها: (الوحدة الأولى للمجتمع، وأولى مؤسساته التي تكون العلاقات بها في الغالب مباشرة، ويتم داخلها تنشئة الفرد اجتماعياً، ويكتسب منها الكثير من معارفه ومهاراته، وميوله وعواطفه، واتجاهاته في الحياة، ويجد فيها أمنه وسكنه[3].

ويعرف نظام الأسرة بأنه: (تلك الأحكام والمبادى والقواعد التي تتناول الأسرة بالتنظيم

---

(١) صحيح البخاري، الفتح، كتاب الوكالة، باب إذا وكل رجلا فترك الوكيل، جـ ٤، ص ٤٨٧.
(٢) الترمذي، السنن، أبواب الدعوات، جـ ٥، ص ٢٢٧- ٢٢٨.
(٣) عمر محمد التومي الشيباني، من أسس التربية الإسلامية، ط١، طرابلس، المنشأ الشعبية للنشر، ١٩٧٩، ص ٤٩٧.

بدء بتكوينها، ومروراً بقيامها واستقرارها وانتهاء بتفرقها، وما يترتب على كل ذلك من آثار قصداً إلى إرسالها على أسس متينة تكفل ديمومتها واعطائها الثمرات الخيرة المرجوة منها[١].

أهمية الأسرة:

تبدو أهمية الأسرة من خلال الأمور التالية:

١. الأسرة تلبي حاجات الإنسان الفطرية، حيث أودع الله عز وجل في الإنسان حب الزواج وحب الولد، وذلك حفاظاً على بقائه في الحياة، وهذا ما لا يتم إلا من خلال الزواج، ويترتب على هذا:

أ- بقاء النوع الإنساني واستمراره والحفاظ عليه، من أن يتعرض للضعف أو الفناء.

ب- عمارة الكون والقيام بوظيفة الخلافة التي شرف الله عز وجل، العنصر البشري بها[٢].

٢- إشباع الحاجات الجسمية والنفسية.

خلق الله عز وجل الإنسان، وركب فيه الغريزة الشهوانية والميل الجنسي والزواج هو الذي يمثل الإشباع المنظم لهذه الحاجات، ففيه تهذيب للسلوك وصيانة من الانحراف، وحماية للمجتمع من الفوضى والفساد عن طريق غض البصر وصيانة الأعراض[٣].

والأسرة تنمي الجانب الروحي والعاطفي بين الزوجين، وهذا ما أكده القرآن الكريم.

قال تعالى: ﴿ وَمِنْ ءَايَٰتِهِۦٓ أَنْ خَلَقَ لَكُم مِّنْ أَنفُسِكُمْ أَزْوَٰجًا لِّتَسْكُنُوٓا۟ إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُم مَّوَدَّةً وَرَحْمَةً ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴾ [الروم: ٢١].

فيجد كل من الزوجين في الآخر الطمأنينة والرحمة والسكن، ومواساة بعضهما بعضاً.

المعاني الاجتماعية التي تحققها الأسرة:

وتحقق الأسرة معاني اجتماعية كثيرة منها:

---

(١) محمد عقلة الإبراهيم، نظام الأسرة في الإسلام، ط٢، عمان، مكتبة الرسالة الحديثة، ١٩٨٩، جـ ١، ص ١٩.

(٢) محمد عقلة الإبراهيم، نظام الأسرة في الإسلام، جـ ١، ص ٢٨- ٢٩.

(٣) محمد عقلة، نظام الأسرة في الإسلام، جـ ١، ص ٣٢- ٣٣.

١- المحافظة على النوع الإنساني:

فبالزواج يستمر بقاء النسل الإنساني ويتكاثر، وفي هذا التكاثر محافظة على النوع الإنساني[١].

قال تعالى: ﴿ وَٱللَّهُ جَعَلَ لَكُم مِّنْ أَنفُسِكُمْ أَزْوَٰجًا وَجَعَلَ لَكُم مِّنْ أَزْوَٰجِكُم بَنِينَ وَحَفَدَةً ﴾ [النحل: ٧٢].

٢- المحافظة على الأنساب:

بالزواج يعرف كل إنسان نسبه، يعرف أباه وأمه، ويترتب على هذا الاستقرار النفسي، والكرامة الإنسانية، ولو لم يكن الزواج لكان الكثير من الأولاد ممن لا يعرفون أباءهم، كما هو الحال في المجتمعات الغربية القائمة على العلاقات الجنسية غير المشروعة، حيث يكثر أولاد اللقطة، وانتشار الفساد الكبير والإباحية اللامحدودة.

٣- والزواج يحافظ على المجتمع سليماً من الانحلال الخلقي:

حيث إن الزواج المشروع، يقي المجتمع من كل هذا، لأن الإنسان يشبع غريزته الجنسية وميوله الشهوانية بالزواج الحلال، وبذلك يصبح المجتمع مجتمعاً فاضلاً، تشيع بينهم الأخلاق الفاضلة والحسنة، وهذا بخلاف ما عليه المجتمعات الغربية، حيث الانحلال الخلقي والفساد، والانحطاط الخلقي، الذي يؤدي بالمجتمع إلى الفساد والهاوية.

وبالزواج أيضاً سلامة للمجتمع من الأمراض التي تصيب الأفراد والمجتمعات من جراء الاتصال الجنسي غير المشروع، حيث تكثر أمراض الزهري والسيلان ونقص المناعة (الإيدز).

أما المجتمعات الإسلامية، فقد حثت أفرادها على الزواج المشروع، وهذا ما يحميها من تلك الأمراض.

وبما أن الأساس الأول في صلاح الأسرة، هو صلاح الزوجين، لذلك أكد الإسلام منذ البداية على حسن اختيار كل واحد منهما الآخر، حتى يكونان معا أسرة ذات علاقة طيبة قائمة على أصول دينية وأخلاقية.

---

(١) عبد الله ناصح علوان، تربية الأولاد في الإسلام، ط٢، بيروت، دار السلام، ١٩٧٨، جـ١، ص ٣١.

ولأن الأسرة هي المحضن الطبيعي، الذي يتولى حماية الناشئة ورعايتهم وتنمية أجسادهم وعقولهم وأرواحهم، وفي ظله تتلقى مشاعر الود والحب والرحمة والتكافل، وتطبع بالطابع الذي يلازمها مدى الحياة، وعلى هديه تسير الحياة، وقد أثبتت التجارب أن أي جهاز غير جهاز الأسرة لا يعوض عنها، ولا يقوم مقامها، بل لا يخلو من إضرار مفسدة لتكوين الطفل وتربيته[1].

وقد أقام الإسلام نظام الأسرة على أساس ثابت دقيق مستمد من الواقع، وهو في الوقت ذاته، يقيم بناء المجتمع على قاعدة حقيقية قوية بما فيها من الحق، ومن مطابقة الواقع الفطري العميق، وكل نظام يتجاهل حقيقة الأسرة هو نظام فاشل، ضعيف لا يمكن أن يعيش[2].

وبناء على ما تقدم، نجد أن الإسلام قد أحاط الأسرة بسياج من المناعة والحماية، حتى تبقى الأسرة قوية منيعة بعيدة عن كل ما يعصف بها من الأمراض الحسية والمعنوية، ولهذا وضع القواعد التي على أساسها يتم تكوين الأسرة في بداية نشأتها.

قواعد تكوين الأسرة:

١- اختيار الزوجة الصالحة:

لأن غاية الزواج السكن والمودة والرحمة والانسجام، فلهذا رغب الإسلام أبناءه ووجههم إلى اختيار الزوجة الصالحة، ذات الخلق والدين، وقد حددت السنة النبوية الصفات التي تدعو الزوج إلى اختيار زوجته التي تتوفر فيها كلها أو بعضها.

قال ﷺ: «تنكح المرأة لأربع: لمالها، ولحسبها، ولجمالها، ولدينها، فأظفر بذات الدين تربت يداك»[3].

ومعنى هذا، تمهيداً لإقامة الأسرة وبناء المجتمع، والدين يحفظ المرأة من الوقوع في الفحشاء والمنكر، ويحملها على أداء حقوقها والمحافظة على مال زوجها وبيته وأولاده.

---

(١) أحمد فائز: دستور الأسرة في ظلال القرآن، ط١، بيروت، مؤسسة الرسالة، ١٩٨٠، ص ٥٤- ٥٦.
(٢) أحمد فائز، دستور الأسرة في ظلال القرآن، ص ٥٦.
(٣) صحيح البخاري، (الفتح)، كتاب النكاح، باب الأكفاء في النكاح، جـ ٩، ص ١٣٢.

قال لقمان الحكيم لابنه: (اتق المرأة السوء، فإنها تشيبك قبل وقت الشيب)[١].

وفي بيان الرسول ﷺ صفات المرأة التي يجب على الزوج أن يختارها، مع التركيز على صفة الدين، وهذا فيه الوقاية للمرأة، من السوء والمعصية، وتؤدي حقوق زوجها على الأوجه الأكمل، وكذلك حق الأولاد ورعايتهم، ولكي يقوم الزواج على أسس ثابتة لا مجال للهوى فيها.

وقوله ﷺ: «تخيروا لنطفكم، وأنكحوا الأكفاء، وأنكحوا إليهم»[٢].

وقد حذّر الرسول ﷺ أن يكون اختيار الزوجة على أساس الجمال أو غيره من الصفات مع إغفال الدين، لما يترتب على ذلك من آثار سيئة تعود على الأسرة بالأضرار الكثيرة، قال ﷺ: «لا تتزوجوا النساء لحسنهن، فعسى حسنهن أن يرديهن، ولا تنكحوا النساء لأموالهن، عسى أموالهن أن تطغيهن، وانكحوهن على الدين»[٣].

٢- اختيار الزوج الصالح:

وكما حث الزوج على اختيار الزوجة الصالحة، حث الزوجة وأهلها على اختيار الزوج صاحب الخلق والدين، وذلك حماية ووقاية لها من الوقوع تحت حمأة زوج، لا يعرف الدين، ولا يخاف الله عز وجل.

قال ﷺ: «إذا أتاكم من ترضون دينه وخلقه، فزوجوه، ألاّ تفعلوا تكن فتنة في الأرض وفساد عريض»[٤].

فالمقياس الذي يقاس به الرجال ليس المال وليس المنصب وليس الجاه، لأنها أمور لا تساوي شيئاً إلى جانب الدين والتقوى ومخافة الله عز وجل، ولهذا فقد وجه الرسول ﷺ أهل الزوجة إلى ذلك، لكي يقوم الزوج بالواجب الأكمل نحو الزوجة، ورعاية الأسرة وأداء حقوق الزوجة، وتربية الأولاد، والقوامة الصحيحة.

---

(١) محمد إدريس، من وصايا الرسول، ط١، دمشق، دار الحكمة، ١٩٨٩، ص ٢٧٧.

(٢) ابن ماجة، السنن، كتاب النكاح، باب الأكفاء، جـ١، ص ٦٣٣.

(٣) البيهقي، السنن الكبرى، كتاب النكاح، جـ٧، ص ٨٠.

(٤) محمد ناصر الدين الألباني، سلسلة الأحاديث الصحيحة، ط٢، الرياض، مكتبة المعارف، ١٩٨٧، جـ٣، ص ٢٠.

وأي فتنة أعظم على الدين والتربية والأخلاق، من أن تقع فتاة مؤمنة بين يدي زوج متحلل، أو زوج لا يخاف الله عز وجل، وليس صاحب دين وخلق، ولا يقيم للشرف والغيرة على العرض وزناً ولا اعتبار.

وأي فتنة أعظم على المرأة الصالحة، من أن تقع في عصمة زوج إباحي يُكرهها على السفور والاختلاط، ويجبرها على شرب الخمرة، ومراقصة الرجال.

فكم من فتاة كانت متدينة في بيت أبيها، فلما اختارت زوجاً ليس على أساس الدين، وقعت بين يدي هذا الزوج الإباحي، انقلبت إلى امرأة لا تقيم للدين وزناً، ولا تقيم للمبادئ أي وزن أو اعتبار.)[1].

ويعود هذا بالأثر السيء على حياة الأولاد، إذا عاشوا بمثل هذا البيت المتحلل الذي لا يقيم للدين والأخلاق وزنا، يعيشون على الانحراف والإباحية، ويتربون على الفساد والمنكر.

إذن فالاختيار على أساس الدين والأخلاق، من أهم ما يحقق للزوجين سعادتهما الكاملة، ويضمن تربية الأولاد تربية إسلامية سليمة على الأخلاق الفاضلة والكريمة، ويحقق الاستقرار والأمن بين أفراد الأسرة.

ومن وسائل التربية الوقائية التي حث عليها الإسلام، من أجل المحافظة على نظام الأسرة، مما قد يصيبه من الفساد والانحلال الخلقي كما تضمنتها الآيات القرآنية فسورة النساء.

وسائل المحافظة على نظام الأسرة:

قال تعالى: ﴿ قُل لِّلْمُؤْمِنِينَ يَغُضُّوا مِنْ أَبْصَـٰرِهِمْ وَيَحْفَظُوا فُرُوجَهُمْ ذَٰلِكَ أَزْكَىٰ لَهُمْ إِنَّ ٱللَّهَ خَبِيرٌۢ بِمَا يَصْنَعُونَ * وَقُل لِّلْمُؤْمِنَـٰتِ يَغْضُضْنَ مِنْ أَبْصَـٰرِهِنَّ وَيَحْفَظْنَ فُرُوجَهُنَّ وَلَا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلَّا مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَلْيَضْرِبْنَ بِخُمُرِهِنَّ عَلَىٰ جُيُوبِهِنَّ وَلَا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلَّا لِبُعُولَتِهِنَّ أَوْ ءَابَآئِهِنَّ أَوْ ءَابَآءِ بُعُولَتِهِنَّ أَوْ أَبْنَآئِهِنَّ أَوْ أَبْنَآءِ بُعُولَتِهِنَّ أَوْ إِخْوَٰنِهِنَّ أَوْ بَنِىٓ إِخْوَٰنِهِنَّ أَوْ بَنِىٓ أَخَوَٰتِهِنَّ أَوْ نِسَآئِهِنَّ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَـٰنُهُنَّ أَوِ ٱلتَّـٰبِعِينَ غَيْرِ أُوْلِى ٱلْإِرْبَةِ مِنَ ٱلرِّجَالِ أَوِ ٱلطِّفْلِ ٱلَّذِينَ لَمْ يَظْهَرُوا

---

(١) عبد الله علوان، تربية الأولاد في الإسلام، جـ ١، ص ٣٨.

عَلَىٰ عَوْرَٰتِ ٱلنِّسَآءِ ۖ وَلَا يَضْرِبْنَ بِأَرْجُلِهِنَّ لِيُعْلَمَ مَا يُخْفِينَ مِن زِينَتِهِنَّ ۚ وَتُوبُوٓا۟ إِلَى ٱللَّهِ جَمِيعًا أَيُّهَ ٱلْمُؤْمِنُونَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾ [النور: ٣٠-٣١].

لقد تضمنت هذه الآيات العديد من الإجراءات الوقائية، التي تدعو إلى المحافظة على الأسرة ونظامها، من أن يسري إليه الفساد والانحلال الخلقي، ومن ذلك:

١ . غض البصر:

قال رسول الله ﷺ مخاطباً علياً: «يا علي لا تتبع النظرة النظرة، فإنما لك الأولى وليس لك الآخرة»[١].

يحرص الإسلام على أن يكون المجتمع مجتمعاً نظيفاً طاهراً، بعيداً عن الفساد، وكل الطرق والوسائل المؤدية إليه، ومن ذلك حرّم على المسلم النظر إلى غير المحارم، إلى النساء الأجنبيات، وبخاصة المتبرجات منهن، لأن هذا مدعاة إلى التفكير السيى والانحرافات الجنسية.

والنظر طريق من طرق إبليس، بل سهم من سهامه، التي تخرج الإنسان من حيز النظرة والتفكر إلى حيز الجريمة، ومن ثم الوقوع في المعصية، فحفاظاً على أفراد المجتمع من الزنا، الرجال والنساء على حد سواء، أمر الإسلام المسلم بغض البصر، لأن العين وسيلة وطريق إلى الزنا، ولها دور كبير في تهيئة الإنسان للزنى، وهذا ما أكده الرسول ﷺ حيث قال: «إن الله كتب على ابن آدم حظه من الزنا أدرك ذلك لا محالة، فزنا العين النظر، وزنا اللسان المنطق»[٢].

وإطلاق البصر من أعظم مداخل الشيطان، وربما الحوادث العظام من فضول النظر.

قال ﷺ: «النظرة سهم من سهام إبليس، فمن غض بصره لله أورثه الله حلاوة يجدها في قلبه إلى يوم يلقاه»[٣].

وسئل بعض الأولياء ما سبب الذنب؟ قال: سببه النظرة، ومن النظرة الخطرة، فإن

---

(١) أبو داود، السنن، كتاب النكاح، جـ ٢، ص ٢٤٦.

(٢) صحيح البخاري، الفتح، كتاب الاستئذان، باب زنا الجوارح، جـ ١١، ص ٢٦.

(٣) الحاكم، المستدرك على الصحيحين، جـ ٤، ص ٣١٣.

تداركت الخطرة بالرجوع إلى الله ذهبت، وإن لم تداركها امتزجت بالوساوس، فيتولد منها الشهوة، وكل ذلك بعد باق لم يظهر على الجوارح، فإن تداركت الشهوة بقمعها، وإلا تولد منها الطلب، فإن تداركت الطلب، وإلا تولد منها الفعل)[١]. وأكثر المعاصي، إنما يولدها فضول الكلام والنظر، وهما أوسع مداخل الشيطان[٢]، ومن ذلك منع الإسلام الدخول على النساء والاختلاط بهن.

فغض البصر من الطرفين يساعد على العفة، والنظرة هي الآداة الأولى لإثارة كوامن الجنس في النفس الإنسانية، ولذلك نهى الله عز وجل عن النظرة، سمواً بالطبيعة البشرية، وصونا لها من الابتذال والتدني والفواحش والانحلال الخلقي.

٢. منع الدخول على النساء من غير محرم:

وقد يغلق الإسلام كل منفذ على الشيطان نحو المسلم، فقد منع الدخول على النساء من غير محرم، لما لهذا الدخول من عواقب سيئة لا يحمد عقباها، وقد بين الرسول ﷺ خطورة ذلك، ونبه إليه، فقال: (إياكم والدخول على النساء، فقال رجل من الأنصار: أفرأيت الحمو؟ قال: الحمو الموت)[٣].

لقد شبه الرسول ﷺ الحمو بالموت، لأنه يستخدم صلته بالزوج في تنفيذ مآربه الدنيئة، ولا يُساء الظن، مع أن الخوف منه أكثر من غيره والشر يتوقع منه، والفتنة أكثر لتمكنه من الدخول إلى المرأة والخلوة بها من غير أن ينكر عليه أحد، بخلاف الأجنبي.

ولهذا نهى الرسول ﷺ أن يدخل الرجل على المرأة من غير محرم، لأن ذلك سبيل من سبل الشيطان يريد الشيطان إيقاع المسلم في الشر والفساد.

قال ﷺ: «لا يخلون رجل بامرأة إلا وكان ثالثهما الشيطان»[٤].

أجل فقد بلغ حرص الإسلام على المسلم رجلا كان أو امرأة، من أن يأخذ منهما الشيطان

---

(١) محي الدين عبد الله ابن العربي، الوصايا، (د. ط)، بيروت، دار الإيمان، (د. ت)، ص ١٩٠.

(٢) ابن قيم الجوزية، التفسير القيم، تحقيق محمد حامد الفقي، ط١، دار الكتب العلمية، ١٩٧٨، ص ٦٢٧.

(٣) صحيح البخاري، الفتح، كتاب النكاح، باب لا يخلو رجل بامرأة، جـ ٩، ص ٣٣٠.

(٤) المرجع السابق، كتاب النكاح، باب لا يخلون رجل بامرأة، جـ ٩، ص ٣٣٠.

مآخذه، أن منع الرجل أن يصافح المرأة الأجنبية لأن هذا سبيل إلى الفساد والفاحشة والمعصية.

٣. تحريم الاختلاط:

ومن أجل ذلك ووقاية للأسرة وحفاظاً عليها، فقد حرم الإسلام الاختلاط، لأنه مدعاة إلى الفاحشة والزنا، والفساد، وقد يكون الاختلاط مدعاة إلى العزوف عن الزواج، لأن الشاب قد تهيأ له رؤية ما يريد في هذا الاختلاط السافر، الذي يصاحبه التبرج والانحلال الخلقي، واستباحة كل محرم وممنوع.

آثار الاختلاط السلبية على الفرد والمجتمع:

وللاختلاط آثار سلبية تعود على الفرد والمجتمع، ومن ذلك:

أ. الاتصاف بالكذب: وبخاصة ما يسمى الاختلاط في الجامعات وهذا يعود إلى اتصاف كلا الجنسين بالكذب، وذلك من أجل أن يجذب أحدهم الآخر إليه، بأنه ذا مال أو مركز اجتماعي، وأنه ذا أخلاق عالية.

وهذا يؤدي بدوره إلى تصادمات بين الطلبة أحيانا، نتيجة للتنافس على فتاة معينة.

إضافة إلى ذلك؛ الاختلاط الذي يؤثر على التحصيل العلمي، بسبب انشغال الطلبة بالتفكير بالفتيات، مما يؤدي إلى ضياع الوقت من خلال اللقاء الذي يدوم ساعات طويلة في الكلام الذي لا يسمن ولا يغني من جوع[(١)].

ب. ذهاب الحياء: ومن أعظم آثار الاختلاط السلبية والسيئة ذهاب الحياء الذي يعتبر سياجا، وعصمة للمرأة بوجه خاص، ويؤدي إلى انحرافات سلوكية تبيح تقليد الغير تحت شعار التقدم والمدنية والحضارة.

وتظهر نتائج هذا في مكانة الأسرة وقوتها وتماسكها عند المسلمين أكثر من المجتمعات الأخرى، التي أدى بها الاختلاط والتبرج إلى التفكك الأسري، وظهور الفساد والانحلال الخلقي.

جـ. حلول الزنا: وقد يؤدي الاختلاط إلى حلول الزنا، محل العلاقات الشرعية، بسبب تيسير أسبابه، ويؤدي إلى انتشار المنكرات، واستحواذ الشهوات، وما يصاحب ذلك من

(١) مروان إبراهيم القيسي: الإسلام والمسألة الجنسية، ط١، (د. م)ن (د، ن)، ١٩٨٥، ص ٢٧- ٢٨.

التحلل الأخلاقي، والفساد وغير ذلك.

د. شقاء الأسر: وقد يؤدي إلى شقاء الأسر، نتيجة عدم سكن الزوج إلى الآخر لما يراه من خلال مخالطته، مما يفسد على الأسرة جو الود والثقة، وربما عرّض بنيانها إلى الهدم الكامل[1].

وقالت الكاتبة الإنجليزية (اللادي كوك) في جريدة الايكو: (إن الاختلاط يألفه الرجال، ولهذا طمعت المرأة بما يخالف فطرتها، وعلى قدر كثرة الاختلاط، تكون كثرة أولاد الزنا، وههنا البلاء العظيم على المرأة)[2].

وكذلك الاختلاط الذي يكون بالجلسات العائلية، التي تختلط فيها الرجال والنساء، ويظهرن زينتهن ومفاتنهن، وما يصاحب ذلك من حديث ومزاح، وهذا يُعرض الأسرة وكيانها إلى الانهيار.

هـ. انهيار المجتمع: والاختلاط يصل بالمجتمع إلى نتائج مدمرة، تؤدي إلى انهياره، يقول د. مصطفى السباعي: (فمن المعلوم تاريخياً أن من أكبر أسباب انهيار الحضارة اليونانية تبرج المرأة ومخالطتها للرجال، ومبالغتها في الزينة والاختلاط، ومثل ذلك حصل تماماً للرومانيين، فقد كانت المرأة في أول حضارتهم مصون محتشمة، فاستطاعوا أن يفتحوا الفتوح ويوطدوا أركان امبراطوريتهم العظيمة، فلما تبرجت المرأة، وأصبحت ترتاد المنتديات والمجالس العامة، وهي في أتم زينتها، فسدت أخلاق الرجال، وضعفت ملكتهم الحربية، وانهارت حضارتهم انهياراً مريعا)[3].

٤- النهي عن التبرج:

قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ قُل لِّأَزْوَاجِكَ وَبَنَاتِكَ وَنِسَاءِ الْمُؤْمِنِينَ يُدْنِينَ عَلَيْهِنَّ مِن جَلَابِيبِهِنَّ ذَٰلِكَ أَدْنَىٰ أَن يُعْرَفْنَ فَلَا يُؤْذَيْنَ﴾ [الأحزاب: ٥٩].

وقال تعالى: ﴿وَلَا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلَّا مَا ظَهَرَ مِنْهَا﴾ [النور: ٣١].

---

(١) محمد عقلة الإبراهيم، نظام الأسرة في الإسلام، جـ١، ص ١٠٤- ١٠٥.

(٢) محمد لطفي الصباغ، تحريم الخلوة بالمرأة الأجنبية، ط٤، الرياض: الرئاسة العامة لإدارات البحوث العلمية والدعوة والإرشاد، ١٤٠٨هـ، ص ١٩.

(٣) د. مصطفى السباعي، المرأة بين الفقه والقانون، ط٥، بيروت، المكتب الإسلامي، (د. ت)، ص ١٨٧.

طلب الإسلام من المرأة أن تكون محتشمة في زيّها، ساترة لعورتها، جاعلة ثيابها فيها شيء من السعة والطول، حتى تحفظ نفسها وكرامتها، لأن الانفتاح وعدم احترام الآداب الإسلامية، يؤدي إلى ما حرّم الله عز وجل وإلى زعزعة الأسرة وهدمها، لأن التبرج مدعاة للوقوع في الزنا.

وله آثار وأضرار سلبية تعود على الجسم بالأمراض والتشوهات.

وقد ذكرت المجلة الطبية البريطانية: (إن السرطان الخبيث (الميلانوما الخبيثة) الذي كان من أندر أنواع السرطان أصبح الآن في تزايد... وأن عدد الإصابات في الفتيات في مقتبل العمر يتضاعف حاليا، حيث يصبن به في أرجلهن، وإن السبب الرئيس لشيوع هذا السرطان الخبيث هو انتشار الأزياء القصيرة التي تعرض أجساد النساء لأشعة الشمس فترات طويلة على مر السنة، ولا تفيد الجوارب الشفافة في الوقاية منه، وقد قررت البحوث الطبية الحديثة أن هذا المرض يتيح من تعرض الجسم لأشعة الشمس، والأشعة فوق البنفسجية فترات طويلة، وهو ما تسببه الملابس القصيرة، وأزياء البحر على الشواطئ)[1].

والاختلاط لا يحقق للمرأة أي احترام، لأن ما يبدو من الاهتمام بالمرأة في الجلسات المختلطة ليس في حقيقته إلا احتقاراً للمرأة لأنهم ينظرون إليها على أنها متعة، ولو كانت كبيرة في السن لما اهتموا بها أبداً.

ويقول سيد قطب حول موضوع الاختلاط والتبرج، من أنه يهذب المشاعر ويصرف الطاقات المكبوتة، ويعلم الجنسين آداب الحديث، وآداب المعاشرة، ويقود إلى أن يختار الزوج زوجته بناء على التجربة كاملة، يقول معلقاً على هذا: (وهذا هذر يهدمه الواقع، واقع الانحرافات الدائمة، والتحولات المستمرة في العواطف، وتحطيم البيوت في الطلاق، وغير الطلاق، وانتشار الخيانات الزوجية المزدوجة في تلك المجتمعات.

فأما خرافة التهذيب والتصريف النظيف باللقاء وبالحديث فليسألوا عنه نسبة الحوامل من تلميذات المدارس الثانوية الأمريكية، وقد بلغت في إحدى المدارس ٤٨٪.

---

(١) محمد كامل عبد الصمد، الإعجاز العلمي في الإسلام (السنة النبوية)، ط٢، القاهرة، الدار المصرية اللبنانية، ١٩٩٣، ص ١١٩. ومحمد كامل عبد الصمد، الإعجاز العلمي في الإسلام (القرآن الكريم)، ط ٢، القاهرة، الدار المصرية اللبنانية، ١٩٩٣، ص.

وأما البيوت السعيدة بعد زواج الاختلاط المطلق والاختيار الكامل، فليسألوا عنه نسبة البيوت المحطمة بالطلاق في أمريكيا، وهي تزداد فترة بعد فترة، كلما ازداد الاختلاط، فقد بدأت عام ١٨٩٠ بنسبة ٦٪ وانتهت عام ١٩٤٨ بنسبة ٤٨٪)[١].

والإسلام لم يفرض الحجاب على المرأة المسلمة، وحرّم عليها الاختلاط إلا ليصونها عن الابتذال والتعريض للريبة والفحش، وعن الوقوع في الجريمة، ولأن الاختلاط والخلوة المحرمة، تؤدي إلى نتائج خطيرة، ودمار الأسرة والمجتمع.

٥- النهي عن ترقيق الصوت:

ومنها أن الإسلام نهى المرأة عن ترقيق الصوت، والخضوع بالقول.

قال تعالى: ﴿ يَٰنِسَآءَ ٱلنَّبِيِّ لَسۡتُنَّ كَأَحَدٖ مِّنَ ٱلنِّسَآءِ إِنِ ٱتَّقَيۡتُنَّۚ فَلَا تَخۡضَعۡنَ بِٱلۡقَوۡلِ فَيَطۡمَعَ ٱلَّذِي فِي قَلۡبِهِۦ مَرَضٞ وَقُلۡنَ قَوۡلٗا مَّعۡرُوفٗا﴾ [الأحزاب: ٣٢].

أي عدم ترقيق الكلام ولا ترخمه، خوفاً من أصحاب القلوب المريضة والقول هنا للرجال على وجه يوجب الطمع فيهن، ويستدل به على رغبتهن فيه، وفي الدليل على أن الأحسن للمرأة أن لا ترفع صوتها حتى لا يسمعها الرجال[٢].

القرار في البيوت:

ومنها أن الإسلام أمر المرأة المسلمة بالقرار في البيوت:

قال تعالى: ﴿وَقَرۡنَ فِي بُيُوتِكُنَّ وَلَا تَبَرَّجۡنَ تَبَرُّجَ ٱلۡجَٰهِلِيَّةِ ٱلۡأُولَىٰۖ﴾ [الأحزاب: ٣٣].

لما يترتب على خروج المرأة هدم البيت، ونشر الفساد، وبخاصة إذا خرجت بصورة متبرجة متزينة، علاوة على أن خروجها يؤدي إلى نتائج خطيرة تعود على النشء بالدمار والويلات، نتيجة لفقدان أمه، الذي هو بحاجة إليه.

وقد بات أثرها السيء على الغرب، قال فوريك: (لأن هذا يؤدي إلى ضعف الصلات العائلية، وهبوط المستويات الأخلاقية، فلقد ارتفعت نسبة الفتيات اللواتي يمارسن الجنس

---

(١) سيد قطب، السلام العالمي والإسلام، ط٧، بيروت، دار الشروق، ١٩٨٣، ص ٧٣- ٧٥.

(٢) أبو بكر أحمد بن علي الجصاص، أحكام القرآن، تحقيق محمد الصادق قمحاوي، (د. ط)، بيروت، دار إحياء التراث العربي، ١٩٨٥، جـ ٥، ص ٢٢٩.

قبل الزواج، حتى أصبحن تقريباً يماثلن نسبة الشباب، وهذا شيء محزن، وقد نرى ارتفاعاً ظاهراً في نسبة الأمراض الجنسية)[1].

٧- النهي عن السفر من غير محرم:

ومن ذلك منع خروج المرأة وسفرها من غير محرم.

قال ﷺ: «لا تسافر المرأة ثلاثاً إلا مع ذي محرم»[2].

وعلة النهي هنا: لما يترتب على ذلك من ضرر يعود على المرأة، حيث يعرض سمعتها وعرضها للطعن والهمز واللمز، ووقاية لها من الوقوع في جريمة الزنا.

ووجود المحارم معها مانع لها من خواطر السوء، فيما يشبه الجو العائلي، فنظرتها لأبيها أو أخيها لا تسمح بخواطر من هذا النوع، والمحرم عاصم للمرأة من ذئاب البشر.

بخلاف الوحدة التي لا تأمن معها غوائل السوء، ولا تأمن معها ثورة الخواطر في وحشة قد تزل فيها الأقدام[3].

٨- النهي عن خروج المرأة إلا بإذن زوجها:

ولا تخرج إذا خرجت إلا بإذن زوجها، وهي بكامل حشمتها، وعدم إظهار شيء من زينتها، ولا تخرج معطرة، متزينة لورود النهي عن ذلك، قال ﷺ: (أيما امرأة استعطرت فمرت على قوم ليجدوا من ريحها فهي زانية)[4].

لأن العطر لما يخرج من رائحة قد تكون جاذبة لقلوب الرجال، وقد يكون ذلك طريقاً إلى المعصية والوقوع في الفاحشة.

وإذا خرجت لا تظهر زينتها بالصوت ليعلم ما تخفي من زينتها، قال تعالى: ﴿وَلَا يَضْرِبْنَ بِأَرْجُلِهِنَّ لِيُعْلَمَ مَا يُخْفِينَ مِن زِينَتِهِنَّ﴾ [النور: ٣١].

---

(١) فضل الهي، التدابير الوقائية من الزنا، ص ٢٦٢.

(٢) صحيح البخاري، كتاب تقصير الصلاة، باب في كم تقصر الصلاة، جـ ١، ص ٣٦٩.

(٣) محمود محمد عمارة، الحدود في الإسلام بين الوقاية والعلاج، مجلة التضامن الإسلامي، السنة السادسة والثلاثون، جـ ١٢، مكة المكرمة، وزارة الحج، ١٩٨٢هـ، ص ١٤.

(٤) أحمد بن شعيب النسائي، سنن النسائي، بشرح السيوطي، تحقيق عبد الفتاح أبو غدة، كتاب الزينة، باب ما يكره للنساء من الطيب، ط٢، حلب، مكتبة المطبوعات الإسلامية، ١٩٨٩، جـ ٨، ص ١٥٣.

يقول سيد قطب: (وإنها لمعرفة عميقة بتركيب النفس البشرية وانفعالاتها واستجاباتها، فإن الخيال ليكون أحياناً أقوى في إثارة الشهوات من العيان، وكثيرون تثير نفوسهم رؤية حذاء المرأة أو ثوبها، أو حليّها أكثر مما تثيره رؤية جسد المرأة ذاته، وسماع وسوسة الحلي، أو شمام شذى العطر من بعيد، قد يثير حواس رجال كثيرين، ويهيج أعصابهم، ويفتنهم فتنة جازمة لا يملكون لها ردا).

وليس معنى هذا الإلزام البقاء داخل البيوت، أو ما يسمى بالإقامة الجبرية، لكن يحق للمرأة أن تخرج لقضاء حاجتها، وقد أذن للمرأة أن تخرج للصلاة، قال ﷺ: «إذا استأذنت امرأة أحدكم إلى المسجد فلا يمنعها»[1].

ولكن لا تخرج إلا وهي في كامل حشمتها، ولا تذهب متزينة ولا متعطرة ولا متبرجة بزينة، لأن ذلك مدعاة للفتنة، والفساد، ولا تختلط بالرجال في أثناء الصلاة، ولا ترفع صوتها، حتى في الصلاة فراراً من فتنة الصوت ولهذا فالمرأة تضرب بيدها، إذا أخطأ الإمام، ولا تتكلم.

وفلسفة الإسلام في هذه الأحكام متمشية مع فلسفته الخاصة بالمرأة، فهو يرى أن كرامتها تتم بالاعتراف بحقوقها التي تقتضيها أهليتها، وبإبعادها عن مواطن الشبهات، ومزالق الشهوات، حتى تكون سمعتها طيبة وحسنة، يتحدث الناس عن خلقها واستقامتها، وحتى تغرس في نفوس أبنائها معاني الخير والشرف والفضيلة، وحيثما يتم اجتماع المرأة بالرجل كان الميل والأنس إلى الحديث والكلام، وبعض الشيء يجر إلى بعض، وإغلاق باب الفتنة أو الشبهة أحزم وأحكم، وأبعد عن الندامة، لهذا شدد الإسلام وحرّم الاختلاط[2].

وقد حرم الإسلام وضع ما يسمى بالزينة الظاهرة من (مكياج) وغيره، لما لها من تأثيرات صحية على المرأة.

وما يوضع على الشعر من مواد كيماوية للتزيين، قد يسبب تساقط الشعر، والمساحيق والدهون التي توضع على الوجه، فإنها تعرضه للإصابة بالبثور والالتهابات في الجلد فيضعف

---

(١) سيد قطب، في ظلال القرآن، جـ ٦، ص ٩٧.

(٢) صحيح البخاري، الفتح، كتاب الصلاة، باب استئذان المرأة زوجها، جـ ٢، ص ٣٥١.

ويصاب بالتجعد الشيخوخي قبل الأوان[1].

٩- وجوب الاستئذان:

ومن ذلك وجوب الاستئذان قبل الدخول:

قال تعالى: ﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَدْخُلُواْ بُيُوتًا غَيْرَ بُيُوتِكُمْ حَتَّىٰ تَسْتَأْنِسُواْ وَتُسَلِّمُواْ عَلَىٰٓ أَهْلِهَا ذَٰلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ ﴾ [النور: ٢٧].

دخول البيوت والتردد عليها يؤدي إلى التعرف، ثم إلى الحديث، وبعد ذلك يحدث ما لا يحمد عقباه.

وحكمة ذلك حتى لا يقع نظر الرجل الأجنبي على المرأة الأجنبية، فيرى منها ما تحرم رؤيته.

ولما كان الزنا طريقه النظر، والخلوة، والإطلاع على العورات وكان دخول الناس في بيوت غير بيوتهم مظنة حصول ذلك كله، أرشد الله عز وجل عباده إلى الطريقة الحكيمة التي يجب أن يتبعوها إذا أرادوا دخول البيوت حتى يقطعوا في ذلك الشر الوبيل والخطر الجسيم الذي يقضي على أواصر المجتمع، ويدمر الأسر ويشيع الفحشاء بين الناس[2].

وحرصاً وحفاظاً على البيوت ومن فيها، فيجب على المستأذن أن لا يستقبل الباب بوجهه، وإنما يقف عن يمين الباب أو شماله، لأنه إذا استقبله فقد يقع نظره على مالا يحل.

ومن ذلك نهى الإسلام المسلم أن يخطب على خطبة أخيه.

قال ﷺ: «لا يخطب أحدكم على خطبة أخيه حتى ينكح أو يترك»[3]، لأن ذلك مدعاة للعداوة والبغضاء والشحناء، فحفاظاً على الأسرة وصيانة لها من كل نهى الإسلام، أن يخطب الرجل على خطبة أخيه.

١٠- النهي عن إفشاء أسرار الزوجية:

قال ﷺ: «إن من أشر الناس يوم القيامة الرجل يفضي إلى امرأته، وتفضي إليه ثم ينشر

---

(١) محمد عبد العزيز عمرو، اللباس والزينة في الشريعة الإسلامية، ط٢، بيروت، مؤسسة الرسالة، ١٩٨٥، ص ٣٥٠.

(٢) إبراهيم خميس، مقومات الحياة من القرآن، ط١، القاهرة، دار الصحوة، ١٩٨٥، ص ١٤٦.

(٣) صحيح البخاري، الفتح، كتاب النكاح، باب يخطب على خطبة أخيه، ج٩، ص١٩٩.

سرها»[1].

وغاية النهي هنا نظراً لما يترتب على ذلك من إثارة الشهوات وانتشار للفاحشة، وستر أسرار الزوجية.

١١- تعليم الأبناء الصلاة، والتفريق بينهم في المضاجع:

قال ﷺ: «مروا الصبيان بالصلاة لسبع سنين، واضربوهم عليها في عشر سنين، وفرقوا بينهم في المضاجع»[2].

والقصد من ذلك، حتى يتعلم النشء أحكام العبادات، ويتعود على أدائها، وحتى يتربى على طاعة الله عز وجل، والقيام بحقه، ويجد فيها النقاء الروحي، والصحة للجسم، والتهذيب لخلقه وسلوكه، وكذلك الصلاح في قواه وفعله، لأن من يتعود على العبادات منذ صغره وينشأ على ذلك، يكون هذا واقياً له من الوقوع في المحرمات والمعاصي.

وأما فيما يتعلق بالتفريق في المضاجع، وبخاصة في هذا السن، نظراً لما يترتب على ذلك من مفاسد أخلاقية، وانحرافات سلوكية، حينما يكون الأولاد الذكور والإناث ينامون في فراش واحد وتحت غطاء واحد، ولهذا وقاية لهم من كل ذلك أمر الرسول ﷺ بذلك.

وللأسرة دور كبير في تربية الأولاد تربية وقائية، وذلك بإبعادهم عن رفقاء السوء وجلسائه، وعناصر الفساد والفسق والفجور. وتعويدهم على الصلاة والذهاب إلى المسجد، وحلقات العلم ومجالسه، وكل المجالس التي تعود عليهم بالنفع.

١٠- ومن ذلك: تعدد الزوجات:

يرمي التعدد إلى هدف بعيد في الإصلاح الاجتماعي، لا يدركه إلا نافذ البعد والبصيرة، لأنه يحمي الزوج والزوجة من الوقوع في المعصية، أما حمايته للزوج، فلأن بعض الأزواج قد لايكتفي بامرأة واحدة، ويريد أن يشبع غريزته، وكذلك المرأة التي لا يوجد لها زوج، إذا زاد عدد النساء على عدد الرجال، فربما تعتمد عشيقاً أو خليلاً، تقضي معه حاجتها

---

(١) صحيح مسلم، النووي، كتاب الطلاق، باب تحريم إفشاء سر المرأة، ج٤، ص١٥٧.

(٢) أبو عبد الله الحاكم النيسابوري، المستدرك على الصحيحين، (د. ط)، بيروت، دار الكتاب العربي، (د.ت)، جـ١، ص ١٩٧.

وشهوتها، وهذا يؤدي بالمجتمع إلى الفساد والانحلال الخلقي.

فغاية الإسلام حماية المرأة من الوقوع في حالة بؤس تتجرد فيها من جميع الضمانات الاجتماعية، وتبرز في عداد النسوة الساقطات فهو يريد أن تعامل المرأة في جميع الأحوال باعتبارها زوجة شرعية، ذات حقوق، فأي الأمرين أهدي للمرأة، وأحفظ لكرامتها، هل في أن تصبح زوجة للرجل تستطيع أن تطالبه بنفقتها ونفقة أولادها، أو أن تكون في عداد المبتذلات لا حق لها من صاحبها، وتصبح امرأة فاسدة، وعالة على الناس[1].

والتعدد نظام أخلاقي وإنساني، لأنه يمنع الرجل ولا يسمح له أن يتصل بأي امرأة شاء وفي أي وقت شاء، وأما أنه إنساني، فلأنه يخفف الرجل به من أعباء المجتمع بإيواء امرأة لا زوج لها، ونقلها إلى مصاف الزوجات المصونات المحصنات[2].

وهذا من باب الاحتياط الواقي، أن يُفسح المجال لمثل هذه الطبائع (طبائع من لا يكتفي بواحدة) في دائرة الزواج المنظم الشريف، بدلا من أن ندعها تدنس نفسها، وتدنس سواها، وتشيع الفاحشة، كما وقع في أوروبا وغيرها[3].

١١- ومن ذلك التحذير من زواج الأقارب:

وحفاظاً على الأسرة قوية سليمة لا تتهددها الأمراض، ولا الضعف، فقد نبه الإسلام إلى مضار الزواج بالأقارب، وأرشد إلى تغريب النكاح.

ويقول ابن حجر العسقلاني: (التجربة أن الغالب أن يولد بين القريبين يكون أحمقا)[4].

والزواج بالأقارب يهدد بإنجاب أطفال مصابين بالأمراض الوراثية وقد اثبت علم الوراثة أن الزواج بالقرابة يجعل النسل ضعيفاً من ناحية الجسم، ومن ناحية الذكاء، ويورث في الأولاد عادات اجتماعية مستهجنة وصفات خلقية ذميمة[5].

والزواج بغير القريبة يضيف دماء جديدة للنسل، ويغذيه بطبائع وغرائز وأذواق ويزداد بها

---

(١) عفيف طبارة، روح الدين الإسلامي، ص ٣٧٢- ٣٧٣.

(٢) مصطفى السباعي، المرأة بين الفقه والقانون، ط٥، بيروت، المكتب الإسلامي، (د. ت)، ص ٩٣.

(٣) سيد قطب، السلام العالمي والإسلام، ط٧، بيروت، دار الشروق، ١٩٨٣، ص ٩٧.

(٤) ابن حجر العسقلاني، فتح الباري، صحيح البخاري، جـ٩، ص ١٣٥.

(٥) عبد الله ناصح علوان، تربية الأولاد في الإسلام، جـ١، ص ٤١.

قوة وبهاء، وأدعى إلى توثيق العلاقات والصلات بين أفراد المجتمع والأسر المتباعدة[1].

١٢- ومن ذلك العدل والمساواة بين الأولاد:

قال ﷺ عندما جاءه رجل يشهده على نحلة نحلها لولده: «أكل ولدك نحلته مثل هذا؟ قال: لا. فقال رسول الله: فارجعه، وقال رسول الله: اتقوا الله واعدلوا بين أولادكم»[2].

وفي هذا الحديث النبوي عالج الرسول ﷺ أمراً خطيراً، وهو المفاضلة بين الأولاد، لأن هذا ظلم يؤدي إلى إيجاد البغضاء والعداوة بين الأولاد، وسبب لقطيعة الرحم، وعقوق الأب.

ويهدف الإسلام إلى التراحم والوئام، وصلة الرحم، وبر الوالدين، وهذا العمل يؤدي إلى عكس ذلك، فوقاية للأسرة من التقاطع، والخصام والبغضاء والعداوة نهى الرسول عن ذلك، ورفض عدم الشهادة لأنها ظلم.

كل هذه الصور من الاحتياط، تؤكد أن الإسلام يقي المسلم من الوقوع في السوء والفحشاء والمنكر، وقاية مؤسسية على معرفة تامة لطبيعة الإنسان وميوله ورغباته.

كل هذا من أجل أن يبقى نظام الأسرة، نظاماً قائماً على الخلق الحسن، والفضيلة، وليتم ذلك فلا بد من:

أ- تطهير الوسط الاجتماعي من كل محركات الشهوة، وعوامل إغرائها، حتى يكون لقوى الإنسان الفكرية والجسدية أن تنشأ وترتقي في جو هادى مطهر من كل ذلك.

ب- أن تكون دائرة عمل الرجل منفصلة عن دائرة عمل المرأة، ويكلف كل منهما بأعمال وفقاً لطبيعته ومقدرته الجسدية.

جـ- أن تكون منزلة الرجل في البيت منزلة القوّام، ويكون أفراد الأسرة مطيعين لرب البيت.

وحتى تؤتي هذه الإصلاحات ثمارها، فلا بد من إصلاح الباطن، والعمل بقوانين العقوبات التي سنها الإسلام، والتدابير الوقائية التي تطهر المجتمع من المغريات المصطنعة، والمحرمات غير الطبيعية، التي تقلل من إمكان الفوضى الجنسية إلى أبعد مدى[3].

---

(١) محمد عقلة، نظام الأسرة في الإسلام، جـ١، ص ١٨٥- ١٨٦.

(٢) صحيح مسلم، شرح النووي، كتاب الفرائض، باب كراهة تفضيل بعض الأولاد، جـ ١١، ص ٦٥- ٦٧.

(٣) أبو الأعلى المودودي، الحجاب، (د،ط)، بيروت، دار الفكر، (د.ت)، ص٢٥٢-٢٥٤.

المبحث الثالث
دائـرة المجتمع

اهتم الإسلام بالمجتمع اهتماماً كبيراً، وجاء هذا الاهتمام بالفرد أولا، ثم الاهتمام بالأسرة ثانياً، وكان اهتمام الإسلام بالفرد حتى يعده ذلك المواطن الصالح في المجتمع الذي ينتمي إليه، وحتى يكون منه الأسرة الفاضلة ذات القاعدة المتينة والقوية، لأن الأسرة هي اللبنة الأولى في تكوين المجتمع.

ولهذا حدد الإسلام للفرد حقوقاً ورتب عليه واجبات، وللمجتمع حقوقاً وعليه واجبات، والفرد يؤمن بالواجبات التي يجب أن يؤديها لأسرته ومجتمعه، والمجتمع يؤمن بحقوق الفرد عليه، وكلهم مؤمنون بوجوب التعاون على البر والحق والخير والفضيلة.

وبناء على هذا أسس الإسلام مجتمعه على الحق والفضيلة والصدق والتعاون، وحثه على المحبة والتعاون، حتى يكون مجتمعاً فاضلاً بعيداً عن أسباب الفرقة والتشتت والنزاع والخلاف.

وقد وضع الإسلام قواعد في التربية الوقائية، لكي يصون هذه المجتمع ويحميه من هذه الأمراض التي تؤدي إلى الشقاق والخلاف.

أسس ومقومات المجتمع:

ولا بد للمجتمع أن يقوم على أسس ومقومات، حتى يبقى متماسكاً قوياً ومن ذلك:

١ . العقيدة الصالحة التي ترفع عن العقول الوثنية، وانحراف التفكير، وضلال العبادية، وتطهر المجتمع من الزيغ وعبادة الأصنام وتدعو إلى عبادة الله وحده[1].

والمجتمع الذي تنظمه عقيدة صالحة تنبثق عنها تشريع لتنظيم علاقات الناس وأخلاق وقيم تبنى عليها أعرافهم وعداتهم، هو المجتمع الذي يضمن له الوحدة والتماسك ويسوده

---

(١) عبد العزيز الخياط، المجتمع المتكافل في الإسلام، ط١، عمان، مؤسسة الرسالة، ١٩٧٢، ص ١٤.

العدل والنظام، وتتفاعل جماعته وأفراده، وتحكمه الطمأنينة والسلام[1].

٢. والإيمان بأن الدين هو موجه الحياة، وأن الحاكمية لله رب العالمين، لأن مقياس المجتمع لا يكون بالصناعة والزراعة وغيرها، وإنما يقاس بمقدار ما في المجتمع من عقيدة صافية وفكر نيّر، يدفع إلى ازدهار الاقتصاد وتقدم العلم، واكتشاف أسرار الكون[2].

التدابير الوقائية لحفظ المجتمع:

وقد وضع الإسلام تدابير لإبقاء الروابط بين أفراد المجتمع المسلم وحمايته من سوء الأخلاق، حيث جعل علاقة الفرد المسلم بأفراد المجتمع الإسلامي، علاقة قائمة على الإيمان والأخوة والمحبة والتعاون، لا سخرية فيه، ولا طعن ولا حسن وظن.

ومن ذلك:

١- النهي عن السخرية والتنابز بالألقاب والهمز واللمز، قال تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا يَسْخَرْ قَوْمٌ مِّن قَوْمٍ عَسَىٰٓ أَن يَكُونُوا۟ خَيْرًا مِّنْهُمْ وَلَا نِسَآءٌ مِّن نِّسَآءٍ عَسَىٰٓ أَن يَكُنَّ خَيْرًا مِّنْهُنَّ ۖ وَلَا تَلْمِزُوٓا۟ أَنفُسَكُمْ وَلَا تَنَابَزُوا۟ بِٱلْأَلْقَٰبِ ۖ بِئْسَ ٱلِٱسْمُ ٱلْفُسُوقُ بَعْدَ ٱلْإِيمَٰنِ ۚ وَمَن لَّمْ يَتُبْ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ ﴾ [الحجرات: ١١].

هذه الآية تضمنت قضايا كثيرة، وجزئيات تحوي التوجيهات الصالحة لكل زمان ومكان، صيانة لإفراد المجتمع ووقاية لهم ولأسرهم من هذه الأمور التي تؤدي إلى الفرقة والخصام.

وحذرت الآية أفراد المجتمع من أن ينزلقوا بمثل هذه الأعمال الجاهلية، إنها بهذا التحذيرات سياجاً قوياً حول محرمات المسلمين فلا تُحل وكراماتهم فلا ينال منها، وأعراضهم فلا تنتهك، وحرياتهم الممنوحة لهم شرعاً فلا تقيد ولا تصادر، أنه توجيه من الله عز وجل الخير في النفوس، يربي المؤمنين ومجتمعهم على أسس نظيفة من التعامل بعيدة عن التهمة والشرور، نقية مهذبة بريئة من كل عوامل الظنون والشكوك.

قال تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱجْتَنِبُوا۟ كَثِيرًا مِّنَ ٱلظَّنِّ إِنَّ بَعْضَ ٱلظَّنِّ إِثْمٌ ۖ وَلَا تَجَسَّسُوا۟ وَلَا يَغْتَب بَّعْضُكُم بَعْضًا ۚ أَيُحِبُّ أَحَدُكُمْ أَن يَأْكُلَ لَحْمَ أَخِيهِ مَيْتًا فَكَرِهْتُمُوهُ ۚ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ تَوَّابٌ رَّحِيمٌ ﴾ [الحجرات: ١٢].

---

(١) عبد العزيز الخياط، المجتمع المتكافل في الإسلام، ط١، عمان، مؤسسة الرسالة، ١٩٧٢، ص ١٣.

(٢) عبد العزيز الخياط، المجتمع المتكافل في الإسلام، ص ١٦.

والسخرية، النظر إلى المسخور منه بعين النقص والاستهانة والتحقير والتنبيه على العيوب والنقائص على وجه يضحك منه، وقد يكون بالإشارة والإيماء، وقد يكون كلاما[1].

والساخر من الناس يكون متعالياً عليهم، ينظر إليهم نظرة دونية بعين من النقص والاحتقار، وهذا يؤدي إلى الكراهية، والبغضاء والعداوة بين أفراد المجتمع.

٢- النهي عن الغيبة:

ومنها الغيبة، وهي: أن تذكر أخاك بما يكره، سواء ذكرته بنقص في بدنه أو في خلقه، وهي صفة ذميمة تجلب الشر، وتدعو إلى العداوة، وتوغل الصدور وتثير الأحقاد[2].

قال ﷺ: «أتدرون ما الغيبة؟ قالوا: الله ورسوله أعلم. قال: ذكرك أخاك بما يكره، قيل: أرأيت إن كان في أخي ما أقول؟ قال: إن كان فيه ما تقول فقد اغتبته، وان لم يكن فيه ما تقول، فقد بهته»[3].

٣- ومنها النميمة:

قال تعالى: ﴿هَمَّازٍ مَّشَّاءٍ بِنَمِيمٍ﴾ [القلم: ١١].

والنميمة تطلق على من ينم قول الغير إلى المقول فيه، وإفشاء السر وهتك الستر عما يكره كشفه[4].

والباعث عليها هو إرادة السوء للمنقول عنه، وإظهار الحب للمنقول إليه، وقال الحسن: (من نم إليك نم عليك، وهذا إشارة إلى أن النمام أن يبغض ولا يُوثّق بقوله ولا بصداقته، وكيف لا يبغض وهو لا ينفك عن الكذب والغيبة، والغدر والخيانة، والحسد والنفاق والإفساد بين الناس والخديعة، وهو ممن يسهم في قطع ما أمر الله به أن يوصل ويفسدون في الأرض)[5].

---

(١) إبراهيم المشوخي، آفات اللسان، ط٢، الزرقاء، مكتبة المنار، (د. ت)، ص ٥.

(٢) الغزالي، إحياء علوم الدين، جـ ٣، ص ١٤٣. محمد أديب كلكل، صيانة الإيمان من عثرات اللسان، ط٢، حماه، مكتبة الدعوة، (د. ت)، ص ٨٤.

(٣) صحيح مسلم، شرح النووي، كتاب تحريم الغيبة، جـ ٨، ص ٢١.

(٤) الغزالي، إحياء علوم الدين، جـ ٣، ص ١٥٦.

(٥) الغزالي، إحياء علوم الدين، جـ ٣، ص ١٥٦.

قال عبد الله بن المبارك: (الزنيم ولد الزنا، الذي لا يكتم الحديث) وأشار به إلى أن كل من لم يكتم الحديث ومشى بالنميمة[1].

ووقاية من إيقاع الشر بين الناس، فعلى المنقول إليه ما يلي:

١. أن لا يصدق الناقل، لأن النمّام فاسق مردود الشهادة.

٢. أن ينهاه عن ذلك.

٣. أن يبغضه في الله فإنه بغيض عند الله عز وجل.

٤. أن لا يظن بأخيه الغائب السوء.

٥. أن لا يحمله على ما حكي له على التجسس والبحث.

٦. أن لا يرضى لنفسه ما نهى النمام عنه[2].

ولهذا قال تعالى: ﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ إِن جَآءَكُمْ فَاسِقٌۢ بِنَبَإٍ فَتَبَيَّنُوٓا۟ أَن تُصِيبُوا۟ قَوْمًۢا بِجَهَـٰلَةٍ فَتُصْبِحُوا۟ عَلَىٰ مَا فَعَلْتُمْ نَـٰدِمِينَ ﴾ [الحجرات: ٦].

وهذه الآية الكريمة تقرر أصلاً عظيماً له خطره وأثره في الحياة فالتثبت في الأخبار والصدق في نقلها من قواعد هذا الدين الذي أسس صرح الأخلاق على أمتن القواعد وأقواها، ومظهر من مظاهر السمو النفسي، وهو الذي يضمن رد الحقوق ويوطد الثقة بين الأفراد والجماعات، لا يستغني عنه أحد[3].

فالنميمة خطرها عظيم، وضررها كبير، وشرها مستطير، وتؤدي إلى تقطيع أواصر المحبة بين الأخوة، وتفرق الجماعة، وتؤدي إلى إثارة العداوة والبغضاء بسبب الكلام المنقول.

وفي الآية الكريمة توجيه إعلامي يعلمنا الله عز وجل فيه كيف نأخذ من أنفسنا ونتلقى من غيرنا وماذا نتلقى، ومنهج الإسلام في التربية ثابت الجذور، ومن قواعده تربية المجتمع على الصدق والتزامه لأنه ركيزة القوة، ومبدأ الحسنات، وخلاف ذلك الكذب الذي هو أساس

---

(١) إبراهيم محمد الجمل، أمراض النفوس، ط١، بيروت، دار الكتاب العربي، ١٩٨٥، ص ٨٩.

(٢) محمد أديب كلكل، صيانة اللسان من عثرات اللسان، ص ٩٠- ٩١.

(٣) محمد محمود الصواف، نظرات في سورة الحجرات، ط٣، بيروت، مؤسسة الرسالة، ١٩٨٢، ص ٦١- ٦٢.

الشبهات، والطريق المؤدى إلى العدوان.

والفارق بين المؤمن والمنافق هو الصدق، قال ﷺ: «آية المنافق ثلاث: إذا حدث كذب، وإذا وعد أخلف، وإذا أوتمن خان»[1].

والنميمة تلك التي تثير الفتنة، وتشعل النار بين الأطراف، وتورث العداوة، وتملأ القلوب حقداً وسخطاً وغضباً[2].

وقال ارسطاليس: (النميمة تهدي إلى القلوب البغضاء، ومن نقل إليك نقل عنك)[3].

٤- النهي عن التجسس:

ومن ذلك التجسس والظن:

قال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱجْتَنِبُواْ كَثِيرًا مِّنَ ٱلظَّنِّ إِنَّ بَعْضَ ٱلظَّنِّ إِثْمٌ وَلَا تَجَسَّسُواْ﴾ [الحجرات: ١٢].

وهذه الآية تقرر مبادئ هامة، في أصول الأخلاق الاجتماعية، وتنهى المؤمن عن أخلاق ذميمة، ولازمة لكثير من المجتمعات، فنهى عن الظن والتجسس، لأن الله عز وجل صان كرامة المؤمن، وشرفه وحفظ دمه وماله وعرضه، وظن السوء مدعاة إلى التحقير والسخرية واللمز، ومدعاة إلى امتلاء القلوب غيظاً وحقداً، وغضباً، ويؤدي إلى إيقاع الضرر بالمظنون به، وظن السوء خدش للعرض، وهتك للحرية، ونيل من الكرامة، لذا نهى الله عز وجل عنه[4].

٥- النهي عن الهمز واللمز:

والهمز واللمز والتنابز بالألقاب مدعاة لإثارة العداوة والبغضاء بين أفراد المجتمع، وتورث

---

(١) صحيح البخاري، كتاب الأدب، باب قوله تعالى: (يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله وكونوا مع الصادقين، جـ١٠، ص ٥٠٧.

(٢) محمد محمد الأمين الأنصاري، منهج الدعوة الإسلامية في البناء الاجتماعي، ط١، الرياض، مكتبة الأنصار، ١٩٨٤، ص ٣٤٢.

(٣) أحمد سعيد الدجوي، فتح الخلّاق في مكارم الأخلاق، تحقيق عبد الرحيم مارديني، ط١، دمشق، مكتبة دار المحبة، ١٩٩١، ص ٢٥٥.

(٤) محمد محمود الصواف، نظرات في سورة الحجرات، ص ١٢٨.

العداوة في القلوب، وتقطع روابط المودة بين الأفراد، وتؤدي إلى الأحقاد والغل.

والله عز وجل يريده مجتمعاً نظيفاً، لا تسوده السخرية، بكل أشكالها ولا اللمز وينأى بأفراده وجماعاته عن ألقاب السوء.

والتجسس غالباً يطلق في الشر، قال الأوزاعي: (البحث عن الشيء والاستماع إلى حديث قوم وهم له كارهون)[1].

والمسلم في بيته آمن، وسره مؤتمن، مصون الحرية، وليس لأحد أن يدخل عليه إلا بإذنه، لأن تتبع عورات المسلمين يترتب عليه مفاسد عظيمة، وربما تؤدي إلى القتل وإثارة العداوة والبغضاء.

قال ﷺ: «إياكم والظن فإن الظن أكذب الحديث ولا تحسسوا ولا تجسسوا ولا تحاسدوا ولا تباغضوا ولا تدابروا وكونوا عباد الله إخواناً»[2].

ولهذا فإن منهج الإسلام في التربية اهتم اهتماماً كبيراً بضبط الظن في المؤمن، مما لا يدع مجالا للشك لأحد ليسترسل في الظن، ويخلط بين المحرم والمباح منه، وفي هذا تحرير لفكر المؤمن وتطهير لداخله وربطه باليقين وتعامله مع الآخرين، بالصدق والعلم، وليس معنى هذا أن الإسلام يرفض الظن مطلقاً، بل الظن في جانب السوء والتخمين، وهذا سياج يحفظ كرامة الإنسان المسلم، وحريته، وهو توجيه للمجتمع المسلم الذي يربي على أن لا يدع أفراده وجماعاته نهباً للظنون، وإثارة الشبهات، والشكوك حتى يظل الناس أبرياء مصونة حقوقهم وحرياتهم[3].

وفي هذا التوجيه النبوي السابق، توجيه للمؤمن وتنقيتهم من داء التجسس، وذلك من باب أن يستر المسلم نفسه ولا يتجسس على غيره، وهذا منهج نبوي وقائي، مما يترتب على التجسس من مضار كثيرة.

---

(1) حسن أيوب، السلوك الاجتماعي في الإسلام، ط٤، بيروت، دار الندوة الجديدة، ١٩٨٣، ص ١٢٢.

(2) صحيح البخاري، فتح الباري، كتاب الأدب، باب قوله تعالى ﴿يا أيها الذين آمنوا اجتنبوا كثيرا من الظن﴾، جـ ١٠، ص ٤٨٤.

(3) محمد الأنصاري، منهج الدعوة الإسلامية في البناء الاجتماعي، ص ٤١٧.

٦- ومن ذلك: النهي عن موالاة الأعداء:

قال تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَتَّخِذُواْ ٱلْكَٰفِرِينَ أَوْلِيَآءَ مِن دُونِ ٱلْمُؤْمِنِينَۚ أَتُرِيدُونَ أَن تَجْعَلُواْ لِلَّهِ عَلَيْكُمْ سُلْطَٰنًا مُّبِينًا﴾ [النساء: ١٤٤].

وقال تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِن تُطِيعُواْ فَرِيقًا مِّنَ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلْكِتَٰبَ يَرُدُّوكُم بَعْدَ إِيمَٰنِكُمْ كَٰفِرِينَ﴾ [آل عمران: ١٠٠].

جعل الله عز وجل ولاية المؤمن لغير المؤمنين، واتخاذ الأعداء أصدقاء دون المؤمنين، وإقامة العلاقات معهم على المودة أكثر من المؤمنين، جعلها الله عز و جل من الذنوب الكبيرة والجرائم العظيمة، أن يبيحوا لهم بأسرارهم، ويركنون إلى آرائهم، ويعتمدون على نصائحهم وإرشاداتهم، ويجعلونهم أولياء عليهم، كل هذا يعود بالضرر على المؤمنين بسبب إفشاء الأسرار لخصومهم، والاطمئنان إليهم، لأنه يعود عليهم بالذل والهوان، لأنهم لا يحافظون على مودتهم، ولم يحترموا صداقاتهم، بل يكيدون لهم في الخفاء.

ومن أجل وقاية المجتمع من خطر العدو، أمرهم بأخذ حذرهم وبخاصة في القتال، حتى لا يميلوا عليهم ميلة واحدة، فالقضاء عليهم والحذر ليس من العدو وحده، بل من الفئة المندسة بين صفوف المؤمنين، المبطئين والمثبطين.

قال تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ خُذُواْ حِذْرَكُمْ فَٱنفِرُواْ ثُبَاتٍ أَوِ ٱنفِرُواْ جَمِيعًا﴾ [النساء: ٧١].

وذلك حتى لا يوقع بهم العدو القتل فملاقاة العدو يكون على شكل جماعات كبيرة وصغيرة.

وفي هذا من التربية الوقائية للمسلمين، على الأمور القتالية، ومحذراً إياهم من ملاقاة العدو بصورة فرادى، والاطمئنان إلى جميع الموجودين داخل معسكر المسلمين، لأن ضررهم أكبر من ضرر العدو الخارجي المعروف.

٧- النهي عن إفشاء السر:

قال ﷺ: «استعينوا على إنجاح حوائجكم بالكتمان، فإن كل ذي نعمة محسود»[1].

(١) أبو القاسم سليمان بن أحمد، الطبراني، المعجم الكبير، تحقيق حمدي السلفي، ط٢، (د. م)، (د. ن)، (د. ت)، جـ ٢٠، ص ٩٤.

إن إفشاء السر يؤدي إلى شر، بل هو شر محض وأذى يلحق بالأفراد والهيئات وبالأمة نفسها[1].

وكتم السر من أفضل الأخلاق، وأكبر الفضائل به تصان الأعراض، وتحفظ الأرواح، وتُلْتَأم الجماعات، فرب سر أفشيته جلب شراً مستطيراً، وأحدث فتنة، أهلكت خلقاً كثيراً، ولهذا كان من الواجب على الإنسان أن يخفي سره ما استطاع، وإلا عرض نفسه إلى أضرار كثيرة لا قِبل له بها، وحينئذ لا يمتلكه دفع ما يترتب على ذلك من الأخطار التي تحيط بالمجتمع[2].

ومن ذلك إفشاء سر الزوجية، قال ﷺ: (إن من أشر الناس يوم القيامة، الرجل يفضي إلى امرأته وتفضي إليه ثم ينشر سرها)[3].

وذلك لما فيه من مفسدة لحياة الأسرة، وربما يؤدي إلى الفاحشة من خلال هذا العمل.

٨- ومن ذلك الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر:

قال تعالى: ﴿ وَٱلْمُؤْمِنُونَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَآءُ بَعْضٍ ۚ يَأْمُرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَيُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤْتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ وَيُطِيعُونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥٓ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ سَيَرْحَمُهُمُ ٱللَّهُ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾ [التوبة: ٧١].

الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر يحمي المجتمع المسلم من الانحراف والفساد والانحلال الخلقي، والإيمان لا يمكن أن يستقر في المجتمع، أركانه وأصوله، إلا إذا كان الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر قائماً به.

وإذا فقد الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر في المجتمع، كان الفسق والعصيان شعارهم، وولاؤهم لبعضهم قائماً على النفاق.

قال تعالى: ﴿ ٱلْمُنَٰفِقُونَ وَٱلْمُنَٰفِقَٰتُ بَعْضُهُم مِّنۢ بَعْضٍ ۚ يَأْمُرُونَ بِٱلْمُنكَرِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمَعْرُوفِ﴾ [التوبة: ٦٧].

---

(١) محمد جمال الدين رفعت، آداب المجتمع في الإسلام، ط١، الدوحة، إدارة إحياء التراث الإسلامي، ١٩٨٢، ص ١٨١.

(٢) أحمد سعيد الدجوي، فتح الخلاق في مكارم الأخلاق، ص ٢٢٩.

(٣) صحيح مسلم، النووي، كتاب الطلاق، باب تحريم إفشاء سر المرأة، جـ ٤، ص ١٥٧.

وعدم الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر يؤدي إلى هلاك الأمة واستحقاق العذاب، وعدم استجابة الدعاء.

والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، يحفظ على الأمة دينها، وعقيدتها، من أيدي العابثين والمتآمرين الذين يحاولون أن يعيثوا في الأرض الفساد.

٩- محبة الله عز وجل:

ومما يزيد في تماسك المجتمع وقوته، وحفظه وصيانته من كل أسباب الفرقة والتشتت، المحبة في الله، فإنها تقوي أواصر المحبة بين أفراد المجتمع، وتشعر المسلم بأخيه المسلم، وإذا تمكنت محبة المؤمنين بعضهم لبعض من قلوبهم، ساد بينهم الأمن والطمأنينة، والتعاون على البر والتقوى، وضعفت أسباب الفرقة والتباغض والتشتت.

١٠- ومن ذلك مساعدة الفقراء والمحتاجين والضعفاء، وقضاء الحاجات هو مقتضى الأخوة الإسلامية.

قال ﷺ: «المسلم أخو المسلم لا يظلمه ولا يسلمه، ومن كان في حاجة أخيه كان الله في حاجته، ومن فرّج عن مسلم كربة فرّج الله عنه كربة من كرب يوم القيامة، ومن ستر مسلماً ستره الله يوم القيامة»[1].

١١- إفشاء السلام:

فإن إفشاء السلام بين أفراد المجتمع المسلم مدعاة إلى إزالة الوحشة بينهم، ويفتح باب إقبال أحدهما على الآخر، ويشعرون بالألفة والمحبة، بل يشعر كل واحد منهم بالأمن مع أخيه، وهي من الأسباب العظيمة الجالبة للمحبة والألفة والأمن والاطمئنان[2].

قال ﷺ: «لا تدخلون الجنة حتى تؤمنوا ولا تؤمنوا حتى تحابوا، أولا أدلكم على شيء إذا فعلتموه تحاببتم، أفشوا السلام بينكم»[3].

---

(١) مسلم، صحيح مسلم، كتاب البر والصلة، باب تحريم الظلم، جـ ٤، ص ١٩٩٦.

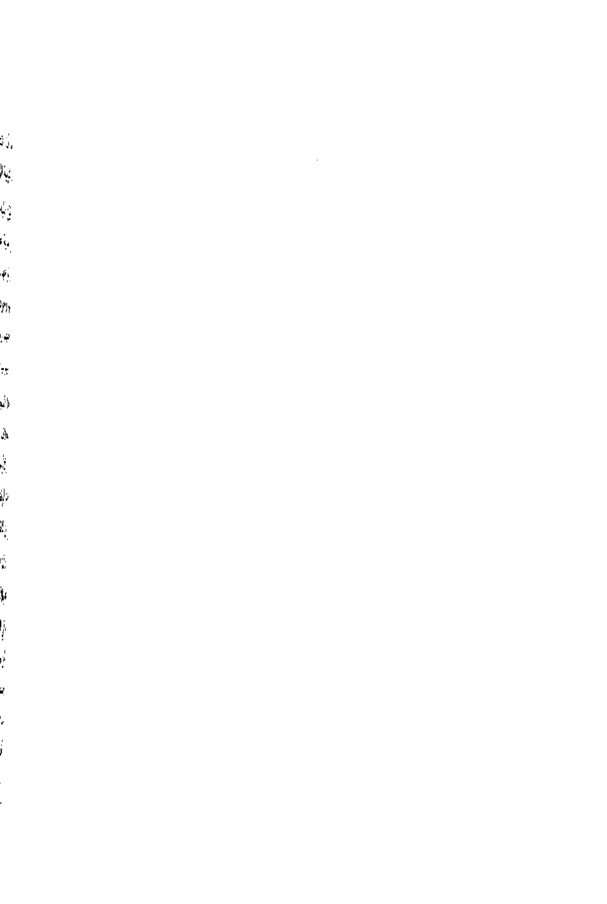
(٢) عبد الله القادري، أثر التربية الإسلامية في أمن المجتمع، ط١، جدة، دار المجتمع، ١٩٨٨، ص ٢٢٦.

(٣) مسلم، الصحيح، كتاب الإيمان، باب لا يدخل الجنة إلا المؤمنون، جـ ١، ص ٧٤.

الفصل الثامن

ويـشـمـل:

١ - الخاتمة .
٢- النتائج .
٣- التوصيات .



الخاتمة

وبعد أن انتهى الباحث -بمشيئة الله وعونه، بهذا الجهد المتواضع في عرض قواعد وأصول التربية الوقائية في الإسلام، وآثارها الإيجابية في حفظ المجتمع.

فقد تبيّن للباحث أن المسلمين حينما طبقوا هذه القواعد والإجراءات والأساليب تطبيقاً كاملاً في بداية عهدهم وفي صدر الإسلام، نجحت نجاحاً كبيراً في مكافحة الجرائم بكافة أشكالها وأنواعها، وتأديب المجرمين وإصلاحهم، حتى أن الجريمة تضاءلت إلى درجة أنها لم يعد لها وجود في واقع المجتمع المسلم، وقد أكّد هذا ابن قيم الجوزية حيث يقول: «الذين رجمهم رسول الله ﷺ في الزنا مضبوطون معدودون، وهم الغامدية وماعز وصاحبة العسيف واليهوديان»[1].

وقد خلا المجتمع الإسلامي من كل أسباب الفساد والإنحلال الخلقي، ومن كل أسباب الفرقة والخلاف والبغضاء والعداوة، وكان مجتمعاً متعاوناً متكافلاً، متحاباً، خالياً من الأمراض والأوجاع التي تفتك بالأمم والشعوب، وذلك بفضل الأخذ بكافية الأساليب والإجراءات الوقائية أو ما يسمى بالتربية الوقائية التي وضع الإسلام أصولها وقواعدها لتحفظ المجتمع من كافة الأسباب المؤدية إلى إهلاكه وإفساده.

ولكن الأمة الإسلامية، بعد أن ابتعدت عن كل هذه الأساليب الوقائية التي أقرها الإسلام، وأمر أتباعه بالأخذ بها، نرى ما أصاب هذه الأمة في عصرنا الحاضر من إنحراف في العقيدة وإنحراف في السلوك، وظهور الفساد وانتشار الجرائم الكثيرة والمتنوعة بين أفراد المجتمع، وغدا الأمن مطلباً ضرورياً يتمناه الإنسان، وذلك بعد أن أخذت هذه الجرائم تفتك بالمجتمع أفراداً وجماعات، وغدا الفساد منتشراً بكافة أشكاله وأنواعه، وغدت الأمراض تسري إليها كما سرت إلى المجتمعات غير الإسلامية، وغدا الأخذ بمبدأ التربية الوقائية مطلباً ضرورياً، ليعيش أفراد المجتمع بأمان وطمأنينة بعيدة عنهم أسباب الفساد والإنحلال الخلقي وأسباب الفرقة والخلاف والضعف والهوان، حتى يعود مجتمعاً قوياً متماسكاً كما كان سلفه الصالح.

---

(١) ابن قيم الجوزية، الطرق الحكمية في السياسة الشرعية، ص٩٥.

النتائج

لقد أجابت هذه الدراسة على جميع الأسئلة التي طرحها الباحث في بداية الرسالة على النحو التالي:

أما بخصوص السؤال الأول: ما طبيعة التربية الوقائية؟

فقد أجابت هذه الدراسة على هذا السؤال، فبينت طبيعة التربية الوقائية من حيث الأهداف والخصائص والأنواع.

فمن حيث الأهداف، بينت هذه الدراسة، أهداف التربية الوقائية، ومن أهمها أن التربية الوقائية تهدف إلى تربية الإنسان المسلم تربية تربط بين الإيمان والأخلاق الفاضلة، نظراً لأهمية الإيمان في حياة الإنسان، لأنه يعكس الصورة الحسنة والجميلة في حياة الإنسان، وهو الضابط له من الوقوع في المعاصي والآثام.

ومن أهدافها، أنها تهدف إلى تحقيق الصحة الجسمية والنفسية والعقلية، للإنسان، من منطلق أن الإنسان لا يستطيع أن يقوم بأداء عمله وواجباته مالم تتوفر له الصحة.

ومن أهدافها أنها تهدف إلى المحافظة على العقل ووقايته من كل ما يقلل من قيمته ويحدث فيه خللا، لأن العقل مناط التكليف.

وتهدف التربية الوقائية إلى حفظ وحماية العقيدة مما يشوبها من الشرك والرياء، والأوهام والخرافات من أجل تكوين إيمان قوي، يدفع صاحبه إلى العمل بموجبه، وإيجاد الاستعداد عنده، ليدافع عن عقيدته إزاء العقائد الأخرى.

وتهدف التربية الوقائية إلى رفع المستوى الأخلاقي عند الفرد المسلم، من خلال الدعوة إلى مكارم الأخلاق، والتحذير من رذائلها، من أجل إيجاد المسلم المؤمن الصالح لأمته.

ومن أهدافها أنها تهدف إلى المحافظة على النوع الإنساني، والأسرة وكيانها، من خلال تحريم كافة الوسائل والطرق المؤدية إلى ذلك.

أما بخصوص خصائص التربية الوقائية فقد بينت الدراسة هذه الخصائص، وهي الربانية، والشمول، والتكامل، وأنها تربية فردية واجتماعية، من حيث إن القرآن الكريم أرسى قواعدها وأصولها، وأنها جاءت شاملة لكافة نواحي الحياة الإنسانية، وأنها لا تقتصر على جانب دون

جانب من جوانب الشخصية الإسلامية.

وأنها وقائية في مجال الفرد، والأسرة، والمجتمع. من أجل تكوين الفرد الصالح، والأسرة الصالحة، فالمجتمع الصالح، القائم على الحب والتعاون.

أما بخصوص أنواع التربية الوقائية، فقد بينت الدراسة أنها لا تخرج عن مقاصد الإسلام الخمسة، وهي حفظ الدين، وحفظ العقل، وحفظ النسل، وحفظ المال، وحفظ النفس.

لأن هذه الأمور عليها مدار الحياة، وإذا لم تحفظ وتتخذ الاحتياطات اللازمة للمحافظة عليها في الدنيا، فلا يمكن أن تستقيم حياة الإنسان في الدنيا والاخرة.

وقد وضعت التربية الوقائية كافة الأصول والقواعد الوقائية، المتعلقة بحفظ الدين، والعقل، والنسل، والمال، والنفس.

أما بخصوص أصول التربية الوقائية في الكتاب والسنة وأساليبها، فقد بينت الدراسة أن القرآن الكريم والسنة النبوية، قد تضمنا أصول التربية الوقائية في جميع مجالات الحياة المختلفة في مجال حفظ الدين، والعقيدة، ومجال حفظ النفس، ومجال حفظ العقل، ومجال حفظ النسل، والأسرة، ومجال حفظ المال، ومجال حفظ الفرد والمجتمع.

أما مظاهر الوقاية التربوية في مجال الصحة الإنسانية، فقد أجابت الدراسة في فصلها الخامس، على هذا السؤال وبينت مظاهر الوقاية التربوية في مجال الصحة الإنسانية، من خلال الحديث عن أصول وقواعد وأساليب هذه الوقاية ابتداء من نظافة الجسم والطعام والشراب وتحريم الأطعمة والأشربة المحرّمة.

وبينت أصول الوقاية التربوية في مجال الصحة العقلية وأساليبها، حفاظا على العقل من أن يلحق به الأذى، لأنه مناط التكليف، ولهذا حرمت الخمر وكل ما يلحق الضرر بالعقل، ودعت إلى تنمية العقل ماديا ومعنويا. ماديا بالطعام، لأنه مصدر حياة الإنسان، ومعنويا بالعلم والبحث والتفكير.

وفي مجال الصحة النفسية، بينت الدراسة أصولاً وأساليبَ وضعتها التربية الإسلامية كإجراءات وقائية للمحافظة على الشخصية المسلمة من الأمراض النفسية والاضطرابات والقلق، ودلته على كل ما يبعده عن كل ذلك.

وبينت أن أكثر الناس عرضة للقلق والاضطراب هم المحرومون من نعمة الإيمان لأن الإيمان يسمو بالإنسان على الماديات، ويرتفع به عن الشهوات، ويتعالى به عن لذة الدنيا ومتاعها، فيخلصه من القلق والاضطراب، الذي قد يوصله إلى الأمراض النفسية.

أما بخصوص السؤال الثالث: ما مظاهر الوقاية التربوية في مجال العقيدة والتشريع؟

فقد أجابت الدراسة في فصلها السادس على هذا السؤال، وبينت أن التربية الوقائية قد وضعت كافة الإجراءات والأساليب الوقائية في مجال العقيدة والعبادات والحدود والمعاملات.

فبينت الدراسة، كافة الأساليب الوقائية لحماية العقيدة وحفظها فحرمت الشرك، وحاربت الشعوذة والأوهام والخرافات، والرياء لأنها أمور مخلة بالعقيدة ومفسدة لها.

وفي دائرة العبادات، بينت الدراسة أن العبادات تربية وقائية للمسلم تمنعه من ارتكاب المعاصي والمفاسد، وتبعده عن كل طرق الشر والمعصية.

وبينت أن العبادات شرعت لتهذيب النفس الإنسانية، وتربية روح المساواة وروح الاجتماع.

وفي مجالات المعاملات بينت الدراسة -أن التربية الإسلامية- وضعت كافة الإجراءات والأساليب الوقائية للمحافظة على أصول المعاملات بين المسلمين ويجب أن تقوم المعاملات بينهم على أساس التوثيق حفظا لحقوقهم وعدم ضياعها.

قال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا تَدَايَنتُم بِدَيْنٍ إِلَىٰٓ أَجَلٍ مُّسَمًّى فَٱكْتُبُوهُ﴾ [البقرة: ٢٨٢].

وهذه وثيقة من أحكم ما عرفت البشرية من وثائق حفظ الحقوق، فقد جاء الإسلام مفصلا كل خطوة من خطواتها، سادا كل ثغرة يمكن أن ينفذ منها شيء من الخيانة والغدر.

وقد حرم الربا والميسر، والرشوة، وأكل أموال الناس بالباطل، لأنها تؤدي إلى فساد المجتمع، وإثارة الخلافات والأحقاد والضغائن بين أفراده، تقطيع الصلات بينهم.

وفي مجال الحدود:

فقد بينت الدراسة أن الإسلام شرع الحدود، لمختلف الجرائم، من أجل منع حدوث الجريمة، والوقاية من الفساد والانحلال الخلقي، وكافة الطرق المؤدية إلى ذلك.

فشرع حد الزنا، من أجل المحافظة على النوع الإنساني، وخوفا من اختلاط الأنساب.

وشرع حد القذف، وقاية للأعراض من أن تدنس، وأن تكون أُلعوبة لمن شاء أن يقدح أو يطعن فيها.

وشرع حد الخمر، من أجل المحافظة على العقل من الفساد، والخلل. وعلاوة على أنها مفسدة للعقل، تؤدي أيضا إلى قطع أواصر المحبة بين أفراد المجتمع، والمفاسد الأخرى الكثيرة.

أما بخصوص السؤال الرابع: ما مظاهر الوقاية التربوية في مجال الحياة الاجتماعية؟

فقد أجابت الدراسة في فصلها السابع، على هذا السؤال، وبينت الدراسة كافة الإجراءات الوقائية التي جاءت التربية الوقائية لحماية الفرد والأسرة والمجتمع.

ففي دائرة الفرد وضعت التربية الإسلامية، كافة الإجراءات والأساليب الوقائية التي تحفظ الفرد المسلم وتقيه من أذى الشيطان ووسوسته ومن ذلك نهته عن التكالب على الدنيا والإغراق في حبها، لأنها مدخل من مداخل الشيطان.

ونهته عن كافة الأخلاق الرذيلة من عُجب وكبر، وإعجاب بالنفس، وأنانية لأنها أخلاق تؤدي بالفرد إلى السوء والمهالك.

ثم وضعت له البدائل التي تحفظه وتقيه من ذلك، ومنها:

لزوم الجماعة، ولزوم صلاة الجماعة، وكثرة الطاعات، وقراءة القرآن، لأنها كلها أمور وقائية تحفظه من أذى الشيطان.

وفي دائرة الأسرة، بينت الدراسة أن التربية الإسلامية، قد أرست كافة القواعد والأصول الوقائية لحفظ الأسرة، فشرع الإسلام الزواج للمحافظة على النوع الإنساني والأنساب، وإشباع الحاجات الجسمية، ويحفظ الأسرة وأفرادها من الفساد والانحلال الخلقي.

ومن هذه الإجراءات الوقائية، حسن اختيار الزوجة لزوجها والزوج لزوجته، وحث الإسلام أبناءه على اختيار الزوجة الصالحة واختيار الزوجة للزوج الصالح، لما له من أثر إيجابي في تكوين الأسرة ووقايتها من الفساد والانحلال الخلقي.

ومن تلك الإجراءات غض البصر، وتحريم التبرج والاختلاط، لأنهما مدعاة إلى الفاحشة والسوء.

أما دائرة المجتمع:

فقد بينت الدراسة كل الإجراءات الوقائية الكفيلة بحماية ووقاية المجتمع من التمزق والخلاف والفساد والبغضاء وغير ذلك.

ومن تلك الإجراءات الوقائية التي بينتها الدراسة، أن الإسلام حرّم السخرية بين أفراد المجتمع، وحرّم الغيبة والنميمة وسوء الظن والتجسس.

لأن هذه القواعد الوقائية مؤداها إذا التزم بها أفراد المجتمع، تحفظهم من التفرقة والخصام والبغضاء.

وبهذا التحريم، يقيم الإسلام سياجا قويا حول حرمات المسلمين فلا تُحل، وكراماتهم فلا يُنال منها، وأعراضهم فلا تنتهك، وحرياتهم فلا تقيد.

ومن هذه القواعد، فقد حرّم الإسلام موالاة الأعداء، نظرا للخطر الذي يعود على المجتمع وأفراده من خلال هذه الموالاة.

ومن ذلك الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، لأن الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر مدعاة إلى حفظ المجتمع وحمايته من الفساد والانحراف الخلقي، ويحفظ على الأمة عقيدتها ودينها.

وعدم الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر يؤدي إلى إهلاك الأمة، واستحقاقها العذاب، وعدم استجابة الدعاء.

وبعد مناقشة هذه النتائج تبيّن للباحث ما يلي:

١. أن التربية الإسلامية تربية وقائية، تشمل في وقايتها كافة جوانب الحياة الإنسانية.

٢. أن التربية الإسلامية قائمة على الأساس الوقائي في مكافحة الجريمة، وانتشارها وتطهير النفوس من هذه الجرائم.

٣. أن التربية الوقائية في الإسلام تقي الفرد من مزالق الأخلاق السيئة، والأسرة من التلوث والانهيار، والفساد والانحلال الخلقي، والمجتمع من الجرائم والتفكك والفساد.

٤. أن التربية الإسلامية ضرورة لازمة لقيام مجتمع إسلامي، على الحب والخير والفضيلة من خلال تعلّم الوسائل الوقائية من الجرائم وغيرها من المفاسد الأخرى.

٥. ومن ذلك عجز المجتمعات الغربية ومدنيتها عن حل مشكلاتها، لأنها تعالج المشكلة بعد وقوعها، بينما التربية الإسلامية، تقي المجتمع الإسلامي من الجريمة قبل وقوعها، ولهذا ندرت تلك الجرائم بين أفراده.

٦. إقامة الحدود يربي النفوس على حب الخير والعفة والطُهر والاستقامة، وتزكي النفوس وتطهرها من درن الجريمة، وتقي الجسم من المرض المعنوي والحسي والنفسي.

التوصيات

اعتمادا على ما تقدم من تحليل النتائج، يوصي الباحث بما يلي:

١ . يوصي الباحث الدارسين بدراسة التربية العلاجية التي وضع قواعدها الإسلام إلى جانب التربية الوقائية حتى تكتمل الحلقة.

٢ . يوصي الباحث الدارسين بدراسة لكل جانب من جوانب رسالته بشمولية أكثر وتحليل أعمق، لأن كل جانب من جوانب التربية الوقائية يصلح أن يكون بحثا مستقلا.

٣. يوصي الباحث القائمين على الإعلام في العالم الإسلامي بتسخير وسائل الإعلام المختلفة، لتوعية المسلمين، وتعريفهم بأهمية التربية الوقائية، وخطورة الجرائم على النفس والمال والعرض والأسرة والمجتمع.

٤ . يوصي الباحث القائمين على التربية والتعليم في العالم الإسلامي، بتضمين مناهجها قواعد وأوصل التربية الوقائية في الإسلام، وبيان أهميتها النافعة والمفيدة لعلها تعين على حفظ المجتمع وحمايته، من الانحرافات السلوكية.

٥ . يوصي الباحث القائمين على الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، تفعيل دور الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، كأسلوب وقائي واحترازي لمنع وقوع الجريمة والخلل بين أفراد المجتمع.

٦ . يوصي الباحث القائمين على أمر المجتمع بضرورة تطهير البيئة الاجتماعية من الفساد والانحلال الخلقي، ومما يتعارض ولا يتناسب مع تعاليم الإسلام، حتى يصبح وسطا صالحا لتنشئة جيل صالح.

٧ . يوصي الباحث بتكوين وعي افضل عن جميع أفراد المجتمع بمدى خطورة الجرائم وانتشارها، والفساد والانحلال الخلقي وانتشارهما على أفراد المجتمع من أجل التعاون للقضاء عليها.

المصادر والمراجع

١ . القرآن الكريم .

٢ . إبراهيم الأزرق، تسهيل المنافع في الطب والحكمة، (د. ط)، بيروت، دار الكتب العلمية، ١٩٨٣ .

٣ . إبراهيم الدسوقي خميس، مقومات الحياة في القرآن، ط١، القاهرة، دار الصحوة، ١٩٨٥ .

٤ . إبراهيم محمد الجمل، أمراض النفوس، ط١، بيروت، دار الكتاب العربي، ١٩٨٥ .

٥ . إبراهيم محمد عبد الباقي، الدين والعلم الحديث، ط١، القاهرة، المكتبة التجارية الكبرى، ١٩٦٤ .

٦ . إبراهيم المشوخي، آفات اللسان، ط٢، الزرقاء، مكتبة المنار، (د. ت) .

٧ . إبراهيم بن موسى الشاطبي، الموافقات في أصول الشريعة، (د. ط)، القاهرة، المكتبة التجارية الكبرى، (د. ت) .

٨ . ابن تيمية أحمد بن عبد الحليم، العبودية، (د. ط)، الرياض، مكتبة المعارف، ١٩٨٢ .

٩ . ـــــ أحمد بن عبد الحليم، مجموع الفتاوى، جمع عبد الرحمن محمد قاسم، (د. ط)، الرياض، مكتبة المعارف، (د. ت) .

١٠ . أحمد بن عبد الحليم بن تيمية، الاختيارات الفقهية، اختارها، أبو الحسن الدمشقي، (د. ط)، بيروت، دار المعرفة، (د. ت) .

١١ . أحمد بن عبد الحليم بن تيمية، التفسير الكبير، تحقيق عبد الرحمن عميرة، ط١، بيروت، دار الكتب العلمية، ١٩٨٨ .

١٢ . أحمد بن عبد الحليم بن تيمية، السياسة الشرعية في إصلاح الراعي والرعية، (د. ط)، بيروت، دار الكتب العربية، (د. ت) .

١٣ . ابن عابدين، حاشية رد المحتار على الدر المختار، (د. ط)، مصر، المطبعة الكبرى الأميرية، ١٣٢٣هـ .

١٤ . أبو الأعلى المودودي، الربا، ط٢، جدة، الدار السعودية للنشر، ١٩٨٨٧ .

١٥ . ـالحجاب، (د. ط)، بيروت، دار الفكر العربي، (د. ت) .

١٦ . أبو بكر أحمد بن علي الجصاص، أحكام القرآن، تحقيق محمد الصادق قمحاوي، (د. ط)، بيروت، دار إحياء التراث العربي، ١٩٨٥ .

١٧ . أبو بكر جابر الجزائري، عقيدة المؤمن، ط٢، القاهرة، مكتبة الكليات الأزهرية، ١٩٧٨ .
١٨ . أبو بكر عبد الرحمن أحمد بن شعيب النسائي، سنن النسائي، ط١ ، القاهرة، المكتبة التجارية الكبرى، ١٩٣٠ .
١٩ . أبو عبد الله الحسين بن الحسن الحليمي، المنهاج في شعب الإيمان، ط١ ، القاهرة، دار الفكر، (د. ت).
٢٠ . أبو الفداء إسماعيل بن كثير، تفسير القرآن العظيم، (د. ط)، القاهرة، دار إحياء التراث العربي، (د. ت).
٢١ . أحمد بن حجر آل بوطامي، الخمر وسائر المسكرات، تحريمها وأضرارها، ط٤، الدوحة، (د. ن)، ١٩٧٧ .
٢٢ . أحمد بن الحسين البيهقي، السنن الكبرى، (د. ط)، بيروت، دار الفكرة، ١٩٨٥ .
٢٣ . أحمد بن حنبل، المسند، (د. ط)، بيروت، المكتب الإسلامي، (د. ت).
٢٤ . أحمد سعيد الدجوي، فتح الخلاق إلى مكارم الأخلاق، تحقيق عبد الرحيم مارديني، ط١ ، دمشق، مكتبة دار المحبة، ١٩٩١ .
٢٥ . أحمد عبد الرحمن البنا، الفتح الرباني لترتيب مسند الإمام، أحمد بن حنبل، (د. ط)، القاهرة، دار الشهاب، (د. ت).
٢٦ . أحمد عبد الرحمن، التدابير الوقائية في الإسلام، (د. ط)، القاهرة، دار الاعتصام، (د. ت).
٢٧ . أحمد بن علي بن حجر العسقلاني، فتح الباري، شرح صحيح البخاري، (د. ط)، القاهرة، دار الفكر، (د. ت).
٢٨ . أحمد فائز، دستور الأسرة في ظلال القرآن، ط١ ، بيروت، مؤسسة الرسالة، ١٩٨٠ .
٢٩ . أحمد الفنجري، الطب الوقائي في الإسلام، ط٢، القاهرة، الهيئة المصرية للكتاب، ١٩٨٥ .
٣٠ . أحمد بن القاسم بن أبي أصيبعه، عيون الأطباء في طبقات الأطباء، تحقيق د. نزار رضا، (د. ط)، بيروت، مكتبة الحياة، ١٩٦٥ .
٣١ . أحمد محمد عساف، الحلال والحرام في الإسلام، ط٥، بيروت، دار إحياء العلوم، ١٩٨٥ .
٣٢ . أحمد ولي الله الدهلوي، حجة الله البالغة، ط١ ، القاهرة، دار التراث، ١٣٥٥/ـ.
٣٣ . أمين رويحة، ولدي في حالة الصحة والمرض، ط١ ، بيروت، دار القلم، ١٩٧٤ .

٣٤. توفيق علوان، معجزة الصلاة في الوقاية من مرض دوالي الساقين، ط١، المنصورة، دار الوفاء، ١٩٨٨.
٣٥. جار الله محمود الزمخشري، الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التاويل، (د. ط)، بيروت، دار المعرفة، (د. ت).
٣٦. جمال الدين أبو الفرج بن الجوزي، تلبيس إبليس، (د. ط)، بيروت، دار الجيل، (د. ت).
٣٧. جمال الدين أبو الفرج بن الجوزي، صفة الصفوة، تحقيق محمد فاخوري، ط١، حلب، دار الوعي، ١٩٦٩.
٣٨. جمال الدين بن منظور، لسان العرب، (د. ط)، بيروت، دار صادر، (د. ت).
٣٩. جون كلفرمونسما، الله يتجلى في عصر العلم، ترجمة، الدمرداش عبد المجيد سرحان، ط٣، القاهرة، مؤسسة الحلبي، ١٩٦٨.
٤٠. الحاكم النيسابوري، المستدرك على الصحيحين، (د. ط)، بيروت، دار الكتاب العربي، (د. ت).
٤١. حسن أيوب، السلوك الاجتماعي في الإسلام، ط٤، بيروت، دار الندوة الجديدة، ١٩٨٣.
٤٢. حسن الترابي، الصلاة عماد الدين، ط٢، جدة، الدار السعودية للنشر، ١٩٨٤.
٤٣. ـ الإيمان وأثره في حياة الإنسان، ط١، الكويت، دار القلم، ١٩٧٤.
٤٤. حسن بن علي بن حسين، الفكر التربوي عند ابن القيم، ط١، جدة، دار حافظ للنشر، ١٩٨٨.
٤٥. خير الدين الزركلي، الأعلام، ط٦، بيروت، دار العلم للملايين، ١٩٨٤.
٤٦. الراغب الأصفهاني، معجم مفردات ألفاظ القرآن، (د. ط)، بيروت، دار الفكر، (د. ت).
٤٧. روضة محمد ياسين، منهج القرآن في حماية المجتمع من الجريمة، (د. ط)، الرياض، المركز العربي للدراسات الأمنية والتدريب، ١٩٩٢.
٤٨. زكي الدين عبد العظيم المنذري، الترغيب والترهيب، تحقيق، مصطفى محمد عماره، (د. ط)، بيروت، دار الفكر، ١٩٨١.
٤٩. زين الدين بن شهاب الحنبلي، جامع العلوم والحكم، (د. ط)، عمان، مكتبة الرسالة الجديدة، (د. ت).
٥٠. سعيد حوى، الأساس في التفسير، ط١، القاهرة، دار السلام، ١٩٨٥.
٥١. المستخلص في تزكية الأنفس، ط١، عمان، دار الأرقم، ١٩٨٣.
٥٢. الإسلام، ط٣، بيروت، دار الكتب العلمية، ١٩٨١.

٥٣ . سعيد مرسي أحمد، التربية والتقدم، (د. ط)، القاهرة، عالم الكتب، ١٩٨٠ .
٥٤ . سعيد المرصفي، نفحات رمضان وأثرها في تكوين الشخصية الإسلامية، ط١، بيروت، مؤسسة الرسالة، ١٩٨٥ .
٥٥ . سليمان بن أحمد الطبراني، المعجم الكبير، تحقيق: حمدي السلفي، ط٢، (د. م)، (د. ن)، ١٩٨٤ .
٥٦ . سليمان بن الأشعث السجستاني، سنن أبي داود، تحقيق محمد فؤاد عبد الباقي، (د. ط)، بيروت، دار إحياء التراث العربي (د. ت).
٥٧ . سليمان بن عبد الله بن محمد بن عبد الوهاب، تيسير العزيز الحميد في شرح كتاب التوحيد، (د. ط)، المدينة المنورة، المكتبة السلفية، (د. ت).
٥٨ . سمية عوض علي أبو إسحاق، التربية الجسمية عند ابن قيم الجوزية في كتاب الطب النبوي، رسالة ماجستير غير منشورة، جامعة أم القرى، مكة المكرمة، ١٤٠٨هـ.
٥٩ . سيد سابق، فقه السنة، (د. ط)، بيروت، دار الفكر، ١٩٨٧ .
٦٠ . سيد قطب، في ظلال القرآن، ط٧، بيروت، دار إحياء التراث العربي، ١٩٧١ .
٦١ . ـــالعدالة الاجتماعية في الإسلام، (د. ط)، (د. م)، (د. ن)، ١٩٧٨ .
٦٢ . السلام العالمي والإسلام، ط٧، بيروت، دار الشروق، ١٩٨٣ .
٦٣ . السيد محمد نوح، آفات على الطريق، ط١، المنصورة، دار الوفاء، ١٩٩٤ .
٦٤ . شمس الدين السرخسي، المبسوط، ط٣، بيروت، دار المعرفة، ١٩٧٨ .
٦٥ . شمس الدين محمد بن أحمد الذهبي، سير أعلام النبلاء، تحقيق شعيب الإرناؤط، ط٢، بيروت، مؤسسة الرسالة، ١٩٨٢ .
٦٦ . شمس الدين محمد بن أبي العباس، نهاية المحتاج إلى شرح المنهاج، (د. ط)، بيروت، دار الفكر، ١٩٨٤ .
٦٧ . شهاب الدين أحمد بن إدريس القرافي، الفروق، (د. ط)، القاهرة، دار التراث، ١٣٥٥هـ.
٦٨ . صالح ذياب هندي، دراسات في الثقافة الإسلامية، ط٨، عمان، جمعية عمال المطابع التعاونية، ١٩٨٨ .
٦٩ . صديق حسن، الروضة الندية شرح الدرر البهية، تحقيق، عبد الله الأنصاري، (د. ط)، قطر، الشؤون الدينية، (د. ت).
٧٠ . طه عبد الله العفيفي، من وصايا الرسول، ط١، الدار البيضاء، دار المعرفة، ١٩٨٦ .

٧١. الطنطاوي جوهري، الجواهر في تفسير القرآن، ط٢، القاهرة، مطبعة مصطفى البابي، ١٩٣١.
٧٢. عبد الحميد الزنتاني، أسس التربية الإسلامية في السنة النبوية، (د. ط)، ليبيا، الدار العربية للكتاب، ١٩٨٤.
٧٣. عبد الحميد القضاه، الأمراض الجنسية عقوبة إلهية، ط١، (د. م)، (د. ن)، ١٩٨٥.
٧٤. عبد الرؤوف المناوي، فيض القدير شرح الجامع الصغير، ط٢، بيروت، دار المعرفة، ١٩٧٢.
٧٥. عبد الستار أبو غدة، بحوث في الفقه الإسلامي والصحة النفسية من منظور إسلامي، ط١، القاهرة، دار الأقصى، ١٩٩١.
٧٦. عبد الستار فتح الله، المعاملات في الإسلام، (د. ط)، مكة المكرمة، رابطة العالم الإسلامي، ١٤٠٢هـ.
٧٧. عبد السميع المصري، لعلكم تتقون، بحث مجلة التضامن الإسلامي، وزارة الحج السعودية، السنة السادسة والأربعون، جـ٣، ١٩٨٥.
٧٨. عبد الرحمن بن ناصر السعدي، تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، (د. ط)، المدينة المنورة، الجامعة الإسلامية، ١٣٩٨هـ.
٧٩. عبد الرحمن النحلاوي، أصول التربية الإسلامية وأساليبها في البيت والمدرسة والمجتمع، ط١، دمشق، دار الفكر، ١٩٧٩.
٨٠. عبد العزيز الخياط، المجتمع المتكافل في الإسلام، ط١، عمان، مؤسسة الرسالة، ١٩٧٢.
٨١. عبد القادر أحمد عطا، هذا حلال وهذا حرام، (د. ط)، بيروت، دار إحياء التراث العربي، ١٩٧٥.
٨٢. عبد القادر عودة، التشريع الجنائي في الإسلام مقارنا بالقانون الوضعي، ط٤، بيروت، دار إحياء التراث العربي، (د. ت).
٨٣. عبد الله إبراهيم الأنصاري، الخمرة أم الخبائث، (د. ط)، قطر، الشؤون الدينية، (د. ت).
٨٤. عبد الله أحمد قادري، أثر التربية الإسلامية في أمن المجتمع، ط١، جدة، دار المجتمع، ١٩٨٨.
٨٥. عبد الله سراج الدين، الإيمان بعوالم الآخرة ومواقفها، ط١، (د. م)، (د. ن)، ١٩٧٧.
٨٦. عبد الله بن قدامة، المغني، (د. ط)، الرياض، مكتبة الرياض الحديثة، ١٩٨١.

٨٧. عبد الله بن محمد الدارمي، سنن الدارمي، (د. ط)، بيروت، دار الكتب العلمية، (د.ت).
٨٨. عبد الله محمد الطيار، الزكاة، (د. ط)، الرياض، مركز البحوث، جامعة الإمام محمد بن سعود، ١٩٨٧.
٨٩. عبد الله ناصح علوان، تربية الأولاد في الإسلام، ط٢، بيروت، دار السلام، ١٩٧٨.
٩٠. إلى كل أب غيور يؤمن بالله، ط ١٠، القاهرة، دار السلام، ١٩٩٥.
٩١. عبد الملك بن هشام، السيرة النبوية، تحقيق: مصطفى السقا وآخرون، (د. ط)، القاهرة، دار الكنوز الأدبية، (د. ت).
٩٢. عزت العزيزي وآخرون، الثقافة الإسلامية، ط١، عُمان، وزارة التربية والتعليم، ١٩٨٥.
٩٣. عطية محمد سالم، الحكمة الإلهية في تحريم المعاملات الربوية، ندوة المحاضرات، رابطة العالم الإسلامي، مكة المكرمة، موسم حج ١٩٦٩.
٩٤. عفيف عبد الفتاح طبّارة، روح الصلاة في الإسلام، ط٩، بيروت، دار العلم للملايين، ١٩٧٩.
٩٥. الخطايا في نظر الإسلام، ط٤، بيروت، دار العلم للملايين، ١٩٧٩.
٩٦. روح الدين الإسلامي، ط٦، بيروت، دار العلم للملايين، ١٩٧٧.
٩٧. علاء الدين بن بلبان الكاساني، بدائع الصنائع وترتيب الشرائع، ط٢، بيروت، دار الكاتب العربي، ١٩٨٢.
٩٨. علي بن أحمد بن حزم، المُحلى، (د. ط)، بيروت، دار الآفاق الجديدة، (د. ت).
٩٩. علي بن الحسين بن محمد الماوردي، أدب الدنيا والدين، ط٥، بيروت، دار اقرأ، ١٩٨٦.
١٠٠. الأحكام السلطانية والولايات الدينية، ط٣، بيروت، دار الكتب العلمية، ١٩٥٣.
١٠١. علي خليل أبو العينين، فلسفة التربية في القرآن، ط١، القاهرة، دار الفكر العربي، (د.ت).
١٠٢. علي الشربجي، مختصر تلبيس إبليس، ط١، بيروت، مؤسسة الرسالة، ١٩٩٢.
١٠٣. علي عويضة، حق البدن، (د. ط)، بيروت، دار العلم للملايين، (د. ت).
١٠٤. علي القاضي، الأمراض النفسية وعلاجها في ضوء الإسلام، التضامن الإسلامي، وزارة الحج السعودي، السنة السادسة والثلاثون، جـ ١٢، ١٩٨٢.
١٠٥. علي عبد الرحمن سعيد، الآثار التربوية لإقامة الحدود الشرعية، رسالة ماجستير غير منشورة، جامعة أم القرى، مكة المكرمة، ١٤٠٩هـ.

١٠٦. علي عبد اللطيف منصور، العبادات في الإسلام وأثرها في تضامن المسلمين، مجلة الجامعة الإسلامية، المدينة المنورة، السنة السادسة عشرة، العدد (٦)، ١٤٠٤هـ.
١٠٧. علي محمد كوراني، فلسفة الصلاة، ط١، بيروت، دار إحياء التراث العربي، ١٩٧٢.
١٠٨. عمر سليمان الأشقر، نحو ثقافة إسلامية أصيلة، ط٢، عمان، دار النفائس، ١٩٩١.
١٠٩. عمر عودة الخطيب، لمحات في الثقافة الإسلامية، ط٢، بيروت، مؤسسة الرسالة، ١٩٧٧.
١١٠. عمر محمد التومي الشيباني، من أسس التربية الإسلامية، ط١، طرابلس، المنشأة الشعبية للنشر، ١٩٧٩.
١١١. عمر محمود عبد الله، الطب الوقائي في الإسلام، ط١، الموصل، مطبعة الزهراء، ١٩٩٠.
١١٢. غريب جمعه، نحو وعي صحي أفضل، مجلة الوعي الإسلامي، الكويت، العدد ١٨٧، السنة السادسة عشرة.
١١٣. فارس علوان، وفي الصلاة صحة ووقاية، ط١، جدة، دار المجتمع، ١٩٨٧.
١١٤. فتحي لا شين، الربا وفائدة رأس المال بين الشريعة والنظم الوضعية، (د. ط)، القاهرة، دار التوزيع والنشر، ١٩٩٠.
١١٥. فتحي يكن، التربية الوقائية في الإسلام، ط١، بيروت، مؤسسة الرسالة، ١٩٨٩.
١١٦. فخري الدين محمد الرازي، التفسير الكبير ومفاتيح الغيب، ط١، بيروت، دار الفكر، ١٩٨١.
١١٧. فضل إلهي، التدابير الوقائية من الزنا في الفقه الإسلامي، ط٣، باكستان، إدارة ترجمان الإسلام، ١٩٨٨.
١١٨. التدابير الوقائية من الربا، ط١، باكستان، إدارة ترجمان الإسلام، ١٩٨٦.
١١٩. فضل حسن عباس، خماسيات مختارة في النفس الإمارة، ط١، عمان، دار البشير، ١٩٩٠.
١٢٠. القاضي البيضاوي، أنوار التنزيل وأسرار التأويل، (د. ط)، مصر، (د. ن)، (د. ت).
١٢١. القاسم بن سلّام، الأموال، تحقيق محمد خليل هراس، ط٢، بيروت، دار الفكر، ١٩٧٥.
١٢٢. الكتاب المقدس، (د. ط)، (د. م)، دار الكتاب المقدس، (د. ت).
١٢٣. لؤلؤة صالح العلي، الوقاية الصحية على ضوء الكتاب والسنة، ط١، الدمام، دار ابن القيم، ١٩٨٩.

١٢٤. ماجد محمد أبو رخية، الاحتكار، ط١، عمان، مكتبة الأقصى، ١٩٩٠.
١٢٥. مالك بن أنس، الموطأ، (د. ط)، القاهرة، مطبعة الحلبي، ١٣٥٣هـ.
١٢٦. مجدي محمد سيف، التدابير الاحترازية في الشريعة الإسلامية، المجلة العربية للدراسات الأمنية، المجلد الأول، العدد (١)، الرياض، المركز العربي للدراسات الأمنية، ١٤٠٥هـ.
١٢٧. محمد أبو زهرة، الجريمة والعقوبة في الفقه الإسلامي، (العقوبة)، (د. ط)، القاهرة، دار الفكر العربي، (د. ت).
١٢٨. محمد أبو زهرة، تنظيم الإسلام للمجتمع، (د. ط)، القاهرة، دار الفكر العربي، (د. ت).
١٢٩. محمد بن أبي بكر بن قيم الجوزية، التفسير القيم، تحقيق محمد حامد الفقي، ط١، بيروت، دار الكتب العلمية، ١٩٧٨.
١٣٠. أعلام الموقعين عن رب العالمين، (د. ط)، بيروت، دار الجيل، (د. ت).
١٣١. زاد المعاد في هدي خير العباد، ط٢، القاهرة، المطبعة المصرية، ١٩٧٢.
١٣٢. الجواب الكافي لمن سأل عن الدواء الشافي، تحقيق، محمد عبد الرؤوف الرعود، ط١، عمان، دار الفرقان، ١٩٩٢.
١٣٣. الطب النبوي، تحقيق: عبد الغني عبد الخالق، (د. ط)، بيروت، دار الكتب العلمية، (د. ت).
١٣٤. تحفة المولود بأحكام المولود، ط٢، بيروت، دار الكتب العلمية، ١٩٨٣.
١٣٥. الطرق الحكمية في السياسة الشرعية، تحقيق، محمد حامد الفقي، (د. ط)، القاهرة، مطبعة السنة المحمدية، ١٣٧٢هـ.
١٣٦. مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين، تحقيق، محمد حامد الفقي، (د. ط)، القاهرة، دار الفكر، (د. ت).
١٣٧. محمد بن أحمد القرطبي، الجامع لأحكام القرآن، ط٢، القاهرة، دار الكتب المصرية، ١٩٥٤.
١٣٨. الجامع لأحكام القرآن، (د. ط)، القاهرة، دار الكاتب العربي، ١٩٦٧.
١٣٩. محمد أحمد كنعان، مختصر تفسير المنار، ط١، دمشق، المكتب الإسلامي، ١٩٨٤.
١٤٠. محمد إدريس، من وصايا الرسول، ط١، دمشق، دار الحكمة، ١٩٨٩.
١٤١. محمد أديب كلكل، صيانة الإيمان من عثرات اللسان، ط٢، حماه، مكتبة الدعوة، (د. ت).

١٤٢ . محمد بن إسماعيل البخاري، صحيح البخاري، تحقيق، مصطفى البُغا، دمشق، دار ابن كثير، ١٩٨٧ .
١٤٣ . محمد بن إسماعيل الصنعاني، سبل السلام، (د. ط)، (د. م)، (د. ن)، (د. ت).
١٤٤ . محمد الأمين بن محمد الشنقيطي، أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن، (د. ط)، جدة، دار الأصفهاني، ١٩٧٣ . د
١٤٥ . محمد أمين المصري، لمحات في وسائل التربية الإسلامية وغاياتها، ط٤، بيروت، دار الفكر، ١٣٩٨هـ.
١٤٦ . محمد بن جرير الطبري، جامع البيان في تفسير القرآن، ط٣، بيروت، دار المعرفة، ١٩٧٨ .
١٤٧ . محمد جمال الدين رفعت، آداب المجتمع في الإسلام، ط١، الدوحة، إدارة إحياء التراث الإسلامي، ١٩٨٢ .
١٤٨- محمد جمال الدين القاسمي، محاسن التاويل، ط٢، بيروت، دار الفكر، ١٩٧٨ .
١٤٩ . محمد جواد مغنية، التفسير الكاشف، ط٣، بيروت، دار العلم للملايين، ١٩٨١ .
١٥٠ . محمد حسين الذهبي، أثر إقامة الحدود في استقرار المجتمع، ط٢، دمشق، دار الهجرة، ١٩٨٧ .
١٥١ . محمد الخطيب الشربيني، مغني المحتاج، (د. ط)، بيروت، دار الفكر، (د. ت).
١٥٢ . محمد رشيد رضا، تفسير المنار، ط٢، بيروت، دار المعرفة، ١٩٧٣ .
١٥٣ . محمد بن زكريا الرازي، منافع الأغذية ودفع مضارها، ط١، بيروت، دار إحياء العلوم، ١٩٨٢ .
١٥٤ . محمد سعيد رمضان البوطي، من أسرار المنهج الرباني، ط٢، بيروت، مؤسسة الرسالة، ١٩٨٤ .
١٥٥ . محمد بن السيد درويش، أسنا المطالب في أحاديث مختلفة المراتب، ط١، القاهرة، مطبعة مصطفى البابي، ١٩٣٥ .
١٥٦ . محمد السيد ندا، التوازن الاجتماعي في ضوء الكتاب والسنة، مجلة كلية الإمام الأعظم، بغداد، المكتبة الوطنية، ١٩٧٤ .
١٥٧ . محمد شديد، منهج القرآن في التربية، (د. ط)، بيروت، دار الأرقم، (د. ت).
١٥٨ . محمد شمس الحق العظيم، عون المعبود بشرح سنن أبي داود، تحقيق، عبد الرحمن محمد عثمان، ط٣، القاهرة، مكتبة ابن تيمية، ١٩٨٧ .

١٥٩ . محمد الطاهر بن عاشور، تفسير التحرير والتنوير، (د. ط)، تونس، الدار التونسية للنشر، ١٩٨٤ .

١٦٠ . محمد الطاهر بن عاشور، مقاصد الشريعة الإسلامية، (د. ط)، تونس، الشركة التونسية للتوزيع، ١٩٧٨ .

١٦١ . محمد عبد الله الخطيب، العقيدة جوهرها وآفاتها، (د. ط)، شبرا، دار المنار الحديثة، (د. ت).

١٦٢ . محمد بن عبد الرحمن المباركفوري، تحفة الأحوذي بشرح صحيح الترمذي، (د. ط)، القاهرة، دار الفكر، (د. ت).

١٦٣ . محمد عبد السلام وآخرون، دراسات في الثقافة الإسلامية، ط٤، الكويت، مكتبة الفلاح، ١٩٩٨٥ .

١٦٤ . محمد عبد العزيز عمرو، اللباس والزينة في الشريعة الإسلامية، ط٢، بيروت، مؤسسة الرسالة ١٩٨٥ .

١٦٥ . محمد عبد القادر أبو فارس، في ظلال سورة الأخلاق، ط١، عمان، دار عمّار، ١٩٩٢ .

١٦٦ . محمد عبد الله دراز، الدين، ط١، الكويت، دار القلم، ١٩٨٢ .

١٦٧ . محمد عبد الله الشرقاوي، الإيمان حقيقته وأثره في النفس والمجتمع، ط٢، بيروت، دار الجيل، ١٩٩٠ .

١٦٨ . محمد بن عبد الله العربي، أحكام القرآن، تحقيق: محمد علي البجاوي، (د. ط)، بيروت، دار المعرفة، (د. ت).

١٦٩ . محمد عطية الأبراشي، التربية الإسلامية وفلاسفتها، ط٥، مصر، مطبعة عيسى البابي الحلبي، ١٩٨٦ .

١٧٠ . محمد عقلة الإبراهيم، نظام الأسرة في الإسلام، ط٢، عمان، مكتبة الرسالة الحديثة، ١٩٨٩ .

١٧١ . الإسلام خصائصه ومقاصده، ط١، عمان، مؤسسة الرسالة، ١٩٨٤ .

١٧٢ . نظام الإسلام العبادة والعقوبة، ط١، عمان، مكتبة الرسالة الحديثة، ١٩٨٦ .

١٧٣ . محمد علي البار، الأمراض الجنسية، ط٣، جدة، دار المنارة، ١٤٠٧هـ.

١٧٤ . محمد علي الشوكاني، فتح القدير، ط٢، القاهرة، مطبعة البابي، ١٩٦٤ .

١٧٥ . نيل الأوطار من أحاديث سيد الأخيار شرح منتقى الأخبار، (د. ط)، بيروت، دار الجيل، ١٩٧٣ .

١٧٦ . محمد علي المرصفي، في التربية الإسلامية، ط١، القاهرة، مكتبة وهبة، ١٩٨٧ .
١٧٧ . محمد بن عيسى بن سورة الترمذي، الجامع الصحيح من سنن الترمذي، ط٣، القاهرة، دار الفكر، ١٩٧٨ .
١٧٨ . الجامع الصحيح من سنن الترمذي، تحقيق، إبراهيم عطوة عوض، ط١، القاهرة، دار الحديث، (د. ت).
١٧٩ . محمد فاضل الجمالي، نحو تربية مؤمنة، ط١، تونس، الشركة التونسية للتوزيع، ١٩٧٧ .
١٨٠ . محمد فتحي الدريني، خصائص التشريع في السياسة والحكم، ط٢، بيروت، مؤسسة الرسالة، ١٩٨٧ .
١٨١ . أصول التشريع الإسلامي، ط١، دمشق، جامعة دمشق، ١٩٧٧ .
١٨٢ . الفقه الإسلامي المقارن مع المذاهب، (د. ط)، دمشق، جامعة دمشق، (د. ت).
١٨٣ . محمد فريد وجدي، دائرة معارف القرن العشرين، (د. ط)، بيروت، دار المعرفة، ١٩٧١ .
١٨٤ . محمد قطب، منهج التربية الإسلامية، ط٦، بيروت، دار الشروق، ١٩٨٢ .
١٨٥ . محمد كامل عبد الصمد، الإعجاز العلمي في الإسلام (القرآن الكريم)، ط٢، القاهرة، الدار المصرية اللبنانية، ١٩٩٣ .
١٨٦ . الإعجاز العلمي في الإسلام (السنة النبوية)، ط٢، القاهرة، الدار المصرية اللبنانية، ١٩٩٣ .
١٨٧ . محمد لطفي الصباغ، تحريم الخلوة بالمرأة الأجنبية، ط٤، الرياض، الرئاسة العامة لإدارات البحوث العلمية والدعوة والإرشاد، ١٤٠٨هـ.
١٨٨ . محمد المبارك، نظام الإسلام العقيدة والعبادة، بيروت، دار الفكر، ١٩٦٨ .
١٨٩ . محمد محمد الأمين الأنصاري، منهج الدعوة الإسلامية في البناء الاجتماعي، ط١، الرياض مكتبة الأنصار، ١٩٨٤ .
١٩٠ . محمد بن محمد العماد (أبو السعود) إرشاد العقل السليم إلى مزايا القرآن العظيم، (د. ط)، بيروت، دار إحياء التراث العربي، (د. ت).
١٩١ . محمد محمد عيسوي، آثار الصيام في سلوك الفرد والمجتمع، مجلة هدي الإسلام، المجلد ٣١، العدد (٦)، عمان، وزارة الأوقاف، ١٩٨٧ .
١٩٢ . محمد بن محمد الغزالي، المستصفى في علم أصول الفقه، ط٢، بيروت، دار الكتب العلمية، ١٩٨٣ .

١٩٣ . إحياء علوم الدين، (د. ط)، بيروت، دار المعرفة، (د. ت).
١٩٤ . مكاشفة القلوب المقرب إلى علام الغيوب، تحقيق أحمد حجازي السقا، بيروت، دار الجيل، ١٩٩١ .
١٩٥ . محمد محمود الصواف، نظرات في سورة الحجرات، ط٣، بيروت، مؤسسة الر ١٩٨٠ .
١٩٦ . محمد محمود عمارة، الحدود في الإسلام بين الوقاية والعلاج، مجلة التـ الإسلامي، وزارة الحج السعودية، السنة السادسة والثلاثون، جـ ١٢، جمادى الـ ١٩٨٢ .
١٩٧ . محمد مصطفى المراغي، تفسير المراغي، بيروت، دار إحياء التراث العربي، (د. ـ
١٩٨ . محمد ناصر الدين الألباني، صحيح سنن ابن ماجة، ط١، بيروت، المكتب الإسلا ١٩٨٦ .
١٩٩ . سلسلة الأحاديث الصحيحة، ط ٣، بيروت، المكتب الإسلامي، ١٩٨٣ .
٢٠٠ . صحيح سنن الترمذي، بيروت، المكتب الإسلامي، ١٩٨٨ .
٢٠١ . محمد نمر الخطيب، من نور الإسلام، (د. ط)، بيروت، مكتبة الحياة، (د. ت).
٢٠٢ . محمد بن يزيد بن ماجة، سنن ابن ماجة، تحقيق محمد فؤاد عبد الباقي، (د. بيروت، دار المكتبة العلمية، (د. ت).
٢٠٣ . محمد يوسف خليل، قراءة القرآن وأثرها على اطمئنان النفس، بحث مقدم إلى الم العالمي الخامس للصحة النفسية، ١٩٩٤ .
٢٠٤ . محمود إبراهيم الخطيب، من مبادئ الاقتصاد الإسلامي، ط١، الرياض، (د. (د. ت).
٢٠٥ . محمود أحمد السيد، معجزة الإسلام التربوية، ط١، الكويت، دار البحوث العل ١٩٧٨ .
٢٠٦ . محمود الحاج قاسم، الطب الوقائي في الإسلام، ط١، الموصل، مكتبة البـ ١٩٨٨ .
٢٠٧ . محمود شكري الألوسي البغدادي، روح المعاني في تفسير القرآن العظيم وا المثاني، (د. ط)، بيروت، دار إحياء التراث العربي، (د. ت).
٢٠٨ . محمود شلتوت، من توجيهات الإسلام، (د. ط)، القاهرة، دار القلم، (د. ت).
٢٠٩ . الإسلام عقيدة وشريعة، ط٧، بيروت، دار الشروق، ١٣٩٧هـ.
٢١٠ . محي الدين عبد الله بن عربي، الوصايا، (د. ط)، بيروت، دار الإيمان، ١٩٥٨ .

٢١١ . محي الدين مستو، الصوم فقهه وأسراره، ط٥، دمشق، دار القلم، ١٩٨١ .
٢١٢ . مختار سالم، الصلاة رياضة النفس والجسد، (د. ط)، القاهرة، المركز العربي الحديث/ ١٩٩٠ .
٢١٣ . مروان إبراهيم القيسي، الإسلام والمسالة الجنسية، ط١، (د. م)، (د. ن)، ١٩٨٥ .
٢١٤ . مسلم بن الحجاج، صحيح مسلم، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي، ط١، القاهرة، دار الحديث، ١٩٩١ .
٢١٥ . مصطفى إبراهيم الزلمي، فلسفة الشرعية، ط١ ، بغداد، دار الرسالة، ١٩٧٨ .
٢١٦ . مصطفى السباعي، المرأة بين الفقه والقانون، ط٥، بيروت، المكتب الإسلامي، (د. ت).
٢١٧ . مصطفى صادق الرافعي، وحي القلم، (د. ط)، بيروت، دار الكتاب العربي، (د. ت).
٢١٨ . مصطفى عبد الواحد، شخصية المسلم كما يصورها القرآن، ط٤، الدوحة، إدارة الشؤون الدينية، ١٩٨١ .
٢١٩ . مصطفى فهمي، الإنسان وصحته النفسية، (د. ط)، القاهرة، مكتبة الأنجلو المصرية، (د. ت).
٢٢٠ . مقداد يالجن، التربية الأخلاقية الإسلامية، ط١ ، مصر، مكتبة الخانجي، ١٩٧٧ .
٢٢١ . موسوعة التربية الإسلامية، (د. ط)، بيروت، مؤسسة الريحاني، ١٩٨٦ .
٢٢٢ . التربية الإسلامية ودورها في مكافحة الجريمة، (د. ط)، الرياض، (د. ن)، ١٩٨٧ .
٢٢٣ . أهداف التربية الإسلامية وغايتها، ط١ ، (د. م)،)د. ن)، ١٩٨٦ .
٢٢٤ . جوانب التربية الإسلامية الأساسية، ط١، بيروت، مؤسسة الريحاني، ١٩٨٦ .
٢٢٥ . منصور يونس البهوتي، الروض المربع بشرح زاد المستقنع، (د. ط)، بيروت، عالم الكتب، ١٩٨٥ .
٢٢٦ . ـ كشاف القناع عن متن الإقناع، (د. ط)، بيروت، عالم الكتب، ١٩٨٣ .
٢٢٧ . موفق الدين عبد اللطيف البغدادي، الطب في الكتاب والسنة، تحقيق: عبد المعطي أمين، (د. ط)، بيروت، دار المعرفة، ١٩٨٦ .
٢٢٨ . نادية شريف العمري، أضواء على الثقافة الإسلامية، ط١، بيروت، مؤسسة الرسالة، ١٩٨١ .
٢٢٩ . ناصر علي عبد الله البراك، دور الأسرة في الوقاية من تعاطي المخدرات من منظور التربية الإسلامية، رسالة ماجستير غير منشورة، كلية التربية، جامعة المنصورة، ١٩٩١ .
٢٣٠ . نجيب الكيلاني، في رحاب الطب النبوي، ط٣، بيروت، مؤسسة الرسالة، ١٩٨٤ .

٢٣١ . الصوم والصحة، ط٢، بيروت، مؤسسة الرسالة، ١٩٨٠ .
٢٣٢ . نور الدين بن علي الهيثمي، مجمع الزوائد ومنبع الفوائد، ط٣، بيروت، دار الكتاب العربي، ١٩٨٢ .
٢٣٣ . وحيد الدين خان، الإسلام يتحدى، تحقيق: عبد الصبور شاهين، ط٢، القاهرة، دار البحوث العلمية، ١٩٧٣ .
٢٣٤ . وحيد عبد السلام بالي، وقاية الإنسان من الجن والشيطان، ط١، بيروت، دار الكتب العلمية، ١٩٩٠ .
٢٣٥ . وهبة الزحيلي، الأصول العامة لوحدة الدين الحق، ط١، دمشق، المكتبة العباسية، ١٩٧٢ .
٢٣٦ . ـ الفقه الإسلامي وأدلته، ط٣، دمشق، دار الفكر، ١٩٨٥ .
٢٣٧ . وهبة سليمان الألباني، أركان الإيمان، ط٢، بيروت، مؤسسة الرسالة، ١٩٧٩ .
٢٣٨ . وهبة سليمان غاوجي، التحذير من الكبائر، ط١، عمان، مكتبة الرسالة، ١٩٨٨ .
٢٣٩ . يحيى بن شرف النووي، صحيح مسلم بشرح النووي، ط٣، بيروت، دار إحياء التراث العربي، ١٩٨٤ .
٢٤٠ . ـ روضة الطالبين، (د. ط)، بيروت، المكتب الإسلامي، ١٩٧٦ .
٢٤١ . يوسف القرضاوي، الخصائص العامة للإسلام، ط٣، بيروت، مؤسسة الرسالة، ١٩٨٥ .
٢٤٢ . الإيمان والحياة، ط٢، بيروت، مؤسسة الرسالة، ١٩٨٥ .
٢٤٣ . الحلال والحرام في الإسلام، ط١، القاهرة، مكتبة وهبة، ١٩٧٦ .
٢٤٤ . العبادة في الإسلام، (د. ط)، القاهرة، دار الجميع للنشر، (د. ت) .
٢٤٥ . فقه الزكاة، ط٦، بيروت، مؤسسة الرسالة، ١٩٨١ .
٢٤٦ . الحلال والحرام في الإسلام، (د. ط)، دمشق، دار القرآن الكريم، ١٩٧٨ .
٢٤٧ . حقيقة التوحيد، ط١، القاهرة، مكتبة وهبة، ١٩٨٩ .

السيرة الذاتية

الاسم: أحمد ضياء الدين حسين محمد الحسن

تاريخ ومكان الولادة: ١٦/٥/١٩٥٩م كفر الماء - اربد - الأردن.

الحالة الإجتماعية: متزوج

المؤهلات العلمية:

١- المرحلة الثانوية: ١٩٧٦ - ١٩٧٧م المدينة المنورة - جيد جداً.

٢- المرحلة الجامعية: ١٩٨٠ - ١٩٨١م ليسانس شريعة - الجامعة الإسلامية/ المدينة المنورة تقدير جيد جداً.

٣- مرحلة الماجستير: ١٩٩١-١٩٩٢م جامعة اليرموك - كلية الشريعة والدراسات الإسلامية تقدير ممتاز.

٤- عنوان الاطروحة: (الفكر التربوي عند الحارث المحاسبي).

٥- الدكتوراة: العام الدراسي ٩٥ - ٩٦/ أصول التربية/ عنوان الأطروحة (أثر التربية الوقائية في صيانة المجتمع الإسلامي - تخصص تربية إسلامية/ مع التوصية بطبع الرسالة.

المواد التي قمت بتدريسها:

١- الثقافة الإسلامية / ١٣١ .

٢- الثقافة الإسلامية/ حول الانظمة الإسلامية/ ١٣٢

٣- نظام الإسلام.

٤- نظام الأسرة في الإسلام.

٥- العقيدة الإسلامية/ ١ .

٦- التلاوة والتفسير/ ١ .

٧- الأخلاق في القرآن.

٨- الهدي النبوي في الأدب والرقائق.
٩- أساليب تدريس التربية الإسلامية.
١٠- السيرة النبوية.
١١- سيرة الصحابة.
١٢- من أعلام الفكر التربوي (دراسات عليا/ ماجستير تربية إسلامية).
١٣- المناهج.
١٤- اتجاهات حديثة في تطوير المناهج.
١٥- إدارة مدرسية.
١٦- نظم تعليمية مقارنة.
١٧- المدخل إلى فقه التربية الإسلامية.
١٨- التربية في الكتاب والسنة.
١٩- أنماط التربية الإسلامية.
٢٠- المدارس في الإسلام.

الخبرات الإدارية:

١- مساعد مدير المركز الثقافي الإسلامي عام ٨٦ - ٨٧.
٢- مشرف شؤون مسجد جامعة اليرموك ٨٧ ولغاية ٩٦.
٣- مساعد عميد كلية الشريعة لشؤون الطلاب العام الدراسي ٢٠٠١/ ٢٠٠٢.
٤- مساعد عميد كلية الشريعة لشؤون مسجد الجامعة ٢٠٠٢/ ٢٠٠٣.
٥- مساعد عميد كلية الشريعة لشؤون الطلبة غير العرب ٢٠٠٣/ ٢٠٠٤.

اللجان التي اشتركت فيها:

١- لجنة معادلات المساقات/ داخل الكلية/ قسم أصول الدين.
٢- لجنة أعداد الجدول الدراسي ولعدة سنوات/ أعداد جدول القسم.
٣- لجنة امتحانات مستويات الحفظ في القرآن الكريم.
٤- الاشتراك في أعداد الخطط الدراسية/ قسم أصول الدين.

٥- لجنة الإشراف على مسجد الجامعة التدريس + الخطابة.

٦- الاشتراك في الإشراف على الانتخابات الطلابية.

٧- لجنة التعريف بالطلاب الجدد كلية التربية عمان.

٨- عضو في الأنشطة الطلابية في كلية التربية.

٩- لجنة فحص مستوى أسئلة الامتحانات النهائية على مستوى كليات التربية - سلطنة عُمان.

١٠- لجنة التقييم الشامل لمعلمي المدرسة النموذجية/ جامعة اليرموك.

في المجال البحث:

١- سورة الضحى والانشراح دراسة بيانية تربوية - منشور / جامعة اليرموك ١٩٩٨.

المؤتمرات والندوات:

١- مؤتمر نحو بناء نظرية تربوية إسلامية/ عمان.

٢- ندوة واقع تدريس علوم الشريعة في الجامعات/ عمان.

٣- ندوة معلم المستقبل كلية التربية للمعلمين بتروى.

الخبرات العملية / مجال التدريس:

١- معلم وزارة التربية والتعليم/ ٨٤-١٩٨٥م التدريس في المرحلة الثانوية.

٢- معيد/ جامعة اليرموك ١٩٨٥ - ١٩٩٣م.

٣- مدرّس / جامعة اليرموك ١٩٩٤م ولغاية الآن.

٤- أستاذ مساعد: كلية التربية للمعلمين - نزوى في سلطنة عمان ولغاية ٢٠٠٠/ ٢٠٠١م.

خدمة المجتمع المحلي والدولي:

- القيام بالعديد من الندوات والمحاضرات داخل الجامعة وخارجها.
- الاشتراك بندوات سجلت لحساب محطة تلفزيون دبي.
- التسجيل لحساب التلفزيون الأردني/ لقاءات دينية.

البحوث المنشورة:

١ - سورة الضحى والإنشراح دراسة بيانية تربوية / مجلة جامعة اليرموك ١٩٩٨ الأردن.

٢ - شخصية المعلم المسلم من الناحية الخلقية/ ١٩٩٩م مجلة جامعة نبها - مصر.

٣- المسجد ودوره التعليمي والتربوي ٢٠٠٠ مجلة جامعة القرآن الكريم - السودان.

٤- مكانة العقل في فكر المحاسبي ٢٠٠١/ مجلة جامعة دمشق.

الدورات:

١ - دورة في الحاسوب/ جامعة اليرموك/ ٢٠٠٣

٢- دورة في تأهيل أعضاء هيئة التدريس/ جامعة اليرموك.